منبر الإسلام

العدد ١١ - السنة ٢٣
ذو القعدة ١٣٨٥ - ٢١ فبراير ١٩٦٦

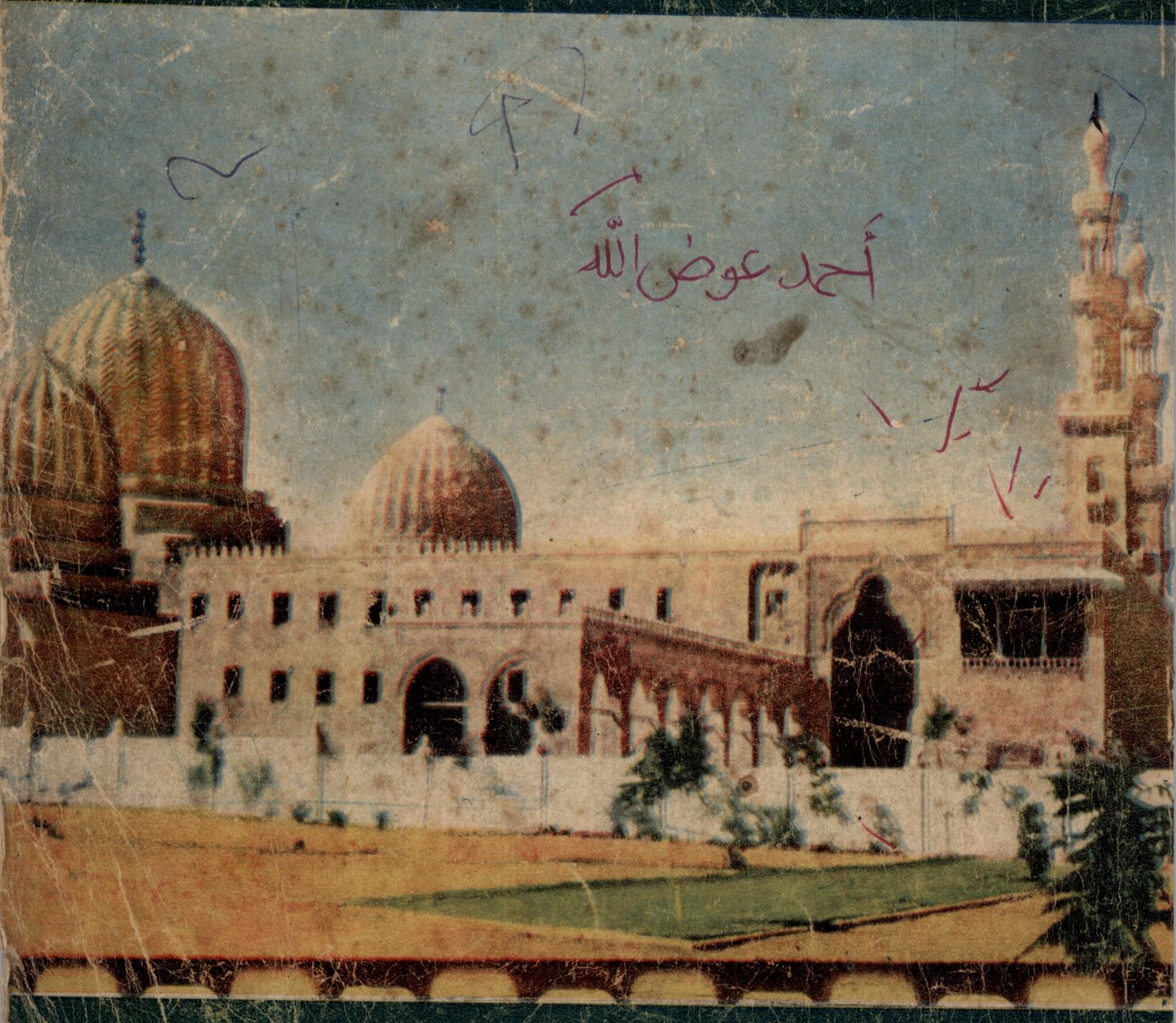

الثمن ٥ قروش

منبر الإسلام

رئيس التحرير

محمد توفيق عويضة

العدد ١١ - السنة ٢٣

ذو القعدة ١٣٨٥ - ٢١ فبراير ١٩٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

* حديث الرئيس جمال عبد الناصر مع ممثلى الدول الافريقية فى مؤتمر التنمية الصناعية الأول
* لقاء مع سفير اليمن بالقاهرة محمد بن احمد المطاع
* الشبهات ... والشهوات :
  فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
* الصوفية فى الهامهم :
  الاستاذ حسن كامل الملطاوى
* عود على بدء :
  فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى
* عقوبة الاعدام مالها وما عليها فى الشريعة والقانون :
  الاستاذ محمود كامل
* مظاهر التوحيد فى تفسير الزمخشرى :
  الدكتور احمد الحوفى
* دعوة ابراهيم :
  فضيلة الشيخ عبد الله المشد
* خواطر مستشار :
  المستشار على على منصور
* التطور الاقتصادى وكيف يقود الى الاشتراكية :
  الدكتور احمد شلبى
* فلينظر الانسان مم خلق :
  الدكتور عبد الحليم كامل
* الحان روح :
  الشاعر عبد الله شمس الدين
* ماذا تعرف عن العالم الاسلامى دوله وشعوبه :
  الدكتورة عنايات الطحاوى

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة — ٤٠ قرشا للعمال والطلبة

يضاف الى هذا قيمة البريد خارج الجمهورية العربية المتحدة

وما يساوى هذه العملة فى البلاد الاخرى

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين

العنوان

٣ شارع الامير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٢٣٤٨٢

معالم الطريق

حديث الرئيس جمال عبد الناصر

مع ممثلي الدول الإفريقية في مؤتمر التنمية الصناعية الأول

فى لقاء السيد الرئيس جمال عبدالناصر مساء ٣١-١-١٩٦٦ مع ممثل الدول الافريقية فى مؤتمر التنميــة الصناعية الأول ، تحدث الرئيس جمال عبد الناصر عن التجربة المصريةفى ميدان الصناعة ، باعتبارها نموذجا ناجحا لما يمكن ان تحققه ارادة الانسان الافريقى٠

قال اننا كنا منذ ١٢ عاما نستورد كل شيء حتى ابرة الخياطة والمسامير٠٠ ونحن ننتج الآن ابرة الخياطة وماكينــة الخياطة وكل ما نحتاج اليــه ٠ وذلك شاهد على ان ارادة الانسان قادرة على ان تصنع الكثير ٠ والــدول الافريقيــة امامها فرصة كبيرة لتحقيق التقدم والتنمية ، وقد يبدو للبعض ان طريق التقدم تواجهه صعوبات كثيرة ٠ ولكــن التجربة المصرية شاهد على ان ما يواجهه التقدم والخلق من صعوبات هو فى البداية فقط ٠ ولقد كانت معرفتنــا بالتخطيط بسيطة ومحدودة ، ولكننا لم نتوقف واستفدنا بالخبرة الاجنبية ، ووضعنا خطة حققت اهدافها بنجاح ٠

وتحدث الرئيس عبد الناصر عن ظروف تطور التجربة المصرية ، فقال ان كل مرحلة من التطور لها مشاكلها الذاتية . « فمنذ عشر سنوات كانت المشكلة الاساسية التى تواجهنا هى البطالة . وكنت اتلقى كل يوم طلبات للبحث عن عمل . ولكن الرسائل التى اتلقاها الآن تطلب مزيدا من المساكن والسلع الاستهلاكية . لقد زاد الاستهلاك خلال السنوات الخمس الماضية بنسبة ٤٦٪ ، وهذا خلق لنا مشكلة جديدة

ثم قال : لقد كنا حينما بدأنا برامج التصنيع أننا سنحتاج الى جهد كبير لتصدير فائض انتاجنا الى الدول الاخرى . الا ان زيادة العمالة من ٤ الى ٥ر٧ مليون غيرت كل ملامح الصورة المتوقعة . لقد اصبح الانتاج فى مجال الصناعة عندنا لايسد حاجة الاستهلاك » .

وكان الرئيس جمال عبد الناصر قد ألقى كلمته عندما استقبل وزراء الصناعة الافريقيين فى المؤتمر الأول للتنمية الصناعية .. وفى بداية اللقاء تحدث السيد هانسير ندور وزير التعاون الاقتصادى بمالى نيابة عن الوفود الافريقية وقال لقد زرنا المعرض الصناعى ولمسنا فيه صورا باهرة لحقيقة افريقيا وامكانيات القارة التى ننتمى اليها ونعمل من أجلها . وتحدث السيد محمد احمد المرضى وزير الصناعة ورئيس الوفد السودانى وقال :لقد لمسنا بالدليل المادى ما حققتموه فى مختلف الميادين من نجاح رائع يشهد بالقدرة للجمهورية العربية المتحدة وامكانيات القارة الافريقية .

وقد بدأ الرئيس كلمته الى رؤساء الوفود قائلا :

اننى سعيد ان اجتمع بممثلى الدول الافريقية فى القاهرة الذين يعقدون مؤتمرا من أهم المؤتمرات التى تسعى الى تطور القارةالافريقية ونهضتها والتمكين لشعوبها فىالاستقلال والحرية .

وتحدث الرئيس عن المؤتمر واهدافه ، فقال انه يعتقد ان المهمة الاولى والاساسية التى تقع على هذا المؤتمر الصناعى الاول للدول الافريقية هى « التعاون بين الرجال المسئولين عن الصناعة والتطور فى افريقيا حتى تقوم صلة عميقة بين اشخاصهم وبين جهودهم وحتى يستفيد البعض من تجارب البعض الاخر على اساس من الفهم المشترك والتعاون السليم »

ثم تحدث عن التنمية الافريقية فقال : ان افريقيا فى حقيقة أمرها امامها فرصة كبيرة وميسرة لتحقيق التقدم والتنمية التى تنشدها شعوب القارة . وقد يبدو للبعض ان تحقيق التقدم والتنمية تواجهه صعوبات كثيرة ولكن أى عمل جديد وخلاق يضطلع به الانسان تكون بدايته فقط هى الصعبة .وامامكم هنا فى مصر تجربة فريدة فى نوعها يمكن لكم أن تدرسوها . فمنذ ١٢ سنة كنا نستورد كل شىء بل كنا نستورد ابرة الخياطة والمسامير وكل مانحتاج اليه . اما اليوم فاننا ننتج ابرة الخياطة وماكينة الخياطة ، بل وكل ما نحتاج اليه . وليس ذلك بالامر الصعب .

ثم تحدث الرئيس عن مراحل تطور التنمية فى الجمهورية العربية المتحدة ، فقال ان كل عمل فى مجالات التنمية له مشاكله الخاصة ، كذلك فان كل مرحلة من مراحل التطور لها مشاكلها الخاصة . فمنذ عشر سنوات كانت المشكلة الاساسية التى تواجهنا هنا هى البطالة وكنت اتسلم كل يوم وفى كل زيارة أقوم بها طلبات وخطابات يطالب اصحابها بتوفير العمل لهم. اما اليوم فان الرسائل التى اتلقاها تختلف عن ذى قبل . لقد اصبحت طلبات

العمل قليلة جدا بل ان الجمهورية العربية المتحدة لا تواجه اليوم مشكلة البطالة كما تواجهها دول أخرى . لكن عندنا فى هذه المرحلة من مراحل النمو مشكلة طلبات لتوفير المساكن الملائمة وطلبات للحصول على سيارات لعدد اكثر من المواطنين ، وطلبات لشراء اجهزة تليفزيون . اى ان المشكلة التى تواجهنا هى طلبات على كل السلع الاستهلاكية لان الطلب على الاسكان والسيارات واجهزة التليفزيون وجميع السلع الاستهلاكية اصبح فى هذه المرحلة اكثر من الانتاج .. فقد زاد الاستهلاك خلال السنوات الخمس الماضية وحدها ٤٩٪ وهذا خلق لنا هذه المشكلة الجديدة .

ثم قال الرئيس : واود ان اوجه نظركم الى اننا كنا نعتقد حينما بدأنا برامج التصنيع واقمنا المصانع اننا سنحتاج الى جهد كبير لتصدير فائض انتاجنا الى الدول الاخرى الا ان زيادة العمالة من ٤ ملايين الى اكثر من ٧٫٥ مليون قد ساعد على تغيير الصورة التى توقعناها . بل لقد أصبح الانتاج فى مجالات الصناعة عندنا لايسد حاجة الاستهلاك المحلى . وهذا مثل من النماذج التى واجهتنا فى مراحل التطور ، واستطيع أن اقول ان العمل من أجل التصنيع يحتاج الى دفعة من اجل الوصول الى نقطة البداية .. وبعد البداية تتيسر الامور امام الذين يعملون فى مجال الصنيع .

ثم تحدث الرئيس عن خطة التنمية فى مصر فقال : واننا لم نكن نملك خطة متكاملة للتصنيع أو التنمية فى بداية عملنا ولكن كان علينا ان نبدأ بعدد من المشروعات التى تحقق التنمية والتطور فى ميدان الصناعة والمجالات الاخرى . **بل لقد عزمنا على ان نقيم الصناعات التى فرض الاستعمار على بلادنا من قبل الا تقوم فيها مثل صناعة الحديد والصلب.**

ومضينا بعد البداية نمارس عملنا بالتجربة على الواقع ثم بدأنا لاول مرة خطة شاملة ومتكاملة فى عام ١٩٦٠ .. اما قبل هذه الفترة فقد كانت معرفتنا بالتخطيط الشامل ليست سوى معلومات بسيطة وممارسة أبسط بل ولم نكن نعرف كيف توضع الخطة الشاملة المتكاملة .. الا اننا لم نتوقف واستفدنا بالخبرات الاجنبية لمساعدتنا فى وضع الخطة المرجوة التى أمكننا أن نحققها بصورة طيبة وناجحة واننى اقصد من ذلك أنه ليس هناك مستحيل امام ارادة الانسان وعمله الخلاق .

وتكلم الرئيس فى نهاية خطابه الموجه الى رؤساء الوفود الافريقية عن تمنياته بنجاح المؤتمر فقال : ان الدول الشقيقة الاخرى فى افريقيا عندها من الموارد ما يفوق ماعند مصر وتستطيع أن تحقق ما ترجوه من تقدم وتطور فى كل المجالات . ونحن نتمنى لكم النجاح ونرجو ان يكون هذا المؤتمر فرصة لتعميق التعارف بينكم والا تنتهى صلتكم بانتهاء المؤتمر ، بل اننى أرجو ان يستمر الاتصال الشخصى بين بعضكم البعض حول جهود كل من العاملين فى البلاد الافريقية المختلفة وتحقيق الاستفادة المشتركة من تجاربكم وجهودكم المتعددة . وارجو ان تبلغوا حكوماتكم وشعوبكم الصديقة كل تمنياتى وتمنيات شعب الجمهورية العربية المتحدة . وارجو ان تكونوا قد أمضيتم فترة طيبة ومفيدة هنا فى مصر بلدكم . واشكر السيد وزير مالى ورئيس وفدها والسيد وزير السودان ورئيس الوفد السودانى على هذه العبارات الرقيقة التى وجهت الى شعب الجمهورية العربية المتحدة وتقديرهما لكفاحه وعمله وارجو لكم كل توفيق وسداد .

لقاء مع سفير اليمن بالقاهرة

محمد بن احمد المطاع

فى مارس عام ١٩٦٤ عين سفيرا للجمهورية اليمنية بالقاهرة .

وفى نفس الشهر التقيت به وتحدث سيادته للمجلة عن اليمن بين ماضيها وحاضرها . الماضى الاسود بكل ركاماته ومآثمه ومآسيه .. ماضى الحكم الرجعى المتخلف بكل ما حمله من أوزار وشرور . حكم القرون الوسطى الذى يقوم على السلب والنهب والاستبداد الخرافة والفقر والجهل والمرض . عهد الاذلال والانحناء على قدمى الطاغية ، وتشويه الدين والتحايل على أحكامه زورا لتبرير الظلم .

وقامت ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢.. تتويجا لكفاح الشعب العربى العظيم الذى سقط منه الشهداء وسجن منه الآلاف .. وقامت الجمهورية العربية اليمنية ووضع العهد الثورى الجديد اليمن فى أول الطريق الى المستقبل الذى طالما ناضل من اجله الشعب العربى فى اليمن وفتح سقوط النظام الرجعى أبواب الامل أمام الشعب لتصفية رواسب عهد طويل ملىء بالمآسى ولبناء مستقبل حر مشرق ينهى شبح الارهاب والطغيان ويسلم مقاليد الحكم الى الشعب صاحب الحق الوحيد فى الوطن ويحقق الثورة الاقتصادية والاجتماعية لصالح جماهير المواطنين جميعا فى مجتمع يقوم على العدل والمساواة ويرتكز على وحدة وطنية قوية لا مجال فيها لتمايز أو تفرقة .

وخلال هذه الاعوام .. قطعت الثورة اليمنية شوطا بعيدا فى تحقيق رسالتها التى عبر عنها المشير عبد الله السلال رئيس الجمهورية العربية اليمنية حين قال :

.. هى فى الداخل حرية ديمقراطية وتمكين للشعب من أن يتحكم فى مصير نفسه فيحول فقره الى غنى ، وذله عزة ، وعزلته انفتاحا ايجابيا على منجزات الحضارة ،

وعروبته قوة دافعة للمصير العربى نحو غايته المثلى .. وهى فى العالم العربى سير فى طريق القومية العربية الى أقصى حدودها كقوة عملية لتحقيق الوحدة العربية الشاملة . وهى فى العالم ما هى عليه الدول العربية المتحررة : سلام وحرية وعدم انحياز وانطلاق نحو المشارف الانسانية التى هى هدف اصيل لكل أمة اصيلة انتصار للحق وحرب على الاستعمار وصوت جهير من اجل حرية الانسان فى كل مكان .

وفى فبراير ١٩٦٥ – كان لقائى الثانى معه .. وحديثه للمجلة عن العيد والعام الجديد .. عيد الفطر وبداية عام ١٩٦٥ – وقال لى سفير اليمن :

« ان عام ١٩٦٤ كان عام المؤتمرات : مؤتمر القمة العربى ومؤتمر عدم الانحياز والمؤتمر الافريقى (كما سماه الرئيس جمال عبد الناصر بحق) » .

وقال السفير : اما المسلمون فعلى موعد للالتقاء فى مؤتمرين آخرين مع الله مع بداية عام ١٩٦٥ .

المؤتمر الاول هو شهر رمضان الكريم .. أحد المواسم التى يأتمر فيها المسلمون مع ربهم ويتعهدون على اقامة العدل والحب والتسامح والمصالحة فيما بينهم .

ثم شهر شوال ، وعيد الفطر ، وهو المؤتمر الثانى الذى أعلن فيه المسلمون فرحتهم وشعورهم بفوزهم بمؤتمرهم الاول الذى أعلنوا فيه توحيد كلمتهم وانضوائهم تحت راية الوحدة . وهى راية الاسلام الذى ساير العقل وتمشى مع العلم وجاء مقررا ومشجعا على العمل فى سبيل الخير .

ومع بداية عام ١٩٦٦ – كان لقائى الثالث معه – وكان حديثه معى هذه المرة عاجلا خاطفا لانشغاله بلقاءات الوفد اليمنى الذى كان فى القاهرة ، وقد قدم للقيام بمباحثات مع المسئولين عن المرحلة التى تفصل بين دورتى مؤتمر حرض ولتقديم تقرير عن نتائج المباحثات فى الدورة الماضية والاستعداد للدورة القادمة فى ٢٠ فبراير ١٩٦٦

وسألت سيادته عن أهم أحداث اليمن فى عام ١٩٦٥ – الذى انقضى – فقال :

– كانت قضية السلام فى اليمن من اهم المعالم البارزة فى حياتنا عام ١٩٦٥ . وتأكيدا للسلام واذعانا لقداسة الشريعة الاسلامية الغراء التى تدعو الى حقن دماء المسلمين على اساس الحق والعدل وسعيا الى المودة والاخاء والصداقة الشريفة مع الاشقاء والجيران ، فان الرئيس جمال عبد الناصر قد بادر للقاء الملك فيصل فى المملكة العربية السعودية فى اغسطس ١٩٦٥ – ووقعت اتفاقية جدة حقنا للدماء وتمكينا للشعب اليمنى من الحرية والحفاظ على ثورته وتقرير مصيره دون أى تدخل وانتزاع حقه فى الحضارة والتقدم .. هذا فضلا عن ازالة كل سبب للخلاف الطارىء بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية وتوثيق الروابط التاريخية بين شعبيهما وتأكيد الحرص على الرغبة الاكيدة فى صون هذه الروابط من مضاعفات أى سبب .

اما مؤتمر حرض .. فانه لاول مرة فى تاريخ اليمن منذ ظهور أول امام منذ اكثر من ٧٠ عاما – طيلة حكم الاسرة البائدة – يجتمع الشعب اليمنى ويناقش ويقرر مستقبله ومصيره بكل ارادة حرة ، وكان ذلك فى اجتماعات مؤتمر حرض التى سبقت شهر رمضان .

والواقع – كما هو معروف – ان اجتماعات حرض السابقة قد توقفت عند حد تفسير اتفاقية جدة فيما يختص بعام الانتقال الذى بدأ فى ٢٣ نوفمبر الماضى حتى ٢٣ نوفمبر القادم . وقد دار النقاش الطويل حول شكل الحكم خلال عام الانتقال وسوف يستأنف النقاش فى ٢٠ فبراير فى اليمن .

ثم سألت السفير عن امله فى بداية عام ١٩٦٦ ، فقال :

– أن تنتصر ارادة الشعب اليمنى وان تعلو شريعة الله كما ارادها الله حقا وعدلا وان تنتصر حرية الانسان فى كل مكان .

الشبهات والشهوات

فضيلة الشيخ محمد محمد المدني

فى بعض الآثار الواردة : « ان الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات ، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات » .

ولهذا الأثر توجيه يجب أن يحرص الناس على ادراكه والانتفاع به فى حياتهم العامة والخاصة ، فان الانسان انما يفسد أمره فى دينه أو فى دنياه أو فيهما معا من جهتين : جهة الشبهات ، وجهة الشهوات ، فالشبهات بمثابة ظلال أو ظلمات تحاول أن تحجب عن الانسان نور اليقين ، وأن تودى به وترديه فى مهاوى الضلال والحيرة ، والشهوات بمثابة سواق حطم يدفعه الى مخالطة الشر والاثم والفساد ، وبذلك يفسد من جهة العقيدة ومن جهة العمل ، أو بعبارة أخرى : يفسد من داخله ومن خارجه ، فداخله هو الفكر والنظر ، وخارجه هو السلوك والعمل .

ونحن نرى فى عصرنا الحاضر قوما تسلطت عليهم الشبهات ، فأفسدت عقولهم ، وزلزلت ايمانهم ، وجعلت أفئدتهم هواء من الدين ، وخلاء من اليقين ، لا هم للواحد منهم حين يلقاك ، أو حين يكون فى ناد من الأندية ، أو مجلس من المجالس ، الا أن يثير أسئلة مصنوعة ، عليها قشرة التفكير المزعوم ، أو طابع الفلسفة المدعاة ، كأن يقول : ما لنا نقيد أنفسنا بالعقائد الدينية والأحكام الشرعية ؟ وهل هذا التقييد الا تكبيل للعقول ، وشل للارادات ؟ أو يقول : ما هى الفضيلة وما هى الرذيلة ؟ وهل يؤخذ فيهما بمقياس الأولين ، أو بمقياس اللاحقين لهم أو بمقياس المدنية الحديثة أو يقول : هل يصلح التشريع الاسلامى فى القصاص والحدود لعصرنا الحاضر وهو انما شرع فى عصر البداوة والسذاجة ؟ أو يقول : لماذا كتب الله على الشقاء وقد كان قادرا على أن يكتبنى سعيدا ، أو لماذا يعذب الله من عصاه وهو الذى كتب عليه العصيان ، ولماذا يثيب من أطاعه وهو الذى وفقه الى الطاعة ويسرها له ، فليس العاصى عاصيا الا به ، وليس المطيع مطيعا الا به ، فكيف يثيب هذا ويعاقب ذاك ؟ الى غير ذلك من الشبهات التى يوردها الزائغون تشكيكا فى الدين ، وزلزلة عن اليقين ، وهى تختلف فى الأسلوب باختلاف العصور ، ولكن حقيقتها فى الواقع واحدة ، وقد تلبس ثوبا الحاديا انكاريا ، وقد تتستر فى ثوب الحرص على فهم الدين ، واجتلاء الحقائق .

وما من عصر من العصور ألا قد عاش فيه أمثال هؤلاء من الزائغين الضالين المضلين ،

ولكنهم دائما لا يثبتون على النضال ، ولا يقوون على مواجهة نور الحق المبين ، حين يسلط على شبههم الفاسدة فيبدد ظلامها ، ويهتك حجبها .

ولسنا الآن بصدد الرد على هؤلاء وتفنيد شبههم لنقول لهم مثلا : ان الايمان قوة دافعة ، لا عقيدة مثبطة ولا مخذلة ، وان الايمان بالعقائد التى جاء بها الاسلام لا يحول بين الناس وعقولهم ، ولا يمنعهم من أن يفكروا وينظروا ، بل هو على العكس مما يقوله هؤلاء ، يحث على التفكر والتدبر ويكرم العقل ويرفع شأن العلم ، وأن التقيد بالأحكام والقوانين هو شرعة المتمدينين ، كما هو شرعة المتدينين ، فان الانسان يمتاز عن الحيوان بتنظيم حياته فى مجتمعاته ، والارتباط فى مختلف نواحى سلوكه بقواعد ونظم وأحكام لولاها لما اختلف شأنه عن الحيوان الأعجم ، بل عن الوحش الضارى فى الفلاة ، وان الفضائل والرذائل مما لا يختلف باختلاف العصور ، أو بتلون المدنيات والحضارات ، أو تتعدد مقاييسه عند الأولين أو الآخرين ، فالصدق فضيلة فى كل عرف ، والكذب رذيلة فى كل عرف ، والعفاف حسن فى كل زمان ، والفجور قبيح فى كل مكان ، وانما يفسد الناس فى مجتمع ما ، فيرون الحسن قبيحا ، والقبيح حسنا ، كما يقول الشاعر :

يقضى على المرء فى أيام محنته
حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

وقد تنبأ بذلك سيد المرسلين – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – اذ يقول فى بعض حديثه لأصحابه : كيف بكم اذا رؤى المعروف منكرا ، والمنكر معروفا .

لسنا بصدد الرد على هؤلاء لنقول لهم ذلك ، ولا لنقول لهم : لا تتهموا أحكام الشريعة فى العقوبات والحدود ، ولكن انظروا الى الجرائم كيف تكثر ، وكيف يستفحل فى المجتمعات خطرها ، وانظروا الى عقوباتها الوضعية كيف أفلست فى تطهير المجتمعات من شرها ، ولا لنقول لهم : ان الله وهو الفاعل المختار قد أمرنا ونهانا وعرفنا بالخير والشر وجعل لنا عقولا تميز ، وارادة تنجز ، فلم يجبرنا على فعل ، ولكن خيرنا ومكننا وطوى عنا ما يعلمه من أن فلانا سيكون مطيعا أو سيكون عاصيا ، وأن العلم الالهى وان لم يتخلف ، ليس من صفات التأثير والجبر ، وانما هو من صفات الكشف والعرفان .

لسنا بصدد الرد على هؤلاء لنقول لهم ذلك وما يشابهه من ابطال لتمويههم ، ورد لزعمهم وشكوكهم ، وانما عقدنا هذا البحث لنبين أن الفساد يأتى على الانسان من جانب الشبهات ، ومن جانب الشهوات .

وليست الشبهات بمزلزلة للانسان فى الناحية الدينية فقط ، ولكنها تزلزل عن الحقائق فى أى ميدان عقلى أو نطاق فكرى .

ولذلك يحرص أصحاب الدعوات الاصلاحية على محاربة أرباب الشبهات الذين لا هم لهم الا أن يشككوا فيها ، أو فى أغراض أصحابها ، فهم فى الواقع الد أعدائها ، وهم لا يريدون خيرا ، ولا يبحثون عن صلاح ، ولا يعملون على درء فساد ، ولكنهم انما يقصدون بلبلة الأفكار وايقاع الناس فى غياهب الحيرة والضلال والذين يبتغون الفتن وبلبلة العقول لا يعوزهم أن يجدوا فى أى نظام أو فى أى دعوة أو فى أى نصوص دينية أو غيرها ما هو محتمل للتأويل والتحريف اذا ساءت النوايا وفسدت الطوايا ، وقد عرفنا القرآن الكريم بذلك حيث يقول :

« هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، وما يذكر الا أولو الألباب ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » .

فالقرآن نفسه يعرفنا أن من أراد أن يلتمس من آياته ما يتخذه موضوعا للزيغ والفتنة وتشكيك الناس ، وجد ملتمسه عن طريق تتبع الآيات المشتبهة والخوض فيها ، وتأويل معانيها على وجه من التحريف أو التخريف ،

وان منهج الراسخين فى العلم ارجاع المتشابه الى المحكم ، والتسليم بما يذكره الله فى كتابه كله ، دون تفريق بين ما خفى عليهم أمره ، وما انكشف لهم وجهه ، وأنهم بهذا المنهج المستقيم واقفون موقف الملتجىء الى الله فى أن يعصمه من الزيغ بعد الهدى ، وان يمنحه الرحمة بالثبات على الحقائق دون التزلزل عنها بالشبهات .

هذا هو شأن الشبهات فى افساد العقول وصرفها عن الحق ، وهـذا هو موقف أهل الايمان الثابت منها .

وكما أن الشبهات لها هذا الخطر فى زلزلة الناس عن الايمان واليقين ، نرى أن الشهوات لها خطرها فى اعوجاج السلوك ، فكم من الناس من يأتيهم الفساد من جهة شهواتهم وعدم قدرتهم على التحكم فيها ، فيندفعون الى الشر والسوء وهم يعلمون أنه شر وسوء ، ولكنهم ينساقون وراء شهواتهم الجامحة ، فمنهم من تفسده شهوة المـال ، ومنهم من تفسده شهوة الجاه والسلطان ، ومنهم من تفسده شهوة الظهور والشهرة ، ومنهـم من يندفع وراء شهوته الجنسية ، أو شـهوة الشراب ، أو شهوة القمـار ، أو اللعب أو العبث ، فيفسد بذلك سلوكه فى حياته وفى مجتمعه ، ويضطرب عليه الأمر فيهما ، فينتهى الى خسران نفسه ، وخسران دنياه ، وخسران آخرته .

ويسهل علينا أن نرى فى كل مجتمع أفرادا من هؤلاء ، لا فى حاضرنا فقط ، بل كان منهم كثير من الماضين ، وسيكون منهم كثير من الآتين ، فالناس هم النـاس فى كل زمان ومكان .

وربما وجدنا صنفا من الناس اجتمعت عليه الشبهات والشهوات ، وهذا يكثر فيمن فسد اعتقاده ، فقلما يفسد اعتقاد انسان الا ويفسد عمله ، وتطغيه شهواته ، فان الانسان انما يحارب الشهوات اذا كان له رصـيد من الايمان الثابت ، وحظ من الحرص على الحق والذود عن حياضه ، فاذا فقد ذلك لم يكن له ما يحجزه عن تلبية شهواته ورغباته .

واذا كنا قد قلنا : ان الفساد بالشبهات قد يكون فى ميـادين الدعوات كما يكون فى ميدان الدين والعقيدة ، فان الأمر كذلك فى اتباع الشهوات وفساد الأعمال والأشخاص بها ، فلا يمكن أن تنتظر من انسان مزلزل العقيدة فى مبدأ من المبادىء ، أو دعوة من دعوات الاصلاح ، أن يكون قويا فى عمله من أجلها ، وسعيه فى نطاقها ، ذلك بأن فاقد الايمان بالشىء قد فقد الحافز والدافع ، ولم يبق له اتجاه قلبى يقينى ، فيسهل أن تتلقفه الشهوات بما لها من اغراء وقوة دفع ، دون أن يبدى لها أية مقاومة .

ولذلك نعتبر أن الأفراد الذين ينساقون فى مجال الأعمـال وراء الدوافع الشخصية ، والشهوات الخاصة ، فلا يقومون بأعمـالهم قياما صالحا ، ولا يراقبون فيها عهد الأمانة والثقة ، انما هم أفراد كافرون بالوطن ، غير جديرين بأن تقلهم أرضه ، أو تظلهم سماؤه ومثلهم كمثل الذين تزلزلهم الشـبهات عن الدين ، فيندفعون الى أحضـان الشهوات مفسدين .

٥٥٥٥

وهذه الفكرة التى نقررها عن « الشـبهات والشهوات » وأنهما أصل كل فساد وشر ، قد جاءت فى كتاب الله عز وجـل اذ يقول : **« كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا، فاستمتعوا بخلاقهم، فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم، وخضتم كالذى خاضوا ، أولئـك حبطت أعمالهم فى الدنيـا والآخرة وأولئك هم الخاسرون »** .

فالخلاق : هو حظهم ونصيبهم من المـال الكثير والأولاد ، كان لهم بذلك قوة يقدرون بها على عمل الخير وعلى عمل الشر ، ولكنهم

صرفوا قواهم فى عاجل شهواتهم الدنيوية مستمتعين بها، متبعين داعى الأهواء والرغبات.

وقوله تعالى « **وخضتم كالذى خاضوا** » تعبير عما كانوا عليه من الخوض فى الشبه والحرص على الجدل والاضلال بها .

فيتبين بهذا أن فساد الناس اما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به ، وهو الخوض الذى ذكرته الآية ، أو يقع بالعمل الفاسد ، وهو ألمعبر عنه بالاستمتاع بالخلاق ، فالأول البدع والشكوك والشبهات ، والثانى اتباع الهوى وغلبة الشهوات .

ومما يفيد هذا المعنى أيضا قوله تعالى فى وصف أئمة المتقين :

« **وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** » .

فبالصبر تترك الشهوات ، وباليقين تدفع الشبهات .

وكذلك قوله تعالى :

« **والعصر ان الانسان لفى خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر** » .

فتواصيهم بالحق مظهر من مظاهر استمساكهم به ، وعزوفهم عن الشبهات التى تحاول الزلزلة عنه ، وتواصيهم بالصبر مظهر من مظاهر حرصهم عليه ، واتخاذه درعا حصينا يحول بينهم وبين الاندفاع وراء الشهوات وأهواء النفوس الباطلة .

وبذلك تتوفر لهم الحصانة من جانب الشبهات ، والحصانة من جانب الشهوات .

٥٥٥٥

والأثر الذى بدأنا به هذا الموضوع يشيد بالبصر الناقد عند ورود الشبهات ، وبالعقل الكامل عند حلول الشهوات .

وكلاهما علاج للداء فى موضعه ، فالبصر الناقد هو البصيرة التى من شأنها أن تفحص وتنقد ، ولا تتقبل كل ما يقال ، وكل ما تفاجأ به من الشبه والأضاليل ، وذلك لأن المؤمن بشىء ما ، فى جانب الدين ، أو فى أى جانب آخر من الحقائق والمبادىء ، قد ركن الى يقين ، ورسا على حقيقة ، وليس من شأن الراكن الراسخ أن يهتز أو يتزلزل عن موقفه بسهولة، فهو يتأمل فيما يقال له ، وينظر فيه نظرة الفاحص الناقد ، وحينئذ لا بد من أن ينجلى له زيفه ، ويظهر له فساده ، فيثبت على ما هو عليه ، ويرفض أن ينساق مع المتشككين المضلين .

وكذلك نرى العقل الكامل هو الذى يقف أمام ما يعرض من الشهوات موقف المقدر للعواقب ، الحذر من الانزلاق فى طريق لا يأمنه ، ولا يعرف كيف يعود منه ، فمن غلب عقله على شهوته فذلك هو ذو الحصانة والرزانة ، ومن غلبت شهوته على عقله ، فذلك هو ذو الطيش والمهانة.

وقد وصف الله بعض رسله الكرام بأنهم « **أولو العزم** » وأوصى نبيه وخاتم رسله ـ وهو منهم ـ فقال « **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم** » فأنبأنا بذلك أن الصبر درجات ، وأن أعلاها صبر أولى العزمات ، وهم الذين يتحصنون به عن الاندفاع الى الشهوات ، فاستعجال العذاب للعصاة الكافرين قد يكون شهوة أو رغبة ، ولكن الصبر دون ذلك عزمة ، وقد كان نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ متأدبا فى ذلك بأدب ربه ، وهو القائل حين جرحوه وكسروا ثنيته « **اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون** » .

كما وصف الله تعالى جماعة من رسله بقوله :

« **واذكر عبادنا ابرهيم ، واسحق ، ويعقوب ، أولى الأيدى والأبصار** » .

لم يرد أنهم ذوو أيد يبطشون بها ، واعين يبصرون بها ، ولكن أراد ـ والله أعلم ـ أيدى القوة والعزيمة ، وأبصار الفكر الثاقب ، والنظر الفاحص الناقد، فبالوصف الأول كانوا اقوياء فى مجابهة الشهوات ، وبالوصف الثانى كانوا ثابتين فى مقاومة الشبهات .

الصوفية فى الهامهم

- ٩ -

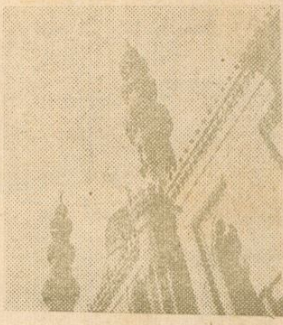

الأستاذ حسن كامل الملطاوى

« أما عن تخيركم الاقامة فى حى السيدة زينب ، فانها نعمت الخيرة ، ونعمت الجيرة ، وهل تكون جيرة أحق من تلك الجيرة ، جيرة أهل البيت ولك حق الجوار : الرحمة والبركة واستدرار الخير من الرحمن الرحيم ، الذى يكرم آل البيت ، ويكرم من يجاورهم ومن جاور السعيد يسعد ، فنعم ما فعلت »

هذه لفتة كريمة من شيخى العارف بالله سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه يربينى فيها ، على محبة سادتى آل البيت والتبرك بهم ، ويعلمنى أن التبرك بهم ليس من الاشراك بالله كما يفهم بعض المغالين بل هو استدرار الخير من الرحمن الرحيم ، الذى أكرم آل البيت ، بأن جعلهم فى الدنيا فروع الشجرة المحمدية النامية ، ذات الظل الظليل ، والثمر الناضج الأصيل وفى الآخرة ورثة الجنة والسلسبيل ، فمن استظل بهم تمتع بعطاء الله لهم فهم القوم لايشقى جليسهم ، وكيف يشقى بهم جليسهم وهم أمان لأهل الأرض يهدون من الضلال ، ويعصمون من الفتن ، وانعامهم على جيرانهم ، من انعام الله عليهم وقد قال تعالى لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم « واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله » ، والمنعم واحد سبحانه ، لكنه تعالى جعل الانعام بأسبابه ، فمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سببا فى اسلام زيد ، وفى زواجه من السيدة زينب القرشية ، وفى عتقه من الرق ، فلا تنافى بين انعام مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين التوحيد ، بل هو التوحيد بعينه ، لأن العلم بأن الأسباب لاتغنى وحدها عن المسبب ، هو عين التوحيد ، فان علم الانسان منا بأن والديه هما سبب وجوده فى هذه الدنيا ليس معناه أنهما هما الخالقان ، بل الله وحده سبحانه هو الخالق ، وقد جاءت الشبهة للمغالين من ظنهم أن المؤمنين يخلطون بين الأسباب ومسبباتها خلط الشرك ، وليس هذا صحيحا ، بل الصحيح أنهم بحب الله ورسوله أحبوا آل البيت ، وباكرام الله لهم أكرموهم ، وببركات الله التى تجرى عليهم من ربهم ، تبركوا بهم ، الوحدانية لله وحده ، والعطاء عطاؤه ، والبركة منه والوسائل بينه وبين عباده قامت بتدبيره تعالى وارادته ، فخاطب عباده على ألسنة الرسل عليهم صلوات الله ، وفرض صلاة الجنازة ، ليشفع البعض فى البعض ، وجعل الملائكة مستغفرين للذين آمنوا ، ليكون استغفارهم وسيلة لمغفرته تعالى ، وأمر الخضر عليه السلام أن يقيم الجدار ، ليحفظ الصالح الذى مات فى ذريته الضعاف ، ولا شك أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أولى بأن يحفظه الله فى ذريته بعد انتقاله الى الرفيق

الأعلى من ذلك الرجل الصالح ، وكيف لايسعد آل البيت به صلى الله عليه وسلم وقد صرف الله العذاب عن أعدائه بوجوده بينهم فقال تعالى « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ولا يخفى أن آل البيت جمعوا الى شرف النسب، شرف العمل ، فصاروا أئمة الهدى فى كل جيل ، والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

وانما حملنى على التمهيد المتقدم ــ فأعمد اليه ــ بعض المغالين من تكفير زائرى السادة آل البيت أو الداعين ربهم في رحابهم ، أو المتبركين بهم ، وفى الزائرين علماء أجلاء وصالحون أتقياء ، وأئمة يقتدى بهم ، وينتفع بصحبتهم .

وواجب على المسلمين أن يحموا عقيدة التوحيد من أى زيغ أو شطط ، وكل مسلم بحمد الله يشهد فى كل تشهد ، بأن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عبد الله ورسوله ، فاذا كانوا لم يشركوه صلى الله عليه وسلم مع الله ، فكيف يقال أنهم أشركوا أولياء الله مع الله ، حاش وكلا ، فذلك ليس من الحقيقة فى شىء ، واذا كنا نسمع من الجاهلين كلمات موهمة فلنعلمهم آداب الزيارة ولا نكفرهم ، والله مطلع على النيات ولا يأخذ عباده بظواهر الألفاظ ــ ألست تراه تعالى يقول « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم » .

وتعال معى أيها القارىء الكريم ، أسمعك كلمات طيبات طاهرات ، شدا بها أستاذى العارف بالله سيدى الشيخ على عقل طيب الله ثراه اذ يقول فى سادتى آل البيت من دره وقد سئل أن يرتجل على البيت الآتى :

بنفسى أفدى الزهر من بضعة الزهرا
وان هم رضوا نفسى فقد عظمت قدرا

فقال الهاما على الفور من عطاء الله تعالى :

بنفسى أفدى الزهر من بضعة الزهرا
بهم نلت كل الخير دنياى والأخرى
لقد غرسونى من زهود رياضهم
فطابت حياتى من مكارمهم زهرا
اذا قيل لى تهواهمو قلت ملكهم
ووقف يمين لايباع ولا يشرى
ولو أن جود العالمين أقيسه
على جودهم يوما لما مثل العشرا
تساموا على كل الأيام فضائلا
وقد بين القرآن أوصافهم طهرا
جداول من بحر النبى محمد
فما مثلها تلقى جداول أو بحرا
لقد شهدت روحى حماهم ومتعت
بأنوارهم أنعم بها منة كبرى
اذا عشيت عينى فطى جوانحى
عيون ترينى سر أنوارهم جهرا
وكم عاذل لى قال كيف تحبهم
وكيف لهم تسعى وقد غيبوا قبرا
وعينا من القرآن آية هل أتى
صفى سعيهم لله واستوجب الشكرا
فان كان ذنبى أن قلبى يحبهم
فان ذنوبى لن تلم بها حصرا
وعندى يقين أن لى باتباعهم
حياة محبى باسمهم كسب الأجرا
وما أحسن الدنيا على صدق ودهم
وما أحسن الأخرى لتابعهم ذخرا
وها أنا مشتاق اليهم وسائر
على حبهم أنفقت سعيى والعمرا
اذا اتصلت روحى بهم فى مسيرها
تفوز باكرام وتسعد بالبشرى
أحب وأستجدى وأهوى وأهتدى
ولى لذة فى مدحهم يثلج الصدرا
اذا نظرونى زال من قلبى الأسى
وان منحونى عشت أغترف الخيرا
على بابهم أسمو سمو أولى النهى
فان هم رضوا نفسى فقد عظمت قدرا

واقرأ أيها الأخ الكريم حسن تعليله فى ارتياد ديارهم لأنها ديار التجلى على أصفياء عباده ، فيكسب المحب زيادة فى يقينه من عند أهل التجلى ــ فيقول رضى الله عنه من كلام طويل :

دعونى أمجد آل بيت محمد
فانهمو نورى وأصل تعبدى
همو سندى الأسمى همو مدد العلى
همو قوة التقوى همو شمس موردى

دعونى فى حب الحسين وجده
أشاهد من عليائهم كل مشهد
أتعذلنى فى الحب والحب نعمة
اذا ذاقها المشتاق لم يتباعد
اذا كان حبى سبط أحمد بدعة
فانى بتلك البدعة العمر مقتدى
ولست بناء عن هواهم لأننى
عرفت بهم ربى فهم أصل معهدى
وقد طال بى وجدى ولذ لى الجوى
فقلبى قلب العاشق المتوقد
فيامانحى روح اليقين ومورد
ديار التجلى أنت لى خير مرشد
تجلت لى الأفراح وهى شواهد
ودانت لى الأرواح والكل قد هدى

وفى الوقت ذاته يرشد الى التعلق بالله وتوحيده سبحانه فيقول :

أخى لاتغرنك الحياة وزينها
فما هى خط الناسك المتزهد
ودونك أيام أمامك غيرها
فان زال عنك الأمس فانظر الى الغد
وحاضرك اقرنه بماضيك عبرة
ونفسك عودها الحساب لتهتدى
سريرتك احفظها لربك وحده
فان نقاء القلب أصل التعبد
واقبل على مولاك يقبل بفضله
عليك ووجه نحوه القلب تحمد

وأنت ترى من ارشاده أن حب آل البيت لاينافى توحيد الله وأن حب آل البيت والاهتداء بمسلكهم لله ، والتشبه بهم فى ايثار الله تعالى على ما سواه ، من وسائل تنقية السريرة لله سبحانه ، وتعليل ذلك ، انهم رضوان الله عليهم اتبعوا جدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وتأسوا به عن صدق طوية ، وعلو همة ، فتخلقوا بأخلاقه ، وتحلوا بأحواله ، واستناروا بنوره ، وليس وراء نور النبوة نور يستضاء به على وجه الأرض ، فالمقتدى بهم انما يقتدى بنواب مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدعوة الى الله فهو اقتداء به صلى الله عليه وسلم .

وقد قال تعالى « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » وقد ورد فى الحديث الشريف « أحبوا الله لما يغذوكم من نعمة وأحبونى لحب الله ، وأحبوا أهل بيتى لحبى » ويعجبنى ما يقوله سيدى محيى الدين بن عربى :

أرى حب أهل البيت عندى فريضة
على رغم أهل البعد يورثنى القربا
فما اختار خير الخلق منا جزاءه
على هديه الا المودة فى القربى

وهو يشير الى قوله تعالى « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى »

واقرأ يا أخى ، ومتع نفسك ، بما وصفهم به الامام على كرم الله وجهه حين قال فى سادتنا آل البيت بحق : « هم عيش العلم وموت الجهل ، يخبركم حلمهم عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم ، وصمتهم عن حكم منطقهم ، لايخالفون الحق ولا يختلفون فيه ، هم دعائم الاسلام ، وولائج الاعتصام ، بهم عاد الحق الى نصابه ، وانزاح الباطل عن مقامه ، وانقطع لسانه عن منبته ، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية ، ولا عقل سماع ورواية ، فان رواة العلم كثير ورعاته قليل » .

اللهم انا نحب سادتنا آل البيت بحبك لهم ، وعلامة حبك أنك اخترتهم على علم ، وأذهبت عنهم الرجس فخافوك ، وطهرتهم تطهيرا فأحبوك ، سبحانك لا مانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت ، وقد أردتهم فيما اخترت لهم ، وأنت الفعال لما تريد ، فانك القائل حقا وصدقا « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » ونسألك يا الهى أن تقبل توبتنا وتغسل حوبتنا ، وأن تحشرنا فى زمرتهم تحت لواء سيد المرسلين ، صلى الله عليه وسلم ، فيشملنا قولك الكريم .

« يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير » .

من حضارة الاسلام

أسرار الموسم

الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل

تأذين ابراهيم ــ أوائل المواقيت ــ العج والثج نموذج للسلام ــ التجلى والغفران .

تأذين ابراهيم :

مالابد منه ان ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام قد أقاما أركان الكعبة على ماأوحى اليهما وانهما كعباها على ماحدد لهما . ومالابد منه ايضا انهما ادركا أن البناء الذى اقاماه وكعباه لم يكن رصا للأحجار وتعلية للجدار فجهرا بالدعاء وهما يبنيان القبلة أن يقبل الله منهما ما عملا وما جهدا فى طاعة أمره وابلاغ وحيه ، ثم رغبا اليه حين انتهيا من الرفع والشيد ان يعلمهما مناسك العبادة التى وضع لها هذا البيت فعلمهما ، فكانت الكعبة بما بنيا اول بيت للعبادة وضع فى الارض وكانت المناسك بما فعلا أول أمر اداه النبيان وأتمه الرسولان

ثم أمر ابراهيم أن يؤذن فى الناس بالحج، وضمن الله سبحانه أن يستجيب الناس لصرخة التأذين فأقبلوا على الحج مشاة وركبانا يحملون الاجساد والازواد والقلوب والتقوى ، ثم ظلت تلك الاستجابة تتردد مع كل عام حتى اقر مؤذن الختام ان تستمر الفريضة بعد ان تتضح معالمها من الابهام الذى غشيها وتنتفى اكدارها من الرين الذى اصابها .

وكانت الدعوة الأولى فى دائرة أبى الانبياء والدعوة الثانية فى دائرة خاتمهم فأسمعت الأولى قوم ابراهيم فى حدود البلدان التى تهجر اليها واتبعه من اتبعه من أهلها ، أما الثانية فقد اسمعت الخليقة كلها فى كل ضحل وخضم ووهد ونجد بأن الله خص البيت الحرام فجعله مرجعا اليه ومحلا لطلب الثواب منه ، على شرط أن لايحج الى البيت ولا يطوف حوله الا من يدين به .

وخط الامامان الأولان مشرعا للحنيفية الأولى واقاما لها فى أرض العرب ارهاصا للمطلع الذى تطلع منه دعوة الختام التى صرخت فى العرب والعجم للحفاظ على ما استفاض عن الامامين من المسالك والمناسك فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم « **قفوا على مشاعركم فانكم على أرث من أبيكم ابراهيم** »

ولا ريب فى ان سيرة الحج الى مكة منذ ابراهيم الى محمد عليهما الصلاة والسلام لم ينكرها التاريخ بل اكدها قولا وفعلا ، وبعد ان تراجع عنها غير العرب حينا فان قبائل العرب ومن حالفها من الغرباء لم تقصر عنها طاعه واقبالا . ولم يختلف على الكعبه بالعقوق والعناد الا من قست قلبه الغلظه واظلمت عينيه المحسدة من حيث لا يبرأ حاسد ولا ينجو معاند . وحديثا أصاب أرنولد الصليبى من الفتك والتقتيل ما أصاب قديما قرامطه النخيل وأبرهه الحبشى صاحب الفيل .

وقد بين الله للناس أسباب هذه الدعوة من الرحمة الشاملة والنعمة السابغة اذ قال .. ((**فيه آيات بينات مقام ابراهيم**)) ثم أمن الداخلين الى البيت بقوله « **ومن دخله كان آمنا** » ثم جعل الدعوة شاملة فقال « ولله على الناس حج البيت » ثم تفضل الله برحمته على غير المستطيع فاعتذر له بقوله : « **من استطاع اليه سبيلا** » .

وكان من الاعجاز والصدق أن ارتحلت الى بيت الله الناس والمضمرات والثمار ولن تزال ، وكان فى تعبير القران بقوله « وعلى كل ضامر » شمول لكل قوة حاملة من الطبيعى والمصطنع والقديم والحديث . ولو استطاعت الارض والجبال والسحب أن تلبى ولو تسنى لكل بقعة فى الأرض أن تنتقل من مكانها لاعظم الكعبه واجلالها لسعت كل البقاع وانتقلت كل الارجاء .

ولقد استجابت يقينا ! ألم تقذف الارض وجزر البحار الى مكه بأكبادها وتبعث السحب اليها بحبها وثمارها ؟ وهل الناس والحب والدواب والسيارات والطائرات الا من رجع السحب وصدع التراب ؟!

أوائل المواقيت :

وصار البيت الحرام أولى بالتقديس من كل بيت فى الأرض لأنه كان العمران الأول للعبادة يوم كانت الأرض قفرا ووعرا ، وكان هذا البناء اشارة للتمجيد وعلما للتوحيد حين كانت البيوت الأخرى محجوجا اليها بالسفه والاشراك أو محفوفة بالجهل والعمى والافك والاختراع

وقد فرضت بداية من الزمان لاقامة الموسم وجعلت ممتدة من أول شوال الى العشر من ذى الحجة أو الى آخرها لتستطيع آفاق الأرض أن ينبعث منها الى مكة من قدر له ان يفوز اذا حضر عرفات فان لم يحضره كان عليه ان يعود منبعثا من جديد فى عام جديد .

وكما فرضت بداية لزمان الموسم فرضت بداية لمكانه ليتعلم الناس عقد النيات ، ودخول البدايات المفضية الى الأغراض والغايات ، فلم يكن للحاج أن يعبر الميقات الذى هو آت من قبله قبل أن يغير من ظاهره وباطنه ويبدل من بدنه وروحه خالعا عن البدن ثوبه الكاسى الى شعار ودثار لا يلفانه بالاحاطة ولا يلتصقان عليه بالخياطة ثم لا يتركانه عاريا بادى السوأة قبيح الطلعة ، وطارحا عن الروح مسابحها ومخاذلها فى حساب اللهو والبلد والمال والولد والسبد واللبد .

وقد حدد لكل وافد من أى جهات الأرض ميقاته الذى يبدأ منه احرامه لمن أراد الحج أو العمرة أو قرن بينهما . وكان فى التوقيت بهذه الأمكنة رأفة من الله بأهل الآفاق حتى لا يطول عليهم التشعيث والتغبير فتنطوى الفريضة على العنت والغلواء .

غير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اختار لأهل المدينة ومن أتى من طريقهم أشق الواجبات وأبعد المواقيت عن مكة لخروجهم من حرم الى حرم فما يكادون يخرجون منه حتى يفدوا على حرم آخر ، ولأن بلدهم مهبط وحى وقرآن ودار هجرة وايمان فحق على أهلها أن يبالغوا فى اعلاء الكلمة ويختصوا بالزيادة والرغبة . أما من سكنوا داخل المواقيت فقد وجب عليهم ان يحرموا من بيوتهم قبل أن يبرحوها أو أماكن نياتهم متى بيتوها .

ولكل منسك منذ الدخول فى الأرض الحرام بداية ، فمن تعدى الميقات من غير احرام قدم الفدية وأراق دم الجزاء أو رجع الى الميقات . ومن لم يبتدىء بالحجر والركن لم يحسب له فى

أشواط الطواف الا ما بدأ به من الحجر • ومن بدأ أشواط السعى من المروة لم يحسب له منها الا منذ بدايته من الصفا • وكانوا فى الجاهلية يدفعون من عرفات قبل الغروب من غير ان يعينوا بدءا لدفعهم أو نهاية فتعين بدء الدفع فى الاسلام بالغروب فصار زمنا لايحتمل شبهة ونظاما لايتخلله ابهام • وكذلك بدىء برمى الجمار الأولى بعد فجر يوم النحر ثم فى الضحوات بعده جمرة فجمرة فتعين فى الرمى بدء الزمان وبدء المكان •

وامثال هذه الأنظمة سياسة وحكمة لتخطيط الطرقات وتسليم المزدحمات ، ومن حسن سياسات الأمم تعيين الاوقات والأماكن لاعمالها ، وكان من الخير أن تبتدىء الملل بهذه السنن لأوقات الطاعات وأماكنها حتى تكون مثلا وقدوة لأنظمة الدنيا فى سياسات الأفراد ونظام الجماعات •

ومع أن البارى سبحانه يتعالى عن الزمان والمكان لكن تظاهرت الاخبار فى آيات الله وأحاديث نبيه على أن الله سبحانه قد اختار أوقاتا يتقرب فيها الى عباده واوقاتا لعرض الأعمال وتقدير الأحوال فتحقق أنها أوقات تنتشر فيها الروحانية وتسرى فيها القوى المثالية وتلتقى فيها الطاعة باستجابة الدعاء

وبدايات الأعمال فى مناسك الحج انما هى توجه الى الله بخلو الانسان من تكدير الطبع والخيال • فلا يهتم الطبع بالجوع والعطش واللبس والعرى ولايشتغل الخيال باللغط والأراجيف تملأ الأسماع ، وبالصور والألوان تبهر الابصار

العج والثج

وقد قيل لرسول الله : ما الحاج ؟ قال «الشعث الثقل» قيل : أى الحج افضل ؟ قال « العج والثج » قيل : ما السبيل ؟ قال « زاد وراحلة »

فكان من أدب الحج العج والثج ، أماالثج فسيلان دم الهدى واراقة دماء الذبائح عند كل هفوة وفوات كل واجب • واما العج فهو الدعاء والتلبية والتهليل والتكبير • وفى الأمرين نفقةوبذل وجهد والحاح • وكأنما يجرى اللهج بالدعاء لاشعال الهمم والعزائم للتقرب الى الله فى الأمكنة التى جعلها قدسا للناس ، ومن طبع الأصوات الهازجة ان تدفع الى خوض اللجة واقتحام الوقعة ليعود المندفع المقتحم بما قدر له من الغنيمة وماقسم له من الانتصار •

وأصوات الجماعات المؤتلفة على الطاعة واللاهجة بالذكر والتلبية تحقر العدو والشيطان معا وتستصغرهما وتدمر آثارهما وتلاحقهما على قمة كل نجد وفى حفرة كل وهد ، وليس يفزع العدو والشيطان اكثر من أن يلتقى الأصحاب بالتكبير ويفترقوا عليه •• وقد صدق الرسول الامين حين قال : **ماروؤى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا احقر ولا اغيظ منه فى يوم عرفة »**

وكل نوع من الشوق له ما يكافئه ، فقد يكافىء الصمت نوعا ويكافىء الكلام نوعا ويكافىء البكاء نوعا ، ولكن شوق الحج الذى يحتدم فى النفوس وتحترق منه الجنوب لايكافئه غير العج والثج فهو مختلف عن كل شوق اذ هو شوق الى الرب وتقرب اليه فى هذا العالم الشاهد تقربا يحتاج الى سعى وبذل ونداء والحاح ، ولن يجد راحة كاللهج بأصوات التلبية والجهر بكلمات الدعاء •

وتدوية أصوات الجماعة عرضة قوية لقوتها ومظهر بارز لسطوتها، وكلما اختلفت الاصوات وتعددت اللغات واللهجات كان أوسع للعرضة واظهر للقوة ، ولم يزل الزمن يرسل صوت حجاج المسلمين ويوسع فى ارسالها حتى اذا اخترعت فى عصرنا آلات الارسال كان جديرا بها ان تظهر فى آفاق الأرض كلها أعظم عرضة للسلام واقوى شوكة للاسلام •

على ان العج والثج فيهما فرحة للقلوب تلهج باعلانها المدى والألسنة لما يتوقعه كل ذى حج مبرور لم يرفث فيه ولم يفسق برجوعه كيوم ولدته أمه ومجازاته بالجنة وهو خير رجوع بأعظم مغنم وأفضل جزاء بأجزل عطاء •

نموذج للسلام :

وموسم الحج اجدر مايتخذ نموذجا لمعيشة السلام التى يجب أن تعيشها البشرية وترفل فى نعمتها الانسانية مهما كثرت اعدادهـا وأجدبت أروضها ، وفى كل سوق تضيـق سعتها بأهلها ويشتد الزحام فيها ، فقدحرم الحج حمل السلاح وابطله حين جعل البيت مثابة للناس وأمنا •

وبلا استثناء حرمت الشريعة الغراء صيد البر كله على المحرم حتى يحل كفا له عن ان ينصرف الى اللهو ومنعا له ان يثور الى البغى أو يصيب احدا بأذى من عبث أو خطأ ،أما صيد البحر فقد ظل حلالا لان حبائل الصيد فيه لاترمى خطأ ولاتؤذى ، والبحر بعيدعن المواقيت فلا مظنة فيه للازدحام ولاخوف فيه من السهام •

ولا يتنافى تحريم صيد البر كله مع وجوب قتل الضارية والصائلة التى تعدو على الانسان أو على متاعه ، فهى لاتسمى صيدا اذ الصيد فى أغلب الأمر مايرميه الانسان بيده أورمحه وسهامه بغية غذائه وطعامه •

وحصى الخذف الصغير والذى لابد للحاج من تحريز رميه بأصابع اليد الى الجمرات من غير احتشاد أو مبالغة فى الابعاد كان هكذا صغيرا ضئيلا لئلا يصيب راميـه بمشقـة لو حمل أكبر منه أو يصيب من خلفه أو امامه لو افلت من اليد أو طاش ، وفى أدب الرمى ما يبهر النفوس : فلو رمى الحاج بحجر كبير أو رمى الحصيات كلهن مرة واحدة أو وضعهن وضعا من غير رمى لم يجزىء عنه فلابد من عمل الحساب والتزام الآداب

ولم يقتصر التأديب والتهذيب على تحريم العمل المؤذى أو الذى يظن منه الأذى كالصيد والرمى والرفث والفسوق ، ولكن القول رتب كذلك وهذب ، وخص الجدال بالتحريم مخافة ان يجر الى بذا فيستفحل الاذى •

واروع مافى آداب الحج تحريم التدافع فى كل زحام بالأيدى أو الاصوات حتى عند الحجر الذى يفضل استلامه أو تقبيله ،فجعل استلامه سنة وجعل التحرز عن أذى الناس واجبا ، فتركت السنة لأجل الواجب وحلت الاشارة مكان الاستلام وحل الايماء مكان التقبيـل •

والأجناس والألوان واللغات والعادات وغير ذلك كله تمضى كلها ــ مهما اختلفت وتباعدت ــ فى طريق واحد لايجمعها غير القبلة التى امامها والطهارة التى تلف أبدانها والاخلاص الذى تخفق به قلوبها • وقد تعود الناس ان لاتجمعهم الا الكروب وأن لاتؤلف بينهـم الا الخطوب ، ولكنه جمع مؤقت يزول بزوال الكرب وينكشف بانكشاف الضر ، أما الاجتماع فى الحج فقصد متكرر ونية عائدة ، ومن شان القصد الدائم أن يغير العادة ومن فعل النية العائدة ان تحول الارادة •

ومهما كانت اللغات المختلفة دليل التفرد والاختلاف بين الأمم والجماعات وهى نفسها ــ فى داخل كل قبيل ــ قوام الخلاف فى الافكار والآمال فان التوجيه الموحد والخالى من كل جدل فى الحج من شأنه ان يجنح الى مقاومة التفرد والاختلاف وكأن عملياته لغة مشتركة تدل على تماثل فى الادراك وتقارب فى النفوس وليس من شك فى أن الاسلام حين يجمع اهل الملة فى صعيد عرفات انما يهدف الى عملية فريدة فى توحيد مشاعر الناس ومداركهـم مهما اختلفت بهم اللغات وتفرقت الأجناس •

وبرغم التضارب بين الأجنـاس والأفكار والمسالك والغايات فان عرفات والحج كله كان حجة دامغة على استطاعة البشر ان يؤلفوا لهم رابطة مشتركة تجمع بين المتناقضات والأضداد متى حطم الناس نزواتهم فابتعدوا بنفوسهـم عن مشارف العنف ومهاوى الهلاك •

والمساواة بين وفود الحجيج الى البيت ضرب آخر غير مساواة الصفوف فى الصلاة فهذه مساواة بين أهل كل موطن وتلك مساواة بين جميع الناس اذ البيت الحرام قد جعله الله للناس سواء العاكف فيه والباد ، فليس لأهله حق الاختصاص بفضل منه عن البعداء والغرباء بل الكل فيه سواء

وربما كان من أركان السلام التى فرضها الحج ذلك التقارب الذى يفعله الموسم بين

أمم الموسم فيكون به الوصول الى قضاء المصالح والرغائب وكثير منها لايقضى فى يسر وسهولة فكان التراثى والتلاقى دافعين للمحبة والايثار وموثقين للتعارف والتصاحب بقراءة السلام وتبادل الكلام •

التجلى والغفران :

وبينما القمر يسير الى منزلة البدر تتعالى أعمال الحج وتقترب من الكمال حتى اذاكان يوم النحر الذى تم عنده صيام الكليم وتبعته أيام التشريق وأوفت على غايتها والبدر فى الأوج يؤذن الموسم بالانتهاء •

وقد خص الله سبحانه هلال ذى الحجة بالذكر فى قوله « **يسالونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج** » وكانما خصه الله لانه الهلال الاخير الذى تتم به دورة السنة الهجرية وتكتمل ببدره دوائر التجلى ، وهى التى تنبه لها ابن العربى الصوفى واشار اليها فى شعره بأنها رمز من عالم الشهادة لتجلى الله على عباده اذا وفدوا واجتهدوا وتعبدوا واكملوا •

وعبور البحار وقطع البوادى للوصول الى بيت الله وحرمه من شأنه أن يقطع هوى الأنفس ويخرق حجب القلوب حتى تصل الى مقام المشاهدة وتبصر آثار فضل الله عند الرجوع عن حرمه بفضله ونعمته وكرمه •

وقد رحم الله عباده اذ دعاهم جميعا للحج وفرق ما بين المناسك فربما ذهب الرين الذى يصيب النفوس ويخيم على القلوب آنا بعد آن ، فمن لم يقبل منه عمل عند منسك قبل منه عمل عند منسك ، وهكذا تتوزع الرحمة فى الأمكنة والأزمنة فلعل احدا لايعود من الحج الا وهو مشمول بالمغفرة أو بعضها ، وحسب أرباب القلوب والهمم اذا ارتفعت أيديهم وامتدت أعناقهم وشخصت الى السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة للعباد ان يتقبل الله تضرعهم ولايضيع لهم سعيا ولا أملا •

وابواب المسارعة ، الى الخيرات فى الاديان مفتحة المصاريع لجميع الناس بل طرق الخير كلها أبواب فتحها الاسلام وليست وقفا على ان يلج منها كبير دون صغير أووارث دون محروم

ولو كان فردوس النعيم وراثة
لما ارسل المبعوث للناس أجمع

وربما كانت هضبات الحرم من أشد بقاع الأرض قحولة وجدبا ولكنها ترتد فى الموسم ذات خصب وازدهار لامثيل له فى أمة من الأمم ولادين من الأديان ليكون مقررا فى الأذهان أن الانسان هو الذى ينقل المدنية حيث يشاء ومعه يتنقل العمران وفى ظله وعمله يتبدل وصف الزمان ووصف المكان •

وكما تتم الصلاة بالتشهد المختوم به الصلاة على أبى الأنبياء وخاتم الرسل يحسن اتمام الحج بزيارة المدينة التماسا للرحمة ووفاء من الأمة لمبلغ الرسالة ومؤدى الأمانة ومبالغة فى طاعة الله لقوله سبحانه **« ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما »**

وهكذا كان الحج خير حلبة من حلبات السباق لأن كل حلبة يفرض على فرسانها وجيادها شروط فلا يدخلها اجواد الهزيل ولا البطىء الثقيل ، فلا يتاح لكل راكب ان يجرى فى عداد فرسانها أو يدور فى ميدانها ورهانها ، بل كل فارس له أدب وكل جواد له نسب •

الا هذه الحلبة فقد نودى اليها كل من يشاء فتكافأت فيها الفرص للرجال والنساء ، رحمة من المنادى بالآمال والمطالب وترغيبا فى الشروع من المطامع والمآرب • وربما فاز العليل وسبق الكليل اذا مضى قلب كل فائز الى نهاية الفرص وسعت قدم كل رابح فى اجدب مجادب الأرض

« فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق ، ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار • أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب »

عود على بدء

« لم نقصد فيما ينشر لنا فى هـذه المقالات الا اغلاق باب الخلاف العنيف بين المسلمين فيما ليس من عقائدهم »

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

٣

تقدم أن ذكرنا فى المقال الأول ، أدلة من ذهب الى أن الاسراء والمعراج كانا يقظة ، وذكرنا فى المقال الثانى خمسة أدلة لمن ذهب الى انهما كانا مناما ، وفى مقالنا هذا نستوفى أدلة هذا الفريق ، ليقف القارىء على وجهة نظره ويتبين مقدار ما ذهب اليه ، فنقول :

(**سادسا**) ان الاسراء والمعراج لو وقعا يقظة على الوجه المذكور ، فى كل الروايات ، لما قبلت العقول أن يستأذن جبريل ملائكة السماء ، كما هو مذكور صراحة ، ثم تناقشه الملائكة هذه المناقشة البعيدة عن صورة الاحترام لرئيس له مكانته ، **وذلك الأسباب :**

(**منها**) ان جبريل هو رئيس الملائكة جميعا ، وأنه ذو قوة ومكين عند ذى العرش وانه مطاع وأمين ، اقرأ هذا فى قوله تعالى عن جبريل : « ذى قوة عند ذى العرش مكين . مطاع ثم أمين » ٢٠ ، ٢١ من سورة التكوير .

(**ومنها**) ان المفهوم فى حاشية ذى المقام الكبير أنهم يعلمون علم اليقين كل زائر عظيم ، خصوصا اذا كان مطلوبا لمقابلة سيدهم ، فكيف يقبل العقل أن يجهل الملائكة ان محمدا صلى الله عليه وسلم ، شرفه الله بالرسالة للناس كافة ، بشيرا ونذيرا ، وختم به رسالة السماء ، فلا يرسل بعده احد ابدا ، فهل بعد كل هذا أن يقولوا مستفهمين : او قد أرسل اليه ؟

(**سابعا**) ان حذيفة رضى الله عنه لما سمع ماجاء فى الحديث ، من ان النبى صلى الله عليه وسلم ، ربط البراق فى صخرة بيت المقدس قال : تحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ربط البراق .. ! ثم قال متعجبا : هل خاف صلى الله عليه وسلم ان يفر منه البراق ! مع انه قد سخره له عالم الغيب والشهادة

وقال الخطابى تعليقا على ذلك وامثاله : يزول كل ماورد على هذا الحديث من أشكالات اذا قلنا : ان الاسراء والمعراج كانا مناما . لأن بعض الرؤى مثل يضرب ليتأول على الوجه الذى يجب ان يصرف اليه معنى التعبير .

نقل ذلك الحافظ بن حجر فى فتح البارى فى الجزء الثالث عشر ، ثم قال : والأمر كما قال الخطابى .

(ثامنا) أنهم قالوا : ان الله سبحانه وتعالى كان كثيرا ما يرشد نبيه صلى الله عليه وسلم الى مواطن العبر، عن طريق الرؤيا

الصادقة ، ومن ذلك ماجاء في صحيح البخاري في الجزء الثالث من فتح الباري لابن حجر ، في (كتاب الجنائز - باب ما قيل في أولاد المشركين) ، وفي الجزء الثاني عشر في (كتاب تعبير الرؤيا) .

عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا صلى صلاة الغداة (الصبح) أقبل علينا بوجهه ، فقال : من رأى منكم الليلة رؤيا ؟ فان رأى احد مناقصها ، فسألنا يوما : هل رأى احد منكم رؤيا قلنا : لا ،قال : لكنى رأيت الليلة رجلين اتيانى ، فأخذا بيدى ، فأخرجانى الى الأرض المقدسة ، فاذا رجل جالس ، ورجل قائم بيده كلوب من حديد (الكلوب بفتح الكاف ، وضم اللام مشددة : حديدة معوجة الرأس ، يجر بها الجمر من النار) يدخله فى شدقه حتى يبلغ قفاه ،ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ، ويلتئم شدقه الأول ، فيعود ، فيصنع مثل ما صنع أولا ، وقلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق ، فانطلقنا حتى اتينا على رجل مضطجع على قفاه ، ورجل قائم على رأسه بصخرة ، يشدخ بها رأسه ، فاذا ضربه تدهده الحجر (أى تدحرج) فينطلق الرجل الثانى اليه ليأخذه ، ثم يعود للرجل ، فيجده قد التأم رأسه ، وعاد كما كان ، فيضربه كما سبق ، وهكذا ، قلت: من هذا ؟ قالا : انطلق فانطلقنا الى ثقب مثل التنور ، اعلاه ضيق ، وأسفله واسع ، والتنور : موقد النار ، وهو المذكور قوله تعالى : **« حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور .. » آية ٤٠ من سورة هود**

وفى الرواية الاخرى : فاذا فيه رجال ونساء عراة ، واذاهم يأتيهم لهب من أسفل منهم ، فاذا آذاهم ذلك اللهب صرخوا ، وارتفعوا الى أعلى ، حتى كادوا يخرجون ، رجعوا فيها (اقرأ هذا فى قوله تعالى : « ولهم مقامع من حديد ، كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها » ٢٢،٢١ من سورة الحج، فقلت: من هذا ؟ فقالا : انطلق ، فانطلقنا حتى اتينا على نهر من دم ، فيه رجل قائم فى وسطه ، ورجل قائم على شاطئه وفى يده حجر ، فاذا أراد أن يخرج الرجل الذى فى النهر ، رماه الرجل الذى فى الشاطىء بحجر فى فمه فرده حيث كان وهكذا دائما ، فقلت :ماهذا؟ قالا : انطلق ، فانطلقنا حتى اتينا الى روضة خضراء ، فيها شجرة عظيمة ، وفى أصلها شيخ وصبيان ، واذارجل قريب من الشجرة، بين يديه نار يوقدها ، فصعدا بى فى الشجرة وأدخلانى دارا لم أر قط أحسن منها ،فيها رجال شيوخ ، وشباب ، وصبيان ثم صعدا فأدخلانى دارا هى احسن وافضل من الأولى فيها شيوخ ، وشباب ، فقلت : طوفتما بى الليلة فاخبرانى عما رأيت ، قالا :

أما الذى رأيته يشق شدقه فكذاب ، يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فهذا يصنع به مارأيت الى يوم القيامة .

واما الذى رأيته يشدخ رأسه بالحجر ، فرجل علمه الله القرآن ، فنام عنه بالليل ولم يعمل به فى النهار ، فهذا يفعل به مارأيت الى يوم القيامة .

واما الذين رأيتهم فى الثقب ، فهم الزناة واما الذى رأيته فى النهر ، فهم أكلة الربا واما الشيخ الذى فى أصل الشجرة فابرهيم

عليه السلام والصبيان حوله ، فأولاد الناس

(وفى رواية للبخارى ايضا فى الجزء الثانى عشر ، المشار اليه فيما تقدم : واما الولدان الذين حوله ، فكل مولود مات على الفطرة ، فقال بعض المسلمين : يارسول الله واولاد المشركين ؟ فقال صلى الله عليه وسلم وأولاد المشركين - ذلك لأنهم ماتوا على الفطرة السليمة وهم غير مكلفين .

واما الرجل الذى يوقد النار ، فمالك خازن النار

وأما الدار الأولى التى دخلتها ، فهى دار عامة المؤمنين .

واما الدار التى هى أحسن وأفضل ،فدار الشهداء ، وانا جبريل ، وهذا ميكائيل ،فارفع رأسك ، قال صلى الله عليه وسلم : فرفعت رأسى فأذا فوقى مثل السحاب قالا : ذاك منزلك ، قلت : دعانى أدخل منزلى ، قالا :

انه بقى لك عمر لم تستكمله ، فاذااستكملته أتيت منزلك ٠

قال الحافظ بن حجر فى شرحه لهذا الحديث فى الجزء الثانى عشر : وفى هذا الحديث فوائد جمة ، منها : ان الاسراء وقع مرارا ، يقظة ومناما ، على وجوه شتى ٠٠٠ انتهى ٠

وهذه الرواية التى استنتج منها الحافظ ابن حجر هذه الفائدة المتقدمة ، نص فى ان الاسراء والمعراج كانا مناما ، لأنه اعترف بنفسه فى آخر الجزء الثانى عشر ، بأن هذه الرواية كانت فى الاسراء والمعراج ٠

فماذا يقول أصحاب الرأى الأول الذين ذهبوا الى أن الاسراء والمعراج كانا يقظة ومرة واحدة فقط ؟ أظن ان لامنقذ لهم بعدئذ الا ان يلتزموا ان الاسراء والمعراج كانا مناما ، ويقظة ، أى غير مرة ٠

هذه بعض ادلة الفريق الثانى الذى ذهب الى أن حادث الاسراء والمعراج كان مناما ٠

وقبل ان نتعرض لمناقشة أدلة الفريق الأول القائلين بأن الاسراء والمعراج كانا يقظة ، نذكر ان هناك رأيا ثالثا لطائفة من العلماء يقولون: ان حادث الاسراء والمعراج كان فى حالة اشراق روحى ، كان فيها النبى صلى الله عليه وسلم من اليقظة والنوم ، ومن هؤلاء « الدهلوى العالم الهندى المشهور فى كتابه (حجة الله البالغة) قال : ان ما حصل له صلى الله عليه عليه وسلم ليلة الاسراء : هو ان الله عز وجل مثل له هذه المشاهد ، وأنه صلى الله عليه وسلم كان فى ذلك الوقت فى حالة تشبه حالة البرزخ ، وهى حالة بين اليقظة والنوم ، اشرقت فيها روحه ، صلى الله عليه وسلم على العوالم ، ورأى من آيات ربه الكبرى ما عجبوا منه ، وصدقه من ثبت عنده صدقه قبل ذلك بالدليل القاطع ، وكذبه الكفار ، وضعاف الايمان

ونظير ماقاله الدهلوى ، قاله ابن القيم فى كتابه (زاد الميعاد) فى هدى خير العباد ، فى باب الاسراء والمعراج

ولا عجب فى ذلك ، فقد ثبت ان الرجل الصالح قد يكشف الله له عن اشياء لايعلمها غيره ، من ذلك مارواه ابن كثير فى تاريخه، فى حوادث سنة ٢٣ ما حاصله : ان سارية بن زنيم ، كان على راس جيش المسلمين فى بعض غزوات بلاد الفرس فرأى عمر بن الخطاب وهو فى المدينة ، ذات ليلة فى المنام أن جيش المسلمين فى مكان مكشوف للعدو وقريب منه جبل ، لو لجأ اليه حمى ظهره فلما أصبح كان قلقا على مصير الجيش ،ولما اجتمع الناس فى المسجد قام خطيبا ، وقص مارأى ، وبينما هو يتحدث عن ذلك واذا بصوته يرتفع بقوله : ياسارية ، الجبل ، وكررها ثلاثا ، فلم يدر الناس ماذا يريد ؟ ولما رجع الجيش منتصرا قال سارية :ياامير المؤمنين ، لقد سمعت يوم كذا صائحا يقول : ياسارية ، الجبل ، فلزمت الجبل ، فما هى الا ساعة حتى فتح الله علينا ٠٠ فقال عمر : والله ماقلت الا شيئا أجراه الله على لسانى

وفى رواية : ان عمر قال بعد ما سئل عن سبب قوله هذا : ان لله جنودا ، فلعل بعضها ان يكون بلغه ٠

قال ابن كثير : هذا الاثر روى باسناد حسن ، وبطرق كثيرة يشد بعضها بعضا ٠٠ انتهى ٠

واذا كان العلم أثبت ان الانسان يمكنه ان يرى بعينه ، ويسمع باذنه ما يبعد آلاف الاميال بوساطة آلة التليفزيون (نقل الصورة والصوت) أفلا يتفضل الله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم بجعله يرى البعيد ؟ سبحان من يختص بفضله من يشاء بما شاء ٠

للبحث بقية

خواطر مستشار

نظم الحكم والإدارة فى الإسلام

- مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين
- الوضعية حول السياسة الشرعية والقانونين الدستوري والإداري

المستشار على على منصور

انتهينا فى المقالات السابقة من الكلام عن نظم الحكم والادارة فى الاسلام منذ بدء الرسالة المحمدية فى عهديها بمكة والمدينة ولما انفرغنا من عهد النبوة بدأنا الحديث عن هذه النظم فى عهد الخلفاء الراشدين رأينا ان فى عهدابى بكر رضى الله عنه وارضاه وجد الكثير من المبادىء الدستورية والادارية ثم استقرت هذه المبادىء فى عهد عمر بن الخطاب وتمت وها نحن نتابع الحديث عن النظم فى عهد ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان .

توليته الخلافة : سئل عمر بن الخطاب وهو صحيح أن يستخلف فابى ، وقيل انه صعد المنبر يوما فتكلم بكلمات وقال (أن مت فأمركم الى هؤلاء الستة الذين فارقوا رسول الله وهو عنهم راض وهم : على والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعد بن ابى وقاص فلما طعنه أبو لؤلوة طلب اليه ان يعهد فقال : ما اريد ان اتحملها حيا وميتا عليكم بهؤلاء الرهط الذين قال رسول الله انهم من أهل الجنة وذكرهم ، وفى اليوم التالى استدعاهم عدا طلحه حيث كان غائبا وقال لهم لا يكون هذا الامر الا فيكم وانى لا اخاف الناس عليكم ان استقمتم ولكنى اخاف عليكم اختلافكم انهضوا الى حجرة عائشة فتشاوروا وقيل امهلهم ثلاثة ايام تبدأ من يوم وفاته فاختاروا فيها عثمان بن عفان وبايعه الناس فى المسجد وازدحموا عليه عند المنبر .

وفى رواية أخرى فى كتب السيرة (انه لما طعن عمر دخل عليه نفر من الصحابة وطلبوا اليه ان يستخلف فقال لو كان ابو عبيدة بن الجراح حيا لاستخلفته ، لانى سمعت رسول الله يقول : انه امين هذه الأمة ، ولو كان سالم مولى حذيفة حيا لا ستخلفته ، لانى سمعت رسول الله يقول ان سالما شديد الحب لله . فقال رجل ادلك على مثلهما قال : من ؟ قال عبد الله بن عمر فقال عمر قاتلك الله والله ما اردت بهذا وجه الله ، بحسب آل عمران يحاسب منهم رجل واحد عن امة محمد ، فلقدت جهدت نفسى وحرمت اهلى وان نجوت يوم الحساب كفافا ، لا وزر ولا اجر لكنت سعيدا . ثم نظر عمر فقال : ان استخلف فقد استخلف من هو خير منى ، وان اترك فقد ترك من هو خير منى ومنه ، وسكت فخرج الناس . ثم عاود الصحابة الذهاب لعمر مرة اخرى والحوا عليه فكثر تردده ثم قال عليكم ببقية العشرة المبشرين بالجنة وذكرهم . ودعوا اليه فقال لهم ما مر ذكره . وقال للمقداد بن الاسود **(اذا وضعتمونى فى حفرتى فاجمع**

هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم وقال لصهيب : صل بالناس ثلاثة ايام ، وعاد الى المقداد يقول له : قم على رأس هؤلاء الستة واحضر عبد الله بن عمر ولا شىء له فى الأمر ، فان اتفق خمسة ورضوا رجلا فالخلافة له ، وان اجتمع اربعة على رجل فالأمر له ، اما اذا رضى ثلاثة رجلا منهم ورضى الثلاثة الاخرون رجلا منهم فحكموا عبد الله بن عمر) . وقيل وبعد ان دفن عمر اجتمع الرهط وانقضت الأيام الثلاثة دون أن ينتخبوا خليفة ، فقال عبد الرحمن بن عوف ايكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على ان يوليها فضلكم فسكت الجميع فقال انا انخلع منها فقال القوم رضينا وعلى ساكت فقال ما تقول يا ابا الحسن ؟ فقال على اعطنى موثقا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى . ولا تخص ذارحم ، ولا تألو الامة نصحا ، فقبل عبد الرحمن واخذ العهد واعطى ثم بدأ عبد الرحمن يتشير الصحابة واشراف الناس وقيل انه سأل عليا عمن يرشحه للخلافة اذا لم تكن له هو ، فقال عثمان : وسأل عثمان فقال على :

وفى صبيحة اليوم التالى وقت صلاة الصبح جمع الناس فازدحم المهاجرون والانصار وامراء الجند ، وقام عبد الرحمن فقال : ان اهل الأمصار يودون أن يلحقوا بأمصارهم وقد علموا م نهو اميرهم وانى شاورت الناس وانتهيت الى احد اثنين ثم دعا عليا وقال له : عليك عهد الله وميثاقة لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده ، فقال على : ارجو أن افعل واعمل بمبلغ علمى وطاقتى ، ثم دعا عثمان واعاد عليه ما قاله لعلى فقال عثمان نعم ، فبايعه عبد الرحمن ثم تبعه الناس ، وكاد الأمر يتم لعلى لولا انه لم يتمش مع عبد الرحمن بأن يسير بسنة العمرين بغير قيد ولا شرط بل احتاط بانه يعمل بمبلغ علمه ، على العكس من عثمان الذى قبل بغير قيد ولا شرط ، فآلت اليه الخلافة ببيعه الناس ، وكان ذلك فى آخر شهر ذى الحجة سنة ٢٣ هـ ويذهب كثيرون من المؤرخين الى ان الناس أجهدوا فى عهد عمر لدقته وحزمه وانهم كانوا بحاجة الى خليفة فيه شىء من اليسر فمالوا الى عثمان ، ولو انهم اختاروا عليا لاختاروا صورة طبق الأصل من عمر فى الشدة والحزم ، ويقول البعض الآخر كالدكتور حسن ابراهيم : ان بوادر الانقسام بين المسلمين بدت فى ذلك اليوم فانقسموا الى امويين وهاشميين أى علويين .

وقد اسلفنا ان عهد عمر وترك الأمر بين ستة انما كان مجرد ترشيح وكون عبد الرحمن بن عوف قد استشار الناس فانتهوا الى احد اثنين عثمان او على ولذا قام بالمسجد فى اليوم التالى ورشح عثمان وبدأ ببيعته وتعاقب الناس وحاصل ذلك ان البيعة بالاختيار وانها للامة وفق ما ذكرنا من قبل وانها لا تكون الا بعد وفاة الخليفة أى بعد خلو منصب الخلافة.

نظم الادارة فى عهد عثمان :

حافظ عثمان على الأوضاع التى وضعها عمر فى أول خلافته واعتمد فى مشورته على من اعتمد عليه الشيخان ، وفى الولايات على بعض من كانوا عمالا لعمر ثم على اناس من أهله وعشيرته ، منهم مروان بن الحكم ، وفى الحق ان عثمان من خيرة المجاهدين فى سبيل الله بنفسه وماله منذ أول الدعوة وهو بين العشرة المبشرين بالجنة بل انه جهز غزوة بتمامها من ماله وقبل : ان رسول الله قال اذ ذاك ماضر عثمان ما يفعل بعد ذلك ، وجميع كتبه الى العمال والولاة فى النصف الأول من ولايته ناطقة بالسير بسيرة العمرين .

ولكن كثر المال فى آخر عهده وكان بطبيعته جوادا بأهله فبدا يتذمر عليه الصحابة من الزاهدين ، وقيل انه باع غنائم افريقية بخمسمائة الف دينار واعطاها مروان كما اعطى عبد الله بن الأرقم ثلثمائة الف درهم فأبى ان يأخذها وكان يحث عماله بالجود

وضعفت الادارة فى النصف الاخير من عهد عثمان لشيخوخته ، ومثله ما كان يستطيع أن ينظر فى جميع الأمور فى دولة ترامت اطرافها ، ولأن بعض الولاة من اهله كانوا اقرب الى عصبية الجاهلية ، والتعالى فى مراكزهم،

والاستكثار من الأموال والعبيد ، وهكذا اشتغل بعض كبار العمار باطماعهم فى الولايات وشاغب المحرومون على الولاة وكثيرا ما كان يصر عثمان على تنفيذ اوامره لا يبالى كثيرا بالشكاوى لعلمه بانها صادرة على الأكثر عن اغراض شخصية وما نفع اللين ولا الشدة يوم حم القضاء فكان من قتله ما كان . **ومن أهم الأسباب فى مقتله غلطة ادارية بدرت منه ساق اليها الغضب والعجلة قالوا : انه اجتمع اناس من اصحاب النبى وكتبوا كتابا ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وما كان من تطاوله فى البنيان وما كان من افشائه العمل والولايات فى اهله وبنى عمه من بنى أمية ومنهم احداث وغلمة لا صحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالأمور ، وما كان من الوليد بن عقبه بالكوفة اذ صلى بهم الصبح وهو امير عليها سكران اربع ركعات ثم قال لهم : ان شئتم ان ازيدكم ركعة زدتكم ، وتعطيله الحد عليه وتاخيره ذلك عنه (جلده حين شهد عليه بشرب الخمر وانه تعاطاها)**

وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شئ ولا يستشيرهم واستغنى برايه عن رأيهم وما كان من الحمى الذى حمى حول المدينة ، وماكان من اجراء القطائع والأرزاق والاعطيات على اقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبى ثم لا يغزون ولا يذبون ، وما كان من مجاوزته الدرة الى السوط ، وانه أول من ضرب بالسياط ظهور الناس وانما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرة والخيزران ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب فى يد عثمان وكان ممن حضر اعداد الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الأسود وكانوا عشرة فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه الى عثمان والكتاب فى يد عمار جعلوا يتسللون عن عمار حتى بقى وحده ، فمضى حيث جاء دار عثمان فاذن له فى يوم شات فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم واهله من بنى اميه فدفع اليه الكتاب فقراه فقال له : أنت كتبت هذا ؟ قال نعم : قال : ومن كان معك ؟ قال : كان معى نفر تفرقوا فرقا منك قال : ومن هم ؟ قال: لا اخبرك بهم . قال : فلم اجترات على من بينهم ؟ فقال مروان : يا امير المؤمنين أن هذا العبد **الأسود** « يعنى عمارا) قد جرا عليك الناس وانك ان قتلته نكلت به من وراءه قال عثمان اضربوه فضربوه، وضربه عثمان معهم ، حتى فتقوا بطنه فغشى عليه فجروه حتى طرحوه على باب الدار . وغضب فيه بنو المغيرة وكان حليفهم . ذلك لان عمارا كان من أعظم الصحابة ومن النقباء فى مجلس الشورى للرسول ومناقبه كثيرة فى الاسلام » فمثل هذا لا يضرب على هذه الصورة البشعة ومكانته بين المسلمين معروفة ومعاملة عمار بهذه القسوة ساقته الى ان كان من أعظم من الب الناس على عثمان وخدم عليا ضروب الخدم حتى قتل فى صفين .

مظاهر التوحيد في تفسير الزمخشري

الدكتور أحمد الحوفي

اقام المعتزلة مذهبهم على عدة أصول ، فلما جاء الزمخشرى ايدها بكل ما استطاع من فكر وبيان ، واول الآيات القرآنية بما يتفق مع هذه الأصول ويؤكدها ومنها التوحيد .

والمسلمون جميعا موحدون ، لايشركون مع الله أحدا ولكن المعتزلة وصلوا بتوحيدهم الى حد من التفلسف ، وبنوا عليه أمورا لم يكن احد من المسلمين يعرض لها . فقد وجدوا فى القرآن الكريم آيات تنزه الله عن المشابهة ، وآيات يدل ظاهرها على التجسيم ورأوا آيات تدل على انه تعالى ليس فى جهة أو مكان . وآيات يفهم منظاهرها الجهةوالمكان وكان كثير من المسلمين ينزهون الله عن المماثلة ويمسكون عن الكلام فى الآيات التى يدل ظاهرها على المماثلة ، مؤثرين البعد عن التأويل .

اما المعتزلة فلم يرتضوا هذا المسلك ، وجعلوا يؤولون الآيات التى يفهممن ظاهرها التجسيم أو الحلول فى جهة أو مكان ، تأويلا يتفق وتنزيه الله سبحانه عن المشابهة ،حتى روى أن النظام ناجى ربه بقوله وهو يحتضر : اللهم ان كنت تعلم أنى لم اقصر فى نصرة توحيدك ، ولم أعتقد مذهبا من المذاهب اللطيفة - يريد الفلسفية - الا لأشد به التوحيد فما كان منها يخالف التوحيد فانا منه برىء ،اللهم فان كنت تعلم انى كما وصفت فاغفرلى ذنوبى وسهل على سكرة الموت .

وبنوا على هذا التوحيد كثيرا من المعتقدات

١ - فنفوا عن الله الصفات المستقلة القديمة ، وقالوا انه عالم بذاته قادر بذاته ، حى بذاته وليست الحياة والقدرة والعلم صفات غير ذاته ، بلّ هى صفات قديمةومعان قائمة بها ، لانها لو شاركته فى القدم الذى هو أخص الوصف لشاركته فى الألوهية ،وهو سبحانه منزه عن المثيل ، لأنه القديم الأزلى وما سواه محدث ، فلا يصح ان تكون له صفات أزلية منفصلة عنه لأن القول بها تعدد ولهذا سموا أنفسهم أهل التوحيد .

ويتصل بالتوحيد رد الصفات كلها الى كونه عالما قادرا ، والحكم بأنها صفتان ذاتيتان أو اعتباران للذات القديمة أو حالان .

وذكر الشهر ستانى من آراء أبى الهزيل العلاف - وهو من شيوخ المعتزلة - انه انفرد عن اصحابه بقواعد ، منها أن البارى تعالى عالم بعلم ، وعلمه ذاته ، قادر بقدرة ،وقدرته ذاته ، حى بحياة وحياته ذاته

وعقب الشهر ستانى بقوله : انما اقتبس هذا الرأى من الفلاسفة الذين اعتقدوا أنذاته واحدة لاكثرة فيها بوجه ، وانما الصفات ليست وراء الذات معانى قائمة بذاته ، بل هى ذاته .. ثم قال واذ أثبت أبو الهزيل هذه الصفات وجوها للذات ، فهى بعينها أقانيم النصارى أو أحوال أبى هاشم

٢ - ونفوا التشبيه عن الله سبحانه نفيا تاما من كل وجهة ، مكانا ، وجهة وصورة، وجسما ، وتحيزا ، وانتقالا ، وتغيرا فأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة ، وسموا هذا توحيدا وقد حرص الزمخشرى على تأويل الآيات وفق هذه العقيدة ، فلم يدع شبهة تعلق بها الا محاها .

فقال فى تفسير قوله تعالى : « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ، قال رب أرنى أنظر اليك، قال لن ترانى »

كلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقا به فى بعض الأجرام ، كما خلقه مخطوطا فى اللوح ،وروى أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعلق ابن المنير - وهو احد علماء السنة وكان قاضيا بالاسكندرية ، ولهحاشية على الكشاف - بقوله هذا تصريح منه بخلق الكلام ، كما هو معتقد المعتزلة

والذى يخص به هذه الآية من وجوه الرد عليه أنها سيقت مساق الامتنان على موسى باصطفاء الله له وتخصيصه اياه بتكليمه ، وكذلك قال تعالى بعد آيات منها «انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى ، فخذ ماآتيتك وكن من الشاكرين »

فلو كان تكليم الله له بمعنى خلق الحروف والأصوات فى بعض الأجرام واستماع موسى لذلك لكان كل احد يساوى موسى عليه السلام فى ذلك ، بل كان أحاد أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام آثر بهذه المزية واحق بالخصوصية من موسى ، لأنهم سمعوا الكلام على الوجه المذكور من أفضل الأجرام وازكاها خلقا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت مزيتهم اظهر وخصوصيتهم أوفر ، ونحن نعلم ضرورة من سياق هذه الآية تمييز موسى بهذه المزية ، فلا يجمل لذلك الا اعتقاد انه سمع الكلام القديم القائم بذات الله سبحانه وتعالى بلا واسطة دليل عليه من حروف ولا غيرها ، وكما اجزنا من المعقول ان نرى ذات البارى وان لم يكن جسما فكذلك نجيز ان يسمع كلامه وان لم يكن حرفا ولا صوتا

وقال فى تفسير قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى »

لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يرادف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى على العرش ، يريدون ملك وأن لم يقعد على سرير ألبتة وقالوا أيضا لشهرته فى ذلك المعنى ومساواته تلك فى مؤداه ، نحو قولك يد فلان مبسوطة ، ويد فلان مغلولة بمعنى أنه جواد أو بخيل ، لافرق بين العبارتين الا فيما قلت ، حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال • أو لم تكن له يد ، قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم هو جواد- ومنه قول الله عز وجل « وقالت اليهود يد الله مغلولة » أى هو بخيل ، «بل يداه مبسوطتان » أى هو جواد ، من غير تصور يد ولا غل ولابسط ، والتفسير بالنعمة ، والتحمل للتثنية من ضيق الوطن والبعد عن علم البيان مسيرة أعوام • ولم يعلق ابن المنير على هذا بشىء •

وقال فى تفسير قوله تعالى : ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم » اكد المبايعة على طريق التخييل ، فقال « يد الله فوق أيديهم » يريد ان يد رسول الله التى تعلو أيدى المبايعين هى يد الله ، والله تعالى منزه عن الجوارح ،وعن صفات الأجسام ، وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقدة مع الله من غير تفاوت بينهما ، كقوله تعالى : « من يطع الرسول فقد اطاع الله » والمراد بيعة الرضوان

وقال فى تفسير قوله تعالى : ونحن أقرب اليه من حبل الوريد •

القرب هنا مجاز ، والمراد قرب علمه منه وانه يتعلق بمعلومه منه ومن احواله تعلقا لا يخفى عليه شىء من خفياته ، فكان ذاته قريبة منه ، كما يقال الله فى كل مكان ، وقد جل عن الأمكنة •

٣ ـ وانكر المعتزلة رؤية العباد لله بأبصارهم فى الآخرة ، لأن الجسمية اذا انتفت انتفت الجهة ، واذا انتفت الجهة انتفت الرؤية ولهذا أولوا الآيات والاحاديث ، ونفوا بعض الأحاديث ، لأنها أخبار آحاد •

وللزمخشرى فى نفس الرؤية حديث طويل منه ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : ولما جاء موسى لميقاتنا ، وكلمه ربه ، قال رب أرنى انظر اليك ، قال : لن ترانى ، ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ، وخر موسى صعقا فلما أفاق قال : سبحانك تبت اليك ، وانا أول المؤمنين »

أرنى نفسك أنظر اليك ، والرؤية عين النظر فكيف قال أرنى أنظر اليك ؟

اى اجعلنى متمكنا من رؤيتك أن تتجلى لى فأنظر اليك وأراك •

واذا كانت الطلبة هى الرؤية لا المنظر الذى لاادراك معه ، قال تعالى (لن ترانى) ولم يقل لن تنظر الى •

فان قلت : كيف طلب موسى عليه السلام ذلك ، وهو من أعلم الناس بالله وصفاته ، وما يجوز لله ومالايجوز ، وبتعاليه عن الرؤية

التى هى ادراك ببعض الحواس ، وذلك انما يصح فيما كان فى جهة ، وما ليس بجسم ولاعرض فمحال أن يكون فى جهة ، ومنع المجبرة احالته فى العقول غير لازم ، لأنه ليس بأول مكابرتهم ، وكيف يكون طالبه وقد جاء فى السورة نفسها « واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا ، فلما أخذتهم الرجفة قال : رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى ، اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟ ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء ، وتهدى من تشاء ، أنت ولينا ، فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين »

فتبرأ من فعلهم ، ودعاهم سفهاء وضلالا ؟

قلت : ماكان طلب الرؤية الا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا ، وتبرأ من فعلهم ، وليلقمهم الحجر ، وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم ، وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا فى لجاجهم ، وقالوا لابد ، ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فأراد ان يسمع النص من عند الله باستحالة ذلك ، ليتبينوا ، وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة ، فلذلك قال رب أرنى انظر اليك .

واذ كان فى هذا الرد زجر لموسى فى طلبه وانكار عليه فى نبوته واختصاصه عند الله تعالى كانوا هم أولى بالانكار .

وجاء النفى بلن لتأكيد النفى فى المستقبل كقوله تعالى « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له » فقوله (لاتدركه الأبصار) نفى للرؤية فيما يستقبل و (لن ترانى) تأكيد وبيان لأن المنفى مناف لصفاته .

فان قلت : كيف اتصل الاستدراك فى قوله (ولكن انظر الى الجبل) بما قبله ؟

قلت : اتصل به على معنى أن النظر الى محال ، فلا تطلبه ، ولكن عليك بنظر آخر ، وهو ان تنظر الى الجبل الذى يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف افعل به ، وكيف أجعله دكا بسبب طلبك الرؤية ، استعظم ما اقدمت عليه بما أريك من عظم أثره ، كأنه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند

نسبة الولد اليه فى قوله : « وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا »

وقد علق وجود الرؤية بوجود مالا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ، ويسويه بالأرض .

وهذا كلام مدمج بعضه فى بعض وارد على أسلوب عجيب ونمط بديع ، ألا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ، ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة فى وجود الرؤية ، أعنى قوله « فان استقر مكانه فسوف ترانى » فلما تجلى ربه للجبل ، وظهر له اقتداره وتصدى له أمره وارادته جعله مدكوكا ، وخر موسى مغشيا عليه من هول ما رأى ، فلما أفاق من صعقته قال : سبحانك انزهك عما يجوز عليك من الرؤية وغيرها ، تبت عن طلب الرؤية ، وأنا اول المؤمنين ، فانك لست بمرئى ولا مدرك بشىء من الحواس .

فانظر الى اعظام الله تعالى أمر الرؤية فى هذه الآية ، وكيف أرجف الجبل بطالبيها ، وجعله دكا ، وكيف أصعقهم ، ولم يخل كليمه موسى من نفيان ذلك ، مبالغة فى اعظام الأمر وكيف سبح ربه ملتجئا اليه ، وتاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه ، وقال أنا أول المؤمنين

ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ، ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات أشياخهم ، والقول ما قال بعض العدلية فيهم .

لجماعة سموا هواهم سنة
وجماعة حمر لعمرى موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا
شنع الورى فتستروا بالبلكفة

والبلكفة هى قولهم ان الله سبحانه وتعالى يرى بلا كيفية

وعلق ابن المنير على هذا بقوله .

ما أشد ما اضطرب كلامه فى هذه الآية ، لان غرضه أن يدحض الحق بالضلالة ويشين بكفه وجه الغزالة . هيهات قد تبين الصبح لذى عينين ، فالحق ابلج لا يمازحه ريب الا عند ذى رين .

أما خط المعقول من اجازة رؤية الله تعالى فوظيفة علم الكلام ، واخصر وجه فى اجازة ذلك أن الوجود مصحح الرؤية ، بدليل ان جواز الرؤية ، حكم يستدعى مصححا ، وقد شمل الجواز الجوهر والعرض ولا جامع بينهما يمكن جعله مصححا سوى الوجود ، واذا كان الموجود هو المصحح فقد صحت رؤيته تعالى لوجوده .

وأما استبعاد أن يرى ماليس فى جهة فأمر وهمى مثله عرض للمعطلة ، فعميت أبصارهم حتى انكروا موجودا الا فى جهة ، ومن اتبع الأوهام اغتسق مهامه الضلال وهام

ولو كانت الرؤية تتوقف على جهة المرئى لكانت المعرفة تتوقف على جهة المعروف ، ولا خلاف انه سبحانه يعرف لا فى جهة ، فكذلك يرى لافى جهة ، فالحق ان موسى عليه السلام انما طلب الرؤية لنفسه ، لعلمه بجواز ذلك على الله تعالى .

والقدرية يجرئهم الطمع حتى يروموا أن يجعلوا موسى عليه السلام كان على معتقدهم وماهم حينئذ الا ممن آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها »

واما قول موسى « اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟ » تبرؤا من أفاعيلهم، وتسفيها لهم ، وتضليلا لرأيهم ، فلا راحة للقدرية فى الاستشهاد به على انكار موسى لجواز الرؤية فان الذى كان الاهلاك بسببه انما هو عبادة العجل فى قول اكثر المفسرين .

ثم ان كن السبب طلبهم الرؤية فليس لانها غير جائزة على الله ، ولكن لأن الله تعالى أخبر انها لاتقع فى دار الدنيا ، والخبر صدق وذلك بعد سؤال موسى للرؤية ، فلما سألوا وقد سمعوا الخبر بعدم وقوعها كان طلبهم خلاف المعلوم تكذيبا للخبر ، فمن ثم سفههم موسى وتبرأ من طلب ما اخبر الله انه لايقع فى الدنيا وان كان جائزا .

واما قوله ان «لن» تؤكد النفى فانها كذلك ولكن استنباطه منافاه الرؤية لحال البارى عز وجل ، واستشهاده على انها تشعر باستحالة المنفى عنها عقلا ، مردود بكثير من الآيات كقوله تعالى :

« قل لن تخرجوا معى أبدا » فذلك لا يحيل خروجهم عقلا . و « لن يؤمن من قومك الا من قد آمن » و « لن تتبعونا » فهذه كلها جائزات ، عقلا لولا أن الخبر منع من وقوعها. فالرؤية كذلك .

وأما قوله ان الله حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد اليه ، فانه مفرع على المعتقد السالف بطلانه ، وليس له فى هذا الفصل وظيفة الا تتبع الشبه لامتناع الرؤية وتلقفها من كل فج . والحق ان دك الجبل انما كان لأمر الله عز وجل اظهر له آية من ملكوت السماء ، ولا تستقر الدنيا لاظهار شىء من ملكوت السماء ، وهذا هو المأثور عن السلف فى هذه الآية ، ومعناه عند ابى الحسن « الأشعرى » رحمه الله فعل فعلا سماه تجليا وكان الغضب اما لأنهم طلبوا رؤية جسمانية فى جهة واما لأنهم كتموا الخبر بأنه لايرى فى الدنيا ، واما لأنهم كفروا بالاقتراح أو بالمجموع .

واما قوله ان الله تعالى علق وجود الرؤية على وجود مالا يكون من استقرار الجبل فانه من حيل القدرية فى احالة الرؤية ، يقولون قد علقها الله على شرط محال وهو استقرار الجبل حال دكه ، والمعلق على المحال محال . وهذه حيلة باطلة ، فان المعلق عليه استقرار الجبل من حيث هو استقرار ، وذلك ممكن وجائز ، وتعلق العلم بأنه لايستقر لايرفع امكان استقراره ، وتعلق العلم لايغير المعلوم ولا ينقل كلمة من امكان الى امتناع ولا العكس وحينئذ يتوجه دليلا لأهل السنة ، فنقول ان استقرار الجبل ممكن ، وقد علق عليه وجود الرؤية ، والمعلق على الممكن ممكن ، والمعتزلة يعتقدون أن خلاف المعلوم لايجوز ان يكون مقدورا ، ونحن نقول مقدور ، ولكن المشيئة لم تتعلق بايجاده

واما توبة موسى وتسبيحه فلما تبين له من أن العلم قد سبق بعدم وقوع الرؤية ، فى الدنيا ، ثم ختم رده بأنه مضطر الى ان ينافح عن أصحاب سنة رسول الله كما نافح حسان ابن ثابت أعداء رسول الله ،وذكر هذه الأبيات المناقضة لبيتى الزمخشرى :

وجماعة كفروا برؤية ربهم
حقا ، ووعد الله ما لن يخلفه
وتلقبوا عدلية قلنا أجل
عدلوابربهم فحسبهم سفه
وتلقبوا الناجين كلا انهم
ان لم يكونوا فى لظى فعلى شفه

وقال فى تفسير قوله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة »

تنظر الى ربهم خاصة ، واختصاصهم بالنظر اليه محال ، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص ، الذى يصح منه أن يكون من قول الناس أنا الى فلان ناظر ما يصنع بى ، تريد معنى التوقع والرجاء ، ومنه قول القائل :

واذا نظرت اليك من ملك
والبحر دونك زدتنى نعما

والمعنى أنهم لايتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم ، كما كانوا فى الدنيا لايخشون ولا يرقبون الا اياه

٤ ـ واقتضى نفيهم للصفات الأزلية ومنها الكلام أن يدينوا بأن القرآن كلام الله ولكنه خلقه بعد ان لم يكن ، حتى لا يشاركه شىء فى القدم .

وقد اعتقد الخليفة المأمون هذا الرأى ، وحمل الناس على أن يدينوا به ، وعذب كثيرا من العلماء مثل احمد بن حنبل ، ووجه كتابا الى اسحاق بن ابراهيم سنة ٢١٨ هـ يأمره فيه أن يمتحن القضاة فى خلق القرآن ، ليقر منهم على منصبه من يوافق رأى الخليفة ، ثم ليأمرهم بقبول شهادة من يدين به ، ورفض شهادة من لايدين به .

ومازال الخلاف بين المعتزلة والسنية محتدما حتى ظهر الأشعرى (المتوفى سنة ٣٣٠ هـ) فذهب الى أن كلام الله يطلق اطلاقين كما هو الشأن فى الانسان ، فيسمى الانسان متكلما باعتبارين : احدهما بالصوت والآخر بكلام النفس الذى ليس بصوت ولا بحرف ، وهو المعنى القائم بالنفس المعبر عنه بالألفاظ .

وانتقل من هذا الى أن كلام الله يطلق بهذين الاطلاقين ، المعنى النفسى وهو القائم بذاته ، وهو الأزلى القديم ، وهو لا يتغير بتغير العبارات ، وهو الذى يطلق عليه كلام الله حقيقة ، اما القرآن بمعنى المقروء المكتوب فهو كما يقول المعتزلة حادث مخلوق .

وجاء الزمخشرى فدافع عن عقيدة المعتزلة فقال فى تفسير قوله تعالى : « قل لئن اجتمعت الجن والانس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » العجب من زعمهم أن القرآن قديم ، مع اعترافهم بأنه معجز ، وانما يكون المعجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه ، واما المحال الذى لامجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثانى القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك مجاز وصف الله بالعجز ، لأنه لا يوصف بالقدرة على المحال ، الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال ، فان رأس مالهم المكابرة وقلب الحقائق .

وعلق ابن المنير بقوله :

مما يدلك على حيد الزمخشرى عن سنن الانصاف أنه تدلس على الصفة فى مثل هذه المسألة التى طبقت الأرض ظهورا وشيوعا ، ومع ذلك يرضى لنفسه ان يتجاهل عن معتقد القوم ، وذلك ان عقيدة أهل السنة ان مدلول العبارات صفة قديمة قائمة بذات البارى تعالى يطلق عليها قرآن ، ويطلق ايضا على أدائها وهى هذه الكلمات الفصيحة والآى الكريمة قرآن ، وان المعجز عندهم الدليل لا المدلول ، لكنهم يتحرزون من اطلاق القول بأنه مخلوق لوجهين : أحدهما أنه اطلاق موهم والثانى أن السلف الصالح كفوا عنه ، فاقتفوا آثارهم ، واقتبسوا أنوارهم ، وكم من معتقد لايطلق القول به خشية ايهام غيره مما لايجوز اعتقاده ، فلا ربط بين الاعتقاد والاطلاق ولا كرامة لمعتقد ذلك والمتعنت بالزامه

وهكذا يسير الزمخشرى فى تفسيره وتأويله ، حريصا أشد الحرص على تأييد مذهب المعتزلة ، ويتعقبه ابن المنير مدافعا عن رأى اهل السنة ، وكلا الرجلين مؤمن وثيق الايمان لا يبتغى الا الدفاع عن ايمانه الخالص بالوسيلة التى تلائم عقيدته وتوائم مذهبه

دعوة ابراهيم

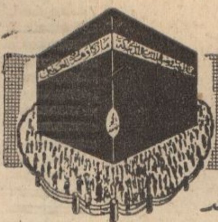

فضيلة الشيخ عبدالله المشد

يقول الله سبحانه فى كتابه الكريم :

« واذ بوانا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فكلوا منها واطعموا البائس الفقير » .

ورد فى الآثار الصحيحة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله سبحانه أمر سيدنا ابراهيم أن يضع زوجه هاجر وولده اسماعيل فى المكان الذى توجد فيه مكة الآن ، عند مرتفع من الارض كانت تأتيه السيول لتأخذ من يمينه وعن شماله ، ولما تركهما ابراهيم وحيدين فى هذا المكان ووصل الى مكان صعب المرتقى حيث لا يراه أحد ، استقبل بوجهه مكان البيت وقال :

« ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »

وفى بعض زياراته لولده بعد أن كبرت سنه وتزوج ، اخبره ان الله أمره ببناء بيت على هذه الاكمة ، فتعاون معه اسماعيل عليه السلام فى تنفيذ أمر الله ، ورفعا قواعد البيت وهما يدعوان ربهما أن يجعل عملهما خالصا لوجهه ، وان يبارك فى هذا المكان واهله ، كما حكى ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى :

« واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك . وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم »

وكان هذا البيت هو اول بيت وضع للناس ، جعله الله مكانا يثاب العاملون فيه على عملهم ، ويتأكد لهم الامن وجعله مباركا وهدى للعالمين .

لقد استجاب الله دعوة ابراهيم فساق اليه من آنسوا وحدة أهله ، وعمروا المكان من حولهم ، وتجبى اليه ثمرات كل شىء رزقا من عند الله ، وجعله حرما آمنا ، بينما يقتل الناس ويسلبون من حولهم . فتوافدت القبائل من كل طريق بعيد ، تحج البيت وتتقرب الى الله عنده ، يطوفون ويسعون ويقفون بالمشاعر ويذبحون الهدى ويتبادلون المنافع ، وكانوا يؤدون هذه الفريضة فى أمن وسلام ، حيث جعل الله لها أشهرا حرما ، أسماؤها تدل على هدفها وغايتها ، فذو القعدة يقعد فيه الناس عن الحروب والغارات ، وذو الحجة يقع فيه الحج وتؤدى المناسك ، والمحرم شهر حرم الله فيه العدوان ليعود الحجاج الى اوطانهم آمنين . جعل الله مكان الحج حرما آمنا تغمد فيه السيوف ويحرم القتال ، ولا يتعرض فيه لهدى ، ولا يزعج فيه انسان أو طير او حيوان .

قال تعالى :

« جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد »

تتابعت القرون والناس يحوطون هذا البيت بالتقديس والتعظيم ، والقبائل تتنافس فى خدمته واكرام الحجيج . غير انه على تطاول الازمان دخل فى مناسك الحج تغيير وتبديل شوه تلك العبادة وخرج بها عن اصلها المقصود من تشريعها ، فجاء الاسلام يصحح الاوضاع الفاسدة ، ويخلص هذه العبادة مما دخلها من مظاهر الشرك ، لقد اشركت القبائل واتخذ الناس من الاصنام زلفى تقربهم الى الله ، فبعد ان كان ابراهيم عليه السلام يلبى عند الحج مخلصا لله طاعته ويقول : « لبيك اللهم لبيك ، لاشريك لك » أشركت كنانة وقريش فى هذه التلبية فكانت تقول : « لبيك لاشريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك » كما

كانوا يذكرون اسم غير الله عندما يذبحون الهدى ، وهو ما يشير اليـه قوله تعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون » .

فجاءت دعوة الاسلام حربا على الشرك ، ودعوة خالصة للتوحيد المجرد، وكانت الدعوة حقيقية عملية عندما هدم الرسول صلى الله عليه وسلم فى عام الفتح جميع اصنامهم ، ومحا كل أثر من آثار الشرك، معلنا كلمة الحق العليا وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » .

لقد كان سكان الحـرم يفرضون على الوافدين اليه من الحل ان يغيروا ملابسهم ويستبدلوا بها ملابس أهل الحرم ، فان لم يجـدوا طافوا بالبيت عراة ، على زعم ان ملابسهم التى وفدوا بها ملابس نجسـة بالذنوب لا يليق أن يتقرب بها الى الله بالطواف حول البيت المطهر ، كما حرموا عليهم ان يتناولوا طعاما صحبوه معهم من الحـل ، وحرموا أطايب الطعام عند الاحرام ، فأبطل الاسلام كل ذلك وجاء فيه قوله تعالى :

« يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد، وكلـوا واشربوا ولا تسرفـوا ، انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة »

وقد رأت بعض القبائل ان من تمام النسك الا يدخلوا بيوتا يحجبهم فيهـا عن السماء سقف أو غيره وهم محرمون ، فاذا اضطروا الى دخولها تسلقوا الجدران وتحاشوا الابواب، فأبطل الاسلام ذلك وجاء فيه قوله تعالى :

« يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج ، وليس البر بأن تألوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى ، وأتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون »

لقد بين الله حكمة الحج بقوله سبحانه :

« ليشهدوا منافع لهم »

وهى كلمة قصيرة جامعة ، فالمنافع رزق طيب يجىء الى أهل مكة خاصة ، ورخـاء واسع يفيد منه العرب عامة ، فى تلك الفترة التى يأمنون فيها على قوافلهم وتجاراتهم ، ويشغلون فيها عن الحروب والثارات ، وفائدة اعم للناس جميعا ، يفيدون منها فى المجالات الدينية والدنيوية ، من سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية وغيرها ، والتـلاقى بالوجوه والتقابل بالحديث والمفاوضـات وتبادل الآراء لاتغنى عنه أبدا مكاتبات ولا رسائل ولا سواها من وسائل الاتصال .

ان الحج دعوة من دعوات ابراهيـم التى لاتستهدف الا المصلحة العامة وخير الانسانية جمعاء ، دعوة أساسها التوحيد المجرد والعبادة الخاصة ، وركائزها المبادىء الكريمة والمثـل العليا ، دعوة ليس فيها تحيز لعنصر معين أو تعصب لطائفة مخصوصة ، دعوة عالمية خالصة للحق وحده .

قال تعالى :

« ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين »

ولا يرغب عن هذه الملة المستقيمـة الا من سفه نفسه . وقد أمر الله نبيـه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يسير على منهج ابيه ابراهيم فقال :

« قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم . دينا قيما ملة ابراهيم حنيفـا وما كان من المشركين » .

وقال :

« ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيـم حنيفا وما كان من المشركين »

والحنيف هو المائل عن الشرك الى التوحيد، وعن الباطل الى الحق .

ولما كان الحج مظهرا من مظاهر الوحـدة الجامعة ، التى تتلاشى فيها الفوارق وتمحى العصبيات، وتتوارى المظاهر وتتوحد الاهداف والشعارات ، كان من اهم اركان الاسلام .

قال تعالى :

« ولله على الناس حج البيت من استطـاع اليه سبيلا » .

والواجب عليكم معشر المسـلمين الذين وفقكم الله الى الحج، ان تستمدوا من المشاعر ذكريات تهديكم السبيل ، فى هذا الجـو الصاخب الذى لا ينجى منه الا الايمان بالله والعمل على تحقيق المثل العليا « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم »

من رجال الاقتصاد في الإسلام
الإمام أبو يوسف القاضي

فضيلة الشيخ أحمد الشرباصي

الامام ابو يوسف القاضى علم من اعلام الاقتصاد فى الاسلام . لانه فقيه ذو نظرة عميقة فاحصة يرسلها الى المجتمع . فتدرك ما فيه من تيارات اجتماعية ، وعوامل اقتصادية . ويستفيد بهذا الادراك فى بحثه داخل الحقل الفقهى الاسلامى ، وهو فوق هذا « مؤلف كتاب « الخراج » الذى نستطيع ان نسميه بلغة العصر « المبادىء الاقتصادية فى الاسلام » ، لانه تحدث بالتفصيل عن الشئون المالية المتعلقة بالدولة الاسلامية .

وابو يوسف هو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الانصارى نسبا الكوفى نشاة واقامة ، وقد ولد سنة ثلاث عشرة ومائة ، وتوفى سنة ثنتين وثمانين ومائة ، وقد نشا فى اسرة رقيقة الحال فقيرة فى المال ، فاضطر ان يعمل لياكل منذ بداية الطريق ، ومع ذلك كان حريصا على الاستماع الى العلماء ، وعلى طلب العلم ، ولاحظ الامام ابو حنيفة فقر تلميذه ابى يوسف فاعانه ماديا حتى تفرغ لطلب العلم ونبغ فيه .

والتاريخ يحدثنا بان ابا يوسف جلس اولا الى معلمه واستاذه عبد الرحمن بن ابى ليلى ، ثم تحول عنه الى استاذه ابى حنيفة ، ويذكر السرخسى فى كتاب « المبسوط » سبب ذلك التحول فيقول :

« اعلن ان ابا يوسف كان يختلف الى ابن ابى ليلى فى الابتداء ، فتعلم بين يديه تسع سنين ، ثم تحول الى مجلس ابى حنيفة . قيل كان سبب تحول ابى يوسف الى مجلس ابى حنيفة انه كان تبع ابن ابى ليلى ، وقد شهد ملاك رجل « اى حفلة زفاف » ، فلما نثر السكر اخذ ابو يوسف رحمه الله بعضه ، فكره ذلك ابن ابى ليلى واغلظ له فى القول ، وقال : اما علمت ان هذا لايحل ؟!

فجاء ابو يوسف الى ابى حنيفة رحمه الله فسأله عن ذلك ، فقال : لا باس بذلك . بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع اصحابه فى ملاك رجل من الانصار ، فنثر التمر ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع ذلك ويقول لاصحابه : « انتهبوا » . وبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع لما نحر مائة بدنة امر بان يؤخذ له من كل بدنة قطعة ، ثم قال : « من شاء ان يقتطع فليقتطع » ، فهذا ونحوه من الهبة مستحسن شرعا .

فلما تبين له تفاوت مابينهما تحول الى مجلس ابى حنيفة . وقيل كان سبب ذلك انه كان يناظر زفر رحمه الله وتبين له بالمناظرة معه تفاوت ما بين فقه ابى حنيفة وابن ابى ليلى رحمهما الله ، فتحـول الى مجلس ابى حنيفة ، ثم احب ان يجمع المسائل التى كان فيها الاختلاف بين استاذيه ، فجمع هذا التصنيف » . يقصد كتاب ابى يوسف المسمى : « اختلاف ابى حنيفة وابن ابى ليلى »

وتالق نجم ابى يوسف فى مجال العلم والفقه ، حتى قال ابن جرير الطبرى : « كان ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم القاضى فقيها عالما حافظا » . وشاع بين الناس وصفه بعبارة « صاحب ابى حنيفة » .

ونال مكانة ملحوظة عند الخليفة العباسى اميرالمؤمنين هارون الرشيد ، حتى قال ابن عبدالبر : « كان الرشيد يكرمه ويجله . وكان عنده حظيا مكينا » . وقد اقترح عليه الرشيد ان يكتب له كتابا يضبط به الشئون المالية والاقتصادية للدولة الاسـلامية فاستجاب ابو يوسف لذلك ، وكتب له كتابه المشهور : « الخراج »

ولقد اشار ابو يوسف الى ذلك فى فاتحة الكتاب ، ونصح للرشيد بنصائح اقتصادية واجتماعية وسياسية هامة ، وكان مما قاله له :

« ان امير المؤمنين ايده الله تعالى سالنى ان اضع له كتابا جامعا يعمل به فى جباية الخراج ، والعشور والصدقات والجوالى « انواع الجزية » وغير ذلك ، مما يجب عليه النظر فيه والعمل به ، وانما اراد بذلك رفع الظلم عن رعيته والصلاح لامرهم ، وفق الله تعالى امير المؤمنين وسدده ، واعانه على ماتولى من ذلك ، وسلمه مما يخاف ويحذر .

وطلب ان ابين له ما سالنى عنه ، مما يريد العمل به وافسره واشرحه ، وقد فسرت ذلك وشرحته .

يا امير المؤمنين ، ان الله ـ وله الحمد ـ قد قلدك امرا عظيما : ثوابه اعظم الثواب وعقابه اشـد العقاب . قلدك امر هذه الامة ، فاصبحت وامسيت وانت تبنى لخلق كثير ، قد استرعاكهم الله ، وائتمنك عليهم وابتلاك بهم ، وولاك امرهم وليس يلبث البنيان ـ اذا اسس على غير التقوى ـ ان ياتيه الله من القواعد فيهدمه على من بناه واعان عليه ، فلا تضيعن ما قلدك الله من امر هذه الامة والرعية ، فان القوة فى العمل باذن الله .

لاتؤخر عمل اليـوم الى غد ، فانك اذا فعلت ذلك اضعت . ان الاجل دون الامل ، فبادر الاجل بالعمل . فانه لا عمـل بعـد الاجل ، ان الرعـاة مؤدون الى ربهـم مايؤدى الراعى الى ربه ، فاقم الحـق فيما ولاك الله وقلدك ولو ساعة من نهار ، فان اسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راع سعدت به رعيته ، ولا تزغ فتزيغ رعيتك ، واياك والامر بالهوى والاخذ بالغضب ، واذا نظرت الى امرين احدهما للاخرة والاخر للدنيا ، فاختر امر الاخرة على امر الدنيا ، فان الاخرة تبقى والدنيا تفنى ، وكن من خشية الله على حـذر ، واجعل الناس عندك فى امر الله سـواء : القـريب والبعيد ، ولا تخف فى الله لومة لائم »

ولقد ادى اعجاب الرشيد بابى يوسف الى ان ولاه القضاء ، فاكسبه ذلك خبرة بشئون الناس الاجتماعية والمادية ، لان الفقيه العاكف على كتبه تغلب عليـه الصبغة النظرية والفكرية ، وقد تنقطع الاسباب بينه وبين مجتمعه ، فلا يتاثر به ولا يؤثر فيه ، ولكن الفقيه حين يتولى القضاء يواجه الاحداث والوقائع ، وينزل الى معترك الحياة يعالج امورها ومشكلاتهـا ، فيطلع على الشئون العامة ، ويدرك آثار العرف والمصالح والعادات، فيكسبه ذلك خبرة ودربة .

ولذلك استفاد ابو يوسف من توليه القضاء كثيرا ، لانه قد اكسبه ربحا عملية وقدرة على تطبيق الاحكام على الوقائع والاحداث ، وليس هذا بالشىء اليسير .

وكان تولى ابى يوسف للقضاء احد الاسباب الجوهرية فى انتشار مذهب ابى حنيفة فى بقاع كثيرة ، وخاصة بعد ان ظهرت النزعة العملية من ابى يوسف فى معالجـة الاحداث والامور ، مراعيا الظروف الاجتماعية والاقتصادية للناس ، ولذلك جاء فى كتاب « ابو حنيفة حيـاته وعصره ـ آراؤه وفقهه » هذه العبارة :

« ابتدا مذهب ابى حنيفة ينال المنزلة الرسمية التى سمحت له بالانتشار والاتساع ، من وقت ان ولى الصاحب الاول لابى حنيفة ـ وهو ابو يوسف ـ منصب القضاء للرشيد ، ثم صار له السلطان الاكبر على القضاء فى كل نواحي الدولة بعد سنة سبعين ومائة ، اذ اصبح قاضى القضاة ، لايولى قاض من غير امره ، فلم يكن يولى قاض فى البلاد الاسلامية من اقصى المشرق الى شمال افريقية ، الا من يشير به ويرتضيه .

وكان حتما لايولى الا اصحابه الذين يرتضون طريقته فى الاجتهاد والفتيا ، وهى طريقـة ابى حنيفة فى الاستنباط فى جملتها ، فانتشرت بهذا عند العامة آراء فقهاء العراق فى كل البقاع الاسلامية ، ما عدا الاندلس الى انتشر بها المذهب المالكى لمثل ذلك السبب ، ولذلك قال ابن حزم : « مذهبان انتشرا فى بدء امرهمـا بالرياسة والسلطان : الحنفى بالمشرق ، والمالـكى بالاندلس »

الف الامام ابو يوسف القاضى كتبا كثيرة فى الصلاة والزكاة والصيام ، والفرائض والبيوع ، والحدود والوكالة والوصـايا والصيد والذبائح والغصب والاستبراء ، واختلاف الامصار ، والرد على مالك بن انس ، له كتاب كبير اسمه « الجوامع » .

ولكن اشهر كتبه بيننا هو كتابه « الخراج » الذى تحدث فيه عن الغنائم والخراج والجزية ، والعشور والكنوز والدفائن ، واحياء موات الارض ، والزكاة فى الاموال والزروع والحيوان وغير ذلك . كما تحدث عن الحقـوق المالية الواجبـة فى مال المسـلم والحقوق المالية الواجبـة فى مال غير المسلم الـذى يعيش فى المجتمع الاسلامى ، واعتمد فى كتابه اول ما اعتمد على آيات القرآن الكريم ، واحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، ثم اقوال الائمة بعد ذلك .

وكتاب « الخراج » لابى يوسف له قيمته العـالية الملحوظة ، اذ يعد ثروة فقهية ضخمة فى بابها . وقد سبق غيره فى تفصيل الحـديث عن مالية الدولة الاسلامية وميزانيتها ، وابواب دخلها وخرجها ، ووجوه جمعها وانفاقها ، ولم يكن مجرد ناقل او مقلد او متابع بل هو فى احيان كثيرة يروى النص ويعلق عليـه ويستنبط منه ، وقد يسوق الحادثة من الحوادث وقعت

من خليفة او صحابى ، ثم يستخرج منها اساسا لحكم يشمل مثيلات لها .

وكانت لابى يوسف شخصيته وفكرته وخبرته الاقتصادية والاجتماعية ، مما كان يجعله يدافع عن رايه ، حتى ولو اختلف هذا الراى مع راى لاحد السلف الكبار ، او الائمة الاعلام ، وها هو ذا - على سبيل المثال - يعرض رايا لامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى شان الارض الخراجية ، ثم يختلف ابو يوسف مع عمر فى الراى ، ويسوق وجهة نظر عمر ، ثم يبين رايه فى ادب وبصيرة وعلم .

جاء فى كتاب « الخراج » عن هذه المسالة ما نصه :

« قيل لابى يوسف : لم رايت ان يقاسم اهل الخراج ما اخرجت الارض من صنوف الغلات ، وما اثمر النخل والشجر والكرم على ما قد وضعته من المقاسمات ، ولم تردهم الى ماكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وضعه على ارضهم ونخلهم وشجرهم ، وقد كانوا بذلك راضين وله محتملين .

فقال ابو يوسف : ان عمر رضى الله تعالى عنه راى الارض فى ذلك الوقت محتملة لما وضع عليها ، ولم يقل حين وضع عليها ما وضع من الخراج : ان هذا الخراج لازم لاهل الخراج ، وحتم عليهم ، ولا يجوز لى ولا لمن بعدى من الخلفاء ان ينقص منه ولا يزيد فيه . بل كان فيما قال لحذيفة وعثمان حين اتياه بخبر ما كان استعملهما عليه من ارض العراق : « لعلكما حملتما الارض مالا تطيق » دليل على انهما لو اخبراه انها لا تطيق ذلك الذى حملته من اهلها ، لنقص مما كان جعله عليهم من الخراج ، وانه لو كان مافرضه وجعله على الارض حتما لايجوز النقص منه ولا الزيادة فيه ، ما سالهما عما سالهما عنه ، من احتمال اهل الارض او عجزهم .

وكيف لايجوز النقصان من ذلك والزيادة فيه ، وعثمان بن حنيف يقول مجيبا لعمر رضى الله تعالى عنه : « حملت الارض امرا هى له مطيقة ، ولو شئت لاضعفت ارضى » . او ليس قد ذكر انه قد ترك فضلا لو شاء ان ياخذه ؟.

وحذيفة يقول مجيبا لعمر رضى الله تعالى عنه ايضا : « وضعت على الارض امرا هى له محتملة ، وما فيها كثير فضل » .

فقوله هذا يدل - والله اعلم - على انه قد كان فيها فضل وان كان يسيرا قد تركه لهم ، وانما سالهما ليعلم فيزيد او ينقص على قدر الطاقة ، وبقدر مالا يجحف ذلك باهل الارض .

فلما راينا ما كان جعل على ارضهم من الخراج يصعب عليهم ، وراينا ارضهم غير محتملة له ، وراينا اخذهم بذلك داعيا الى جلائهم عن ارضهم وتركهم لها . وقد كان عمر رضى الله تعالى عنه - وهو الذى جعل الخراج عليهم - سال عنهم : ايطيقون ذلك ام لا ؟ وتقدم فى ان لايكلفوا فوق طاقتهم ، اتبعنا ما امر به وتقدم فيه ، ورجونا ان يكون الرشد فى امتثال امره ، فلم نحملهم ما لايطيقون ، ولم ناخذهم من الخراج الا بما تحتمله ارضهم » .

ومع ان ابا حنيفة كان شيخا لابى يوسف ، لا يجد ابو يوسف غضاضة فى ان يخالف شيخه ، وان كان فى الوقت نفسه يحسن الدفاع عن آراء استاذه ، ومن امثلة ذلك ما ذكره فى كتابه « الخراج » حين قال :

« كان ابو حنيفة رحمه الله يقول : من احيا ارضا مواتا فهى له اذا اجازه الامام ، ومن احيا ارضا مواتا بغير اذن الامام فليست له ، وللامام ان يخرجها من يده ، ويصنع فيها ما راى من الاجارة والاقطاع وغير ذلك .

قيل لابى يوسف : ما ينبغى لابى حنيفة ان يكون قد قال هذا الا من شىء ، لان الحديث قد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « من احيا ارضا مواتا فهى له » فبين لنا ذلك الشىء ، فانا نرجو ان تكون قد سمعت منه فى هذا شيئا يحتج به .

قال ابو يوسف : حجته فى ذلك ان يقول : الاحياء لا يكون الا باذن الامام : ارايت رجلين اراد كل واحد منهما ان يختار موضعا واحدا ، وكل واحد منهما منع صاحبه ، ايهما احق به ؟.. ارايت ان اراد رجل ان يحيى ارضا ميتة بفناء رجل وهومقر انه لاحق له فيها ، فقال : لاتحيها ، فانها بفنائى ، وذلك يضرنى ؟

فانما جعل ابو حنيفة اذن الامام فى ذلك ها هنا فصلا بين الناس ، فاذا اذن الامام فى ذلك لانسان كان له ان يحييها ، وكان ذلك الاذن جائزا مستقيما ، واذا منع الامام احدا كان ذلك المنع جائزا ، ولم يكن بين الناس التشاح فى الموضع الواحد ولا الضرار فيه مع اذن الامام ومنعه .

وليس ما قال ابو حنيفة يرد الاثر ، انما رد الاثر ان يقول : وان احياها باذن الامام فليست له ، فاما من يقول هى له فهذا اتباع الاثر ، ولكن باذن الامام ، ليكون اذنه فصلا فيما بينهم من خصوماتهم ، واضرار بعضهم ببعض .

قال ابو يوسف : اما انا فارى - اذا لم يكن فيه ضرر على احد ، ولا لاحد فيه خصومة - ان اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم جائز الى يوم القيامة ، فاذا جاء الضرر فهو على الحديث : « وليس لعرق ظالم حق » .

وفى طليعة كتاب « الخراج » يوصى ابو يوسف الخليفة بان يكون قوى العزيمة صارم الارادة فى تنفيذ ما يحويه الكتاب من توجيهات اسلامية بعد فهمه وحفظه ، فيقول له :

« وقد كتبت لك ما امرت به ، وشرحته لك وبينته ، فتفقهه وتدبره ، وردد قراءته حتى تحفظه ، فانى قد اجتهدت لك فى ذلك ، ولم آلك والمسلمين نصحا ، ابتغاء وجه الله وثوابه وخوف عقابه .

وانى لارجو - ان عملت بما فيه من البيان - ان يوفر الله لك خراجك من غير ظلم مسلم ولا معاهد ، ويصلح لك رعيتك ، فان صلاحهم باقامة الحدود عليهم ، ورفع الظلم عنهم ، والتظالم فيما اشتبه من الحقوق عليهم ، وكتبت لك احاديث حسنة ، فيها ترغيب وتحضيض على ما سالت عنه ، مما تريد العمل به ان شاء الله ، فوفقك الله لما يرضيه عنك ، واصلح بك ، وعلى يديك » .

ولا يزال كتاب « الخراج » الى اليوم مصدرا اساسيا هاما لكل من يريد ان ياخذ فكرة واسعة عن الشئون الاقتصادية فى الاسلام .

نصيحة

الدكتور محمد مظهر سعيد

ذكرت من قبل أن أسقف برمنجهام ، العاصمة الثانية لانجلترا ، واسمه ارنست وليم بارنز ، كان عالما كبيرا ومستشرقا أمينا ، يحمل درجات الدكتوراه فى اللاهوت والعلوم والقانون ، الى جانب عضوية الجمعية العلميـة الملكية ، وقد آمن بعد الدراسة الطويلة العميقة لمختلف الديانات والمذاهب ، السماوية والموضوعة ، برسـالة الاسلام ، ولكنه لاسباب خاصة ، لم يعلن عن اعتنـاقه للاسلام ، وظل محتفظا بمنصبه الدينى الكبير ، شأنه فى هذا شأن عدد من العلماء وكبار المفكرين الذين عاشرتهم هناك وصارحونى بهذه الحقيقة فى احاديثى الخاصةمعهم.

وفى احد هذه الاحاديث الخاصة مع الدكتور بارنز ، بعد تناول العشاء بدعوة منه فى جناحه الخاص ، عقب محاضرة ألقيتها بكتدرائية برمنجهام سنة ١٩٢٩ ، عن القيم الروحية ، أدلى الى بعدة نصائح قيمة وعملية ، بشأن الدعوة الاسلامية قال :

أنتم يا معشر المسلمين ، اختاركم الله ، وأتم نعمتـه عليكم ، ورضى لكم الاسلام دينا ، وجعلكم أمة وسطا ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتدعون لمكارم الاخلاق ، بالحكمة والموعظة الحسـنة ، بل بالتى هى أحسن ، وتنشرون العدل والسلام بين الناس ، وأمركم بالدعوة والجهاد فى سبيل الله تقاعستم وقصرتم ، ولم تستفيدوا وتفيدوا من الكنوز العظيمة الغنية ، التىوهبها الله لكم ، فى دين حنيف وشريعة عادلة كاملة ، وتركتم مهمة الدعوة لنفر من المسيحيين واليهود والمسلمين غير العرب الذين لا يفقهون أسرار اللغة العربية واعجاز القرآن ومرامى الاحاديث النبوية الشريفة ، فعجزوا عن نقل روح الاسلام الى لغات أجنبية ، غير عربية ، أو نفر آخر من المبشرين والمستشرقين المغرضين ، الذين شوهوا الحقائق وجسموا الشبهات ، وأثاروا الشكوك ، فأساءوا الى هذا الدين العظيم ونبيه الكريم ، وما أحوج العالم الآن للعمل برسالة الاسلام . هذا العالم الذى عبد المال الها من دون الله ، وأغرق فى المتع الدنيوية ، وتنكر لكل المقدسات والحرمات ، حتى توارت القيم الخلقية والروحية أمام طغيان القيم المادية ، هذا العالم الذى تصطرع فيه قوى الشر ، من استعمار يستعبد الشعوب الضعيفة ، ويهدر الكرامة الانسانية ، وسياسات ماكيافيلليه تتنكر للمبادىء السامية والشعارات التى نادت بها ثورات التحررالكبرى الفرنسية والامريكية ، ودعوات سافرة للالحاد تقوض البقية الباقية من دعائم الديانات السماوية وترف زائد يدفع للفسق والفجور فى الطبقات القادرة الغنية ، وفقر زائد يدفع للسلوك العدوانى والجريمة فى الطبقـات الكادحة المحرومة ، وانحراف فى السـلوك الاجتماعى والجنس يذهب بالقلة الباقية من الفضائل الانسانية . ان الاسلام هو الحل الوحيد للمشاكل السياسية والاقتصادية للمجتمع الانسانى الذى يمزقه الصراع بين التحرر والاستعباد ، والاستغلال والاستعمار ، هو العلاج الوحيد للازمات النفسية والعقلية ، التى تهد من كيان شباب الجيل الحاضر ، وهم أمل البشرية فى مستقبلها المظلم ، هـو الطريق الوحيد لنشر العدل والسلام بين الناس ، هـو السبيل الوحيد لتحقيق رسـالة الانسان فى الارض استخلفه الله عليها .. وأنتم أيها المصريون ، بصفةأخص، لديكم تراث السلف الصالح ، الذى حفظتموه ودرستموه وتفقهتم فيه . لديكم الازهر الشريف معقل الدين وحصن الشريعة ومنبر الوطنية . الجامعة القديمة العتيدة ،التى ظهرت عدة قرون تنشر نور الايمان والعلم فى مشارق الارض ومغاربها . لديكم نخبة من علماء الدين والدنيا ، الافذاذ الفحول ، الذين ضربوا بأكبر سـهم فى كل علم وفن ، ولـكنكم حبستم نور الازهر وجهود علمائه فى دائرتكم المحلية الضيقة ، تبشرون بالاسلام للمسلمين وتعظون المؤمنين المصلين الصائمين ، وتخطبون وتكتبون وتنشرون بلغتكم العربية التى قد لا يفهمها غير العرب ، حتى من المسلمين . وهناك فى مشارق الارض ومغاربها ، أفـراد وجماعات وأقوام ، تتطلع عيونهم الى نور جديد ، وتتفتح قلوبهم للاسلام اذا بلغتهم الدعوة ، لقد انتشر الاسلام ، من قبل فى الهند والصين والملايو والفلبين ومجـاهل افريقية ، بفضل نفر من التجار اليمنيين والحضرميين ، الذين لم يتفقهوا فى الدين ، فما بالكم لو حذا حـذوهم هؤلاء العلماء الاعلام المتفقهين فعلماء الدين عندكم لايعرفون غير لغتهم العربية ، فاذا قاموا بالدعوة فى منبر بلادهم كانوا تحت رحمة المترجمين . وعلماء الدنيا عندكم غير متفقهين فى الدين ، فلابد اذن من تغيير الاوضاع وتطوير الاساليب .

لابد أولا من الجمع بين الفريقين ، علماء الدين وعلماء الدنيا ، فى هيئة واحدة تضع الخطوط الرئيسية للدعوة وتحدد معالم الطريق ، ولابد من تطوير الدراسة فى الازهر والجامعات المدنية ، كى يعرف علماء الدين اللغات الاجنبية، ويلمون بشىء فى العلوم الحديثة .

ويتفقه علماء الدنيا فى شىء فى أصول الدين ،وبهـذا يستطيع الفريقان ، اذا ما قاما بالدعوة معا ، أن يعرضا مبادىء الاسلام ، فى اطار مقومات المجتمع المتحضر المعاصر. تلك هى النصيحة الاولى التى أدلى بها الدكتور بارنـز أسقف برمنجهام .. وعدت الى مصر ، متحمسا للفكرة، ونقلتها الى مشيخة الازهر وبعض من عرفته من كبـار العلماء ، بحكم ندبى لتدريس علوم النفس والفلسـفة الاخلاقية فى كلية أصول الدين .

وسمعت قول البعض ما حاجتنا للغات أجنبية واللغة العربية أشرف اللغات ، أليست لغة القرآن الـكريم والحديث الشريف . وما حاجتنا لعلوم الدنيا ، وهلهناك علوم غير علوم الدين . لقد نسوا أو تناسوا أن أئمة الدين من السلف الصالح درسوا واتقنوا وألفوا وابتكروا وجمعوا بين علوم الدنيا ، بين فلسفة ومنطق ورياضيات وفلك وكيمياء وموسيقى ، وبين علوم الدين من فقـه وتفسير وحديث وتشريع ، وكان الازهر ذاته فيما مضى ، جامعة لكل العلوم ..

وشاء القدر ان يحدث امرخطير مثير ، كان ينبغى أن ينبه العلماء الى ضرورة العمل السريع على الاخذ بهـذه النصيحة ، وذلك ، ان طائفة المنبوذين والانجاس فى الهند، البالغ عددهم قرابة خمسين مليونا ، أعلنت على لسان زعيمها ـ أميدكار ـ خروجها على دينها الهندوكى القديم،

واستعدادها لاعتناق اى دين آخر ، يحترم انسانيتهم وكرامتهم المهدرة ، بعد أن فشلت الجهود الجبارة التى بذلها زعيم الهند غاندى ، وصام من اجلها حتى قارب الموت ، فى منحهم بعض الحقوق الدينية . وتتلخص قصة الانجاس المنبوذين فيما يلى :

فى تقاليد الديانة الهندوسية القديمة ، التى يعتنقها الهندوس وهم حوالى ٧٠٪ من سكان الهند ، قانون قديم جدا ، هو قانون ـ مانو ـ اتخذوه شريعة لهم ، ثابتة لا تقبل تحويرا ولا تبديلا . وقد قسم هذا القانون الهندوسى ، بل البشر جميعا الى اربعة اقسام :

اولا : البراهمة ، الذين خلقهم الاله من فمه ، ومن ثم فهم العلماء بالكتاب المقدس « فيدا » وهم وحدهم الكهنة والمشرفون على كافة شئون الدين والعبادات ، ولهم ارقى مرتبة تحظى باكبر قسط من الاحترام والتقديس ، ما داموا هم وحدهم الوسطاء بين الانسان وربه .

ثانيا . الشاترى ، الذين خلقهم الله من أذرعه ، فهم رجال الحرب والقتال ، الوارثون لصولجان الحكم الزمنى ، أبا عن جد .

ثالثا : الفايشا ، الذين خلقوا من فخذى الاله ، وهم الطبقة الوسطى البرجوازية من رجال المال والزراعة والصناعة والتجار .

رابعا . السودرا ، الذين خلقوا من اقدام الاله ، والتراب الذى يمشى عليه ، وهم الطبقة الدنيا ، الذين كتب عليهم بحكم الوراثة الابدية أن يخدموا الطبقات الثلاث السالفة الذكر ، وأن يعيشوا أبدا فى سخرة وذل وعبودية ، وينقسم السودرا الى قسمين .

قسم غير نجس وان كان مازال منبوذا ، يجوز لمسه ، وهم السقاة وخدم البيوت . وقسم نجس يحرم لمسه ، وهم الذين يقومون بأحط الاعمال وأقذرها ، وعلى المنبوذين جميعا ان يتجنبوا بقدر الامكان أماكن الطبقات الاخرى ، فلهم جحورهم وأوكارهم ودروبهم التى يسيرون فيها ، واذا ساروا فى طريق عام ، وجب أن يكون بينهم وبين سائر الناس مسافة محددة حتى لا تلوث أنفاسهم النجسة ما يستنشقه الناس من هواء . فهل بعد هذا امتهان للانسانية واهدار للكرامة . بل ان مجرد استماع المنبوذ لتلاوة كتاب الفيدا المقدس اهانة للكتاب ذاته ، لا يمحوها الا صارم العقاب .

وتطلعت أنظار المسلمين فى الهند وغيرها للازهر ، فهو وحده القادر على اقناع المنبوذين باعتناق الاسلام ، وأرسل رؤساء الجمعيات الاسلامية الهندية . وعلى رأسهم محمد اقبال شاعر الهند الاسلامية وفيلسوفها العظيم يناشدون الازهر ارسال بعثة ، تقف بنفسها على حقائق الامور ، وتتصرف بما يقتضيه الموقف . وبعد لأى وتمهل وضياع الوقت الكثير ، ارسل الازهر بعثة مؤلفة من حضرات أصحاب الفضيلة اعضاء جماعة كبار العلماء ، المرحومين المشايخ ابراهيم الجبالى وعبد الوهاب النجار ومحمد احمد العدوى ، يرافقهم للترجمة المرحوم محمد حبيب احمد استاذ التاريخ الاسلامى بالجامعة الازهرية. وأصحاب الفضيلة متفقهون فى الدين ، ولكنهم لا يعرفون لغة اجنبية ، وخاصة الانجليزية التى يتكلمها كل الهنود ، ولا يعرفون شيئا عن الهند . أما الاستاذ حبيب فتمكن من الانجليزية ويعرف كل شىء عن الهند ولكنه غير متفقه فى الدين وقضت البعثة أيامها فى الهند بين حفلات واستقبالات وزيارات للرجوات والحكام والامراء وكبار المسلمين والجامعات الاسلامية ، ولم تجد وقتا لزيارة مناطق المنبوذين ومقابلة زعمائهم ، وعرض الاسلام عليهم . ثم عادت فى سلام ، معززة مكرمة ، كما ذهبت فى سلام . ووضعت تقريرا ضافيا عن الهند ، وحفرياتها وتاريخها وسكانها وحضارتها ، وكل شىء فيها فيما عدا المنبوذين . وختمت التقرير الضافى بفقرة عن شئون المنبوذين جاء فيه :

ا ـ فى حالة اذا ما رأى الازهر أن يقوم بعمل مباشر فاننا نقترح انشاء خمسة مراكز للثقافة والتبليغ فى أقاليم : كيرال بمقاطعة الدكن ، وسورات بمقاطعة بومباى ، ودكا فى البنغال الشرقية ورانجون فى برما ، وناهيور فى الولايات الوسطى .

ب ـ فى حالة ما اذا رأى الازهر ان يتفادى ما يحتمل أن يقوم من الصعوبات .

١ ـ قبوله خمسة من أبناء المنبوذين بالازهر

٢ ـ الاتفاق مع ندوة العلماء بلكنو على قبول عشرين من ابناء المنبوذين باسم الازهر .

٣ ـ اعانة الجمعية الاسلامية بناجبور فى مقابل فتح فصول جديدة لابناء المنبوذين .

٤ ـ اعانة جمعية انجمان تبليغ الاسلام بأمبالا ، على شريطة أن يخصص المال لتبليغ الاسلام بين المنبوذين فى اقليم كيرال .

وبهذه المقترحات المتواضعة تركوا الميدان مفتوحا لنشاط المبشرين المسيحيين واليهود والسيخ والهندوس ، الذين شمروا عن ساعد الجد غير مبالين بالصعوبات ، كأنهم هم المجاهدون فى سبيل الله . وهكذا فقد الاسلام خمسين مليونا من البشر ، كان يرجى منهم خير كثير ، فهم وان كانوا منبوذين عامة ولكن بينهم علماء وأطباء ومعلمون وذوى مهن رفيعة .

ولعل نصيحة الدكتور بارنز اسقف برمنجهام لم يعمل بها وقتئذ ، فقد كانت ظروف مصر لا تسمح لها بحركة خطيرة كهذه ، فى بلاد يحكمها الانجليز المسيحيون ، وهى ذاتها محتلة بالجنود الانجليز المسيحيين .

ولكن لو عاش الدكتور بارنز الى عهدنا هذا ، عهد الثورة المباركة ، لرأى عجبا . فقد تطور الازهر الشريف ، وأصبح جامعة دينية مدنيه فى نفس الوقت ، بما الحق به من كليات علمية وعملية وفنية ، وما ادخل فيه من لغات غربية وشرقية . ولاعجب بالخطوات السريعة الجبارة التى خطتها الثورة فى سبيل الدعوة الاسلامية واعلاء القيم الخلقية والروحية . وها هو المجلس الاعلى للشئون الاسلامية يعقد المؤتمرات التى تنتظم كبار علماء الدين والدنيا فى العالم العربى والاسلامى ، ويصدر المجلات الدينية الثقافية كمنبر الاسلام وغيرها . ويطبع الرسائل والكتب التى تتناول أمور الدين بأكثر من لغة أجنبية ، ويقيم المراكز الثقافية الاسلامية فى مختلف البلاد الغربية والشرقية ، ويرسل الوعاظ والمدرسين الى مختلف الاقطار ، ويجرى المسابقات فى موضوعات مختارة ويمنح الجوائز ، وها هى جمعيات الشبان المسلمين تزدهر وتنتشر فى جميع محافظات مصر ومدنها وفى غير مصر ، بفضل تشجيع الدولة ودعايتها واعاناتها .. انها حركة مباركة أتت أكلها وجنت ثمارها ولها ما بعدها .

اما وقد قامت الدولة مشكورة بنصيبها وزيادة ، فبقى على العلماء والمتعلمين المسلمين ، وخاصة المبعوثين فى الخارج أن يعملوا بنصائح الدكتور بارنز ، ولنا عودة .

الشريعة الاسلامية والقانون المدنى

المستشار عبد الستار آدم

تحدثت فى مقال سابق عن حق الحكر كاحد الاحكام التى اقتبسها القانون المدنى المصرى من احكام الشريعة الاسلامية الغراء .

واليوم اتحدث عما اقتبسه القانون المذكور من احكام عقد الايجار فى الشريعة الاسلامية

اقتبس القانون المدنى من الفقه الاسلامى الاحكام الآتية :

اولا : احكام ايجار الوقف .

ثانيا - احكام ايجار الاطيان الزراعية .

اما عن احكام ايجار الوقف فكان طبيعيا ان تقتبس جميعها من الفقه الاسلامى لان الوقف نظام اسلامى بحت وقد وردت هذه الاحكام فى المواد من ٦٢٨ الى ٦٣٤ من القانون المدنى واغلبها ماخوذ عن المواد ٥٧١ وما بعدها من كتاب مرشد الحيران .

ومما هو جدير بالذكر فى هذا الصدد ان البعض كان يرى حذف المواد ٦٢٨ الى ٦٣٤ من مشروع القانون المدنى عند وضعه وقال اصحاب هذا الراى انه لامبرر للتمييز بين مستاجرى العقارات الموقوفة ومستاجرى غيرها .. ولكن استقر الراى اخيرا على بقائها . وجاء فى تبرير ذلك - حسبما يبين من الاطلاع على المذكرة الايضاحية للقانون المدنى - ان للوقف نظاما خاصا روعيت فيه مصلحته وان تقنين احكام الشريعة الاسلامية فى القانون المدنى لان الناس الفوها من مئات السنين فضلا عن صدورها عن ادراك رقيق لحاجات الوقف وما ينبغى له من حماية وانه يراعى من ناحية اخرى ان الوقف احوج الى الحماية من غيره . اما عن الاعتراض على التفريق بين مستاجرى العقارات الموقوفة ومستاجرى غيرها فانه اعتراض على اساس التشريع وحكمته فى الحماية وهو من هذا الوجه لايختلف عن الاعتراض على التفريق بين مشترى عقار البالغ ومشترى عقار القاصر .

واهم هذه النصوص نص المادتين ٦٣١ ، ٦٣٣

وقد نصت المادة ٦٣١ على انه :

١ - لاتصح اجارة الوقف بالغبن الفاحش الا اذا كان المؤجر هو المستحق الوحيد الذى له ولاية التصرف فى الوقف ، فتجوز اجارته بالغبن الفاحش فى حق نفسه لا فى حق من يليه من المستحقين »

وهذه المادة ماخوذة عن نص المادة ٥٧٨ من مرشد الحيران .

اما المادة ٦٣٣ فتنص على انه :

١ - لايجوز للناظر بغير اذن القاضى ان يؤجر الوقف مدة تزيد على ثلاث سنين ولو كان ذلك بعقود مترادفة فاذا عقدت الاجارة لمدة اطول انقصت المدة الى ثلاث سنين .

٢ - ومع ذلك اذا كان الناظر هو الواقف والمستحق الوحيد ، جاز له ان يؤجر الوقف مدة تزيد على ثلاث سنين بلا حاجة الى اذن القاضى ، وهذا دون اخلال بحق الناظر الذى يخلفه فى طلب انقاص المدة الى ثلاث سنين »

هذا ولم ينقل القانون المدنى احكام الشريعة الاسلامية فى حالة ما اذا نقص اجر المثل اذ زاد قبل انتهاء الايجار - تلك الاحكام المنصوص عليها فى المواد من ٩٦٠ الى ٩٦٣ من مرشد الحيران - بل آثر استقرار التعامل بجعل الاجرة المتفق عليها هى التى تسرى الى ان ينتهى الايجار .

وغنى عن البيان ان احكام عقد الايجار الواردة فى القانون المدنى تسرى على اجارة الوقف الا اذا تعارضت مع نصوص المواد من ٦٢٨ الى ٦٣٤ وهذا ما نصت عليه صراحة نص المادة ٦٣٤ حيث نصت على انه :

« تسرى احكام عقد الايجار على اجارة الوقف الا اذا تعارضت مع النصوص السابقة »

اما عن احكام ايجار الاراضى الزراعية فقد اقتبس القانون المدنى كثيرا منها من الفقه الاسلامى . واهم ما اقتبسه منها الاحكام الاتية :

١ - احكام المزارعة

٢ - احكام غرس الاشجار والبناء فى العين المؤجرة

٣ - احكام هلاك الزرع فى العين المؤجرة

٤ - احكام فسخ الايجار بالعذر

اما عن المزارعة فتعرف بانها ايجار ارض زراعية او مغروسة بالاشجار وتكون الاجرة فيها جزءا من المحصول .

واحكامها فى الشريعة الاسلامية واردة فى المواد ٧١٢ وما بعدها من كتاب مرشد الحيران

اما القانون المدنى فقد نص عليها فى المواد ٦١٩ وما بعدها فنصت المادة ٦١٩ على انه :

« يجوز ان تعطى الارض الزراعية والارض المغروسة بالاشجار مزارعة للمستاجر فى مقابل اخذ المؤجر جزءا معينا من المحصول »

ونصت المادة ٦٢٠ من القانون المذكور على انه :

« تسرى احكام الايجار على المزارعة مع مراعاة الاحكام الاتية اذا لم يوجد اتفاق او عرف يخالفها »

وكانت هذه المادة الاخيرة فى مشروع القانون المدنى قد نصت على انه :

« اذا لم يوجد اتفاق او عرف فان الاحكام التى تسرى على عقد الايجار هى التى تسرى على عقد المزارعة فاذا لم توجد احكام يمكن تطبيقها ، سرت احكام الشريعة الاسلامية مادامت هذه الاحكام جميعها لاتتعارض مع النصوص الاتى ذكرها »

وقد رؤى حذف عبارة : « فان لم يوجد منها مايمكن تطبيقه سرت احكام الشريعة الاسلامية مادامت هذه الاحكام جميعها لاتتعارض مع النصوص » وجاء فى تبرير هذا الحذف انه لا لزوم لهذه العبارة لان الشريعة الاسلامية معتبرة مصدرا من مصادر التشريع وهو القانون العام عند عدم النص بالنسبة للمزارعة التى استقيت احكامها منها :

اما عن غرس الاشجار والبناء فى العين المؤجرة فقد وردت احكامها فى الشريعة الاسلامية فى كتاب مرشد الحيران « فى المواد من ٦٥٥ الى ٦٧٦ وفى مجلة الاحكام العدلية « فى المادة ٥٣١ » .. اما القانون المدنى فقد نص على هذه الاحكام فى المادة ٥٩٢ حيث نصت على انه :

« ١ - اذا اوجد المستاجر فى العين المؤجرة بناء او غراسا او غير ذلك من التحسينات مما يزيد فى قيمة العقار ، التزم المؤجر ان يرد للمستاجر عند انقضاء الايجار ما انفقه فى هذه التحسينات او ما زاد فى قيمة العقار ، ما لم يكن هناك اتفاق يقضى بغير ذلك

٢ - فاذا كانت تلك التحسينات قد استحدثت دون علم المؤجر او رغم معارضته ، كان له ايضا ان يطلب من المستاجر ازالتها ، وله ان يطلب فوق ذلك تعويضا عن الضرر الذى يصيب العقار من هذه الازالة اذا كان للتعويض مقتض .

٣ - فاذا اختار المؤجر ان يحتفظ بهذه التحسينات فى مقابل رد احدى القيمتين المتقدم ذكرهما ، جاز للمحكمة ان تنظره الى اجل للوفاء »

اما عن هلاك الزرع فى العين المؤجرة فاحكامه مبنية فى المواد ٦٧٥ وما بعدها من كتاب مرشد الحيران وهى تقرر فى الشريعة الاسلامية المبدا المعروف بمبدا « الايجار المرهق » وقد اقتبس القانون المدنى هذه الاحكام فنص فى المادة ٦١٦ منه على انه :

« ١ - اذا بذر المستاجر الارض ثم هلك الزرع كله قبل حصاده بسبب قوة قاهرة ، جاز للمستاجر ان يطلب اسقاط الاجرة

٢ - اما اذا لم يهلك الا بعض الزرع ولكن ترتب على الهلاك نقص كبير فى ريع الارض ، كان للمستاجر ان يطلب انقاص الاجرة

٣ - وليس للمستاجر ان يطلب اسقاط الاجرة او انقاصها اذا كان قد عوض عما اصابه من ضرر بما عاد عليه من ارباح فى مدة الاجارة كلها او بما حصل عليه من طريق التامين او من اى طريق آخر

اما عن فسخ الايجار بالعذر فقد وردت احكامه فى المادة ٦٧٧ من كتاب مرشد الحيران والمادة ٤٤٣ من مجلة الاحكام العدلية واقتبس منها القانون المدنى فنص فى المادة ٦٠٨ منه على انه :

« اذا كان الايجار معين المدة جاز لكل من المتعاقدين ان يطلب انهاء العقد قبل انقضاء مدته اذا جدت ظروف خطيرة غير متوقعة من شانها ان تجعل تنفيذ الايجار من مبدأ الامر او فى اثناء سريانه مرهقا ، على ان يراعى من يطلب انهاء العقد مواعيد التنبيه بالاخلاء المبينة بالمادة ٥٦٣ ، وعلى ان يعوض الطرف الاخر تعويضا عادلا .

٢ - فاذا كان المؤجر هو الذى يطلب انهاء العقد ، فلا يجبر المستاجر على رد العين المؤجرة حتى يستوفى التعويض او يحصل على تامين كاف »

هذا ومن قبيل فسخ الايجار بالعذر مانصت عليه المادة ٦٠٩ من القانون المدنى على انه :

« يجوز للموظف او المستخدم اذا اقتضى عمله ان يغير محل اقامته ان يطلب انهاء ايجار مسكنه اذا كان هذا الايجار معين المدة ، على ان يراعى المواعيد المبينة فى المادة ٥٦٣ ويقع باطلا كل اتفاق على غير ذلك »

هذا وهناك بعض مواد القانون المدنى الخاصة بالايجار عامة - وان كانت ماخوذة من نصوص بعض التقنينات الاجنبية - الا انها تتفق مع احكام الشريعة الاسلامية ولم يكن لها نظير فى القانون المدنى القديم .. وهذه الاحكام هى الخاصة « بضمان العيب » .. والمواد المنوه عنها هى المواد من ٥٧٦ الى ٥٧٨ فقد نصت المادة ٥٧٦ على ان :

« ١ - يضمن المؤجر للمستاجر جميع مايوجد فى العين المؤجرة من عيوب تحول دون الانتفاع بها ، او تنقص من هذا الانتفاع انقاصا كبيرا ، ولكنه لايضمن العيوب التى جرى العرف بالتسامح فيها ، وهو مسئول عن خلو العين من صفات تعهد صراحة بتوافرها او عن خلوها من صفات يقتضيها الانتفاع بها كل هذا مالم يقض الاتفاق بغيره .

٢ - ومع ذلك لايضمن المؤجر العيب اذا كان المستاجر قد اخطر به او كان يعلم به وقت التعاقد »

اما المادة ٥٧٧ فتنص على انه :

« ١ - اذا وجد بالعين المؤجرة عيب يتحقق معه الضمان جاز للمستاجر تبعا للظروف ان يطلب فسخ العقد او انقاص الاجرة ، وله كذلك ان يطلب اصلاح العيب او ان يقوم هو باصلاحه على نفقة المؤجر اذا كان هذا الاصلاح لايبهظ المؤجر .

٢ - فاذا لحق المستاجر ضرر من العيب التزم المؤجر بتعويضه مالم يثبت انه كان يجهل وجود العيب»

اما المادة ٥٧٨ فقد نصت على انه :

« يقع باطلا كل اتفاق يتضمن الاعفاء او الحد من التعرض او العيب اذا كان المؤجر قد اخفى عن غش سبب هذا الضمان .

واحكام هذه المواد تتفق مع احكام المادتين ٦٤٦ ، ٦٤٧ من مرشد الحيران والمواد من ٥١٣ الى ٥١٨ من مجلة الاحكام العدلية .

سياستنا الخارجية

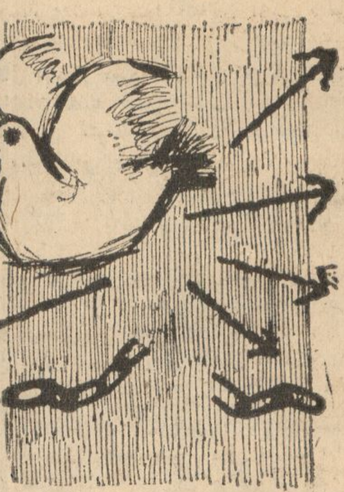

"وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم"

الأستاذ توفيق على وهبة

تقوم السياسة الخارجية للجمهوريه العربيه على سس ثلاثة :

١ ـ الحرب ضد الاستعمار

٢ ـ العمل من اجل السلام

٣ ـ التعاون الدولى من اجل الرخاء

ولقد كانت هذه السياسة وليدة التطور الحتمى الذى مرت به الجمهورية العربية المتحدة ، فمن الفتح العثمانى الذى حكم الدول العربية باسم الدين الى الغزو الفرنسى الذى جاء ليقيم امبراطورية شرقية ، الى الاحتلال الانجليزى الذى زعم انه يحافظ على عرش الخديو .. فى كل هذه المراحل جاهد شعبنا العربى ضد كل انواع الاحتلال ..

فقاوم الحكم العثمانى .

وقاوم الغزو الفرنسى .

وقاوم الاحتلال الانجليزى ..

قدم الشهداء .. وقدم التضحيات ، حتى هزم الاحتلال العثمانى المقنع باسم الدين ورد الغزو الفرنسى من حيث جاء ، وكان من نتائج كفاح هذا الشعب ان تولى محمد على حكم مصر . ثم تنكر بعد ذلك للذين اتوا به وولوه امرهم .

وجاء ابناء واحفاد محمد على من بعده .. وعلى ايديهم وبمعاونتهم دخل الاحتلال الانجليزى ارض مصر عام ١٨٨٢ .. وقاوم الشعب الاحتلال ، ولكنه لم يستطع تحقيق النصر لخيانة اسرة ، محمد على الحاكمة وتعاونها مع الاستعمار .. وظل الشعب العربى فى مصر يكافح ويناضل ضد الاحتلال حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وكان اول اهدافها هو « القضاء على الاستعمار واعوانه من الخونة المصريين » . وتحت ضغط الارادة الشعبية الحرة المتمثلة فى الثورة اضطر الانجليز الى توقيع اتفاقية الجلاء فى اكتوبر سنة ١٩٥٤ ، وتم جلاؤهم نهائيا فى ١٨ يونيو عام ١٩٥٦ . ولكن الاستعمار الذى رحل عن ارضنا عز عليه ان يهزم بيد ابناء مصر بعد ان دام فى ارضهم .. يستغلهم .. ويأكل خيراتهم ما يربو على ٧٥ عاما فعاد لغزونا مرة اخرى فى اكتوبر من نفس العام ، ولكن يقظة هذا الشعب وقيادته الحكيمة القوية استطاعت ان ترد الغزو على اعقابه ، وان تهزم دولتين من الدول الكبرى ومعهما ذنبهما اسرائيل.. ان مصر التى تحررت ، والتى كافحت من اجل الحرية لا يمكن لها ان تسلم فى استقلالها الذى حصلت عليه .

لقد حاربت الجمهورية العربية المتحدة الاستعمار سواء أكان سافرا او مقنعا .. حاربت قواته العسكرية ، وحاربت معاقله وقواعده ، فوقفت ضد حلف بغداد حتى سقط حلف بغداد .. وقاومت مشروع ايزنهاور حتى طوى النسيان ايزنهاور ومشروعه كليهما ؟ وتقاوم التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا وتقاوم الاستيطان ، فان المستوطنين المستعمرين يستغلون خيرات الارض ويحرمون اهلها .. بل وصلت المهانة الى حد ان طرد المستوطنون اليهود اهل فلسطين وشردوهم فى الفيافى والصحراء ، بينما ينعمون هم بالخير كل الخير فى ارض العرب .. ولكن يومهم قريب.

وحاربت الجمهورية العربية المتحدة الاستعمار الاقتصادى والسيطرة الاجنبية على الاقتصاد الوطنى ، فاممت شركة قناة السويس التى كانت تعتبر معقلا للاستعمار فى الشرق واممت البنوك وبيوت المال، ومصرت

الشركات الاجنبية جميعها بعد العدوان الثلاثى واصبح الاقتصاد الوطنى عربى مائة فى المائة ، وذهب الاستعمار الى غير رجعة .

هذا هو الصراع المصرى ضد الاستعمار ، ولذلك فالجمهورية العربية المتحدة تاخذ على عاتقها محاربة الاستعمار فى كل مكان ، فى كل صوره واشكاله .. وتمد يدها الى الدول المستضعفة ، والدول الصغيرة التى جثم الاستعمار على صدرها لكى تنهض وتنال استقلالها .

ان شعبنا الذى ابتلى بالاستعمار .. والذى كتب عليه ان يخوض حربا مريرة ضد الغزو الاجنبى فى عام ١٩٥٦ يرى انه لابد ان يسود السلام العالم ، ولابد ان ترفرف اغصان الزيتون الخضراء فى كل مكان .. فنادت الجمهورية العربية المتحدة بالسلام فى الامم المتحدة وفى مؤتمر باندونج وبريونى وفى كل المؤتمرات التى حضرتها وايمانا من الجمهورية العربية المتحدة بان سياسة المعسكرات والاحلاف تؤدى حتما الى الحرب ، فقد نددت بتلك السياسة ، وحاربت بكل قوة سياسة الاحلاف العسكرية ونادت بالحياد الايجابى وعدم الانحياز ، وهى بذلك لا تقيم معسكرا ثالثا ، وانما تدعو الى القضاء على سياسة المعسكرات .. ان السلام هو امل الشعوب ، وامل العالم ، ولذلك نادت بلادنا بتحريم التجارب الذرية ، وقامت بدور فعال فى مؤتمرات نزع السلاح .

ان العمل الانسانى ، وخاصة فى الدول الآخذة فى النمو فى حاجة الى جو سلمى هادئ لكى يؤتى الثمرات المرجوة منه ، فاذا نادت جمهوريتنا بالسلام فانما تنادى بامل يراود البشر اجمعين .. وتنادى بامل تتطلع اليه الملايين ..

اما التعاون الدولى من اجل الرخاء المشترك لشعوب العالم فهو امتداد طبيعى للحرب ضد الاستعمار .. ضد الاستغلال ، وهو استطراد منطقى للعمل من اجل السلام لتوفير جو امثل للتطوير .. ان التعاون الدولى من اجل الرخاء يصل بالسياسة الخارجية للجمهورية العربية المتحدة الى الهدف النهائى الذى تسعى اليه سياستها الخارجية انعكاسا لنضالها الوطنى . ان شعبنا يمد يده لجميع الشعوب والامم العاملة من اجل السلام العالمى والرخاء الانسانى « الميثاق »

لقد انهك الاستعمار القوة الاقتصادية للبلاد المستعمرة حيث كان يتخذها كحقل للمواد الخام دون نظر الى احوالها واحتياجاتها مما ادى الى ضعف هذه الدول اقتصاديا فبعد ان حصلت على استقلالها واجهتها مشكلات اقتصادية لا حصر لها اهمها نقص الغذاء وقلة الموارد .. ولذلك ترى الجمهورية العربية المتحدة ضرورة تعاون الدول الكبيرة والغنية مع الدول الصغيرة والآخذة فى النمو ، وتمد لها يد المساعدة حتى تستطيع ان تسير فى طريق التقدم والرخاء ، خاصة وان معظم الدول الغنية - ان لم تقل كلها - مدينة لهذه الدول الصغيرة التى نهبتها فيما مضى ابان استعمارها لها .

يجب على الدول الكبرى الحد من الحصار الذى تقيمه والتكتلات التى تتجمع فيها والشروط القاسية المهينة التى تشترطها حين تتقدم بالمعونة او المساعدة للدول النامية .

ان التعاون الدولى من اجل الرخاء يجب ان يقوم فى جو من المساواة وحسن التآخى .. فالشروط التى تفرضها الدول الغنية تمتهن كرامة الانسان وتضعفه وتضعه مرة اخرى تحت السيطرة وفى اغلال القيود التى مابرح ان تخلص منها بالاستقلال .. اننا نرفض كل قيد او شرط للمساعدات والمعونات والقروض الدولية التى تحد من كرامة وحرية الآخرين .

وفى مجال التعاون الدولى من اجل الرخاء يجب على الدول التى وصلت الى درجة كبرى فى المجالات العلمية الا تحتكر هذا العلم ، بل تفتح المجال امام الدول الاخرى للاستفادة مما توصلت اليه فقد تستطيع بتلك المساعدة ان تصل الى ما يفيد الانسانية جمعاء .. على ان هذا التعاون لا يمكن ان يقوم الا فى جو بعيد عن الحروب او التهديد بها .. بل لابد ان يقوم التعاون فى جو من السلام لكى يحقق اهدافه .

ان امل البشرية ان يتحقق السلام على الارض ولكى يتحقق هذا السلام لابد وان ينتهى الاستعمار ، ولابد ان تتحقق للدول الصغيرة والنامية سبل الرخاء والتقدم الاقتصادى ولن يتحقق هذا الرخاء والتقدم الا بالتعاون بين الدول كبيرها وصغيرها .

ولكى تحقق الجمهورية العربية المتحدة سياستها الخارجية على الاسس السابق ذكرها فقد حددت لنفسها اطارا تعيش فيه وبوجه سياستها تلك فيقول الميثاق فى ختام الباب العاشر :

« اذا كان شعبنا يؤمن بوحدة عربية فهو يؤمن بجامعة افريقية ويؤمن بتضامن آسيوى افريقى ، ويؤمن بتجمع من اجل السلام يقيم جهود الذين ترتبط مصالحهم به ، ويؤمن برباط روحى وثيق يشده الى العالم الاسلامى ، ويؤمن بانتمائه الى الامم المتحدة وولائه لميثاقها الذى استخلصته الامم والشعوب من محنة حربين عالميتين تخللتهما فترة من الهدنة المسلحة .

والايمان بهذا كله لا يتعارض مع بعضه ولا يتصادم وانما هى حلقات سلسلة واحدة .. ان شعبنا شعب عربى ومصيره يرتبط بوحدة الامة العربية .

ان شعبنا يعيش على الباب الشمالى الشرقى لافريقية المناضلة وهو لا يستطيع ان يعيش فى عزلة عن تطورها السياسى والاجتماعى والاقتصادى .

ان شعبنا ينتمى الى القارتين اللتين تدور فيهما الآن اعظم معارك التحرير الوطنى وهو ابرز سياسة فى القرن العشرين .

ان شعبنا يعتمد فى السلام كمبدا ويعتقد فيه كضرورة حيوية ومن ثم لا يتوانى عن العمل من اجله مع جميع الذين يشاركونه نفس الاعتقاد .

ان شعبنا يعتقد فى رسالة الاديان وهو يعيش فى المنطقة التى هبطت عليها رسالات السماء .

ان شعبنا يعيش ويناضل من اجل المبادئ الانسانية السامية التى كتبتها الشعوب بدمائها فى ميثاق الامم المتحدة .

ان فقرات كثيرة فى هذا الميثاق كتبت بدماء شعبنا ودماء غيره من الشعوب .

هذا هو الاطار الذى رسمه الميثاق لتعيش فيه الجمهورية العربية المتحدة وليوجه سياستها الخارجية ، وتلك هى الدوائر الستة التى حددها الميثاق لتسير عليها الجمهورية العربية المتحدة لتنفيذ تلك السياسة .

من الأدب الصوفي في القرن السابع

موضوع هذا البحث كما يعطيه عنوانه هو ذلك التراث الأدبى الذى خلفه لنا رجال التصوف الاسلامى ممن كانوا يعيشون فى مصر فى القرن السابع الهجـرى وهو بطبيعة الحال صنفان :

الاول منظوم : ويتمثل فى تلك القصائد وهاتيك الاشعار التى عبر بها قائلوها عن أحوالهم ومواجيدهم وعما كان يعرو قلوبهم فى حبهم ربهم من لوعة الشـوق ووجـد الهيام ، كما شرحوا فيهـــا كذلك اتجاهاتهم الروحية ومعارفهم الربانية ومذاهبهم العقيدية ونظرتهم الى الانسان والكون والحياة .

والثانى منثور : ويتمثـــل فى تلك الحـــكم والمواعظ والارشادات التى ضـمنها شيوخ المائة السابعة الهجرية مناهجهم السلوكية وتعاليمهم العملية ويتمثل هذا الضرب من التعبير الصوفى « وأعنى به الـكلام المنثور » يتمثل أيضا فى تلك المجموعة الضافية التى صح لدينا نسـبتها الى صوفية القرن السابع الهجرى من الادعية والافكار وما اصطلحوا على تسميته بالاحزاب والاوراد مما يعـد ـ بحق ـ بعض جوانب التطبيق العملى لتلك المنـاهج وهاتيك التعاليم .. ولما كان فهـم هـــذه الاقوال وتلك الأشعار ـ على وجه سليم ـ يتوقف الى حد كبير على تفهم حياة أصحابها وتبين آثهم ونزعاتهم لذلك فان المنهج العلمى السليم ومنطق البحث القديم يقتضينا أن نقسم موضوع هذا المقال الى شطرين رئيسيين :

الأول . فى تفهم الاتجاهات والنزعات الصوفية من ناحية وفى التعرف على حياة عدد من شيوخ ذلك العصر وتتبع سير طائفة من أعلامه من ناحية أخرى .

أما الثانى : فهو منوط بذلك النتاج الصوفى شـعرا كان أم نثرا وذلك من حيث تحقيقه وجمعه والتثبت من صحة نسبته الى قائليه ثم عرضه وتصـــنيفه وشرحه وتحليله ووصفه وتقييمه مع الانتفاع فى ذلك كله بقوانين علم النفس العملى المبنى على الملاحظة والتجربة وبخاصة ذلك الفرع الذى يعرف لدينا باسم علم النفس الأدبى كى يتسنى لنا حسن استبطان النصوص ونستطيع بالتالى سبرغور النفوس ولا عجب فان النصوص الصـــوفية ليست من ظهور المعنى ووضوح المضمون بحيث تدرك بسهولة ويسر وتفهم فى غير ما جهد فكرى أو تدبر عقلي على الأقل فوق المستوى العادى .

ولقد هممت أن التـزم فى هذا المقـال مقتضيات ذلك المنهج وأترسم تعاليمه فى دقة لولا ضيق المجال ، لذلك فقد رأيت أن اقتصر هنا على تناول بعض فنون الشعر الصوفى المصرى فى القرن السابع الهجرى فاقول . كان الناس وما زالوا حتى الآن يعتقـــدون ان الصوفية لم ينشئوا القريض فى غير معانى الغزل والحب الالهى وهو اعتقاد مخالف لواقع الحال بالنسبة لما نظمه المتصوفون على مختلف العصور من قصائد وأشعار ولقد تتبعت فى دقة وعمق أشعار المتصوفين وما انتهى الينا من قصائدهم أو خلفوه من قريض فوجدت ان الشعر الصوفى ينقسم من الوجهة العامة « وبخاصة فى القرن السابع الهجرى » الى قسمين رئيسيين :

أسمى الأول شعر زهاد الفقهاء أو الصوفية العمليين وأطلق على الثانى اسم شعر الصوفية النظريين ، وذلك تبعا لانقسام رجال الدين عامة والصـوفية بوجه خاص الى طائفتين :

أسمى الاولى بزهاد الفقهاء أو الصـــوفية العمليين وأطلق على الثانية أسم القوم أو الصوفية النظـــريين على ما سوف نفصله فى مقال آخر ان شاء الله . وكـل قسم من ذينك القسمين يتشعب بدوره ويتفرع الى فنون وتيارات واتجاهات متعددة وسأقصر حديثى فى هذا المقال على فن من فنون الصوفية النظريين وهو ما قيـــل فى التعبير عن الحقيقة المحمدية وذكر تنقلها من نبى الى نبى حتى ظهرت فى صورة محمد النبى العربى وهو فن لم يكن له قبل القرن السابع الهجرى وجود ، كما انثالم نظفر رغم طول البحث وكثرة التنقيب بقصيدة أو مقطوعة وردت فى هذا المعنى على لسان شاعر مشرقى أو مغربى ممن كانوا يعيشون فى القرن السابع الهجرى ، وأما الذين نظموا بعض قصائدهم فى هـــذا الفن من غير المصريين

المصرى الهجرى

الدكتور صافى على صافى حسين

فانهم لم ينشئوا قصائدهم تلك الا بعد أن جاءوا أرض مصر واستقروا بها مدة جعلتهم يتأثرون بشعراء هذا الفن من صوفية المصريين وبالتالى ينظمون فيه على غرارهم عددا من قصائدهم .

واليك مما جاء فىهذا الفن على ألسنة شعراء المصريين ومن حذا حذوهم ممن تفاعل معهم فى فنهم ذاك - هذه المقتطفات وهى من شعر البدوى والدسوقى وضياء الدين الغرناطى السكندرى وذلك على سبيل المثال .

قال احمد بن على الشهير بالسيد البدوى المتوفى سنة خمسوسبعين وستمائة فى قصيدته التى مطلعها - دعنى لقد ملك الغرام أعنتى :

سكروابها فتهتكوا وتصنعوا
وأنا طويت الحب تحت طويتى
فقرات من توراة موسى تسعة
تليت على موسى لها لم يثبت
وقرأت من انجيل عيسى عشرة
تليت على عيسى فزادت رفعتى
وقرأت من نهج الغرام مسائلا
وأتيت فيها من شواهد فطنتى
وقرأته وفهمته وشرحته
وجعلت فيه من شواهد حكمتى
وبدايتى فى ذلك كتمان الهوى
من بعد ما أفنى الغرام بقيتى
أنا بلبل الافراح صاحب أنسها
كم بلبلت فى حانها من فتية
أنا صاحب الناموس سلطان الهوى
أنا فارس الانجاد حامى مكة
أنا أحمد البدوى غوث لاخفا
أناكل شبان البلاد رعيتى

وقال ابراهيم الدسوقى المتوفى سنة ست وسبعين وستمائة هجرية فى تائيته :

نعم نشأتى فى الحب من قبل آدم
وسرى فى الاكوان من قبل نشأتى
أناكنت فى العلياء مع نور أحمد
على الدرة البيضاء فى خلوتى
أنا كنت فى رؤيا الذبيح فداءه
بلطف عنايات ويمن حقيقتى
أنا كنت مع ادريس لما أتى العلا
وأسكن فى الفردوس أنعم بقعة
أنا كنت مع نوح بما شهد الورى
بحار أو طوفانا على كف قدرتى
أنا القطب شيخ الوقت فى كل حالة
أنا العبد ابراهيم شيخ الطريقة

وقال ضياء الدين على بن محمد الغرناطى الشاعر الصوفى المتوفى سنة ٦٨٦هـ فى قصيدته التى مطلعها « هى المنازل فانزل يمنة العلم .. »

سما عن الوجد لما لاح موجده
فاللذات منيته والاين فى عدم
وناح من أجلها نوح ودارسها
ادريس قبل فادنته من النعم
ونال منها خليل الله مرتبة
نجته من لفحات النار حين رمى
اذ قال جبريل فى أفق الهواء له
هل حاجة لك والنيران فى ضرم
فقال فى وقته أما اليك فلا
فقال سل فقال حسبى علمه فلم
فسلمت عند ذلك ذاك النار وانقلبت
بردا له وسلاما دون ما ألم
ولاح نور التجلى نورها فكسى
موسى به خلع التخصيص بالكلم
وهام من شربها عيسى المسيح فلم
يحفل باهل ولا مال ولا نعم
وأحمد المصطفى المختار سيدنا
قد فاز منها باوفى الحظ والقسم
وليلة القرب روح القدس قال له
سر يا محمد لا تعزل ولا تلم

هذا مقامي فاني عنك منفصل
ولست منفصلا عن باريء النسم

فمن هذه الأمثلة التي سقناها نستطيع القول بأن شعر الحقيقة المحمدية على ضربين أو قل هو ذو اتجاهين وذلك منحيث المعنى أو المضمون .

الأول يقوم على نظرية ذات شقين اثنين ، احدهما - كون الحقيقة المحمدية أزلية أبدية ، والثاني - كون تلك الحقيقة تنتقل الى ظهورها الى حيز الوجود الحسى من نبى الى نبى وأنها ظلت وسوف تظل بعد وفاة محمد العربى تنتقل من قطب الى قطب حتى تقوم القيامة .

وهذا الاتجاه واضح جلي فى تائية البدوى وذلك فى الأبيات الواقعة بين قوله :

فقرات من توراة موسى سبعة
تليت على موسى لهـا لم يثبت

وقوله :

أنا احمد البدوى غوث لاخفا
أنا كل شبان البلاد رعيتى .

وفى تائية ابراهيم الدسوقى وذلك فى الأبيات الواقعة بين قوله :

نعم نشاتى فى الحب من قبل ادم
وسرى فى الاكوان من قبل نشاتى

وقوله :

أنا القطب شيخ الوقت فى كل حاله
أنا العبد ابراهيم شيخ الطريقة

أما الاتجاه الثانى : فهو يقوم كذلك على نظرية ذات شقين ، احدهما كون الحقيقة المحمدية لم تظهر قبل محمد - صلى الله عليه وسلم - على صورة متكاملة فى شخص أحد من النبيين ، وانما كانت تظهر فى كل واحد على شكل جزئى او صورةمصغرة ، وبعبارة اخرىاقول - كان كل نبى ياخذ منها بقدر .. اما محمد العربى - صلى الله عليه وسلم - فانه قد ظهرت فيه تلك الحقيقة على اكمل معنى وأتم صورة وهذا المعنى واضح جلي فى قول الفرناطى :

وأحمد المصطفى المختار سيدنا
قد فاز منها بأوفى الحظ والقسم

وأما الشق الثانى - فهو ان الحقيقة المحمدية أزلية أبدية من حيث الذات أو الوجود الروحى . اما تشخصها الخارجيفهو حادث فان . كما انه لن يكون له أبدا وجود فى هذا العالم الحسى بعد النبى محمد عليه السلام وذلك اخذا من قوله :

فغاب عن رؤية الاكوان واتصلت
اوصافه بصفات الواله الفهم
فذاك الذى سرحت فى العلو همته
فبات فى نظر الاغيار فى حرم
سما عن الوجد لما لاح موجده
فالذات مثبتة والاين فى عدم

ومعنى هذا ان ضياء الدين الفرناطى لا يوافق ابراهيم الدسوقى والسيد احمد البدوى على ربط القطبانية بالنبوة وبالتالى فهو لا يوافقهما كذلك فيما جريا عليه فى تعاليمهما الصوفية من جعل القطبانية وقفا على سلالة على بن ابى طالب كرم الله وجهه مثلها فى ذلك مثل الامامة عند الشيعة الاسماعيلية ، ولعل السر فى ذلك راجع الى ان ضياء الدين الفرناطى لم يكن قبل التصوف على مذهب التشيع ، فانه حين قال الشعر فى الحقيقة المحمدية لم يكن قد قاله عن تأثر بمذهب الشيعة الامامية الاسماعيلية وانما قال ما قال عن تأثر فنى بهذا المذهب

الشعرى الذى استحدثه فى الشعر العربى المصرى ابان القرن السابع الهجرى احمد البدوى وقفى فيه على آثره ابراهيم الدسوقى .

أقول الذى استحدثه احمد البدوى دون غيره من شيوخ التصوف لانى نظرت فى شعر جميع أهل التصوف فى هذا العصر فلم أجد أحدا قال فى هذا المعنى شيئا من الشعر سوى احمد البدوى وابراهيم الدسوقى ثم ضياء الدين الفرناطى -هذا من جهة ومن جهة أخرى فان احمد البدوى ولد باتفاق المؤرخين سنة ست وتسعين وخمسمائة ، وانه ارتحل الى مصر عن طريق مكة سنة اربع وثلاثين وستمائة ، وان وصوله طندنا كانسنة سبع او ثمان وثلاثين ، فى حين ان ابراهيم الدسوقى ولد سنة ثلاث وثلاثين وستمائة اى قبل ارتحال البدوى الى مصر بعام واحد فقط .

كما أن البدوى مات قبله بعام واحد اذ اجمعت الروايات على أن البدوى مات سنة خمس وسبعين وستمائة وان الدسوقى مات سنةست وسبعين أى بعد البدوى بعام كما سبق أن ذكرت

فلهذا وذاك نقول - عن يقين - ان أستاذ هذا الفن الشعرى وزعيمه السيد احمد البدوى . هذا من حيث ما يتعلق بتشعب هذا الفن الشعرى وتعدد اتجاهاته أو اختلافها من جهة المعنى أو المضمون ، وأما من حيث لغة الشعر ونسق القصيدة أو الصورة الفنية الخارجية بوجه عام ، فاقول ان شعر الحقيقة المحمدية ذو ثلاثة فنون

النمط الاول . هو ما انفرد به السيد البدوى . وهو يقوم على استخدام الالفاظ الدارجة أولا
ثانيا : عدم التزام قواعد الاعراب
ثالثا : التحرر من وحدة البحر مع التزام القافية
وذلك فى مثل تائيته التى مطلعها :

دعنى لقد ملك الغـرام أعنتى
لـكننى خضت البحار بهمتى

أما النمط الثانى فهو ما جرى عليه الدسوقى فى تائيته التى مطلعها

سقانى محبوبى بكاس المحبة
فتهت عن العشاق سكرا بخلوتى

وهو اسلوب جديد لم يحك فيه الدسوقى منهج شاعر سواه اذ هو يقوم :
أولا : على المزج بين اسلوب الفزل وطابع الخمريات مع التزاموحدة البحر والوزن والقافية
وثانيا . على الاحتراز الشديد من اللحن فى الاعراب مع اختيار اجزل الالفاظ وأفصح الكلمات .
ثم هو ثالثا وأخيرا يتسم بالعذوبة والرقة والسهولة والوضوح .

اما النمط الثالث من شعر الحقيقة المحمدية ، فهو ماجرى عليه ضياء الدين الفرناطى فى قصيدته التى مطلعها :

هى المنازل فانزل يمنة العلم
ودع سؤالك عن سلمى وذى سلم

فقد اصطنع الفرناطى فى قصيدته هذه منهجا جديدا لم أجده عند غيره من شيوخ التصوف ، وهو انه جمع بين طريقة أصحاب شعر زهاد الفقهاء وفى مديحهم الرسول الذى ضمنوه ذكر الاماكن المقدسة والحنين الى أرض نجد والحجاز وبين الطريقة التى اتبعها شعراء الحقيقة المحمدية فى تصوير مشاعرهم والتعبير عن آرائهم وما كانوا به يعتقدون مع استخدام كثير من عبارات علم الكلام .

• من تراثنا الإسلامي

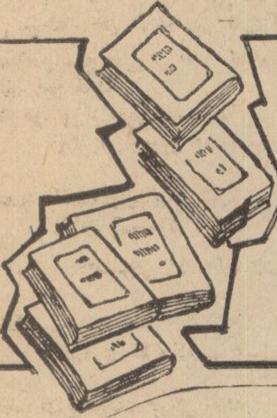

كتاب الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية

• للامام عبد الوهاب الشعراني

• موجز للأستاذ محمد بدر الدين سالم

هذا الكتاب كتبه الامام الشعرانى عام ٩٣١ هجرية أى منذ اربعمائة واربعة وخمسين عاما وقد قال فى مقدمته : انه ذات يوم بينما هو يسير بمدينة الفسطاط أخذته حالة بين النوم واليقظة وسمع هاتفا لايرى شخصه يقول على لسان الحق سبحانه وتعالى :

((عبدى ، لو أطلعتك على جميع الكائنات وعدد الرمال واسم كل ذرة منها والنباتات واسمائها واعمارها والحيوانات وأعمارها وأنسابها الى اصولها من الوحش والطيور والحشرات وسائر الدواب وكشفت لك عن ملكوت السماوات والأرض والجنة والنار وما فيهن ظاهرا وباطنا، وانزلت المطر واحييت الميت على يدك وأجريت على يدك جميع ما اكرمت به عبادى المؤمنين ، لست من عبوديتى فى شىء))

وقد حفزه ما سمعه من الهاتف على أن يكتب رسالة فى آداب العبودية ، فلما اتم ما كتب سمع هاتفا يقول له ان يسمى ما كتبه ((رسالة الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية)) وكذلك سماها •

وقد رتب الرسالة الى ابواب ثلاثة وخاتمة

الباب الأول - فى بيان آداب العبودية على الاطلاق

الباب الثانى - فى طلب العلم النافع •

الباب الثالث - فى آداب الفقراء والمشايخ من السلف الصالحين •

الخاتمة - فى بيان ما خرج عن مقامات السالكين الساقطة بالعبودية

الباب الأول - فى بيان آداب العبودية

١ - أول آداب العبودية امتثال الأمر واجتناب النهى اجلالا لله •

فالعبد وظيفته امتثال الأمر واجتناب النهى اجلالا لله تعالى ، لاطمعا فى شىء ولا خوفا من شىء هذا هو الأدب اللائق ، والعبد

انما يخدم سيده امتثالا لأمره ، وهو سبحانه يعطيه ما وعده ، لأنه لا يخلف الميعاد

والعبد ينبغى له أن يثق بضمان الله تعالى ولايكون عنده اتهام لله تعالى فى شىء لأنه عبده والعبد ليس له عنده شىء يطلبه منه ويتهمه فيه ، فمتى لم يكن له وثوق بضمان الله ووعده ، فهو ناقص الايمان ، وعلامة الوثوق ان يتساوى عنده الغائب والحاضر بلا فرق ، فاحذر ان يكون فى باطنك اتهام لأنه عند الله كالتصريح باللسان ، وأنت لو قلت صريحا انك لاتثق ولا تصدق بما وعد الله تعالى لم تكن مسلما ، لأن الاسلام هو التصديق لله فى جميع ما اخبر به .

والعبد لايجوز له أن يقف مع شىء من المواهب التى منحها له سيده وينسى حقوقه عليه من وجوب التوجه اليه دائما ، لأن جميع ما يطلبه العبد فى الدنيا والآخرة لا يبرز الامن خزائن سيده (**وان من شىء الاعندنا خزائنه**) ومن علم هذافانه لايلتفت الى سوى الله .

٢ ـ الرضا عن الله تعالى فى كل حالة :

ومن شأن العبد الرضا عن الله تعالى فى كل حالة ، فلا يكون عنده سخط لشىء مما يجريه الله عليه ، ولا ازدراء لما اعطاه ، فان الحق سبحانه وتعالى أعلم بمصالح عبده منه ، فلا يفعل به الا خيرا (**وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم**)

فالحكمة الالهية كاملة ، لاتقتضى ان يعطى العبد غير ما اعطى ، ولو اعطى غير ذلك لفسد حاله ، كما ورد فى الحديث القدسى « **ان من عبادى من لايصلح له الا الفقر ولو اغنيته لفسد حاله ، وان من عبادى من لايصلح له الا الغنى ، ولو أفقرته لفسد حاله** »

٣ ـ ان لايشهد لنفسه ملكية شىء .

فالكامل من العباد من يشهد الملك لله رب العالمين مع شهود نسبة الملك للعبد ، لايحجبه هذا عن هذا ، لانه يشهد أن ملك العبد بتمليك الله تعالى له ، فضلا منه ونعمة ، فليس هو بملك حقيقى ، لأن ذلك انما يكون للموجد ، فلم يخرج عن ملك الله تعالى بنسبته الى عبده .

قال الشاذلى رضى الله عنه :

أحذر من دعوى الملك لشىء من باطنك وظاهرك ، لأن كل عبد ادعى ملكا حقيقة فليس بمؤمن ، لأن الله تعالى قال : « **ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم** » ، فالمؤمن من باع نفسه لله تعالى ، بمعنى أنه لم يبق عنده منازعة لله فيما هو له تعالى .

٤ ـ أن يرى جميع ما يقوم به من الطاعات كله نقص

ومن شأن العبد ان يرى جميع ما يأتى به على سبيل العبودية والذل والخضوع من الطاعات كله نقص ، وذلك بالنظر لجلال الله تعالى ، قال الله تعالى « **وما قدروا الله حق قدره** » ، **ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « سبحانك لانحصى ثناء عليك ، انت كما اثنيت على نفسك .**

٥ ـ أن يأخذ بالأحوط لدينه

ذلك بأن يتجنب المكروهات تجنبه للحرام ، ويقوم بالسنن كأنها واجبة ، فيجب لمن يسلك طريق العارفين أن يتوب من ترك السنة كما يتوب من ترك الواجب ، يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ان الله فرض فرائض وفرضت فرائض (الحديث) وقوله سبحانه وتعالى فى حقه « **وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى** » وهذا هو اللائق بالأدب مع الله تعالى ورسوله

وكما يكون أمر الحق عندك ، كذلك تكون عنده ، روى الحاكم مرفوعا « **من كان لايعلم منزلته عند الله ، فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله ينزل العبد منه حيث انزله من نفسه** »

الباب الثانى ـ فى طلب العلم النافع
من شأن طالب العلم

اولا ـ ان ينظف باطنه من الخصال المهلكة كالكبر والحرص ودعوى العلم ومحبة الدنيا

ثانيا ـ ان يقرن العلم بالعمل ، واعلم ان أحسن الناس من كان محترفا بما يعود عليه ثمرته فى دنياه بعد أن يعلم ما يجب عليه تعلمه

واحذر أن تكونَ ممنْ يكثر من جمـــع العلم بغير عمل ، فقد قال صلى الله عليـــه وسلم « **من ازداد علما ولم يزدد هدى ، لـم يزدد من الله الا بعدا** »

فاذا علمت ذلك وقلة جدوى علمك بلا عمل ولا يتيسر لك عمل لعدم تنظيف باطنـــك ، فاجتمع بمن يدلك على طريق الصواب ، قال تعالى « **وأتوا البيوب من أبوابها** »

ثالثا ـ نشر العلم لوجه الله ، فمن شـأن طالب العلم ان لاينشر علمه ليصدقه الناس ، وانما ينشره ليصدقه الله ، وكفى بالله صادقا ومصدقا ، وكفى بالله عالما ومعلما

رابعا ـ أن لايجادل فى العلم الا بما هـو قطعى ، لأن شرط المجادل أن يكون على يقين مما يجادل به ، وفى المتقن من أمور الشريعـة الظاهرة كفاية لمن وفقه الله ولا يحتـــاج الى مجادلة

خامسا ـ ان يعمل بما علم • ومن شـــان طالب العلم أن لايقتصر على التعلم دائما ،بل يكون له عمل غير العلم ، من قيام الليـــل والصدقات ويترك الأذى •

واعلم أن من المكر بالعبد أن يرزقَ العلم الذى يطلبه العمل ، ويحرم العمل به ، أو يرزق العمل ويحرم الاخلاص •

قال الامام الشافعى رضى الله عنـــــه ، «**ينبغى للعالم أن يكون له خبية من عمل فيما بينه وبين الله غير العلم ، فان العلم غالبـه ظاهر للناس ، وكل ما ظهر للناس من علـم او عمل كان قليل الجدوى فى الآخـرة** » ولذلك فقد كان الامام الشافعى رضى الله عنه يقسم الليل أثلاثا ، فجعل منه ثلثا للتهجد ،مع انه القائل بان الاشتعال بالعلم أفضل من صلاة النافلة

واعلم ان لكلّ وقت من ليل أو نهار اشتغال بأمر مناسب له ، فالأفضل فى الاسحـــار التهجد والاستغفار وفى يوم الجمعة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وتلاوة القرآن

وقد رؤى الامام ابو حنيفة رضى الله عنه بعد موته فقيل له ما فعل الله بك ؟ قال : هيهات ، ان للعلم شروطاوآفات قلّ من يتخلص منها ، قيل : فغفر لك بماذا ! قال : بتسبيحة كنت اقولها بالغداة والعشى •

سادسا ـ التأدب مع الله ـ ومن شأن طالب العلم أن يتأدب مع الله تعالى ولايتكلم الافيما يعلم

سابعا ـ ان لايكون عنده كبر ولا دعـوى بعلمه ، فمن شأنه أن لايكون عنده كبر ولا دعوى بعلمه ووسع اطلاعه ، وليعلم انه كلمـا ازداد علمه كثر حسابه فى الآخرة

قال شيخنا (الخواص رضى الله عنه) ان كل من كان علمه مستفادا من النقل فليس بعالم ، بل انه مصاحب صاحب علم • فكيف تتوهم انك من العلماء وفى درجتهم وانما انت تنقل قال فلان ، أفتى فلان •

وهذا علم لاينزل معك البرزخ منه شىء ، انما هو من أحكام الدنيا ، لأن الآخرة ليس فيها شىء من هذه الاحكام ـ وشرط العلم ان لايفارق صاحبه دنيا وعقبى ، وليس ذلك الا العلم بالله وصفاته واسمائه ، والأدب معه ومع مصنوعاته وانظر حالك عند النزع هل يصير عندك ميل الى سماع أبواب البيوع والدعاوى وغير ذلك

ثامنا ـ ان لايفكر بعقله عند تأويله للقرآن أو الحديث وانما بقلبه •

فمن شأن طالب العلم وأدبه مع الله تعالى أنه اذا قرأ قرآنا أو حديثا ولم يعطه الله فهم ما يقرأ حال قراءته ، أن يعرض عن ذلك الى غيره ، ويعلم أن قلبه يحتاج الى تنظيف ، فان القلب اذا كان خاليا عن الأدناس لايتوقف فى فهم شىء

وليعلم أن العقل والفكر لايمكن أن يدخل بهما الى الحضرة الالهية بميزانهما ليزن بهمـا على الله ، فان هو دخل بهما بردا وماعرفا ، وليعلم أن تلك الموازين انما ليزن بها لله لا على الله قال الامام الغزالى رضى الله عنه :

لما اردت علم النقل واسلك طريق القـوم خلوت بنفسى وتجردت عن نظرى وفكرى ومكثت اشتغل بالذكر اربعين يوما ،فقلت انى

حصل لى شيء مما حصل للقوم ، فنظرت فاذا فى قوة فقهية اكبر مما كنت عليه قبل ذلك ، فعدت مرة ثم مرة والحال الحال ، ولم أذق شيئا من أحوال القوم ، فعلمت حينئذ أن الكتابة على المحو ليست كالكتابة على الصفاء الأول والطهارة الأولى ، وان الرطب المعمول ليس كالجنى .

واعلم ان الله تعالى لو أراد للعبد العمل لفهمه العلم الذى توقف فى فهمه ، لان العلم بالشيء دائما متقدم على العمل به والا فكيف يعمل بما لم يعلم

وليس مراد الله منه الفهم والاحاطة بمعانى الكلام فقط ، انما المراد العمل وتنظيف محل نظره منه .

تاسعا — ان لا يكون مقلدا ولا متعصبا لرأى أحد ، بل متبعا الأدله والقواعد «القرآن والحديث »

ومن شأن طالب العلم ترك التعصب لامامه اذا علم ضعف دليله ، ومن كلام الامام الشافعى رضى الله عنه « اذا صح الحديث فهومذهبى» وفى موضع آخر « اذا رايتم كلامى مخالفا للسنة فاعملوا بها واضربوا بكلامى هذاالحائط وروى عن الامام ابى حنيفة رضى الله عنه انه قال لأصحابه « حرام عليكم ان تفتوا بكلامى ولم تعرفوا دليلى » لانه ليس كل ما يفهمه المقلد من كلام المجتهد يكون مرادا له قطعا ، ولهذا اختلفت الطرق فى فهم كلام المجتهدين وكل من ترك الدليل والقواعد أخطأ واعلم أن جميع مذاهب المجتهدين كلها عند اهل الحق مذهب واحد لايشهدون فيها تفرقة لاتساع نظرهم لانهم يشهدون العين التى استمد منها المجتهدون كلها واحدة فى شريعة واحدة

والشريعة الصحيحة هى السمحة وهى التى ليس فيها مشقة ولاضيق ولاحرج ، فالعلماء الراسخون فى العلم يشهدون جميع الأقوال المذكوراة فى المذاهب كأنها فى مذهب واحد محمولة عندهم على أحوال كأجوبته — صلى الله عليه وسلم — المختلفة والسؤال بعينه واحد واليه الاشارة « أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم »

عاشرا — ومن شأن طالب العلم أن لايحصل مراد غيره فى معنى واحد وانما الأدب أن يقول الذى فهمته منه كذا ولا يقطع لانه حصر للحق فى مذهب واحد فالفهم أن يفهم ما قصده المتكلم بذلك الكلام من قصد جميع الوجوه أو بعضها ، وان يفرق بين الفهم للكلام والفهم عن التكلم وليحذر من التكلم على حصر مراد كل قائل من الشارع صلى عليه وسلم والعلماء والأولياء ، فان التكلم على حصر مراد الغير فى معنى واحد غالبه خطأ قطعا

حادى عشر — ومن شأن طالب العلم ان لايعاهد الله تعالى حين يتعلم العلم على الجزم بالعمل به ، لأنه عاجز عن الوفاء بما التزم ، لأن الحق لاتقييد عليه فيما يقدره على عبده، وليس هو تعالى مع مراد عبده فى كل مايرد به فكيف يجرم أن يفعل شيئا ليس فى قدرته ان يمتنع منه ، تأمل قوله تعالى « والله خلقكم وما تعملون » فمن الأدب مع الله تعالى ترك المعاهدة للحق على فعل شيء أو تركه ، ويسلم العبد لله تعالى أمره ، وان كان ولابد ان يجزم أن لا يعود لمخالفة أوامر الله ، فليراعى الأدب ، وهو شهود مشيئة الله تعالى فى عباده ، لأن التحويل والتبديل واقع ليلا ونهارا ، فليقدم المشيئة — مشيئة الله تعالى على القيام بعمل يريده أو على امتناع عن عمل لايريده ، فالأدب مع الله تعالى خير كثير

التربية وتكوين العادات

الدكتور محمود البسيوني

لاتقل ان « باب النجار مخلع » ، فاذا سلمت بهذا المثل تركت تربية ابنائك بلا توجيه وتخليت عن تكوين العادات السليمة التى يحتاجها المجتمع فى تطوره . فكل فرد اى فرد ، اذا اتيحت الفرصة لعاداته ان تتشكل وتاخذ طريقها نحو النماء ، لابد وانه سيسهم بنصيب فى رقى هذا المجتمع حينما تؤول اليه المسئولية ولا توجد حدود لما يمكن ان يسهم به الفرد فى رقى مجتمعه ، بل فى رقى الانسانية جمعاء .

والعادة ضرب من المهارة يكتسبها الانسان بالتمرس والمعاناة ، وليس هناك ثمة عادة فنية او فكرية او اجتماعية يمكن ان تكتسب دون ان يبذل صاحبها الجهد والعرق لاكتسابها ، ويواليها بالممارسة ، ومتابعة نموها ، ونقدها بين حين وآخر ليضمن ان يصل بها الى ارقى ماتسمح به قدراته .

والانسان فى الحقيقه مجموعه من العادات منها الصالح ، ومنها الضار . منها الساذج البدائى ، ومنها الضار الذى هذبته المدنية وصقلته حتى وصل الى اعلى مراتب الكمال . والانسان حينما لاتكون له عقلية نافذة واعية ، نجده لايفرق بين العادات الصالحة والمتخلفة فهو يتشرب عاداته ايا كان نوعها بالتفاعل مع البيئة ، والبيئة لها مقوماتها الاجتماعية والثقافية ، ولهاتقاليدها الموروثة واتجاهاتها التقدميه المتحررة . ولذلك ستفعل البيئة دورها فى تكوين عادات الطفل بطريق مباشر او غير مباشر ، والجانب المباشر يتخلله القصد والفكر والتوجيه الواعى ، اما التاثير غير المباشر فيتم بالتقليد وبالاعجاب بالمثل او القدوة التى يشاهدها الفرد فى بيئته ، واهم عوامل القدوة الوالدان .

ان الوالدان يعرضان نماذج للسلوك امام ابنائهما والمشاكل التى يجابهانها فى المنزل على اختلاف انواعها تعطى امثلة حية لاطفالهما لتقليدها بدون وعى . ففكرة الاطفال عن الوالدين من انهما اكثر خبرة وفهما ، وهما اللذان ينقذانهم من كل ورطة يقعون فيها ، وهما الملاذ فى كل صغيرة او كبيرة ـ يؤدى هذا بطبيعة الحال الى ان يقلد الاطفال والديهم فى سائر العادات والآداب : اللغوية ، والجمالية والاجتماعية ، على اختلاف مظاهرها . وكلما غفلت اعين الوالدين عن ملاحظة سلوك ابنائهم وتتبعه ، مضى الابناء فى ممارسة سلوك غالبا مايكون نابيا وغير اجتماعى ، بل قد ينم فى احيان كثيرة عن تخلف وعدم ادراك لقيم الاشياء . وهكذا ياتى الابناء الى المدارس وهم محملون اما بالعادات الحسنة التى نجح فى تكوينها الآباء والامهات ، او بالعادات السيئة التى تكونت والآباء فى غفلة عنها .

وقد يبدو لبعض الوالدين ان السلوك النابى عند الاطفال قد ينمحى بسهولة بمرور الزمن ، ولكنه فى الحقيقة لاينمحى ، بل يثبت بطريقته الغفلة ويتحجر مع الزمن ، ويقاوم التغير كلما كبر الانسان ، ويصبح معوقا لاكتساب العادات المتحررة الجديدة . وتحجر العادات على هذا النحو الضار ، يجعل الانسان فاقد الارادة ، فتتحكم عاداته فيه بدلا من ان يتحكم فيها ، وحينما يعجز الانسان عن السيطرة على عاداته يكون فريسة للتخلف وعرضة لتهكم التقدميين وسخريتهم والاهم من ذلك كله انه يفقد قيما كثيرة للسعادة

هذا انسان متعلم ويحمل اعلى الشهادات ، ولكنه رغم ذلك يتعلم النظام طوال حياته ، ورسخت عاداته المنزلية على نهج متخلف اصبح لا يستطيع له تعديلا . فحينما يعود الى منزله يخلع حذاءه فى ناحية وقميصه فى اخرى ، وبقية ملابسه متناثرة فى الحجرة ، لايستطيع ان يضع اى شىء فى مكانه ، ويعتبــره فى النظام

المظهرى لحياته تارة على زوجته واخرى على خادمته فى تنظيم ما افسده بيده ـ ومع الاسف نرى ابناءه يحاكونه فى سلوكه ، لانهم لايعتقدون فى هذا السن الصغير ان الاب يمكن ان ياتى سلوكا سيئا • ثم تجده يجلس على المنضدة للغداء ، واذا به يفتت لبابة الخبز ويرمى بها على المفرش ، ويقشر البيض ويترك القشر على المفرش ، وهكذا كل الفضلات ، ويشاهده ابناؤه فيفعلون بالمثل ، فاذا انتهوا من الغداء كان شكل المائدة فوضى مابعدها فوضى وصورة مقززة لعين الانسان • وحينما تحدثهم بان هذا ليس سلوكا حسناء وتحاول ان تعلمهم بان يضعوا تلك الفضلات فى طبق ، والا يتركوا مثلا بقايا من الاكل فى صحونهم ، والا ياخذوا من الطعام الا بقدر حاجتهم ، تجدهم لايعترفون بهذا النصح وينظرون اليه على انه عبث ، واذا سالتهم كيف يفعلون ذلك ، اليست هذه عادات سيئة ؟ قالوا : ان ابانا يفعل ذلك ويعتبر فى نظرهم الرد الحاسم !

وسنجد ان كل المعايير الخلقية ، والاحساس الجمالى ، وغير ذلك ، من العادات المهذبة • تاخذ شكلها فى البداية بطريق التقليد • فالتقليد ميل طبيعى ، وهو وسيلة من وسائل التعلم ينتقل على اساسه السلوك من الكبير الى الصغير بيسر • والمحاكاة كثيرا ما تكون آلية . وفى هذه الحالة قل ان يدخلها التفكير او الاحساس ، ولكنها حينما تبتعد عن الآلية ، فان المقلد يمتص السلوك الحسن بذكاء ، وبعقلية نافذة ، ويشكله وفقا لشخصيته وتبعا لاسلوبه فى السلوك والتفكير ، فهو يتجنب الشائن من السلوك الذى يحاكيه ، ويؤكد الجانب السليم ، وبذلك ينخرط فى سلم التمدن وهو فى سبيله الى النمو

وتكوين اية عادة يحتاج للممارسة فى الاتجاه السليم ، ثم الاستمرار فى هذه الممارسة مع وعى نقدى للعادة التى تمارس • وكلما ارتبطت العادة الابتكار تطلبت ذكاء اكثر ، ووعيا اكبر ومهارات من النوع المتخصص ، وتوجيها من ذوى الخبرة والدراية • فمهارة الطبيب عند حسه لنبض الانسان ، ومهارة الساعاتى عند نظرته للساعة ، ومبضع الجراح حينما يقطع به داخل جسم الانسان ـ فكل هؤلاء كونوا عادات تتلاءم مع نوع العمل الذى يؤدونه ، ومهاراتهم اصبحت فى درجة عالية من الحذق لاتقارن بمستوى مهارة الرجل العادى •

ونستنتج مما سبق ، ان الانسان مجموعة من العادات تنمو وتتطور فى علاقاتها بالبيئة والثقافة المحيطة • وكلما وجدت هذه العادات من المحيطين بالطفل سواء فى البيت او المدرسة ، او المجتمع ـ اهتماما وتوجيها واعيا ، شب هذا الطفل فى وئام مع مجتمعه • وعلى قدر العناية فى تكوين العادات يتوقف النضج الثقافى ، والتطور المدنى بالنسبة للمواطنين جميعا ، فالعادة التى تغرس فى المنزل نتيجة اهتمام ابوين مهذبين ، ستتاثر كثيرا بنوع العادات السائدة فى المدرسة ، فاما تتاكد وتقوى وتسير من حالة الى اخرى افضل ، او تتجه على العكس اتجاها سيئا يخرب ما غرسه المنزل ، كذلك المجتمع فلو ان الطفل فى الشارع قابل من اهل السوء مايجعله يشك فى قيم العادات التى كونها فى المنزل او المدرسة ، فانه لابد وان يتخلى عن تلك العادات ويكتسب عادات اخرى ضارة وغير اجتماعية ، او على العكس تنمو عاداته الاولى وتكتسب صقلا وتهذيبا اكبر

والجدير بالذكر ، ان المجتمعات المتقدمة لاتعتمد كثيرا على المدرسة فى تكوين لعادات الملائمة . اذ من الواضح ان الجو العام الاجتماعى يجعل من التقاليد واسس التعامل بين الناس فى كل عمليات الاخذ والعطاء والمودة والتحاب ، فى الاعياد والمواسم والمناسبات ، مايكفل تشرب الناشئة لكل هذه التقاليد دون ان يفكروا فيما يتشربون • فيصبح الشخص فرنسيا ، او انجليزيا ، او المانيا ، او امريكيا • تبعا لمقومات البيئة الاجتماعية التى شكلت اتجاهاته وعاداته وخلقته فى النهاية مواطنا له هذه الصفات •

ان عادة مثل الاحتفال بعيد راس السنة CHRISRMAS من الاعيان التى يقدسها الغربيون تقديسا كبيرا ، فتنصب الاشجار فى المنازل • وتزين باللمبات الكهربائية ، ويتبادل الناس صغيرهم وكبيرهم ـ الهدايا . ويحس كل فرد نتيجة هذا التقليد انه شخص مرغوب فيه من المجتمع وله اصدقاء . كما انه يستطيع ان يظهر وده بالنسبة لاصدقائه بنفس الطريقة فالتقليد الاجتماعى العام فى هذا المثل شكل عادات الناس بل وخلق طابعا للمجتمع ، وصبغة عامة لان فى مثل هذه الاعياد والاحتفالات تتعطل كل المصالح والمدارس والمنشآت ، ويبدو المظهر فى النهاية اجماعا عاما على تقديس القيم التى آمن بها المجتمع ككل •

اننا فى تطورنا الاشتراكى ، وفى محاولاتنا الجادة لاذابة الفوارق بين الطبقات وخلق طبقة عامة متوسطة لاتناقض بين صغيرها وكبيرها ، انما هو فى ذاته تحديا بالنسبة للعادات التى كونها هذا الجيل والاجيال السابقة فى تاريخه المبكر • وليس من اليسير الوصول الى تكوين الطبقة العامة الموحدة التى لاتناقض فيها • بدون صهر العادات الاجتماعية القديمة التى نشات وتبلورت فى احضان الطبقات المتناحرة المتضاربة • وكلما تنبهت الاذهان الى اهمية تكوين تلك العادات الجديدة ، وحاول المسئولون والمربون • واولياء الامور ، وكل من له صلة بالتاثير فى الناس ـ الاهتمام بهذه العادات الجديدة فى المنزل ، والمدرسة ، والمجتمع ، لمهدوا بذلك السبيل الى تكوين المجتمع الاشتراكى الجديد ذو العادات العامة الموحدة

ان المواطن الذى نشا فى عهد الذل والاستعمار ، لابد ان يكون عادات من الاستكانة ، والخضوع ، والخوف والتردد ـ لكن المواطن الذى ينشا فى مجتمع يحكم نفسه بنفسه ، ويسيطر على اموره دون تدخل الاجنبى ، انما يعود ابناءه منذ نعومة اظافرهم : العزة والكرامة ، والاقدام الشجاعة ، والتضحية وانكار الذات • ولذلك فان العادات الاجتماعية العامة مسالة تتوقف على الاطار الثقافى ، والسياسى ، والاجتماعى ، الذى جاهد الآباء فى خلقه واصبح يجلب السعادة لابنائه •

ان العادات هى محك الخلق ، ومفتاح الشخصية ، والوسيلة التى بها يمكن ان نتعرف على مقدار تهذيب النفس الانسانية ، كما يمكن ان نتعرف من خلالها على التكامل الفردى ، والاجتماعى ، وليس افضل للامم لرعاية نشئها ـ من ان تبذل الجهد فى الحفاظ على العادات القويمة وتكوين العادات المتطورة الجديدة التى ترتبط بالمثل الكريمة ، فى الحرية ، والمساواة والعدالة الاجتماعية فلنبذل غاية جهدنا لنكون العادات الفاضلة فى ابنائنا تمهيدا لتكوين مجتمع اشتراكى فاضل •

التخطيط الاقتصادى والقضاء على الاحتكار

الدكتور غريب الجمال

تتولى الدول النامية فى عصرنا تخطيط اقتصادياتها بما يكفل استخدام جميع الموارد الوطنية المادية والطبيعية والبشرية بطريقة تؤدى الى ضمان توزيع الخدمات الاساسية باستمرار ورفع مستوى مايقدم منها بالفعل بما يحقق الخير لمجموع الشعب .

وتضع الخطة فى كل من هذه الدول هيئة فنية متخصصة تباشر مهمتها عن طريق تحديد الامكانيات ووضع البرامج التى تكفل استخدام هذه الامكانيات فى زيادة القوى الانتاجية والدخل القومى فى اسرع وقت ممكن . وبديهى ان خطة التنمية يجب ان تعتمد على معرفة احصائية للنواحى الاقتصادية المختلفة فى الدولة مع مراعاة ظروفها الجغرافية والاقتصادية .

والتخطيط السليم الصادر عن خبرة وعن دراسة دقيقة لموارد الثروة فى البلاد والطاقات الكامنة بها يضمن تحقيق الهدف مع خير استخدام للموارد كما يوفر الزمن الذى يمكن ان يضيع فى التجارب الفردية او فى المشروعات غير المدروسة او غير اللازمة .
كما ان التخطيط الناجح لايفيد فقط فى تقصير الزمن اللازم للتنمية ، بل هو ضرورى لصيانة الموارد الطبيعية من التبديد .
ولم تتخلف جمهوريتنا العربية عن الاخذ بالنظم السليمة للتخطيط تحقيقا لفائدة الوطن وتأمينا لمستقبل البلاد الاقتصادى والاجتماعى وكانت اسبق الدول العربية جميعا فى هذا المضمار .

ومن المتيقن ان تنظيم انتاج واستهلاك الموارد المتاحة فى كل دولة وصيانتها من الاحتكار او التبديد عمل على اكبر جانب من الاهمية لصالح البشرية واسعادها وحل مشاكلها المنبثقة عن الفقر والظلم الاجتماعى . والاسلام الذى اتى بأكمل هداية للبشرية يحث على اتباع كل عمل فيه نفع الجماعة لا فى سلوكهم الفردى فحسب بل فى سلوكهم الجماعى فى آفاقه جميعا من اجتماعية واقتصادية .

لقد جاء الاسلام لايجاد مجتمع فاضل يحث على التكافل الاجتماعى تتعاون فيه كل القوى لتنظيم موارد ومقومات حياتها لايطغى فيه من يملك مصادر القوى وموارد الصناعة والانتاج على فريق العاملين . كما لايسمح فيه لمالك تلك المصادر ان يبددها فى انتاج ماهو غير لازم لصالح الجماعة .
قال الرسول عليه الصلاة والسلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »

وقوله عليه السلام « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »
ومن ثم فان تخطيط الامكانيات الاقتصادية القومية فيه مصلحة محققة للمجتمع لانه يوجه الجماعة لان تعمل كل عناصرها وتبذل كل جهودها لكى تتلاقى عند غاية واحدة وهى المصلحة الانسانية العامة . وهذا النهج تدعمه القاعدة العامة فى الشريعة بأن كل حق فى الاسلام مقيد بمنع الضرر وقد شرع لجلب مصلحة للناس . فالاحكام الاسلامية تستهدف المصلحة لاكبر عدد ممكن من الناس وتقيد بمنع الضرر بالغير لان الضرر اعتداء والاعتداء منهى عنه بنص القرآن الكريم . كما ان الحقوق اذا كان منها ضرر وجبت الموازنة بين المصلحة التى شرع لاجلها الحق والمضرة التى تترتب على استعماله فيوازن بين مصلحة صاحب الحق من حيث كمها وآثرها والمضرة التى تلحق المجموع . فان رجحت مضرة الغير قيد الحق ليدفع ذلك الضرر .

ولولا التخطيط فى الدول النامية الموارد لتلاطمت موجات الانتاج وعمت الكوارث الاقتصادية والنكبات الاجتماعية حياة الشعوب . ولم يستفد فى مثل هذه الظروف سوى المحتكرون والاقطاعيون حيث تتاح لهم الفرص لاستغلال مواطنيهم والتحكم فى موارد ارزاقهم واحتكار السلع وحبسها عن التداول حتى يظل العرض دائما دون الطلب .

واذا كان تبديد الموارد فيه ضرر محقق للاقتصاد القومى فالاحتكار كذلك من الآثام التى يحظرها الاسلام قال الرسول صلى الله عليه وسلم « الجالب مرزوق والمحتكر محروم . ومن احتكر على المسلمين طعاما ضربه الله بالافلاس والجذام » . وروى ابو مسلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « من احتكر يريد ان يغالى المسلمين فهو خاطىء . وقد برىء من ذمة الله » . كما انه من الواضح ان الكسب فى الاحتكار بالانتظار لان مؤداه ادخار الحاجيات المطلوبة لوقت الاضطرار اليها . والكسب بطريق الانتظار الزمنى غير شرعى لايبيحه الاسلام لانه يشبه الربا الذى يكون الكسب منه بالانتظار فالاصل فى الموجودات انها للناس جميعا . قال تعالى « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا » . وهذا الاعتبار من شأنه ان يبقى الطابع العام للموجودات وان يخرجها من الدائرة الخاصة الى الدائرة العامة .

وهذا يتفق واصول الاقتصاد السليمة ، فان ثروة الامة ليست هى فقط ماتملكه الدولة فى خزائنها وما تختص به على وجه من الوجوه ولكن الثروة الحقيقية للامة هى المال العام المتداول بين افرادها والمتحرك فى مختلف الوان النشاط والتعمير .

واذا خرجت الاموال عن خصوصها الواقعى الى هذا العموم الاعتبارى كان للامة ان تتدخل فى تنظيمها ووضع القواعد التى تصلحها وتحفظها كثروة عامة تجعل

« البقية ص ٥٤ »

بعض مظاهر التنظيم الحربي في مصر الإسلامية

٢٠ - ٥٦٧ هـ

الدكتور محمد جمال الدين سرور

لما استقر سلطان العرب فى مصر سنة ٢٠ هـ « ٦٤١ م » ، ابقوا بها جيشا من جندهم ، ولم ينضم الى هذا الجيش اى فرد من المصريين ، اذ كانت سياستهم ترمى الى عدم السماح لاهالى البلاد المفتوحة بالاشتغال بالجندية . وقد حرم عمر بن الخطاب على الجندى العربى فى مصر وفى سائر الاقاليم التى فتحها العرب الاشتغال بالزراعة او امتلاك الارض حتى لايشغلوا بالحرص على جمع المال عن الجهاد . ولما اتسعت رقعة الدولة العربية فى عهده وزادت ثروتها بما ملكته من كنوز الفرس عمل على وضع نظام لضبط الاموال التى غنمها المسلمون ، وتقرير عطاء للجند واسراتهم ، فادخل نظام تدوين الدواوين ، وكان فى مصر ديوان للجند ، تدون فيه اسماؤهم وافراد اسراتهم لتحديد العطاء والارزاق اللازمة لهم .

وقد جرت عادة الولاة ان يصحب كل منهم عند توليته لمصر نفرا من قبيلته . وكان هؤلاء الولاة من عنصر عربى حتى نهاية العهد الاموى . فلما انتقل الحكم الى العباسيين ، ظهرت عناصر اخرى فارسية ، دونت اسماؤها فى الديوان ، ثم مالبث ان ظهر الجند الاتراك الذين استكثر منهم الخليفة المعتصم واثبتهم فى الديوان ولم يكتف بذلك ، بل امر واليه على العطاء .

اهتم الخلفاء بامر الحامية العربية فى مصر ، واخذ عدد افرادها بعد الفتح فى الازدياد لان مصر اصبحت مركزا للفتوحات ، تخرج منها الحملات اما لتأمين حدودها او للاشتراك مع جيوش الخلافة فى حملاتها التوسعية . وكان على ولاة مصر ان يعنوا بحماية سواحل ولايتهم ، فكثيرا ما اغار الروم على الاسكندرية وحاولوا اخراج المسلمين من مصر ، فصدهم عمرو بن العاص سنة ٢٣ هـ ، كما اشتبك معهم عبد الله بن سعد ابن ابى سرح اثناء ولايته على مصر سنة ٣٤ هـ ، وانتصر عليهم فى واقعة ذات الصوارى البحرية .

كذلك اهتم الخلفاء بعد الفتح باقامة حامية بالاسكندرية لصد غارات الروم فكان عمر بن الخطاب يبعث كل سنة جندا من اهل المدينة ليرابطوا بالاسكندرية ، كما اوصى الولاة بان يعنوا بحامية هذا الثغر . واتبع عثمان بن عفان سياسة عمر ، فكتب الى عبد الله بن سعد بن ابى سرح بان يبقى حامية بالاسكندرية وان يجرى على جنودها الارزاق وان ياتى بحامية اخرى لتحل محلها كل ستة اشهر .

ولما استقل احمد بن طولون بولاية مصر سنة ٢٦٣ هـ وجه عنايته الى اعداد جيش قوى ، واستعان بالعناصر الاجنبيه ، فاتخذ جندا من السودان والروم ، واشترى المماليك من الديالمة ليقوى بهم جيشه . وقد ذكر ابن اياس فى كتابه « بدائع الزهور » ان عدد هؤلاء المماليك وصل الى اربعة وعشرين الف مملوك . كذلك سار خمارويه على سياسة ابيه احمد بن طولون فى الاهتمام بالجيش وتجهيز الجند بالسلاح . وبلغت نفقات الجيش فى عهده تسعمائة الف دينار فى كل سنة .

لم يحدث تغيير جوهرى على نظام الجيش فى عهد الاخشيديين . فكان جيش محمد بن طغج الاخشيد ومن جاء بعده من اولاده يتألف من الاتراك والديلم ومماليك من اجناس مختلفة ، ويذكر ابو المحاسن فى كتابه « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » ان محمد الاخشيد كان متجملا فى موكبه وملبسه . فكان موكبه يضاهى موكب الخلافة ، وبلغت عدة مماليكه ثمانية آلاف مملوك .

ولما توفى الاخشيد ، واستبد كافور بالسلطة دون ابى القاسم انوجور واخيه من بعده ، استكثر من عنصر السودان فى الجيش ليكونوا عونا له ، واصبح يطلق على فرقتهم اسم الكافورية ، وقد تصدعت وحدة الجيش فى عهده ذلك ان فريقا من الجند ، اظهر استياءه من استبداده بالامر ، ومن ثم انقسم الجيش الى

طائفتين : الاخشيدية ويؤيدون ابنـاء الاخشـيد ، والكافورية وينحازون الى كافور .

اما عن القوات البحرية واهتمام الخلفاء وولاتهـم بمصر بانشاء الاساطيل الاسلامية ، فان العرب فى صدر الاسلام لم يعنوا بالحروب البحرية لبداوتهموعدم تعودهم ركوب البحر . وقد استطاع معاوية بن ابى سفيان ان يقنع عثمان بن عفان بالفائدة التى تعود على دولته من انشاء بحرية اسلامية .

على ان عثمان وان كان قد وافق على انشاء اسطول اسلامى الا انه رأى الا يرغم احدا على القتـال فى البحر ، بل يكون الاشتراك فيه تطوعا .

وقد افاد العرب من خبرة العمال المصريين البحرية ، فاصبحت مصر بعد الفتح مركزا لصناعة السفن اللازمة لاسطول الخلافة ، وانشىء بها لاول مرة سنة ٥٤ هـ دار الصناعة لبناء السفن فى جزيرة الروضة . وظلت مصر فى العهد العباسى محتفظة بشهرتها فى بناء السفن الحربية .

استمرت دار الصناعة التى بنيت بجزيرة الروضة موضع عناية ولاة مصر الى ان قامت الدولة الطولونية ، فاهتم احمد بن طولون بالبحرية وانشا اسطولا كبيرا من السفن الحربية . ولما تقلد محمد بن طفج الاخشيد ولاية مصر سنة ٣٢٣ هـ امر بنقل دار الصناعة من جزيرة الروضة الى دار صناعة جديدة ، انشاها بساحل فسطاط مصر عرفت باسم « الصناعة الكبرى » ، واقام فى موضع الصناعة بالجزيرة « البستان المختار »

وعلى الرغم من ان البحرية فى العهد الاخشيدى لم يكن لها نشاط كبير خارج المياه المصرية ، فان صناعة السفن فى مصر وعلى الاخص السفن الحـربية ، ظلت قائمة فى دار الصـناعة الكبرى . وكان يحتفل فى اواخر هذا العهد بانزال السفن الى البحر حين يتم بناؤها ويحرص اهالى مصر على مشاهدة هذا الاحتفال

كذلك كان للتنظيم الحربى نصيب موفور من عناية الفاطميين فى مصر ، فقد رأوا انهم بحاجة الى جيش قوى يحمى دولتهم ويساعدهم على امتداد نفوذهم فى اراضى الدولة الاسلامية ، كما اهتموا بانشاء اسطول لصد الاعداء الذين يغيرون على دولتهم من ناحية البحر ليكون عونا لقواتهم البرية .

وقد سار الفاطميون فى تحقيق هذه السياسة على ماكان سائدا فى ذلك الوقت ، فكونوا جيشهم من عدة اجناس لم يكن بعضها معروفا فى مصر . وكان الخليفة المعز لدين الله منذ استقر له الامر فى البلاد المصرية يعتمد على المغاربة . وهم يكونونمعظم جيشه ، ويشملون عدة طوائف من البربر . ولما ولى العزيز بالله الخلافة استخدم الاتراك والديلم ،ثم ظهر عنصر السودان فى الجيش فى عهد الحاكم بأمر الله ، وتضاعف عدده فى خلافة المستنصر بالله حتى بلغ عدد السودانيين فى الجيش خمسين الفا وظل هذا العنصر يكون فرقة كبيرة فى الجيش الفاطمى حتى زالت الخلافة الفاطمية وقد ادى تعدد العناصر فى الجيش الى قيام التنافس والتشاحن بين طوائف الجند .

وكان فى الجيش الفاطمى ايضا عناصر اجنبية ، وفدت الى مصر مع بعض الذين تقلدوا الوزارة منها جند الارمن ، وقد احضرهم بدر الجمالى من بلاد الشام ، كذلك اتى الاكراد مع اسد الدين شيركوه فى عهـد الخليفة العاضد .

اتخذ الفاطميون لجيشهم معسكرات ، فانزل جوهر الصقلى عساكر المعز فى مواضع بالقـاهرة ، عرفت بالحارات . وقد خصص لكل طائفة حارة ، يقيم فيها الجند واسرهم وبها دكاكين واسواق . ويرجع السبب فى اتخاذ اماكن معينة لاقامة الجنـد الى منعهم من مضايقة سكان القاهرة

وكان الجيش الفاطمى يتالف من الامراء - وهم القواد - وطوائف الجند ، ويتميز الامراء بعضهم عن بعض بعلامات فى الاعياد والمواكب الرسمية ، فالامراء الكبار يحملون حول اعناقهم اطواق الذهب ، ويقود كل منهم الف جندى . وهناك فريق آخر من الامراء يعرفون باصحاب القضب ، يحملون فى ايديهم قضب الفضة وهى رماح فضية ، ويقود كل منهم مائة جندى

وكان الفاطميون لايالون جهدا فى سـبيل تجهيز جيشهم بكل ما يحتاج اليه من اسلحة ، فانشاوا خزانة السلاح . وكانت تحتوى على خوذات وسـيوف ورماح وسهام ودروع واقواس مختلفة الاشكال . وهناك خزائن اخرى أمد الجيش بمعداته منها خزانة الخيام ، وبها عدة انواع من خيام الجند ، وخزائن لصناعة السروج اللازمة للدواب فى الحرب . ويذكر المقريزى فى كتابه « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » ان الخليفة الآمر باحكام الله الفاطمى لما فكر فى الرحيل الى المشرق ومهاجمة بغداد ، اعد فى هذه الخزائن سروجا مجوفة ومبطنة بصفائح من قصدير ، يوضع بداخلها المـاء ليشرب منها الفارس وكان كل سرج منها يسع سبعة ارطال ماء .

وقد اظهر الجندى الفاطمىمهارة فى استخدام اسلحة الحرب التى شاع استعمالها وقتذاك كالحراب والسيوف وآلات الحرب الضخمة كالمجانيق التى ترمى الاسوار بالحجارة ، كما زود الجيش بفرقة من النفاطين الذين يقومون باعـداد القوارير المملوءة بالنفط ورميها على قوات الاعداء لتحول دون تقدمها

كان هناك دواوين لاعداد الجيش وتجهيزه وتنظيم الانفاق عليه ، يعمل فيها موظفون مدنيون : وهى : ديوان الجيش وديوان الرواتبوديوان الاقطاع ، فيشرف ديوان الجيش على الجنود واعدادهم ، ويختص ديـوان الرواتب بتسجيل عطاء الجنود وجميع موظفى الدولة . وكان يبلغ عطاء الجندى عشرين دينارا فى كل شهر ، اما ديوان الاقطاع ، فكان مختصا بما هو مقطـع للاجناد .

اما فيما يتعلق بالقوات البحرية ، فقد اتخـذ الفاطميون مراكز لانشاء السفن الحربية فى مدينة مصر « الفسطاط والعسكر » وجزيرة الروضة التى عرفت فى العصر الفاطمى باسم جزيرة مصر ، والمقس التى انشا بها المعز لدين الله دارا لصـناعة السفن ، والاسكندرية ودمياط .

وكانت السفن الحربية التى يتكون منها الاسـطول المصرى فى العصر الفاطمى عدة انواع ، فمنها الشوانى « جمع شينى او شونى » التى تميزت بما يقام فيها من ابراج وقلاع للدفاع والهجوم ، وتحتوى على اهراء لخزن القمح وصهاريج لخزن الماء العذب . ومن سفن الاسطول ايضا : الحراريق « جمع حراقة » وهى من المراكب

الحربية الكبيرة المخصصة لمهاجمة سفن العدو بالنفط الذى يرمى بالمجانيق او بالسهام . كذلك كان من سفن الاسطول الطرائد « جمع طريدة » ، وتستخدم فى نقل الخيول والشلنديات وهى مراكب مسطحة يستعان بها فى حمل العتاد والجند ، والحمالات ، وتستخدم فى حمل الذخيرة .

ويشرف على الاسطول عشرة قواد بحريين يختار من بينهم رئيس ، يعرف بامير الاسطول . وتحمل كل سفينة حربية عددا من المقاتلة عدا البحارة . وهناك اشخاص معروفون عند ديوان الجهاد يسمون « النقباء » يقومون بجمع المقاتلة من انحاء البلاد اذا ما تاهب الاسطول للخروج . ولم يكن احد يجبر على العمل فى السفن الحربية . وكان الناس يقدرون اعمال البحارة فى الاسطول ويسمونهم « المجاهدين فى سبيل الله والغزاة فى اعداء الله » .

وكان للاسطول ديوان يعرف بديوان الجهاد ، يقوم بالاشراف على بناء السفن وتجهيزها بالمعدات الحربية ودفع مرتبات الرجال العاملين فيها . اما عن نفقات الاسطول فقد خصصت له الحكومة الفاطمية ميزانية ضخمة من مستغلات الاقطاعات المحبوسة . ولم يزل الاسطول محل عناية الفاطميين حتى زالت خلافتهم من مصر سنة ٥٦٧ هـ .

وكان من مظاهر اهتمام الفاطميين بقواتهم البرية والبحرية ، الاحتفال بتوديعها عند تاهبها للرحيل لمحاربة الاعداء ، فاذا ما خرج الجيش الفاطمى ، جلس الخليفة بمنظرة باب الفتوح وعلى الاخص حين تسكون الحملة متجهة الى بلاد الشام . وفى هذه المنظرة كان يؤذن لقائد الحملة بالمثول بين يدى الخليفة ، فيخلع عليه خلعة مزركشة بالذهب ، ثم يامر الجيش بالمسير اما فى حالة خروج الاسطول ، فيحضر الخليفة بصحبة الوزير والاعيان الى منظرة المقس حيث يكون مقدم الاسطول فى انتظاره ، وبعد ان يستعرض الخليفة المراكب الحربية ، ياذن للمقدم بالمثول بين يديه ، فيخلع عليه ، ثم يودعه ويبدأ الاسطول فى المسير . وعند عودة الاسطول مظفرا ، يقام احتفال كالذى اقيم عند رحيله فيحضر الخليفة بصحبة رجال الدولة ليشهد اسطوله الذى احرز النصر .

بقية مقال التخطيط الاقتصادى والقضاء على الاحتكار

الامة ، فى مقابل غيرها من الامم ، امة قوية ذات وضع اقتصادى متين . ثم كان للامة ان تقدر مايتصل بهذه الاموال وقواعد تغييرها واصلاحها من الضرورات والحاجات مقيسا الى الامة نفسها لا الى الافراد فحسب .

التخطيط اذن : من الانظمة النافعة التى تتحقق عن طريقها مصالح الجماعة فيحول دون اضطراب وسائل الانتاج سواء بتبديد الموارد فىغير الاوجه التى تحتاجها الامة او بضغط كميات المنتجات واحتكارها وحبسها عن التداول سعيا وراء تحقيق الارباح الفاحشة غير المشروعة فهو فى جوهره موازنة بين الموارد المتاحة والاحتياجات كما انه توجيهللجهود نحو استحداث موارد جديدة بما يفى باحتياجات المواطنين . والاسلام يقر كل الوسائل والنظم التى تحقق مصالح البشرية واسعادها

الثقافة العربية

وصف احدكتاب الغربافريقيه بقوله « انها كالجميزة المتفجرة من عالم السحر المظلم الى نور الحضارة حقا ان افريقية كما يقول الرئيس جمال عبد الناصر « لقد استطاعت بالقتال المرير ضد الاستعمار وثبات شعوبها فى المعارك التى تقودها من اجل الحرية والكرامة ان تهز الضمير العالمى وتحركه بصورة لم يسبق لها مثيل فى التطور العالمى » .

وقد بدات افريقيا ـ ذلك المارد الاسود ـ تجتاحها ثورات تحررية وانتفاضات اجتماعية انبعثت من ثورتنا التحررية المباركة سنة ١٩٥٢

ومساحة افريقية تربو على ١١٢٦٣٠٠ ميلا مربعا ، ويعيش بها نحو مائتى مليون منهم خمسة ملايين من فلول المستعمرين البيض .

وامكانيات هذه القارة من الناحية الاقتصادية تفوق الوصف وتذهل الخاطر ، بل ومازال فيها ثروات لم تكتشف ليست لها حدود .

ان افريقية تنتج نحوا من ٩٨٪ من ماس العالم كله ، ٥٠٪ من الذهب ، ٢٢٪ من النحاس عدا المنجنيز والكروم واليورانيوم وكذلك اكثر من ثلثى محصول الكاكاو العالمى ، ثلاثة اخماس من زيت النخيل ، وامكانياتها العظيمة فى القوى المائية .. ومافىمناطقها الاستوائية من ميزات مناخية فانهيستطيع الرجل الابيض ان يجد مناخا يصلح له بالنسبة للتدرج الارتفاعى بما يشبه التقسيم المناخى على الكرة الارضية .

كما أن فى افريقية ناحية اخرى هامة اغرت المستعمرين قديما غير ماقدمت فانها ذات موقع استراتيجى « حربى » هام كما ايد ذلك المرشال « ريتشارد كونولاى » فى مقال له عن افريقية اليوم حيث وضح المواقع الاستراتيجية فى القارة فى طنجة وجبل طارق ، وقاعدة مراكش الجوية ، وقاعدة الدار البيضاء شمال غربى افريقيه ، وليبيا ، وأدتيريا ، والحبشة والصومال وجزيرة مدغشقر واهميتها فى حماية مسالك المحيط الهندى وكذلك راس الرجاء الصالح .. الخ

في إفريقيا

الدكتور عبد الكريم دهينة

وهذه الاسباب جمعاء جعلتها قبلة يولي المستعمر نحوها وجهه . فقد ظهر الاهتمام الامريكي بمضاعفة راس المال الموظف في استغلالها فقد كان راس المال المستغل سنة ١٩٤٣ نحو ١١٣ مليونا من الدولارات واذابه في سنة ١٩٥٢ يبلغ ٤٥٨ ، وهاهو ذا في ازدياد تصاعدي حتى الان ويستخدم هذا التزايد في التسويق والتوزيع والاستخراج .

وتتمركز هذه الاقتصاديات بصورة واضحة في ليبريا وجنوب افريقية والكونغو ، كانت هذه المناطق ومازالت نهبا للمستوطنين البيض او لشركات الاحتكار

ان الفكرة الاستغلالية الاجنبية كانت ترمي الى تحويل القارة الى مخزن للمواد الخام باسعار لاتكفي لسد حاجة اهلها بينما الفائدة تذهب الى البلاد المستقلة التي تحاول ان تجعل من تقدمها الصناعي والعلمي شبه استعمار من نوع جديد ..

ولم يكن ذلك فحسب بل امتدت فكرة المستغل الاجنبي الى اتخاذ اراضي شعوب القارة ميدانا للتجارب الذرية بغير رضاء هذه الشعوب .

وافريقية بها نحو ستين مليونا من المسلمين على حسب الاحصاء الذي ذكره « مسينيون في كتابه » وان كنت ارجح ان عدد المسلمين اكثر من ذلك بكثير .

والمسلمون في افريقية قد اخذوا ماينا سبهم من اسباب الحضارات الغربية واصبحوا عنصرا فعالا في بعث الوعي القومي ، وشاركوا في حركات نهضتها ويقظتها الجديدة وهم في الوقت ذاته حريصون كل الحرص على ثقافاتهم الدينية بل وصبروا عليها ضد المحن التي انتابتهم ، واستطاعوا ان يتجاوبوا مع المسلمين في كافة انحاء العالم . والاستعمار يحسب الف حساب للقوة الروحية الاسلامية في القارة فهو يرهبها كل الرهبة .

وانتشار الثقافة العربية في افريقية قد جابه نفس المشكلات التي يجابهها في كل اقليم حل به ، فهناك تمخض من التقاء ثقافات موروثة بثقافة وافدة .

فقد تبادلت التاثيرات ونشات حضارة اسلامية الشكل زنجية الطابع نرى ذلك جليا فيما ذكره القلقشندي في صبح الاعشى . وابن بطوطة في رحلته .

يقول صبح الاعشى في الجزء الخامس « فتظهر التاثيرات الزنجية واضحة في طريقة جلوس السلطان للمظالم وفي لباسه والمحيطين به واستخدامهم الطبول المصنوعة من القصب والقرع وطريقة الجلوس والتمرغ في التراب بين يدي الملك اظهارا للخضوع .. وما كتبه اخيرا احد مندوبي الصحف يصف قرية من قرى افريقية الوسطى مات فرد منها فلبس جميع الرجال ثيابا برتقالية اللون واخذوا يصيحون صيحات خاصة ويصخبون في جنازته ليطردوا الروح كما يدعون ..

ويسوق الكاتب نعيم شقير في كتابه تاريخ السودان عن نظام الحكم في دارفور قديما يظهر فيه هذا الخليط الظاهر من التاثيرات الاسلامية والتاثيرات المحلية في عادات السلاطين واخلاقهم وملكيتهم الارض .. الخ

ولقد نشات في افريقية بيئات حضاريه متمايزة لكل بيئة مقوماتها الخاصة ولكن يجمعها اطار واحد ، اطار اسلامي من وحدة اللغة

ومن المعروف قديما ان العالم الاسلامي بلغ اوج قمته في القرن الخامس عشر الميلادي ، ويدعي بعض المؤرخين انه حدث بعد ذلك للمسلمين نوم عميق ، وهذا مايخالف الحقيقة فقد تركزت الثقافة الاسلامية في المغرب الاقصى بعد طرد المسلمين من الاندلس ، وكذلك شهدت ايران نهضة مماثلة في عهد الصفويين . واصبحت استنبول نفسها في ظل العثمانيين احدى مراكز الحضارات الكبرى للعالم الاسلامي ، وكان الاتراك في اوج مجدهم خير دعاة وغزاة للثقافة العربية الاسلامية في اوروبا بالذات ، ونحن لاننكر كيف كانت تركيا ذات شوكة في القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادي ، وكيف كان اباطرة روسيا يرهبون جانبها ويحسبون لها الف حساب ..

اما في افريقية « موضوع مقالي » فاننا نقرا في كتاب « السعدي في تاريخ السودان » نجده يقول « وفي غربي افريقية اصبحت مدينة تنبكت طوال القرن الخامس عشر والسادس عشر من مراكز الثقافة العالمية واصبح علماؤها يبارون علماء المدارس الاخرى في القوة والانتاج وامتدت هذه النهضة الى سناد وهرر ومقديشيو وزنجبار ، وغيرها من مراكز الاسلام في افريقية .

ولقد امتد نفوذ العثمانيين الى شمال افريقية ونجد بعض المؤرخين يحيل ما اصاب الشرق الى حكم العثمانيين ولكن يجب الا ننكر ان التاريخ يحدثنا ان العثمانيين صانوا شمال افريقية من عدوان قراصنة اوروبا ، وامتداد النفوذ العثماني الى البحر الاحمر كان له اثر واضح ايضا في وقف الخطر البرتغالي .. « كتاب الاسلام في الحبشة تاليف ترمنجهام »

ونحن لاننكر مطلقا ان اوروبا بدات تسير في طريق النهضة السريعة ابتداء من القرن الخامس عشر الميلادي فصاعدا وكان للعرب الفضل الاكبر في هذه اليقظة الاوروبية وابتدا الكشف الجغرافي من مجهود الاسبان والبرتغال .. وبدا للعيان ان اوروبا كانت تسابق الزمن كما يقول كوبلاند في كتابه « شرقي افريقية » فانتقلت الاستاذية اليها ، وانتهى ذلك بانتشار النفوذ الغربي

في شرقي افريقية وغربها وشمالها وجنوبها وفي السنغال والنيجر ومنطقة بحيرة تشاد ، وسموها بالقارة المظلمة ولا أدري لماذا هذه التسمية .. ولكنهم وجدوا حضارات صمدت لهذا الغزو الغاشم انتهت بالانتفاضة الافريقية الشاملة الاخيرة .

وقد جلب المستعمر معه ثقافات غربية التقت بثقافة الاسلام والتقى المسلمون بها فاخذوها مكرهين ، وكانوا قبلا ياخذون ثقافات الاغــريق والرومان في ازدهار العصور الاسلامية ولكنها كانت ثقافة مختارة وليست مكرهة .

وكان لابد للعالم الاسلامي ان يواجه هذه التطورات الجديدة التي تهدد الثقافة الاسلامية ، فسعى بعض المجددين الى الاصلاح عن طريق التقريب بين الهوة القائمة بين الثقافتين وقد تمثلت هذه الحركة التجديدية في مصر على يد الشيخ محمد عبده وفي الهند على يد الفيلسوف الشاعر اقبال . وكذلك في تركيا .

ولا ننسى فضل مراكش في هذا الشان فقد اخـذ العلم الديني يتوسع عن ذي قبل رغم محاولة المستعمر اعتبار الدراسات الدينية تاخرا وجمودا فقد بلغ ثلاثة اضعافه عن ذي قبل ، ويقول المؤرخ الكبير الدكتور حسين احمد محمود ان عدد الطلاب في جامعة الزيتونة بتونس قد بلغ في سنة ١٩٤٥ حوالي خمسة عشر الفا

هذا في الوقت الذي دفع بعض طبقات في المجتمع الاسلامي تشعر بعقدة مركب النقص الى استخدام لغات اوربا والفاظها في المعاملات والخطاب واهمال الثقافة العربية اهمالا تاما

وقامت ايضا حركات تحررية قصدها الاول حماية الدين والثقافة العربية .

ففي الجزائر انشئت جمعيه « العلماء » لنشر تعاليم القرآن واحرزت نجاحا كبيرا في عهد ابن باديس وامتد اثرها الى تونس ومراكش .. وقد لقيت الحركة الوهابية استجابة سريعة في القـارة الافريقيه فاثرت في السنوسية التي ظهرت في طرابلس وشمال افريقية واخذت تحارب البدع التي ظهرت على يد الاستعمار واعوانه . وظهرت ايضا انتفاضات « مهدوية » فقد كان يقوم في كل جهة من جهاتها مصلح يدعو الى التيقظ والعودة الى الدين ومحاربة المستعمر ويطلق عليه الناس « المهدي » وكان كل مصلح ينبض بالاخلاص وعمق الايمان .

وقامت ايضا حركة احمد بن محمد المعروف باحمـد لوبو في منطقة ماسة ، واعلن الحرب على البدع وحرم الخمر والميسر . وفي الصومال قام محمد بن عبد الله حسان وظل يجاهد البريطانيين حتى توفي سنة ١٩٢ وكان يرمي الى نشر الثقافة الاسلامية وطرد العـدو الاجنبي كما يقول المؤرخ عابدين في كتابه « تاريخ الحبشة »

وقد تمثلت ايضا هذه الحركات التحررية في الطرق الصوفية التي تسير على ضوء الكتاب والسنة وتنهج نهج السـلف الصالح والميحانية والقادرية والميرغنية والسنوسية وكذلك حركات اخرى قامت في جنـوب سنغامبيا ، وبلاد السنغال .

ولا ينسى « عمر المختار » في تونس والمليون شهيد في الجزائر

واخيرا نبض قلب افريقيا بالحياة الحرة الكريمة ، وابتدات الثقافة العربية تضيء .. القارة المظلمة ، ولا ننسى فضل سواطع الانوار التي كانت تتلالا بين حين واخر في ربوعها ومهدت الطريق الى هذا النور العظيم الذي على هديه تعقد المؤتمرات بين حين واخر

الـرحمـة

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المنـارة المضيئة للنفوس بالايمان الذي يهديها في وضوح الى سبيل السلام وطريق الهداية فهو رحمة للعالمين كما نص القرآن الكريم « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » وهو هدية الله الى خلقه فالنبوة هبة لاتنال الا بالكسب وان كانت حكمة الله تعـالى قضت بانهـا لا تمنح الا المستعد لها القادر على حملها « الله اعلم حيث يجعل رسالته » وقد ادبه ربه فاحسن تاديبه وحسـبك من شمائله الفطرية قبل البعثة ذلك الدستور القويم الذي بينته السيدة خديجة العالمة باسراره حينما اخبرها بخبر الوحي وجاء اليها يرجف فؤاده فطمانته بان الله لن يخزيه ابدا . مرتبة ذلك على منطق قويم لما اتصف به من صفات كريمة تتمثل في تلك الكلمات العطرة « انك لتصـل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق . ومن سيرته الكريمة نعلم بان عناية الله اعدته ليكون رحمة للعالمين قبـل البعثة وبعد البعثـة ولما اكمل الله تعالى خلقه اثنى عليه فقال : « وانك لعلى خلق عظيم »

والخلق هو مجموعة الصفات الكريمة المتاصـلة في النفس والمثمرة احسن المعـاملة للانسان مع ربه ومع نفسه ومع مجتمعه او ان شئت فقل هو التطبيق العملي للمبادئ الالهية التي يحب الله ان يرى عباده متحلين بها متقلدين باوسمتها فهو تزكيـة النفس بالاذعان لسياسة الشرع قال مجاهد : على خلق عظيم على دين عظيم والدين مجموعة الاعمال الصالحة والاخلاق الحسنة

ويتميز الرسول صلى الله عليه وسلم عن كل صاحب مبدا من زعماء الاصلاح بانه يعمل بما يؤمر به وبهـذا كان اسوة حسنة لاعماله المطابقة لاقواله « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » والرسول صلوات الله عليه بلغ القمة في الاحسان والاحسان من المفـاهيم التي اوشكت ان تتقلص عن دائرتها حتى فهم الـكثير من الناس انه قاصر على اعطاء الصدقات للمساكين تفضلا ولكن الواقع ان الاحسان هو مراعاة اوامر الله على اكمل وجه في كل دائـرة من نواحي النشـاط في السر والعلانية او ان شئت قلت هو مراقبة الله بالاخلاص

المهداة

الدكتور الحسيني هاشم

اليه في كل عمل في ميدان العقيدة في ميدان الشريعة في ميدان الاخلاق في ميدان الانفاق فالاحسان مطلوب في الصلاة وفي الحج وفي الزكاة وفي الجهاد وفي توفير الثروة للوطن وفي معاملة الخلق ، انه مراقبة الله كانك تراه فان لم تكن تراه فهو يراك ولذا جعله النبي صلى الله عليه وسلم في القمة بعد الايمان والاسلام .

سال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال له : ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره وساله عن الاسلام فقال : ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا ثم ساله عن الاحسان فقال : ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ولقد كان الرسول محسنا بهذا المعنى مع الله قرآنيا مطبقا القرآن على نفسه بكل مافيه من مثل عليا ولذا كانت السيدة عائشة رضى الله عنها محقة وملهمة حينما وصفته في ايجاز دقيق بابلغ قول واسماه حينما قالت « كان خلقه القرآن » ادب بالقرآن وادب الخلق به فكان رحمة للعالمين وكان المبعوث لاتمام مكارم الاخلاق في قمة كمالها « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » وما سادت مكارم الاخلاق في مجتمع الا سادت فيه السعادة والامن والطمانينة والرحمة وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم للخلق ان الله يحب مكارم الاخلاق ويبغض سفسافها قال علي رضي الله عنه : ياعجبا لرجل مسلم يجيئه اخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير اهلا فلو كان لايرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان ينبغي له ان يسارع الى مكارم الاخلاق . فانها مما تدل على سبيل النجاة فقال له رجل اسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وما هو خير منه لما مر بسبايا طيء اذ وقفت جارية السبي فقالت يامحمد ان رايت ان تخلي عني ولا تشمت بي احياء العرب فاني بنت سيد قومي وان ابي كان يحمي الزمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط انا ابنة حاتم الطائي فقال صلى الله عليه وسلم ياجارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق وان الله يحب مكارم الاخلاق فقام بردة بن نيار فقال يا رسول الله : الله يحب مكارم الاخلاق والذي نفسي بيده لايدخل الجنة الا حسن الاخلاق وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال » وقال معاذ : اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا معاذ اوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وانهاك ان تسب حكيما او تكذب صادقا او تطيع آثما او تعصي اماما عادلا او تفسد ارضا واوصيك باتقاء الله عن كل حجر وشجر ومدر وان تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية » فالدعوى الاسلامية مثل عليا وآيات بينات تزكية للنفس وسعادة للضمير وملائمة للفطرة آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم ولذا كانت الدعوة الكريمة لها اثرها في نفوس الفطر السليمة يذكر « الالوسي » انه لما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ودعا للاسلام بعث اكثم بن صيفي ابنه « جيشا » فاتاه بخبره وكتابه يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وياخذ فيه بمحاسن الاخلاق ويدعو الى توحيدالله تعالى وخلع الاوثان وترك الحلف بالنيران وقد حلف « عرف » ذوو الراى منكم « ان الفضل فيما يدعو اليه وان الراى ترك ماينهى عنه » ثم يقول هذه الكلمة الرائعة « ان الذى يدعو اليه محمد لو لم يكن دينا لكان في اخلاق الناس حسنا »

اعتراف الأجانب

بالدين الإسلامي

سماحة الاستاذ مبشر الطرازي الحسيني

قال البحاثة الكبير ستكس :

ظهر محمد – صلى الله عليه وسلم – بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة ، وكانت مهمته ترقية العقول البشرية بايتائها بالاصول الاولية للاخلاق ، وايصالها للاعتقاد باله واحد ، وبحياة بعد هذه الحياة «يشير الى حياة الآخرة بعد حياة الدنيا» فاحدث فى افريقية وفى الشرق باسره انقلابا دينيا ، يشبه الانقلاب الذى أحدثته تعاليم عيسى فى أوربا . ولكن هذا الانقلاب لم يتم بمجرد الكلام والامثلة الحسنة واحتمال الاذى والجد ، بل حدث بحديد المقاتلة الذين تحمسوا لعقائد الاسلام ، التى حملها الى النبى محمد – صلى الله عليه وسلم – الملك جبريل .

بعد أن أمضى محمد سنين فى الحياة التاملية ، أعلن للافراد المخلصين بانه سيقوم بنشر دين الهدى ، ويحمل الى الناس سعادة هذه الحياة وسعادة ماوراءها من الوجود الثانى ، فتصداه قومه فى مكة وهددوه بالقتل ، فلجأ الى قرية سميت من ذلك الحين ب « المدينة » ومن تاريخ هذه الهجرة يؤرخ المسلمون .

ولما توفى النبى محمد – صلى الله عليه وسلم – كان ملكه – الذى عاصمته مكة – قد تم تأسيسه ، ولم يمض الا قرن بعده ، حتى كانت جميع شعوب البلاد العربية ، وشمال أفريقية ، من أول مضيق هرمز الى شواطىء المحيط الاطلسى ، خاضعة للراية الاسلامية .

ولما وقع الشرق فى فتوحاته ، انتقل الى عهد جديد من الحياة الفكرية ، فارتقى فى الاداب والعلوم والصنايع ارتقاء عجيبا ، فبينما كانت أوربا تتخبط فى غياهب القرون الوسطى ، كان المسلمون قد وصلوا الى درجة من المدنية العالية ، بالنسبة لما كان موجودا منها .

واكب العرب المتعلمون على ترجمة كتب الفلاسفة والعلماء الاقدمين ، وأسسوا فى بغداد وقرطبة جامعات علمية ومدارس ، فحفظوا بذلك جميع المعارف الانسانية ، وزادوا فى موادها ، تلك المعارف التى لم تصل الى أوربا ولم تدرس فيها بطريقة عامة الا فى عهد النهضة المعروفة .

الى أن قال ستكس : قال المسيو بارتلمى سنتيلير « ان القرآن قد بقى اجمل أثر للغة التى انزل بها ، ولم أر ما يشبه ذلك فى جميع أدوار التاريخ الدينى للعالم الانسانى ، وهذا الامر يفسر لنا التأثير العظيم الذى أحدثه هذا الكتاب على العرب الذين اعتقدوا أن محمدا فى معارفه الساذجة لا يستطيع أن يؤلف بنفسه هذا الكتاب ، وانه لابد من أن يكون قد أملاه عليه الملك جبريل »

وقال ستكس أيضا :

وقد كان محمد نبى الاسلام – عليه الصلاة والسلام – يؤكد بانه يتلقى معارفه من الملأ الاعلى ، وقد اجمع معاصروه على الاعتراف بأن معارفه الخاصة أصغر من أن تجعله يدرك ويكتب مثل هذه التعاليم العالية الحكيمة المشحون بها هذا القرآن .

تلك التعاليم هى التى رقت عقول الملايين من الناس ، ولا تزال ترقى شعوبا متاخرة ، باشرابها الحقائق الكبرى الضرورية للذات البشرية ، من الوجهة الدينية والاجتماعية والخلقية ، ولن تمضى سنوات قليلة حتى تصبح افريقية كلها دائنة للاسلام .

ان المائة والعشرين مليونا من المسلمين فى آسيا والذين يزدادون كل يوم عددا لادلة على حيوية دين الاسلام وعظمته .

لم يات محمد – صلى الله عليه وسلم – لمكافحة التوراة والانجيل ، بل فانه يقول ، ان هذين قد أنزلا من السماء مثل القرآن لهداية الناس الى الحق ، وان تعاليم القرآن جاءت مصدقة لهما ، ولكنه لم ياخذ منهما .

وقد رفض محمد نبى الاسلام – عليه الصلاة والسلام – جميع الرموز والاساطير ، ودعا الى عبادة اله واحد قادر رحمن رحيم ، كما يصفه القرآن فى كل سورة من سوره .

وقد أمر محمد – عن وحى من ربه سبحانه – بخمس صلوات فى اليوم ، ليضطر الانسان للتخلى عن اشتغالاته المادية لحيظات من الساعات ، وذلك لكى يرتفع فى خلالها الى مولاه عز وجل ، كما أمر أن لا تجعل العبادة موجهة لاغراض ذاتية ، فان الله أعلم بما هو أصلح لنا ، وقد أوجب على المسلم أن يتصدق بحصة من ايراده ، وتلك غير الصدقة الاختيارية ، كما أوجب حماية المرأة بالاعتراف لها بحقوقها التى كانت غير معترف بها الى عهده ، ولاسيما بتهذيب « تعديل » عادة تعدد الزوجات ،

« المعروفة فى الجاهلية بدون تحديد عدد » وقام بحماية الاطفال وتحريم قتلهم من اعالتهم ، وهى العادة القديمة التى كانت منتشرة ، ورعى حق الرقيق فامر بمعاملته كعضو من الاسرة ، وقد كان اول من قرر مبدأ المساواة أمام العدالة بين جميع المسلمين ، من أغنى الناس وأقواهم ، الى أفقر الناس وأضعفهم ، كما حرم السرقة والقتل والاكراه ، ومنع شرب الخمر ، والميسر .

ولقد استهزأ المستهزئون بجنة محمد ، وقالوا عنها أسوأ ما يمكن قوله ، ولكن كل هذه الأقوال تتلاشى متى قرأ الانسان القرآن .

ومما يجدر بالذكر أن المرأة المسلمة تظهر فى تلك الآيات القرآنية ذات مكانة ، فقد صرح بانها تشارك زوجها فى دار النعيم .

ومضى سنكس يقول :

ان الدين المحمدى قد أحدث رقيا عظيما جدا فى تدرج العاطفة الدينية . فقد أطلق العقل الانسانى من قيوده التى كانت تاسره حول المعابد بين ايدى الكهنة من ذوى الاديان المختلفة ، فارتفع الى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة يجازى فيها على أعماله ، كما ارتفع الى مستوى الاعتقاد باله واحد يمكن أن يعبده ويرتفع بروحه اليه ، دون أن يتوسط له وسيط .

ثم ان محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتحريمه الصور فى المساجد ، وكل ما يمثل الله من تمثال ، قد خلص الانسانية من وثنية القرون الاولى الخشنة ، واضطر العالم بهذه الطريقة أن يرجع الى نفسه وان يبحث عن الله خالقه فى صميم روحه ، فيرتفع الى جنابه عقب ذلك بالعبادة القلبية المملوءة بالاحترام والتقديس والحب والشكر ـ الى أن قال ـ فى ختام اعترافه :

ان الناس لم يلتفتوا للترقى العظيم الذى اوجده دين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الوجهة الادبية ، فان ذلك الرقى تحقق بعيدا عنا فى أمم اعتدنا أن نصفهم بالبرابرة ، لانه ليس عندهم مثل أفكارنا ولا عقائدنا ، ولانهم متاخرون عنا من الوجهة العلمية والعقلية ، ولكن مع هذا كله يجب الاعتراف بأن هذه الحركة الدينية قد ساعدت وتساعد كل يوم لانارة عقول امم فى العالم كله ، والاسلام الخالص من كل التعاليم الخاصة بالشعوب الطفلة ، ومن كل الشروح الضالة لاقوال الانبياء ، يظهر لنا انه اعظم مايدركه الانسان عن العلاقات التى يجب ان

توجد بين الانسان وخالقه ، وأكثرها انطباقا على العقل والمنطق .

٧ ـ قالت مدام بيرون رئيسة جمعية الدفاع عن حقوق المرأة فى باريس :

« ان محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن عدوا للمرأة ، كما يظهر من أقوال بعض أتباعه الذين أساءوا فهم روح التشريع الذى جاء به ، فينبغى أن نتصور الزمان الذى عاش فيه ، لنعرف قيمة اصلاحه » .

٨ ـ وقال بروفيسور ليك احد الكتاب الاجانب بعدما فصل كلامه فى وصف محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« وأخيرا أذكر فى هذا البيان الخير العالى الذى أسداه النبى العظيم بتحريمه الخمر ، وبواسطته وبه فقط حفظ ملايين وملايين من الناس جيلا بعد جيل فى اثناء الاربعة عشر قرنا الاخيرة من الخزى المهين ، اعتبر ما يجرى فى أمريكا فى خصوص اجبار الناس على الاذعان لقانون تحريم الخمر ، أليس من المعجزات الباهرات أن محمدا ـ صلى الله علية وسلم ـ جعل الصادقين من اتباعه فى حرز حريز من شر المشكلات جيلا بعد جيل » وانما ذلك بالقوة الادبية وبلفظ واحد ! » .

٩ ـ وقال المستر ادوارد المستشرق الامريكى :

« قبل أن نشرح علاقة الاسلام بالمدنية الحديثة ونبين المركز الرفيع الذى يحله بين الديانات العظيمة المعروفة ، يجب علينا أن نرجع الى الايام التى سلفت قبل ظهور النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم » ونتبين ما كان عليه سكان البادية من عبادة الاصنام ووخيم العادات ، ثم نبحث عن الاصلاحات التى ادخلها النبى الكريم فى شبه الجزيرة ، اذ الاشياء تتميز بضدها ، ثم مضى المستر ادوارد وقال :

« كانت بلاد العرب غارقة قبل نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى احط الدركات ، حتى انه ليصعب علينا وصف تلك الخزعبلات التى كانت سائدة فى كل مكان ، فالفوضى العظيمة التى كان الناس منهمكين فيها فى ذلك العصر ، وجرائم الاطفال ووأد البنات وهن أحياء،والضحايا البشرية التى كانت تقدم باسم الدين ، والحروب الدائمة بين القبائل المختلفة ، والنقص المستديم بين أهل البلاد، وعدم وجود حكومة قوية ، كل هذه كانت سببا فى سيادة الهمجية وازدياد الجرائم وانتهاك الحرمات ، وهذه حقائق يحملها التاريخ ولا يمكن انكارها .

كانت بلاد العرب فى حالة تشوش وبلبلة ، وفى فوضى منتشرة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ اية أمة . حتى ان بيت الله الحرام الذى بناه ابراهيم عليه السلام لاقامة الشعائر الدينية فيه ، قد حول الى معبد يحتوى على اربعمائة صنم ، لكل قبيلة صنم يعبدونه .

واما الاديان السماوية التى جاء بها موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ وغيرهما من الانبياء ، فقد كانت فقدت نقاءها وفضيلتها الاصلية ، وعبثت بها أيدى العابثين ، فحرفوا كلام الله ، ولوثوا معتقداتهم بخزعبلات واعتقادات لم ينزل الله بها من سلطان ، حتى أصبح الناس لا يكادون يفرقون بين الفضيلة والرذيلة ، وبالاختصار كان العرب يعيشون فى جو فاسد ، مملوء بالغبار والميكروبات ، حتى أن مجرد ذكرى هاتيك الايام تقشعر منها النفوس .

هكذا كانت أحوال سكان شبه جزيرة العرب ، وتلك هى عاداتهم ، حينما جاء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ شارحا للعالم رسالة الله الواحد القهار ، حاملا بيده اليمنى الهدى والفرقان ، وبيده اليسرى نور المدنية الوضاء ، ذلك ليخرج الناس من الظلمات الى النور .

وهناك بزغ فجر عصر جديد كان يرى فى الافق ، وبشرت الايام بسطوع شمس العرفان وانقشاع سحب الجهالة المظلمة ، التى أخفت النور السماوى عن ابصار الناس زمنا طويلا . وأتى اليوم الذى أعادت فيه يد المصلح العظيم محمد ـ صل الله عليه وسلم ـ مافقد من العدل والحرية والتسامح والفضيلة .

ثم مضى المستر ادوارد يقول : ولنتصور سكان البادية حينما رأوا أصنامهم تكسر على مرأى منهم .. وهم المشهورون بالشجاعة والصلابة فى الرأى وعدم الخضوع للغير ـ أفلا يثور ثائرهم ويهبون بفتك محمد ؟ ولكن محمدا يتكلم بصوت الله ، فكانوا يجدون فى نبرات صوته هدى وتاثيرا كبيرا ، فلم يستطيعوا صد تيار الحق عن الجرى فى مجارى النقاء الجديدة ، لانه اجتاح كل الموانع والسدود ، كما يجتاح السيل الجارف كل شىء يقف فى طريقه . وانتصرت الفضيلة أخيرا على الرذيلة ، وأخمدت قوة الله هاتيك الشرور والآثام ، وحررت الانسانية من قبضة الوحشية ، وبالاجمال : أتى الوحى من عند الله

الى رسوله ونبيه الكريم ، ففتحت حججه العقلية السديدة أعين أمة جاهلة ، فانتبه العرب وتحققوا انهم كانوا نائمين فى أحضان الرذيلة المظلمة »

١٠ ـ وقال احد كتاب أوربا المنصفين .

« لقد كان محمد اول من وحد بين قبائل العرب بالجزيرة وشعوبها ، وجمع كلمتها تحت راية واحدة ، وقد كان ظهوره فى حين الحاجة اليه ، فجاء جمع الكلمة لا بالقوة والشدة ، بل بكلام عذب اخذ منهم كل ماخذ ، فاتبعوه وصدقوه ، وقد فاق فتى مكة غيره من الرسل وقادة الرجال بصفات لم تكن معروفة لديهم ، فكان يجمع بين القلوب المتفرقة فتشعر كلها شعور قلب واحد »

١١ ـ وقال فرفيسور ليك أيضا :

« انها لحقيقة مجردة . انه بينما كان غير اهل الاسلام راسبين فى العبودية ، كان المسلمون يتمتعون بالحرية والمساواة ، وما أجمل ما قاله المعلم العظيم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ « الخلق كلهم عيال الله ، وأحب الناس الى الله انفعهم لعياله »

١٢ ـ وقال العالم الهندوسى ت.ل. فسوانى بعنوان « اجلال فسوانى لمحمد » :

« تأملت فى أمر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتعجبت من هذا الرجل العظيم ، الذى نشأ بين أولئك القوم ، المختلى النظام ، الفاسدى الاخلاق ، العابدى الاحجار . هذا الرجل محمد وقف تقريبا وحده ، شجاعا متحديا غير هياب ولا وجل فى وجه التوعد بالقتل .

فمن أعطاه القوة التى قام بها كأنها بطل من أبطال الحرب ، حتى استمعوا بعد الاعراض لكلامه ؟ فمن أين جاء سحربيانه حتى أعتق العبيد وألف بين النبلاء والاشراف وبين الصعاليك المنبوذين ، حتى صاروا اخوانا وخلانا ؟

ونحن هنا فى الهند الى الآن لا نزال نقتتل « نقاتل » لاجل جواز لمس بعضنا بعضا أو عدمه ، ولا نزال عاجزين عن اباحة الدخول فى بيوت الالهة « الاصنام والاوثان » للمنبوذين من أبناء جلدتنا !

من أين استمد الرجل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوة حياته الغالية ؟

الهند الى الآن مصابة بشرب الخمر ، والرجل محمد اقترح « كما تقول الكتب القديمة » مقاطعة الخمر وكل شراب مسكر ، فقام أصحابه وألقوا دنان الخمر فى ازقة المدينة وحطموها تحطيما ! لقد كان تصرف محمد فى قومه كالتنويم المغناطيسى .

فمن أين جاء سر هذه القوة ؟

ألم تر انهم كانوا أشتاتا قد عمتهم الفوضى ، فألف بين قلوبهم وجعلهم أمة واحدة . وكانوا راسبين فى التوحش فانقذهم ، ورفعهم وجعلهم عظماء أقوياء فى أعين الامم كلها. حتى صارت الامة العربية صاحبة القيادة العليا فى التمدن، واصبحت آخذة بيمينها مصباح التهذيب والرقى ، والتهذيب العربى هو الذى أنشأ فى آسيا وأوروبا نشأة جديدة وانسانية جديدة !

وفى الختام قال فسوانى : اليك يا محمد انا الخادم الحقير اقدم اجلالى وتعظيمى بكل خضوع وتكريم ، اليك أطاطىء رأسى !.

انك لنبى حق من الله ! وان قوتك العظيمة كانت مستمدة من عالم الغيب الأزلى الأبدى ! »

« للبحث بقية »

قانون السلطان أبى الحجاج يوسف النصرى

٧٣٣ - ٧٥٥ هـ (١٣٣٣ - ١٣٥٤)

اصدر أبو الحجاج عقب عودته من معركة طريف (٣٠ اكتوبر سنة ١٣٤٠م) ٧ جمادى الأولى ٧٤١هـ قانونا عاما للدولة ، يضمن تنظيم الحياة الدينية والاجتماعية للمواطنين ، وضبط نظم الادارة ، وتحديد الاختصاصات ، وتنظيم السلطات الحربية وما الى ذلك من تشريعات اخرى شملها هذا القانون فى أكثر من ميدان .

ففى الميدان التعليمى . أشار القانون بان الدولة بصدد انشاء مدارس ، يرتادها أبناء المواطنين بالمجان ، وسيراعى فى هذه المدارس أن تكون نظمها التعليمية موحدة فى مختلف أنحاء المملكة .

وفى الميدان الدينى . أشار القانون أن المسجد الأعظم بكل مدينة أندلسية ، تلزم اقامة الجمعة به ، وحدد عدد المداشر التى ينبغى أن تتمتع بمسجد للصلاة ، وانها لاتقل عن اثنتى عشرة ناحية متجاورة « وان اداء الفرائض اجبارى ، وأن المصلين ينبغى أن يغادروا منازلهم للصلاة يوم الجمعة وأيام الاعياد خاصة ، وعليهم أن يعودوا قبل الظلام كما حدد المسافة بين منزل المواطن فى البادية بالنسبة للمسجد بحيث لا تتجاوز ميلين ، وحظر انشاء الدور فى الأماكن القاحلة أو المنزوية البعيدة ، والتى من شانها أن تعطل المسلم عن اداء الفرائض الدينية بالمساجد وسيراعى لذلك عدم الاضرار بصالح الفلاحين ، بأن يقام لهم مسجد متى تكامل عدد دورهم اثنتى عشرة دارا .

كما انه محافظة على قدسية المساجد ، قد روعى تنظيم المصلين من مختلف الأعمار من الجنسين ، وذلك بان يختص بالصفوف الاولى الشيوخ فالشبان فالاطفال ، واما النساء فلهن الصف الاخير ، واما الفتيات والشابات فسيخصص لهن مكان منزو بالمسجد ، وعلى هؤلاء ان

حدث غرناطي كبير

الدكتور محمد كمال شبانة

يضربن بخصورهن على وجوههن ، وان يرتدين الأزياء المناسبة للصلاة .

كذلك حدد لصلاة الاستسقاء مكانها ، وهو الخلاء خارج المدينة، كما نظم الدعوات الخاصة بهذه المناسبة لاستمطار الرحمة ونزول المطر .

وفى الميدان الاجتماعى . أشار القانون على المسلمين بضرورة ارتداء أجمل الملابس فى الاعياد ، والاهتمام بالفقراء وزيارتهم ومنحهم المعونات فى هذه المناسبة ، وان يكون حديث الناس يومئذ متفقا وجلال الأعياد .

كما أن الحفلات التى تعقد بمناسبة عيدى الفطر والاضحى لا ينبغى ان تكون سببا فى تعكير صفو الامن ، وأشار القانون فىهذا الصدد الى ما يتعاطاه الشبان يومئذ فى الشوارع من اقوال وافعال . فحذر من هذه الحماقات ، وتوعد المخالفين بالمؤاخذة فى شدة .

وفيما يختص بحفلا ت الزفاف وحفلات الأطفال الخاصة، أشار بضرورة المحافظة على الآداب العامة .

وفى الميدان الاقتصادى : حدد المصارف التى ينبغى ان تؤول اليها الصدقات والتبرعات ، مراعيا فى ذلك حاجة المعوزين بادىء ذى بدء ، وان الفائض ينبغى ان يستغل لصالح المرافق العامة فى الدولة، كاصلاح الطرق والانابيب والمساجد وغيرها .

وفى الميدان الحربى : وضع تشريعات تكفل شرف الدفاع عن المملكة، وأوضح واجبات المحاربين ، وما يحظر عليهم تجاه الاعداء ومايجب ، كما فصل القول فى شان الغنائم الحربية ، وطريقة توزيعها توزيعا يكفل الضمان الاجتماعى للمستحقين من شتى الطبقات ، كما شجع القائمين باعمال شرفية تستوجب مكافاتهم ، وكذلك ما ينبغى اجراؤه فى أمتعة من يدخلون فى خدمة الاسلام من اليهود أو النصارى بالمناطق التى يتم استيلاء المسلمين عليها .

وفى الميدان القضائى : حدد الجرائم المستوجبة لعقوبة الموت ، وما ينبغى اتخاذه من اجراءات لاثباتها ، وكذلك فصل القول فى جريمة الزنا وعقوبتهاالواجبة فى مختلف الحالات ، وفى جريمة السرقة فوض للقاضى الامر فى اتخاذ ما يراه مناسبا من عقوبة الجانى ، تبعا لظروف الحادث ، وأشار عليه بمراعاة التخفيف من قساوة العقوبات السائدة .

وهكذا من خلال هذا العرض الموجز نرى ان القانون كان شاملا لنواحى شتى من مناحى حياة المواطنين ، وانه بالتصفح للقانون نفسه من بعد سنرى أن الناحية الدينية والحربية قد حظيتا باهمية بالغة فى التشريع بالنسبة لبقية المواد ، وذلك للظروف التى كانت تعيشها مملكة غرناطة يومئذ .

تمهيد الناشر

« قانون يوسف الاول

بعد موقعة طريف »

« ان الأزمة التى كانت تعانيها القوات الحربية لملك قشتالة ، كبديهية حتمية للحرب الاهلية التى استنفدت طاقات تلك القوات ، خلال عصور كل من : سانشو الرابع، وفرناندو الرابع ، وأثناء اقلية الفونسو الحادى عشر ، تلك الازمة التى انعكست آثارها فى اضعاف مملكة غرناطة .

وعندما تحررت مملكة غرناطة مؤقتا من الخلافات الداخلية ، فان سلاطين بنى نصر عندما اطمان جانبهم اهتموا بتنظيم مملكتهم وتجميل مملكتها ، ويظهر هذا جليا فى أن مملكتين كبيرتين عملتا على انجاز تلك المشاريع .

وان أحد الحكام الاوائل الذين حكموا غرناطة فى العشر الوسطى من القرن الرابع عشر ، وهو أبو الحجاج يوسف الأول ١٣٣٣ – ١٣٥٤م عندما هزم فى موقعة طريف أصدر قوانين تحدد الحياة الدينية والادارية والحربية والتشريعية للمملكة .

ترجمة نصية للقانون من الاسبانية

« ستنشا بجميع نواحى المملكة مدارس مجانية موحدة النظم التعليمية » .

« كل المدن المزودة بالمسجد الأعظم ستقام بها صلاة الجمعة والتلاوة وأيام الاعياد ، اما المدائن التى تتالف من اثنتى عشرة ناحية متجاورة فسينشا بها مسجد بهفقيه وعالم ، يقومان بتفسير القانون للمؤمنين ، واجبارهم على أداء الصلوات الخمس ، سواء فى فصل الشتاء أو فى فصل الصيف »

« ان سكان القفار مجبرون على التوجه لصلاة الجمعة والاعياد ، يخرجون من خيامهم عندما تشرق الشمس ويعودون قبل دخول الليل »

« يمنع على كل مؤمن انشاء دار فى أماكن قاحلة او بعيدة منزوية ، بحيث لا تسمح له بالحضور فى الاوقات المحددة للصلاة ، وكل ما يمكن أن تبعد به قرية هومقدار ميلين » .

« ستقام الصلوات في القرى التى تحتوى على اثنتى عشرة دارا ، وذلك تفاديا لما قد تسببه التشريعات السالفة من أضرار الفلاحين » .

« محافظة على قدسية المساجد فانه يمنع اختلاط الجنسين من مختلف الأعمار : فالشيوخ لهم الصفوف الأولى من المسجد ، يتلوهم الاطفال ، وفى الصف الاخير يكون النساء ، وعلى الكهول والشبان ان يمكثوا فى اماكنهم حتى يغادر النساء جميعا المسجد ، وسيخصص مكان منزو للفتيات والشابات ، واللائى يلزمهن حمل الخمار على وجوههن ، وارتداء الملابس المناسبة » .

« على كل مؤمن أن يرتدى أيام الاعياد احسن ملابسه ليكون مظهره الخارجي صورة من نقاوته القلبية ، كما أن عليه أن يهتم بزيارة الفقراء وتزويدهم بالصدقة ، وان يتحدث مع العلماء والحكماء ، وان يتذاكر مع أصدقائه حول القصص الفاضلة الصالحة » .

« ان الحفلات التى تعقد بمناسبة عيدى الفطر والاضحى ، كثيرا ما كانت سببا فى احداث فوضى واضطراب ، الأمر الذى كدر امن الكبار وسرورهم ، حتى استحالت الى حماقات دنيوية فان أسرابا من الرجال والنساء يتجولون فى الشوارع ملقين الماء القذر ، ومتبادلين التقاذف بالبرتقال والليمون الحلو والقبضات من الزهور ، بينما أفواج الراقصين والراقصات والمغنين تعكر صفو الآمنين برنين القيثارات والاعواد وما يتخلل هذا من الصيحات ، فهذه السخافات تمنع منعا باتا ، وتتخذ الاجراءات الكفيلة بتطبيق هذا القانون ، حتى يقضى على العادات البدائية » .

« ان الصدقات والتبرعات التى يجود بها فى هذه الايام الاغنياء ، سواء فى المدن أو فى القرى ، وسواء كانت نقودا أو خبزا أو حبوبا أو فاكهة فانها ستوزع على الفقراء بواسطة شخصين أو اكثر يمنحان الثقة المطلقة ، وفى حالة ما اذا كانت الصدقة فائضة فانه يلزم ايجاد خزانة يحتفظ فيها بالفائض . وذلك لسد حاجيات العجزة والمرضى واليتامى والمعطوبين ، والباقى سيستفاد به فى اصلاح المساجد والينابيع العامة والطرق والجسور والانابيب والمسالك الوعرة بالجبال ودفع الفدية لتحرير السبايا » .

« وبما أن الشوارع والساحات أماكن لا تليق بطلب الاستسقاء ، فانه يمنع فيها توزيع الصدقات ، وكذلك التضرع الى الله بطلب الرحمة ، وفى هذه الحالة على المؤمنين أن يخرجوا الى الخلاء ويجلسون على الأرض متضرعين الى المولى بالدعوات الآتية :

« الاله الرحيم ، أنت الذى خلقتنا من لا شىء ، تعرف أخطاءنا ، ولا تحتاج لأعمالنا ، افض علينا من كنوز رحمتك ، وارحم الخلائق المساكين الذين يرجونك ، والحيوانات البسيطة ، وطيور السماء التى تموت عطشا والارض التى أجدبت فذبل ربيعها .. الهنا افتح أبوابك وأعد السحائب ، وأطلق الرياح ، وارسل غيائك ، لتعيش الارض بربيعها قوت الخلائق ، لترحمنا يا الهنا ، لكيلا يقول الكفار انك تقسو على عبادك المؤمنين حقا » .

« فى حفلات الزفاف ، وفى الحفلات التى تعقد من أجل الأطفال لاختيار حظوظهم ، وفى الاجتماعات العائلية ، والتى من طبيعتها المرح والغبطة بالآلات الموسيقية والاستمتاعات الرائعة ، حافظوا على اكبر قدر من شرف هذه الحفلات ، حتى يكون الهدوء شاملا ، وحتى لايتحول أى مدعو الى حالة سكر فوق العادة » .

« ستقسم غرناطة الى أحياء خاضعة لحراسة من قبل قائد ، وسيقوم أحد هؤلاء القواد شخصيا بتفقد الاسواق وحفظ الأمن » .

« كل حى ستكون له حدود تامة مضبوطة ، كما ستكون له حراسة ليلية تقوم بفتح وسد أبواب الاسوار ، وكذا الأبواب الرئيسية للمدينة » .

« ان كل مدنى او عسكرى يفر من العدو ما لم يكن محاطا بقوات كبيرة ، أو يصله أمر من القادة الذين لهم حق اصدار قرار الهجوم أو الانسحاب ، ومعرفة الأسرار والاماكن الاستراتيجية للحرب ـ فانه سيحكم عليه بالموت » .

« محظور على الأبطال والزعماء ، وعلى الافراد الآخرين من رجال الجيش ان يقتلوا الاطفال أو النساء أو العجزة أو المعطوبين أو المرضى أو الرهبان المسيحيين ، ما لم يفاجأوا بهم مسلحين باعانة العدو مباشرة » .

« الغنائم والسبايا يجب أن توزع على النحو التالى :

« بعد خصم الخمس للملك ، يمكن لكل فرد ان يتناول ما يحتاجه لسد عوزه ، والباقى يرد الى بيت المال ، أما الفارس فله حصتان ، وللطفل حصة واحدة ، وكذلك أخ الملك ، أما الذى يقوم بعمل لا صلة له بالجند فى رد خطر ، فانه سيكافأ حسب عمله ، عقب تقريرات تاتى من الرؤساء والقادة » .

« ان اليهودى أو المسيحى الذى يتحول الى الاسلام فى المدينة المستولى عليها أو خارجها سترد له أمتعته ، واذا كانت قد وزعت فانه سياخذ تعويضا عادلا » .

« يمنع على أولاد الاسرة الخروج ممتطين الخيول فى نزهة دون اذن من ابائهم ، ما لم تكن هناك ضرورة ملحة جدا ، كما يمنع خروجهم للحج متوجهين الى مكة ، بدون اذن سابق من الأب أو الام أو الاجداد أو الاولياء » .

« ان جريمة الفسق والقتل وجرائم اخرى يترتب عليها حكم الموت ، تحتاج الى التحقق منها بمعرفة شهود أربعة حاضرين متفقين فى الشهادة ، فالزانى يقتل رجما متى كان محصنا ، والاعزب الذى يتعدى على العذارى يجلد مائة جلدة وينفى عاما ، وذلك اذا لم يتزوج ممن اغتصبها » .

« القاضى يستطيع أن يشدد وأن يقلل من عقوبة اللص حسب التحقيقات ، ولكن عليه أن يخفض من قساوة العقوبات المستعملة الى اليوم » .

وبعد ، فهذا هو القانون الذى أصدره السلطان يوسف الأول ملك غرناطة الاسلامية ، حسبما نشر ترجمة نصوصه السيد لافونتى الكانترا المؤرخ الاسبانى المشهور ، والذى لم يشر فيه من قريب أو بعيد الى المصدر الرئيسى الذى استقاه منه ، كما أنه لم يورد لنا النص العربى للقانون وقد رجعنا ـ من جهتنا ـ الى المؤلفات المنشورة لمؤرخى عصر هذا السلطان ، وخاصة مؤلفات الوزير ابن الخطيب وقاضى الجماعة أبو الحسن النباهى المعاصرين ، فلم نقف على أثر أو اشارة الى هذا القانون ، ومثل ذلك يقال فى بعض المخطوطات لهذين المعاصرين ، والتى رجعنا اليها أيضا بالاسكوريال والرباط والقاهرة فى هذا الخصوص .

لذلك ننشر هذا القانون بدون تعليق على نصوصه ، وفى تحفظ وحذر علميين بالغين ، آملين مع القراء الافاضل أن تزول علامات الاستفهام فى شانه ، بعد أن يقول اساتذتنا المشتغلون منهم خصوصا بتاريخ الاندلس كلمتهم فى الموضوع اثباتا أو نفيا .

عبد الناصر

صانع السلام

الأستاذ كامل عبد المجيد

« ان عمل الشعب المصرى كان – وسوف يبقى – طريقه الوحيد الى مستقبله »

(جمال عبد الناصر)

فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخنا التى نواجه فيها كل التحديات ، ليس أمامنا غير سبيل واحد نسلكه ودربا واحدا نسير عليه لنواصل تقدمنا فى مختلف المجالات وشتى الميادين التي حققنا فيها تقدما او احرزنا انتصارا ، وهو العمل الدائب المنتج لأنه « ركيزة فعالية مصر فى جميع المجالات : الداخلية والعربية والدولية » . وهذه هى الطريق التى حدد معالمها صانع السلام – وهى معالم واضحة لطريق

محددة - أمام ممثلى الشعب فى خطاب افتتاح الدورة الثالثة لمجلس الامة فى ٢٥ نوفمبر الماضى « لان العمل أولا ، والعمل ثانيا ، والعمل أخيرا ، هو الباب الوحيد للامل المصرى » .

حقا ، فالعمل هو الذى اثمر الكثير فى الماضى ، وهو الذى سيزهر ثمار المستقبل ، فحقق بناء السد العالى - الذى أصبح رمزا لارادة الشعب وتصميمه على صنع الحياة - وخلق الصناعات التي لم تكن موجودة على أرضنا قبل الثورة ، وهو الذى غير وجه المجتمع المصرى من مجتمع زراعى الى مجتمع صناعى بسواعد أفراد الشعب الذين آمنوا بان العمل المتواصل هو السبيل الى الحياة وان العمل الشاق الذى يؤازره العزم والايمان هو الذى يوفر الرغد والطمانينةوالرفاهية لأفراد أمتنا ، كما يؤكد الزعيم القائد بقوله عن العمل « هذا هو طريقنا لخلق مصر التى تعم فيها الطمانينة والرفاهية التى ستكون أبدا ملكا لأبنائها جميعا .. لا فرق بين الفقير والغنى والضعيف والقوى » .

وهذا العمل الذى كان - وسوف يكون - دليلا وسبيلا وهاديا لنا منذ مطلع فجر ثورتنا هو الوسيلة الوحيدة أمامنا لكي نستطيع مواصلة السير على الدرب والتقدم على طريق المستقبل المشرق الذى يحقق الرخاء والسعادة لأبناء الشعب العربى فى مصر - باعتبارنا منطلقا وحافزا للوطن العربى فى كافة أرجائه .

وان مواصلة العمل ليتحقق الامل المنشود فى مصر الغد يتطلب جهودا جبارة فى ميادين تطوير الزراعة والصناعة وهياكل الانتاج الأساسية اللازمة لهذا التطوير وهذا لا يتحقق الا بالدأب المستمر على العمل - الذى يرادف الانتاج فى مرحلتنا الجديدة من تطورنا التاريخى

وقد أصبح هدفنا الجديد - المستمد من العمل - هو زيادة الانتاج لموازنته مع معدل الاستهلاك حتى لا يطغى الاستهلاك على فعالية الانتاج وقوته لتبدد الجهود سدى وتذهب نتائج العمل أدراج الرياح ، وانه ليتحتم علينا من أجل هذا أن نضاعف الدخل القومى مرة كل عشر سنوات على الاقل - عن طريق الانتاج - حتى لا تسبقنا كل التحديات التى تحاول أن نسبقها ، وعلينا أن نجعل من ذلك هدفا لا نتراخى فيه أو نتكاسل . وهذا الهدف يمكننا تحقيقه عن طريق العمل المنظم الأمين فى اطار أهداف الخطة الانتاجية للدولة ، وكما أضاف الميثاق « وبوحى من الفكر الاجتماعى الذى يرسم لها طريقها الى صنع المجتمع الجديد وما يمكن لهذا الفكر ان يطوره من قيم اخلاقية جديدة ومعان انسانية متفتحة للحياة نابضة بها »

وعند هذه النقطة نقف قليلا .. بل طويلا .. فالعمل لا يمكن ان يثمر أو يحقق نجاحا وتقدما الا بالايمان به أولا . والايمان بالعمل كوسيلة للانتاج هو أحد ملامح المجتمع الجديد الذى يجب أن يكون عقيدة وشريعة لكل أفراد الشعب على كافة مستوياتهم فى مختلف المواقع . فلا يكفى أبدا أن ترسم الدولة الخطط وتقيم المصانع وتعزز وسائل الانتاج ، لأن أجهزة الدولة وحدها لاتستطيع ان تحقق شيئا دون ان تعمل تروسها وتديرها أيد أمينة ومخلصة - وهذه التروس والأيدى المخلصة هى أفراد الشعب العامل الذى يمكن له أن يدفع عجلة الانتاج الى الأمام ويتفاعل مع ما تخططه الدولة من مشروعات أو يوقفها ويعوقها .. وهذا التفاعل هو ما يتطلبه المجتمع الجديد ، فلابد أن يرسخ ايماننا بعقيدة العمل ، ولابد أن يكون نبراسنا فى اطار الواقع الجديد الذى نعيش فيه . لأن الايمان هو الدافع الأول والقوى الذى يجعلنا لا نحيد قيد شعرة عن ايماننا وعقيدتنا ، ولذلك فواجب الآباء فى مجتمع الثورة هو غرس هذه العقيدة - عقيدة العمل - فى نفوس من سيحملون بعدهم شرف حمل الأمانة من الابناء والأحفاد ، أولئك الذين سوف يجنون ثمار عملهم والذين سوف يسيرون بالوطن مستقبلا - بالعمل أيضا - الى أرقى المراتب وأعلى الدرجات . وهذا بالطبيعة يتطلب من الآباء ان يكونوا القدوة الصالحة للجيل التالي لهم ، فيقومون بما يوكل اليهم من أعمال بايمان واخلاص حقيقيين ، وبذلك يرسمون لهم الطريق فى وضوح ويضعون لبنات فى أساس البناء الكبير للوطن العظيم

ويجب علينا فى هذه المرحلة أن يكون العمل غاية ووسيلة بالنسبة لنا ، فهو الغاية لأنه الطريق الوحيدة للحياة ، وهو الوسيلة لأنه - أيضا - السبيل الأمثل لاستمرار هذه الحياة .

وقد وضع صانع السلام فى خطابه التاريخى أمام مجلس الأمة النقط فوق الحروف وحدد اطار الأسلوب الذى يجب أن يسير عليه العمل فى المجال الداخلى ، واضعا بذلك القواعد الهامة التى يتحتم على العمل الوطنى أن يسترشد بها وهى :

- الاهتمام بالعمل البشرى باعتباره الثروة الأساسية للشعب المصرى
- ايجاد علاج حاسم لأخطر مشكلتين تهددان تقدمنا ورفاهيتنا وهما زيادة الاستهلاك وزيادة الانتاج
- تطوير الزراعة بالتوسع الرأسى عن طريق تنقية مياه البحر المالحة بالطاقة الذرية والأخذ بأساليب الثورة العلمية
- الاهتمام بالصناعة ، وخاصة الصناعة الثقيلة ، كما وكيفا وجعلها للتصدير كما هى للاشباع الداخلى
- وضع حدود جادة وحازمة لأولويات انفاقنا وتعبئة موارد الدخل أساسا للاستثمار
- القروض الخارجية يجب أن تكون عاملا مساعدا ولا تكون مصدر استثمارنا الوحيد
- عدم الخضوع للعقد والاوهام فى التطبيق الاشتراكى لأن اشتراكيتنا تنبع من واقعنا وتتميز بالوعى والمرونة والمحظور الوحيد هو استغلال الانسان للانسان
- الخدمة العامة يجب أن تكون تحت الاشراف المباشر للجماهير
- ضرورة ايجاد تعبئة شعبية واعية تضع الجماهير امام مسئولياتها القيادية

وأخيرا نقول انه اذا لم تكن الطبيعة قد أغدقت على الشعب المصرى بغير حساب فى الموارد فانها قد أغدقت عليه بالكثير من مقدرة العمل وارادته ، وان العمل شرف والعمل حق والعمل واجب والعمل حياة .

من التاريخ الإسلامي

أصوات للهداية

الاستاذ عبد المقصود حبيب

عمر

الانسانيه فى التعامل هى ان ينظر المرء الى اخيه المرء على انه انسان مثله متساو معه فى الحقوق ومتساو معه فى مقومات الحياة مهما اختلفت الدرجات والمناصب .

والعدل فى التعامل ان الانسان ينظر الى الامور بالحق ولا يحيد لمنفعة او قرابة او اى سبب من الاسباب

والمسئولية هى احساس الانسان بما كلف به وتفانيه فيما وكل اليه من امور الصالح العام وتقديمه الاخلاص فى القيام بواجبه .

والانسانية ، والعدالة . والاحساس بالمسئولية من اهداف الدين الاسلامى الحنيف ، وما ارق انسانية محمد عليه الصلاة والسلام ، وما اعدله فى الحق حتى على نفسه وما اعظمه من مثل فى التفانى فى اداء الواجب .

وجاء من بعده الخلفاء .. كانوا سيفا للعدالة حتى ولو كان على رقابهم لايحيد بهم عن ذلك قرابة ولانسب ولا مصاهرة . كانوا حريصين اشد الحرص وكل الحرص على كرامة الانسان وحريته وحقوقه .. لايغير من هذه النظرة جنس ولا لون ولا عقيدة ولا جاه ..

وكانوا لايكلون تحت طائلة العمل والتقشف ولم تغرهم الاموال التى كان يمكن ان تجرى بين ايديهم .. لم تغرهم عن احساسهم بالناس الذين وكلوا فى امرهم .

مثلا .. كان يسير عمر بن الخطاب يوما متفقدا احوال الرعية فرأى رجلا عليه علامات الشيخوخة المعجزة .. رآه يسأل الناس فضلا من رزقهم .. فاقترب منه عمر وقال له :

- ما دعاك الى ما ارى من سؤالك الناس احسانا ؟

فقال الرجل .

- انى يهودى من اهل الكتاب .. الجأتنى الحاجة الملحة فى شيخوختى ترى ماذا فعل عمر ..؟

نظر اليه أولا على أنه من رعيته وجبت عليه رعايته » ونظر اليه ثانيا على أنه انسان له حق العيش وعرضت حاجته على الحاكم .. بل رآها رأى العين واختفت كل الاعتبارات الاخرى امام الانسانية التى ملأت شغاف عمر من شدة ايمانه بالله وعمق تعرفه للاسلام واقتدائه القدوة الحسنة برسول الله .

اختفى كل شيء امام تلك الانسانية العارمة واخذ عمر الرجل من يده وافاء عليه ما يقيم عيشه من بيت المال .

ما أعظمها انسانية ندعو الله بثها فى قلوب الناس فينظر كل الى اخيه نظرة الانسان الى الانسان .. لادين ولا لون ولا جاه فقد خلق الله الجميع من نفس واحدة

وفى عهد عمر ايضا تسابق عبد الله بن عمرو بن العاص » على ظهر خيل هو وشاب قبطى من مصر وقد

كان عمرو حاكما لمصر ونال الشاب القبطى السبق فى تلك المنافسة ولم يقبل ذلك عبد الله بن عمرو بن العاص » فهو ابن حاكم البلاد وضرب القبطى بالسوط معتزا باصله ومتفاخرا بحكم ابيه قائلا وهو يهوى بالسوط على الرجل :

ـ خذها وانا ابن الاكرمين

اخذ الشاب القبطى ضرب السوط من ابن الاكرمين وشد رحاله الى ساحة العدل الواسعة التى لاتفرق فى عدلهـا بين الناس .. الى المدينة ليرفع مظلمتـه الى القاضى العادل عمر بن الخطاب امير المؤمنين .

ترى ماذا فعل عمر ؟

استدعى واليه على مصر مع ابنه المشكو فى حقه ..

ومثل الجميع امامه فى المدينة وثبتت صحة الشكوى وذنب عبد الله بن عمرو بن العاص فى ذلك فاصدر الحكم امير المؤمنين قائلا للشاب القبطى :

ـ اضرب ابن الاكرمين ..

واقتص الشاب لنفسه تنفيذا للحكم العادل من ابن الاكرمين بضربه على ملأ من الشاهدين ..

اصدر عمر ذلك الحكم بالرغم من ان احـد طرفى القضية ابن واليه .. ولكن رآه مذنبـا ولم ير فى القضية غير ذلك .

لم ير نسبه ولا جاهه .. لم ير ان « عمرو بن العاص » صحابى جليل وقائد من ابرز قواد المسلمين .. ولم ير انه فرش الطريق بسيفه امام الاسـلام الحنيف .. لم ير اختلاف دين احد الطرفين عن دين الدولة .. وان الشاكى من دين الاقلية ..

لم ير الا العدل . والعدل فقط ولا بد ان يسودحتى لايكون تسلط ولا يكون ظلم ولا يكون حقد فئات على فئات فتبذر بذور الشقاق بين افراد امة واحدة ..

وعقب على حكمه « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا »

ولم تكن تلك الانسانية وتلك العـدالة فى اجلى معانيها الا من اسس الامة القوية التى يقف اهلهـا جميعا وبلا استثناء فى صفها وفى مقاومة عدوها .

رضى الله عن عمر .. كان عادلا وكان انسانا يعرف تبعات موقفه كراع لرعيته .. ويقدر مسئولياته فى منصبه هذا .. وثق ان مسئولية الحكم محنة له وانه مسئول عن رعيته وعن ولاته واحدا واحدا .. لم يجد فى الحكم انه السيادة او الشرف الرفيع او درجات عالية ترفعه عن الناس .. ابدا ..

اخذ الحكم كما قال لاحد ولاته « افتح لهم بابك وباشر امورهم بنفسك فانما انت رجل منهم غير ان الله جعلك اثقلهم حملا »

اخذ الحكم على انه تمييز بالواجب والكفاءة وليس تمييزا بالوجاهة والاستعلاء اخذه على ثقة وهو يقول « ايها الناس انى قد وليت عليكم ولولا رجائى ان اكون خيركم لكم واقواكم عليكم واشدكم استضلاعا بما ينوب من مهم اموركم ما وليت ذلك منكم »

واحس احساسا غامرا ملك عليه نفســه وفكره بالمسئولية الكاملة عن كل فرد وكل شـبر فى ارض تستظل براية حكمه ..

ولقد حدث وهو عائد من القدس الى المدينة ان توقفت قافلته للراحة بعض الوقت استعدادا لاستئناف المسير فى نشاط وفى همة .

وفى احد لفتاته جائلا فيما حوله راى على البعد خيمة فذهب اليها .. ووجد فيها عجوزا جهلته .. فسالها عن حالها فقالت له :

ـ ضائعة فى جوف الصحراء فلا جزى الله عمر بن الخطاب عنى خيرا .. يتولى امورنا وينسانا .

فقال لها :

ـ وما ادرى عمر بمكانك ؟

فردت عليه المراة بالخطوط العريضة التى كانت اساسا لحكمه فى مقالته الخالدة « والله لو عثرت بغلة على شط الفرات لسئل عنها عمر بين يدى الله يوم القيامة »

قالت له :

ـ ان من يتولى هذا الامر لايغفل عن فرد من افراد رعيته .

فتقدم اليها على انه يخاف عذاب الله على عمر وعرض عليها ان تبيعه ذنبها عنده .. فرضيت .

وكان قد حضر اليه فى مكانه باحثا عنه عبد الله بن مسعود وبعض الصحابة وعرفت المراة ان محدثها « عمر ابن الخطاب » نفسه .. فجفلت .

ولكنه طمانها وكتب بينها وبينه عقدا بانها باعتـه مظلمتها منه بخمسة وعشرين دينارا واشهد الحاضرين عليه وقال :

ـ اذا مت القى به ربى .

وباختصار للحـديث .. فالتـاريخ الاسلامى زاخر بالامثلة الهادية العديدة التى لايحدها حصر ولا ياتى ببيانها عد ولكنى اخذت نتفا من الامثلة على يد عمر بن الخطاب بالذات فقد كان الصورة المضيئة لتطبيق الاسلام بنصه وروحه وقرانه وسنته .. وايضا كما يقـول الاستاذ العقاد « انه وضع دستورا لكل شىء وتركه قائما على اساس لمن شاء ان يبنى عليه » .

الا ترى هذه الامثلة الموغلة فى القدم تنشق من بين طيات ثوب الزمن تبرز لنا اصواتا هادية ومصابيح مضيئة .. وخطوات على طريق الحياة مستقيمة لاعوج فيها ولا ماخذ عليها .. تضىء النفس البشرية وتصل بها الى بر الامان والخير والسلام .. اذا اهتدت بها .. كل فى مجاله وحدود سلطانه ...؟

نحو قوة ذاتية لا يهزها التآمر

تأليف الأستاذ
احمد يوسف القرعى

عرض الدكتور
جمال الدين الرمادى

« نحو قوة عربية ذاتية » هذا هو موضوع الكتاب الذي اعرضه على القراء فى هذا العدد وهو من تاليف اديب مطلع وهو الاستاذ احمد يوسف القرعى ، وهو فى نفس الوقت هدف رفيع من أهداف العروبة وغرض نبيل من اغراض القومية العربية ٠

والقوة الذاتية فى تقدير السيد الرئيس جمال عبد الناصر هي الحرية الشاملة ، حرية الارض وحرية الانسان العربى صاحب هذه الارض ٠

وأن المجابهة الحقيقية لكل مايعترض الامة العربية من مشكلات واخطار انما يتمثل فى ضرورة القوة الذاتية لهذه الامة العربية ٠

وأن كل قوة ذاتية يحصل عليها أى بلد عربى ، انما هى رصيد يضاف الى الذخيرة الكبرى لامتنا العظيمة ، ويزيد من قدرتها على تحقيق النصر امام جميع انواع التحديات الناجمة عن مجابهة المشكلات والاخطار

فان أولى ضرورات ومتطلعات معركةالمصير العربى هى بناء وافر القوة العربية الذاتية الشاملة القادرة على العمل الايجابى من محو تلك الخطوط والحواجز الوهمية التى تفتت الوطن العربى ٠

فقد تعاونت وتآزرت قوى الرجعية لتخدم مصالح الاستعمار ، وتساعد على تركيز قوة وسيطرة نفوذه داخل الوطن العربى وتنفيذ مخططاته الاستعمارية ٠

فقد كان من هدف الاستعمار فرنسة الجزائر وتهديد فلسطين ، وخلق دولة اسرائيل الحثالة من البشر ، بل وتأييد سلخ لواء الاسكندرونة من سوريا وضمه الى تركيا واثارة القوات الطائفية والمذهبية والرجعية والانفصالية واستغلال واحتكار ثروات ومقدرات الوطن العربى وبخاصة الثروة البترولية التى تئن تحت وطأة الاحتكار الامبريالى للاستعمار ٠

ولكن دوام هذه الحال كان من المحال ٠ وكان لابد من أن يتفجر الوعى الثورى فى الامة العربية ، وتتحطم اغلال العبودية والاستغلال ٠

ولقد كانت ثورة ٢٣ يوليو بمثابة نقطة الانطلاق الى بناء القوة الذاتية المعاصرة للامة العربية جمعاء ٠

حقا ان هناك قوى التحديات المعادية والمعرقلة للامة العربية وهى تجابه الامة العربية وهى تسعى الى بناء وتوفير قوتها الذاتية المعاصرة

وقد قام المؤلف باستعراض هذه القوى المتحدية ، اذ ظهر كثير من التيارات العالمية التى تحاول ان تجرف الامة العربية أمامها لتتخذ من ذلك ذريعة الى التدخل والاستغلال ٠

وفى الصراع العالمى المصلحى النفعى وفى ظل الحرب الباردة والسباق الجبار فى ميدان التسلح والتجارب الذرية والاحلاف العسكرية والمناورات والمؤمرات داخل اروقة الامم المتحدة لن تتمكن الامة العربية من الوصول الى أهدافها الا فى ظل ربوع السلام وعدم الانحياز

ومن هنا فان الحياد الايجابى وعدم الانحياز مبدأ آمنا به وعقيدة اعتنقناها وتعبير عن واقع سياسى تاريخى وتعبير عن واقع اجتماعى تقدمى

وفي ظل الحياد الايجابي وعدم الانحياز نحن نقوى ذاتيا كل يوم وندعم قوتنا الذاتية التي تنبع وتنبثق من اعماقنا عن وعي وادراك وبصيرة للحرية الشاملة للارض العربية وللانسان العربي

ولقد قال الرئيس جمال عبد الناصر : لقد وجدنا عقيدة الحياد الايجابي وعدم الانحياز طريقنا الى طلب السلام بعد معارك مريرة ضد الاستعمار باقنعته المختلفة ابتداء من الاحتلال السافر الى معاهدات التحالف الثنائية غير المتكافئة الى الاحلاف العسكرية ومناطق النفوذ .

ومن التحديات المعوقة للقوة الذاتيه العربية الذي يحاول ان ينشب اظافره في جسد الامة العربيـة ويحاول جاهدا أن يجهز على الفريسة وهو يلفظ الان انفاسه الاخيرة .

والاستعمار الغربي ماهو الا مثلث استعماري اطرافه امريكا وبريطانيا وفرنسا ويدين بالنظام الراسمالي ويدعي التحلي بديموقراطية خيالية هي الديموقراطية الغربية وتجربة زائفة هي حرية العالم الحر

وبعد الحرب العالمية الثانية تجلت سياسة الاستعمار في الوطن العربي فخلق دولة اسرائيل لتكون راس جسر وقاعدة له يدبر منها مؤامراته ومخططاته ضد حركة التحرر العربي

وسعى الاستعمار ايضا الى القاعدة العسكرية ، وتكوين الاحلاف والمواثيق الدفاعية في الوطن العربي ، وفرض المعونات المشروطة ، واستعمال الضغط الاقتصادي وذلك كله للزج بالوطن العربي في دوامة الصراع العالمي ليكون وقودا لهذا الصراع المصلحي .

وفي عام ١٩٥٦ تكشفت النوايا الاستعمارية على حقيقتها بالعدوان الثلاثي الغاشم على مصر .

وهنا رجع المؤلف الى ماقال السيد الرئيس جمال عبد الناصر في هذه المناسبة والى مفهوم السياسة العدوانية في هذه الفترة وهو ان الدافع الاول للعدوان الثلاثي لم يكن هو تاميم شركة قناة السويس فحسب بل طعن القومية العربية في حصنها ومحرابها الاكبر والقضاء على مركز الاشعاع العربي وطليعة النضال العربي التحرري في القاهرة .

ولكن العدوان الثلاثي الغاشم باء بالفشل الذريع . وكان رد الفعل المباشر هو اعلان مبدأ ايزنهاور ليحقق الدوافع التي عجز المعتدون عن تحقيقها ، وفي الوقت نفسه كان نتيجة لتطور سياسة الامبريالية الامريكية التوسعية

ولكن فشل هذا المشروع الاستعماري المغرض حين رفضه العرب الاحرار وتمثلوا فيه ابشع نيات التآمر والعدوان على القومية العربية

ولا تزال قضية فلسطين هي القضية الكبرى التي تشغل بال العرب الذين لن يهدأ لهم بال حتى تعود الارض السليبة الى اصحابها الشرعيين .

لقد كانت هناك حوافز حقيقية للاستعمار فيها الاسراع في اقامة اسرائيل فالاستعمار يرمي الى ان تكون اسرائيل حاجزا جغرافيا يعوق امتداد الوحدة العربية .

والاستعمار يهدف الى ان تكون اسرائيل وسط الاجزاء الممزقة للعالم العربي قاعدة يظل منها تهديده الدائم

والاستعمار يسعى ان تكون اسرائيل اسفنجة كبيرة تمتص الطاقة الثورية العربية .

غير ان الرئيس جمال عبد الناصر اعلن في صراحة تامة لاتقبل الغموض والابهام ولا تحتمل المحاورة او المداورة .

انما من ناحية اسرائيل نؤمن بان الشر الذى وضع في قلب العالم العربي لابد أن يقتلع وان الحق الذى اغتصب من الكل العربي لابد ان يعود الى اصحابه »

ولكن ذلك كله يتطلب قوة عربية ذاتية شاملة

وهذه المشكله تتصل اتصالا وثيقا باوضاعنا الداخلية لانها ترتبط ارتباطا لا انفصال فيه مع قوتنا الذاتيـة الشاملة .

واذا ذكرنا اننا لانواجه اسرائيل وحدها وانما نواجه معها من قوى الاستعمار مالا بد من حسابه ، اذا ذكرنا هذا كله ادركنا حدود القوة الذاتية الشاملة لنا لتصحيح جريمة عام ١٩٤٨

ولكن الاستعمار لايعمل وحده في هذه المعركة انما تقف معه قوى الرجعية اللاهثة .

والاستعمار والرجعية صنوان متلازمان متكاملان . ومنذ ان دخل الاستعمار الوطن العربي وهو يسعى الى خلق منه رجعية ضعيفة الارادة وربط مصالحها بمصالحه ومصيرها بمصيره .

وهذه الفئة الرجعية تكون اداة يتستر وراءها الاستعمار في تنفيذ مخططاته الاستعمارية الهادفة لمحو معالم الوحدة العربية ووأد الطلائع الثورية التحررية وعن طريق هذه الفئة الرجعية يتسلل الاستعمار الى صفوف القيادة والحكم وعلى يد هذه الفئة الرجعية يجرد الاستعمار الشعب العربي من حقه الطبيعي في ملكية الارض ومقدراته وثرواته .

والرجعية العربيه ماهي الا ركيزة الاستعمار في في الوطن العربي تؤمن بالجمود وتلجأ الى اساليب التخفي والتستر وراء شعارات جوفاء داعية الى الدعة والاخلاص والمهادنة .

وهي تلبس لبوس الرهبان حتى تاتى ساعة الصفر التي تتمناها وتسفر عن وجهها الحقيقي وشعاراتها الكاذبة ونواياها الغادرة

وطائفة الرجعيه تحاول الفت في عضد القوة الذاتية العربية وتحد من انطلاقاتها وتعوق تقدمها وزحفها المقدس .

كما لاشك ان فئة المتآمرين باسم الدين يخصون لهذه الطائفة الرجعية فالدين من اعمالهم براء والعروبة كلها تستنكر افكارهم المسمومة ، وتستنكف اعمالهم المذمومة ولكن العرب لن يهتزوا لكل هذه الافاعيل ولن يتركوا لكل هذه المؤامرات .. « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الارض »

موقف الإسلام من الطبقية

فضيلة الشيخ محمود وفا هاشم

معجزة من المعجزات الخالدة أن ينشأ الاسلام فى جزيرة العرب بعد أن حفلت زمنا طويلا بالملوك الذين تحدث عنهم التاريخ ، وأضفى عليهم المؤرخون كل سمات الظلم ، وصفات الجور والاستبداد والطغيان ، والاستعلاء على اتباعهم الذين دانوا لهم بالولاء والتقدير حينا ، والخضوع والذلة ، والاستكانة حينا آخر

فقد كانت العزة عندهم مقرونة بالظلم . كما أن الجاه والسلطان لايستقيمان لديهم ولا يتمان فى نظرهم الا باستعباد الآخرين بصور شتى يطلقون فيها العنان لاشباع شهواتهم النهمة ونزواتهم الصادية

فاذا بحثت بعد ذلك عن آثارة من علم أو عدل أو حرية فردية أو جماعية ، أو فضيلة من الفضائل التى تتطلبها الانسانية لاتجد الا استبدادا لانظير له حتى فى أشد الدول ظلما وطغيانا .

كان النعمان بن المنذر ملكا من ملوك الجزيرة العربية وقد دون له التاريخ فى صحائفه ما اتسم به من جور وما عرف عنه من شطط فقد اتخذ من الزمن يومين جعل احدهما لنعماه يغدق فيه الخير ، ويصنع المعروف ، ويجزل العطاء لمن ساقه القدر وواتاه الحظ وبسمت له الحياة ، وجعل الآخر لبؤسه يرضى فيه نفسه الغاضبة باراقة الدماء البريئة ، وقتل نفوس لاحول لها ولا طول لم تقترف اثما ، ولم ترتكب ذنبا ، ولم تجترح سيئة تؤاخذ بها ، وتعاقب عليها اللهم الا نكد الدنيا ، وشؤم الطالع وتنكر الزمان ، وطغيان الحاكم واستبداد السلطان .

وكان عمرو بن هند ملكا عربيا وقد بلغ من استعلائه على قومه ، واحتقاره لشعبه واستهانته بمن دانوا له بالطاعه والولاء أن ترفع عن مجالستهم ومخاطبتهم الا من وراء حجاب • كما زينت له نفسه أن يتخذ من سادات القبائل خدما فى بيته • وكان يعاقب فى قسوة لاتعرف الرحمه ، وشدة لاتعرف اللين كل من استنكف من ارسال أمه لتكون احدى الخدم فى قصوره الحافلة بالفسوق - الآهلة بالعصيان - وكان يكفى المستدل على فساد الحكم فى الجزيرة العربية قبل الرسالة المحمدية ما ذكرته عن هذين الملكين العربيين لكن صورة ثالثة جذبتنى اليها ورأيت أننى فى حاجة ماسة الى وضعها في هذا الاطارلتكون أقدر دليل على ما كان شائعا قبل عصر النبوة من استهتار بالشرف ، والأعراض ، والأنساب جميعا كان عمليق ملكا لطسم وجديس وقد بلغ به النزق والطيش مبلغا استباح معه أعراض العفيفات من فتيات العرب ، وكريمات الأسر ، فكانت كل عروس تساق اليه قبل أن تزف الى بعلها فلذا قضى منها حاجته ، وأشبع رغبتـه ، وحقق مأربه تركها تذهب الى بيت زوجها تحمل عارا فوق رأسها ، وجنينا يضطرب فى أحشائها ان اتسعت له الصدور فلن تتسع له البطون ، وان ضن به اليوم فلن يضن به الغد

وتصور لنا فتاة من فتياتهم هذه الصورة القاتمة التى يندى لها جبين الانسانية فى أبيات من الشعر تثير بها حماس قومها وتستنهضهم على مقاومة الظلم ، ومنازلة الطغيان ، وصيانة الأعراض • حيث تقول فى قصيدة جاء فيها :

فان أنتم لم تغضبوا بعد هذه
فكونوا نساء لاتعاب من الكحل

ودونكم طيب العروس فانما
خلقتم لأثواب العروس وللنسل

وقد كانت هذه المعانى كلها ماثلة فى أذهان القوم الذين عاشوا تلك الحقبة من الزمن وعاصروا الجرائم الانسانية وهى تمثل على مرسح الحياة العابثة اللاهية • ولا غرابة فى ذلك فقد حكى القرآن على لسان احدى ملكات العصر مايعطينا صورة صادقة عما كان فيه حيث قال سبحانه **(ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون)**

فى هذه البيئة المريضة بأدواء العصبية البغيضة ، والمجون القاتل ، واللهو العابث ، وفى حياة مادية ترهق العقل ، وفى واد غير ذى زرع ، وجيل غير ذى خلق ، بعث محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى وهبه ربه صفاء فى النفس ، وارهافا فى الحس ، وسموا فى الادراك وسدادا فى الرأى ، ونضوجا فى العقل ، وفصاحة فى اللسان ، وسحرا فى البيان • فما كاد يعلن بين القوم دعوته حتى تحولت عليه مكة الى أتون مستعر يقذفه باللهب ، ويتلقاه بالشرور فى كل خطوة يخطوها فى سبيل الله • ويفتن أهلها فى الحاق العذاب به ولكنه صمد لهؤلاء وأولئك جميعا ، وتحمل ما لا يتحمله بشر الا بعون من الله ومدد منه •

وقد أطلت العصبية برأسها وتطاولت الطبقية بحمقها اذا اعترضت حتى على الله الذى اختار محمدا صلى الله عليه وسلم لرسالته وهو اليتيم الفقير وترك عظيمى القريتين وهما فى رأيهما أحق بهذا التكريم السماوى حيث قالوا ماحكاه الله عنهم فى القرآن الكريم **(وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)** فالمراد بالقريتين مكة والطائف وكان عظيم مكة يومئذ الوليد بن المغيرة ، وعظيم الطائف أبو مسعود بن عمر الثقفى وقد رد الله عليهم أبلغ رد حيث قال **(أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون)**

ان الاسلام يقف دائما فى وجه المجتمعات المريضة المضطربة التى يختل ميزانها الاجتماعى فتنقسم تحت أطماع طائفة من أبنائها الى اشراف وسوقة ، وسادة ، ورقيق • وقد كان المجتمع الجاهلى على هذا النحو من الانقسام الذى لايبروه الاسلام ولا يستطيع أن يقف منه موقف الجمود لأنه الدين العام الخالد الذى جاء لانصاف الضعفاء من الأقوياء ، والفقراء من الأغنياء ، وجعل الناس جميعا أمام الله فى الحقوق والواجبات سواء لافضل لغنيهم على فقيرهم ، ولا لقويهم على ضعيفهم الا بالعمل الصالح يتقرب به صاحبه الى الله (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وفى الحديث (الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى)

ان دخول المستضعفين الدين الجديد والتفافهم حول صاحب الرسالة أقض مضاجع القرشيين الذين رأوا فيه ذهابا لسلطانهم ، وضياعا لمجدهم ، وقضاء على سيادتهم وكبريائهم ودفعهم الى التفكير الجدى فى الموقف عساهم أن يجدوا ما يبررون به وضعهم فى المجتمع الجديد • لذلك عرضوا على سيد البشر عروضا عله يرضاها ويروض نفوس أتباعه عليها ، انهم يعرضون عليه اسلامهم الذى يحرص عليه محمد صلى الله عليه وسلم الحرص كله لأنه جوهر الدعوة التى بعثه ربه بها على أن يتخلى عن المستضعفين ويقطع ما بينه وبينهم من صلة، وما يربطهم به من سبب • انه ان فعل آمنوا به وصدقوه وكفوا عنه أذاهم ومنعوا عنه كل معتد أثيم ، ويسروا له طريقا مفروشا بالورود والرياحين •

ولكن الانسان الكامل الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وشهد له بعظمة الخلق حيث قال **(وانك لعلى خلق عظيم)** لم يجد من نفسه الا اباء وشمما اذ كيف يتخلى عنهم وهم السابقون الى الاسلام الذين استرخصوا دماءهم وأجسامهم، وتحملوا فى سبيل عقيدتهم ألوانا من العذاب، وأنواعا من الأذى لاتتسع له الا صدور ذاقت حلاوة الايمان •

لم يكن هذا الاباء قاضيا على رجائهم فبعثوا مرة أخرى يقولون ان لم يكن من بقائهم بد فلنكن فى مقدمة الصفوف لأننا سادة متبعون وليكونوا فى المؤخرة لأنهم أتباع مستضعفون ، ويفكر الرسول صلى الله وسلم فى هذا العرض الجديد ، ويعمل فيه رأيه وعقله وماذا عليه لو جعل الصدارة ، تاليفا لنفوسهم ، وترغيبا لقلوبهم رجاء أن يعز الله بهم دينه ، وينشر مبادئه واحكامه التى جاءت لاسعاد البشر ، واخراج الناس من الظلمات الى النور • فاذا وصل الايمان الى قرارة نفوسهم وأدركوا لذته وذاقوا حلاوته تركوا العصبية الموروثة ، والعنجهية المقوتة • وليس على السابقين الى الاسلام فى ذلك ضرر •

وفى هذه الفترة التى انتاب نفس محمد فيها شىء غير قليل من التردد ينزل الوحى بخبر السماء فينهى القضية ، ويحسم النزاع بما لا يدع مجالا لشك ، ولا يبقى أثرا لتردد أو ريبة • وفى ذلك يقول الله سبحانه (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين) •

وهكذا أصدرت السماء حكمها ، وألقت كلمتها ، وبينت أن المبادىء لايضحى بها ، وأن من دخل دين الله فليطهر صدره من الحقد ، وليخلع عن نفسه أردية الاستعلاء والكبر •

طهر الله قلوبنا ، ومحص نفوسنا ، وهدانا الى ما يحبه ويرضاه •

الدكتور الدرديرى

من دعاة الإسلام والتعاون والأخلاق

الأستاذ أنور الجندي

كان ادعاء التغريب والاستعمار والشعوبية هو أن « الاسلام » دين ، وللدين رجال يمكن أن يطلق عليهم (رجال الدين) وهؤلاء وحدهم هم الذين يتحدثون عن الاسلام وكان دحض هذه الدعوى واضحا فى ظهور جيل من « دعاة الاسلام » من غير رجال الأزهر تأكيدا بأن « الاسلام : دين وفكر وحضارة » وأن الاسلام لا يعترف بكلمة رجال الدين وان اعترف بتخصص طائفة من العلماء للدراسات الاسلامية والفقهية ، أما فيما عدا ذلك فان كل مثقف مسلم يستطيع أن يشارك فى هذه الدراسات والأبحاث . وقد ظهر فى الثلاثينات جيل من « دعاة الاسلام » من خريجى الجامعات الاوروبية ودارسى العلم الحديث من أمثال : الدكتور على مظهر ، خريج جامعات برلين ، محب الدين الخطيب الحقوقى القانونى من كلية حقوق استانبول ، عبد العزيز جاويش خريج جامعات كمبردج والمدرس بجامعة اكسفورد ، والدكتور يحيى أحمد الدرديرى دكتور فى الحقوق والعلوم السياسية من جامعات سويسرا والمانيا ، وعشرات من أمثال هؤلاء . ويتميز الدكتور الدرديرى بانه اذا كان قد بدأ حياته من رعيل الحزب الوطنى كعشرات من مثقفى أوائل هـذا القرن ، فانه تخصص فى أمرين : دراسات التعاون . والدراسات الاسلامية .

ومنذ عاد الدكتور الدرديرى من أوربا بعد ان أقام فيها قرابة ثلاثة عشر عاما مبعدا عن وطنه خلال الاحتلال البريطانى فانه منذ عاد وقد حمل قلمه فى سبيل هذين الهدفين .

أما التعاون فقد رافق فيه خطوات رائد التعاون « عمر لطفى » وتابعه من بعد موليا دراسات التعاون اهتمامه الاكبر ، شارحا ومستفيضا فى عشرات من الأبحاث فقد أفرده بالدراسة فى جامعة جنيف وكان بعد عودته رئيس جمعيات التعاون بالقاهرة وقد عمل فى بنك التسليف ، وله فى التعاون دراسة مطبوعة بالاضافة الى عديد من الدراسات التى نشرها فى مجلة الشبان المسلمين منذ صدورها عام ١٩٢٩ الى أن توفى عام ١٩٥٤ .

ولقد كانت دعوة الدكتور الدرديرى الى « التعاون » تعنى فى هذه الفترة أنه لا يرضى عن ذلك النظام الذى كان يطبقه الاقطاع قبل الثورة ، فقد كانت دعوته الى التعاون انما تعنى فلسفة عميقة واسعة الأبعاد ، تشمل مختلف أنظمة الحياة اجتماعية وسياسية واقتصادية .

يقول « اذا ما بحثنا عن تأخر الشرقيين والمسلمين عامة والمصريين خاصة نراها ترجع الى أسباب كثيرة أهمها : فقدان روح الاتحاد والتآلف بين الأفراد للقيام بالمشاريع النافعة لترقية الشعوب والنهوض بهـا على مستوى رفيع ، ان روح العصر الحاضر هى روح الجماعات ، روح التضامن والتعاون ، وما نهض الغرب وساد الا بهذه الروح القومية .

ولقد كان الدكتور الدرديرى يرى فى « التعاون » منطلقا لافكاره الاسلامية فقد كان يرى فى « الفكر العربى الاسلامى » ذخيرة خصبة لا حد لها فى بناء النهضة للامة العربية والعالم الاسلامى كله . وهو الذى أمضى ثلاثة عشر عاما بين جامعات أوربا دارسا وفاحصا وحاصلا على أعلى درجات العلم منها فى مجال العلوم السياسية ، فما زاده هـذا العلم الواسع الا ايمانا

بجذوره ، وتراثه ، لم تغره مظاهر الفكر الغربى ولم تنحرف به عن « القيم العليا فى الاسلام » وفى الفكر العربى الاسلامى وفى مجال اللغة العربية والتاريخ العربى الاسلامى حقا ، لم يكن متعصبا أو رجعيا ، ولكنه كان صادقا مع نفسه ومع ضمير أمته فاخذ من الفكر الغربى ما رآه انسانيا ، وأخذ من أساليبه ومناهجه ما يحقق للفكر العربى الاسلامى وللقيم الاسلامية الروحية والاجتماعية والسياسية والعلمية ما يمكنها من ان تبرز وتحيا وتحقق أثرها العملى فى اعلان فجر نهضة جديدة للأمة العربية والعالم الاسلامى .

ولا شك كان الدكتور الدرديرى مؤصل الثقافة العربية والاسلامية قبل أن يذهب الى أوربا ، كانت له قاعدة فكرية عالية ممتدة من أمته ووطنه ومن الاسلام واللغة العربية والشرق مهد النبوات والرسالات ، ولعل هذا هو الذى حفظه ومكنه من أن يمتص من فكر الغرب ويقتبس متمكنا ليبعث فكر الاسلام ويحييه ويعيش له داعيا فى غيرة لا حد لها بعظمة الاسلام وقدرته على أن يمد الانسانية بالخير والحق والعدل .

ومن هنا كانت أبحاثه المتعددة فى مجلة الشبان المسلمين كل شهر فى هذا المجال ، فهو يتحدث عن تربية النفس عن طريق الفكر ، ويتحدث عن أثر المرأة وما يجب أن تكون عليه ، ويتصل بحثه بالقرآن ، ودراسة مشاكل المسلمين والعالم الاسلامى فلا يكاد يدع أمرا من أمور المسلمين وفكرهم وقضاياهم دون أن يتناوله بالبحث ويقضى فيه بالرأى المعتدل الهادىء العميق .

واذا كان الأسلوب هو الرجل فان الدكتور الدرديرى فى شخصيته يتمثل فى هذه الصورة من اسلوبه معتدلا هادئا عميقا يكتب فى اناه ، ويبحث فى عمق ، ويعالج المسائل دون عنف أو معاركة أو خصومة ، متحليا بخلق علماء الاسلام وطابع المفكرين الذين سبقوه على الطريق من فلاسفة وباحثين .

أما أبرز أعمال الدكتور « الدرديرى » فهو اشتراكه فى انشاء جمعية « الشبان المسلمين » والعمل بها منذ انشائها عام ١٩٢٧ الى أن توفى رحمه الله ، وهو المراقب العام لها ، كاتبا وعاملا لا يكل ولا يمل خلال ربع قرن كامل ، يصدر المؤلفات ويرعى الشباب ، ويعمل ما وسعه العمل فى مجال التعاون وفى مجال الفكر الاسلامى العربى .

وقد كان انشاء جمعية الشبان المسلمين هو « رد التحدى » ازاء المعركة الضخمة التى أثارها التبشير والتغريب فى حركة عنيفة هزت الرأى العام ، فكان لابد ان تتجمع قوى مؤمنة بالله والوطن والفكر الاسلامى العربى لتواجه الخطر ، وقد كان على رأس هؤلاء مثقفون تعلموا فى الغرب أو وفق مناهج الغرب ، وكان هؤلاء هم الذين يخاصمون هذه المحاولة فى تشويه مفاهيم العالم الاسلامى وقيمه فقد هاجم هذا الاتجاه الدكتور هيكل الذى تعلم فى باريس ، والدكتور زكى مبارك الذى تعلم فى السربون ، والدكتور الدرديرى ، والدكتور أحمد فؤاد ، والأستاذ محمد أحمد الغمراوى أستاذ الكيمياء بكلية الطب والدكتور على مظهر خريج جامعات ألمانيا والأستاذ محمود على فضلى أستاذ الطبيعة بجامعة القاهرة ومن عجب ان هؤلاء الذين درسوا العلوم والطبيعيات كانوا أكثر ايمانا وأعمق فهما لقيم الفكر العربى الاسلامى ، ومعنى هذا انه ليس خريجو الأزهر ودار العلوم وحدهم هم الذين كانوا يقاومون حركة التبشير والتغريب والشعوبية ويدافعون عن الاسلام والفكر العربى ، ولكن العلماء الذين تعلموا فى مدارس الغرب استطاعوا ان يكونوا أشد وفاء لجذورهم ولم يستطع منهج التغريب الذى فرضه الاستعمار والتغريب أن تخدعهم أو تقصيهم عن قيمهم وان وقع ذلك بالنسبة لعدد قليل ممن لم يبنوا قوائم فكرهم أساسا على القيم العربية الاسلامية .

وقد كان الدكتور الدرديرى ومعه شهادات جامعات سويسرا وألمانيا يستطيع أن يتدرج فى وظائف الدولة حتى يبلغ أعلى مناصبها ولكنه اختار ان يعمل فى مجال الخدمة فى جمعية الشبان المسلمين ومجال التعاون بينما زملاؤه ممن تعلموا مثل علمه ـ على حد تعبير السيدمحب الدين الخطيب ـ قد أخذوا كل شىء ولم يعطوا شيئا ، بينما تجرد الدكتور الدرديرى من هذه المطامع وأعطى من ذات نفسه وعلمه ، وذلك هو « الطريق » الذى سلكه وكتب عنه كتابه الممتع « الطريق » داعيا الناس اليه على انه طريق من يأخذ الكفاية ويعطى كثيرا مما عنده ، وقلما يأخذ وهو لا يزاحم فى مطامع الحياة ولا يجعلها همه الأكبر ، ولكنه يعمل على حد دعوة الاسلام الى العمل ، منتجا قويا ، ولكنه لا يتطلع الى الاجر والجزاء فان أكبر همه ان يمنح ولا يزاحم حول المتاع المادى وتلك أعلى مفاهيم « الزهد » عنده .

والدكتور الدرديرى يرى ان « القرآن » هو : العقد الذى بين الله وعباده لسكنى هذه الأرض ، والاسلام هو دعوة « الانسانية » فى أعلى درجاتها ، وان ابرز معالم رسالة النبى هى : العلم والبحث والاستقراء ، تقديرا لأن أول آيات القرآن الكريم نزلت فى ذكر العلم والاشادة بالعلم وعنده ان معجزة معجزات الاسلام ونبيه هى حضه على العلم والتعليم مؤكدا ان لباب دعوته هى محاربة الجهل واخراج الناس من الظلمات الى النور ، ويصور معنى الزهد فى الاسلام وهو عنده « ان تملك الدنيا لصالح الاعمال فتصرفها فى وجوه الخير لصالح البلاد وخير العباد ، والزهدليس بأكل الخشن ولا لبس الفليظ وانما الزهد قصر الامل ، وان الرجل ليكون عنده المال وهو زاهد فى الدنيا » .

وقد حمل الدكتور الدرديرى لواء الدعوة الى توطيد العلائق بين الأمم الاسلامية ، فهو يرى ان يتكتل المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ليدرءوا عن أنفسهم طغيان الاستعمار ، وعنده أن « الجامعة الاسلامية » هى العمود الفقرى للجامعة الانسانية التى تستطيع أن تحقق السلام العالمى المنشود ، وتضمن للانسان حريته وكرامته على وجه الأرض وعلى اختلاف دينه وجنسه ولونه ، ولا يرى الدعوة السياسية الى الوحدة محققة امرا الا اذا كون المسلمون أنفسهم على « الأخلاق » والقوة والاخاء ، فهى أساس كل نهضة وعنده ان « الجهاد » ليس هو جهاد العدو بقدر ما هو جهاد النفس . وان النصر فى هذا المجال هو نصر على العدو أساسا ، وعنده « ان ما أصاب الأمم الاسلامية فى حياتها الاجتماعية من الخلل والانحلال وما طرأ عليها من الضعف والوهن يرجع أساسا الى الجهل المنتشر ، والتقليد لسيئات المدنية الغربية ، واهمال الفتية المتعلمة منا لواجباتها فى محاربة البدع والضلالات التى سرت فى جسم الأمة » وعنده أن حضارة الأمة تعلو بقدر تمكنها من ضبط نفسها ، أعنى بقدر ثبات اخلاقها ورسوخها » ويقول مع جوستاف لوبون « ان نواميس الأخلاق ليست أمورا فرضية ولكنها ضروريات لازمة » وعنده « انه ليس هناك دواء ناجع لأمراض العالمالاسلامى الا بالرجوع الى القرآن الكريم » وهو خير كتاب يدعو

الى جماع الفضائل فى أعلى مراتبها ، وأدب القرآن مؤسس على الدعوة الى الاصلاح والعمل لخير الجميع ، وقائم على حرية العلم والفكر وهما أساس النهضة الصحيحة ، وهو يدعو الى التسامح وارتباط الانسانية » وهو يردد دائما هذا المعنى الذى استهل به العدد الأول من مجلة الشبان المسلمين ويكرره فيقول :

« أن أولى الخطوات لنهوضنا هو ايقاظ « الروح الاسلامية » واذا قلنا الاسلام ، قلنا الفضيلة الجامعة لأكمل الصفات وأرقى الأخلاق » والدكتور الدرديرى لا يرى العلم وحده كافيا للنهضة ما لم يرفده خلق ولذلك فهو لا ينى يردد الدعوة الى « الخلق » فيقول « ليس العلم بكاف وحده لرفعة الأمة وتقدمها ، ولكن ذلك لا يكون الا بالأخلاق السليمة القوية ، واخوف ما نخافه على نهضات الأمم الاسلامية والشرقية هو الاكتفاء بالعلم الحديث دون مراعاة الأخلاق والعناية بها ، فتتعرض الأمم الى الكبوات والزلات ، ومما يؤسف له ان العلم أصبح قبل كل شىء وسيلة الارتزاق ، وكثيرا ما يؤدى بصاحبه الى طرق لا تتفق مع الكرامة والشرف ، ولو كان لهذا العلم حارس من الخلق والعزة النفسية لما نزل بحامله موضع الخسة والامتهان » .

واذا كان الدكتور الدرديرى قد نشر كتبه : (١) مكانة العلم فى القرآن (٢) التعاون (٣) كيف نعلم القرآن لأبناء المسلمين (٤) حياة محمد (٥) هداية القرآن لبنى الانسان (٦) الطريق (٧) اركان الاسلام ، فان له تراثا ضخما ما يزال فى بطون الصحف والمجلات وفى مقدمتها مجلة الشبان المسلمين وصحيفتى اللواء والاخبار ، وما تزال هذه الآثار النافعة تتطلع الى من يجمعها وينشرها فى الناس تقديرا لكفاية هذا العالم المجاهد ، الذى احتجزه الاستعمار فى أوربا اثنى عشر عاما منذ ١٩١٢ - ١٩٢٤ وحال بينه وبين العودة الى مصر فاذا عاد فانه لا يلبث أن يعتقل فى حادث الاعتداء على « سعد زغلول » ومقالته الرائعة فى جريدة الأخبار (٢٠ نوفمبر ١٩٢٤) تحت عنوان « ٦٥ يوما فى (الزنزانة) السجن الانفرادى » تكشف عما كان يلقاه أمثال هؤلاء المجاهدين العلماء من تضييق الاحتلال عليهم لأنهم مؤمنون بوطنهم ، واذا به يلتقى فى السجن بالشيخ عبد العزيز جاويش الذى كان عائدا لتوه من مهجره ، يقول :

« ما كان يدور بخلدى اننى بعد غيابى اثنى عشر عاما ونصف عام فى أوربا يحتفى بى بعد أربعة أشهر من مجيئى الى وطننا العزيز ويضعنى فى دار سجنها أكثر من شهرين تحت التحقيق تحية للقدوم ، قد مضت على اثنا عشر عاما فى أوروبا فى الدرس بين الجامعات ودور الكتب ، ولكن بحث الحقيقة من الوجهة النظرية لاتكفى فى اختبار الامتحانات وأخذ الشهادات العليا اذ لابد من اجتياز الامتحانات العملية » ! .

وهكذا يعود المهاجر ليجد السجن ، ولكنه يفكر فى السجن مع الشيخ جاويش فى انشاء صحيفة وفتح مدرسة وانشاء جمعية لخدمة الفقراء ، ولا يسأم عمل الخير ولا ينقطع عن أعمال البناء ، ولا شك ان الدكتور الدرديرى نموذج من تلك النماذج الباهرة التى عملت فى ظل فترة ما قبل الثورة المصرية العربية ، وحملت الشعلة واضاءت الطريق الى الحرية واليقظة ، ومن هنا تفسح الثورة المجال لتكريمها ولا تضن عليها بالتقدير واحياء تراثها .

التصوف فى شعر

كان الشاعر الفيلسوف محمد اقبال أعظم من انجبته الهند وأعدته الطبيعة سخاء الى العالم الاسلامى فى القرن العشرين . ولم يكن تأثيره فى مجال من المجالات الاسلامية أو جانب من جوانب الحياة الانسانية أو طائفة من الطوائف الاسلامية فقط بل يشمل جميع المجالات والجوانب والطوائف . واتجاهاته الشعرية متعددة الاطراف والجوانب بحيث لانجد له مثيلا فى الشرق الاسلامى كله كما هو مفكر كبير وداع اسلامى عظيم وسياسى عميق وانسان موهوب لن تشهد مثله العيون . ويكفينا هنا على سبيل الحجة والدليل أن نسجل قول الدكتور فيضى « سفير الهند السابق فى مصر وزعيم الطائفة الفاطمية » فى أحدى محاضراته التى القاها فى جامعة برنستون فى أمريكا : « ان اقبال كان شاعرا ذا قلب وعقل كبيرين وقد ألهم كل طوائف المسلمين فى الشرق بروح من التأمل الباطنى » .

ولا يمكن لنا فى هذه العجالة أن نتناول جميع جوانب اقبال بل نكتفى بالحديث عن تصوفه ومنبعه ومصدره لأن التصوف الاسلامى له أثر عميق فى المجتمع الاسلامى على مر العصور وفى الثقافة الاسلامية فى مختلف المراحل والأزمنة . وقد تفاعلت معه حياة المسلمين ايجابيا أو سلبيا منذ ازدهر التصوف وترك أثرا بعيد المدى اما فى صالح المجد الاسلامى أو فى الحاق الضرر اليه .

حقا ان اقبال شاعر فيلسوف صوفى . ولكن أى التصوف هذا ؟ هل هو التصوف السلبى الذى عرقل سير المسلمين نحو التقدم والمجد بآرائه السلبية والرياضيات الشاقة والحياة التقشفة والزهد والابتعاد عن الحياة والتمتع بزينة الله ونعمه فى هذه الحياة .

الشاعر اقبال

الأستاذ محمد اسماعيل الندوي

كلا ! لم يكن تصوفه من هذا النوع بل نبع من صميم قلبه الصافي في ضوء فلسفته العميقة ودراساته الشاملة وتأمله العميق في الافاق والأنفس وتجاربه الواسعة التى حصلت له ووقفته الطويلة التى قضاها في دراسة ماضي المسلمين وحاضرهم ومستقبلهم في ضوء التطورات الحديثة والمقتضيات المعاصرة ومطالب الحياة الحديثة راميا الى اعادة المجد الاسلامي ورونقه وبهجته ..

كان التصوف نوعين في نظر اقبال • الاول التصوف الهدام الذى يدعو الى الكسل وترك العمل والتعمق في الوجدان دون التفكير في الافاق والانفس والزهد عن الدنيا بدلا من استغلال الطاقات الكامنة الهائلة التى خلقها الله في هذا الكون لصالح البشرية كلها .والثاني التصوف الهادف البناء الذى سماه « الذات » .

وقد تكلم في ماهية التصوف ومصدره وهدفه في احدى رسائله التى بعثها الى صديق له في الهند وهو سراج الدين في ١٠ يوليو سنة ١٩١٦ م قائلا : نرى في كثير من الشعراء الفرس ميولا شديدة الى فلسفة وحدة الوجود . لقد وجد فيهم هذا الميلان حتى قبل الاسلام . فلما اعتنقوا الاسلام حال الاسلام دون انتشار أو نمو هذه الفلسفة ولكن سرعان ما انتهزت هذه الفلسفة فرصتها النادرة لظهورها وازدهارها حتى طغت عليهم بمرور الزمن هذه الفلسفة النابعة من صميم ارض آبائهم • وبعبارة اخرى قد ظهر في المسلمين تراث ادبى جديد اساسه فلسفة وحدة الوجود . لقد حاول هؤلاء الشعراء الفرس تحريف مظاهر الاسلام وتشويه الشعائر الدينية بأثر هذه الفلسفة وأعطوا صورة مشوهة لكل شيء هادف بناء في الاسلام . من ذلك أن الاسلام يعتبر الفقر مرضا اجتماعيا في حين نرى الشاعر الفارسي حكيم السنائي يعده سعادة أى سعادة . ويرى الاسلام أن الجهاد في سبيل الله وسيلة هامة للحياة الفضلى في الدنيا والاخرة على حين نرى الشعراء الفرس يلتمسون فيه غايات غير ما يستهدفها الاسلام .

قال شاعر منهم . المجاهد الذى يستشهد في سبيل الله لا يدرك بالمرة ان الشهيد في سبيل العشق الالهي أفضل منه وأعلى . وسوف ينادى مناد يوم القيامة أن الشهيد في المعركة ضحى نفسه ضد عدوه وأما الاخر فهو استشهد في سبيل حبيبه وصديقه .

وهذه الأبيات رائعة جدا من الناحية الشعرية والأدبية أما من الناحية الحقيقية فليس هناك أسلوب مسموم خطير أجدى وأبلغ في تشويه الصورة الحقيقية للجهاد في سبيل الله . وقد وضع السموم هذا الشاعر الفنان بمهارة بالغة بحيث لايدركه القارىء ولا يشعر به مطلقا بل على العكس يظن أن هذا الشعر يصور حياة خالدة . ويالالاسف ! فالمسلمون قد وقعوا في هذا الدرك الأسفل من الجهل منذ قرون بعيدة .

وبهذا يرى اقبال ان فلسفة وحدة الوجود السلبية نبعت أول ما نبعت من تراب الفرس وازدهرت في الآداب الفارسية قبل ازدهارها في الادب والعربى • ثم يقول اقبال في رسالة أخرى الى نفس هذا الصديق في ١٤ يوليو سنة ١٩١٦ م : « كان الشاعر عراقى أول شاعر فارسي في التصوف الذى نظم آراء الصوفي محيى الدين بن عربي في كتابه « فصوص الحكم » . وانى أرى أن كتاب فصوص الحكم ليس فيه الا افكار ملحدة ونزعات زنديقية • وما آخر شاعر صوفي في الادب الفارسي فهو « حافظ الشيرازى » . ومما يدهشنا أن جميع الشعراء المتصوفين ظهروا ابان انحطاط المسلمين والتخلف الفكرى والمادى . وهذا بدهى .لان مثل هذه النزعات السلبية لاتجد لها طريق الازدهار الا في مثل هذه الظروف السوداء وذلك بعد أن ذهب مجد المسلمين وقوتهم اثر الغارات التتارية على البلدان الاسلامية . وبهذا تغير مجرى التفكير الاسلامي وأصبح الضعف صفة جميلة وترك الدنيا من جملة أسباب الراحة والطمأنينة . وفي الحقيقة نجد من وراء هذه التعبيرات اليائسة الكسل واليأس والهزيمة مستورة متغلغلة .

ومما يذكر في هذا الصدد أن الأدب الفارسي ازدهر في وقت واحد في كل من الهند وبلاد الفرس حيث كان يحكم البويهيون ثم السامانيون ثم الغزنويون والغوريون وحينما ظهر في بلاط محمود بن سبكتكين الغزنوى « ٢٨٩ هـ ٩٠١ م » الفردوسي - الشاعر الفارسي العظيم قد حلت اللغة الفارسية محل اللغة العربية في الهند الاسلامية . ثم نزح الى الهند الاف من الكتاب والشعراء الفرس من أقصى البلاد الاسلامية اثر الغارات التتارية وأقاموا فيها ندواتهم الشعرية والأدبية حتى أصبحت الهند تضاهي ايران في الأدب الفارسي الى سقوط الدولة المغولية في الهند في مستهل القرن التاسع عشر على أيدى الانجليز .

ومن أجل ذلك وجد هذا التصوف السلبي طريق الازدهار والنمو في الهند أيضا قبل أى قطر من الاقطار العربية والاسلامية . وبهذا تغلغلت النزعات الصوفية في الأدب الهندى قاطبة . ويرجع سببه في أن الهند كانت منذ العصور الغابرة أرض الحكمة والفلسفة .

فهذا اللون من الحياة لم تكن غريبة ولا تتميز بصعوبة ولذلك تأثر بهذا التصوف كل من الهنود المسلمين والهندوكيين على السواء . وفى هذا العصر ظهرت فى الهندوكيين فلسفة وحدة الوجود مستمدة عناصرها من التصوف الايرانى تحت زعامة « شنكر أشارى » الفيلسوف الهندوكى الشهير « ٧٨٨ - ٨٢٠ م » كما سيذكره اقبال قريبا ان شاء الله .

وهذه الظاهرة هى التى جعلت اقبال - بعد كلامه فى ماهية التصوف الايرانى - يتعرض للهند دون سائر الاقطار الاسلامية . قال اقبال فى احدى رسائله الى الاستاذ سراج الدين فى ١٩ مارس سنة ١٩٣٥ م مايلى نصه : قد وقعت الهند منذ قرون عديدة فريسة للفكر الايرانى . فلم يشم هؤلاء رائحة الفكر العربى السليم وأهدافه وغاياته . ولذلك صبغت أدابهم واتجاهاتهم بالصبغة الايرانية البحتة ، وارى فى هذه القصائد « يقصد مثنوى أسرار خودى أى قصائد أسرار الذات » ان أسدل الستار على وجه الحقائق الاسلامية التى نشرها رسول الله صلى الله عليه وسلم . لقد ظن المتصوفون الهنود بعد صدور هذه القصائد أنها هجوم على تصوفهم . وهذا الظن صحيح الى حد ما . وسوف أتحدث - باذن الله - فى الجزء الثانى من هذا الديوان عن مصدر هذا التصوف وأهدافه وغاياته ومدى مطابقته مع حياة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

وقال فى رسالة أخرى وجهها الى سراج الدين فى ١٩ يوليو سنة ١٩١٦ م : « ومن سوء حظ المسلمين الهنود قد ذهب عنهم الفكر العربى . ولذلك لايفسرون القرآن طبقا للروح العربية والمعانى العربية للالفاظ القرآنية والتعبيرات العربية الصحيحة . وهذا هو السبب فى أن مفسرى الهنود لا يفسرون الصبر والتوكل طبقا للمعانى العربية ، وقد أخذتنى الدهشة حينما قرأت بالأمس مفسرا هنديا يفسر قوله تعالى : خلق السماوات والأرض فى ستة أيام - أى ستة تنزلات « طبقا للتعبير الصوفى » . ولم يفهم هذا الجاهل أن اليوم لا يؤدى معنى التنزلات . وهذا يخالف اللغة العربية وتعبيراتها . وبهذه الطريقة ادخلوا تحريفات كثيرة فى ضوء الافكارالهندية واليونانية ، وياليت يعود رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أخرى كما تمنى الشاعر الشيخ نظامى الى هذه الدنيا ويكشف المسلمين الهنود جهلهم وضلالهم .

والتصوف البناء هو المستمد روحه من الاسلام .وهو عبارة عن الاخلاص فى العمل كما قال فى احدى رسائله فى ١٥ مايو سنة ١٩١٩ م ثم أضاف قائلا : واذا تجاوز التصوف هذه الحدود وحاول أن يصطبغ باللون الفلسفى مستمدا عناصره من الأفكار الايرانية فانا أعارضه . لأن التعمق والتدقيق فى حقائق هذا الكون وذاته سبحانه وتعالى فى هذا التصوف يجعلنى أن أثور عليه ثورة عنيفة .

وقال فى شرح تصوفه الهادف : ان الدين الاسلامى فوق كل شىء طبقا للعقيدة الاسلامية . وهذا الدين لا يقضى على الرغبات الانسانية وطاقاتها الهائلةالأساسية بل يخط لهاالحدود ويحدد لها الوظائف وهذا الذى يسمى الشريعة أو القانون الالهى . أما الطريقة التى يرددها المتصوفون فهى تلك الظاهرة التى تترتب بعد أداء أحكام الله وشرائعه بأكمل وجه حيث تختفى جميع الميول الشخصية والرغبات الفردية والأنانية ويطفى الاخلاص ورضوان الله على جميع الاعمال ويصبح ذلك هدفا أساسيا لجميع الاعمال والمساعى . قد عبر بعض المتصوفين عن هذه الظاهرة بالفناء والبعض الاخر منهم بالبقاء ، ولكن معظم متصوفى الهند وايران حاولوا شرح « الفناء » فى ضوء فلسفة الفيدانت الهندوكية والبوذية . ونتيجة ذلك أن المسلمين أصبحوا معطلين من الناحية العملية . وهذه الظاهرة فى نظرى أخطر وأسوأ من سقوط بغداد . ولذلك ترى أفكارى كلها ثورة عارمة على هذه الفلسفة .

ويرى اقبال أن التصوف الهادف الذى سماه بالذات تلوح ملامحه لأول مرة فى الفكر الهندوكى قبل ثلاثة آلاف سنة وذلك على لسان « كرشن » أعظم بطل هندوكى أسطورى فى كتاب « جيتا » المقدس . وهذا نص اقبال فى هذا الصدد : « سيذكر التاريخ « كرشن » الى الأبد بغاية التقدير والاحترام اذ أن هذه الشخصية العظيمة نقدت فلسفة أمتها وبلادها الداعية الى الحياة السلبية بأسلوب رائع ومنهج مشوق وعرفتهم أن العمل والجهود من العناصر الهامة فى الحياة ونواميس هذا الكون . فلا مناص منها لانسان أبدا . فلا ينبغى للانسان أبدا أن يترك الدنيا كلها ويبتعد عنها ابتعادا فترك العمل فى الحقيقة لا يعنى سوى الاستغناء وعدم المبالاة بالنتائج التى تترتب على أعمال الانسان وجهوده. وقد سلك نفس هذا الطريق بعده « سرى رامانج » أعظم زعيم هندوكى ، ومما يؤسف له أن سرى شنكر آتشارى الذى جاء اخيرا لم تعجبه هذه الفلسفة فرجع من جديد الى الافكار القديمة السلبية وزينها بثياب مزخرفة وديباج مذهب حتى تفانت فيها النفوس واجتذبت اليها القلوب . »

ثم يرى اقبال ان كلا من محيى الدين بن عربى وسرى شنكر آتشارى المذكور تفاعلا فى نظرية وحدة الوجود وانتهجا منهجا واحدا فى تفسير كتبهما المقدسة فقد فسر « شنكر آتشارى » « كتاب جيتا » المقدس فى ضوء وحدة الوجود وأولى عناية كبرى الى هذه الفلسفة ، ونفس هذا المنهج اتخذه محيى الدين بن عربى الأندلسى فى تفسير القرآن الكريم وأثر تأثيرا بالغا فى نفوس آلاف المسلمين وجعلها بعلمه الغزير وعبقريته الخارقة مسألة أساسية هامة وجزء لا يتجزأ عن التفكير الاسلامى . ثم جاء بعده وحيد الدين الكرمانى وفخر الدين العراقى اللذان تاثرا بابن عربى وانتهجا منهجه حتى عمت هذه الفلسفة البلدان الفارسية كلها وترسخت فى أذهانهم وأورقت وأثمرت بألوان وأنواع .

ثم يعرب اقبال عن اعجابه وتقديره لشيخ الاسلام تقى الدين بن تيمية الذى وجه اهتمامه الى نقد هذه الفلسفة السلبية نقدا لاذعا ثم انتهجه مفكر اسلامى آخر من الطراز الأول وهو « واحد محمود » وكذلك كان للنقد اللاذع لابن تيمية على المنطق الاغريقى اثر فى توجيه الهزيمة الى هذا التصوف وتزلزل أركانه ولكن لم يستطع القضاء عليه نهائيا .

لقد أظهر اقبال مساوىء الحضارة الغربية وعارض ماديتها والحادها ومع ذلك يرى أن فى الفكر الغربى مزايا لانجدها فى الفكر الشرقى الايرانى وهى أن التراث الغربى مادة غزيرة للتصوف البناء وبناء الذات الانسانى وان طرأت فيها فى فترة من الفترات الأفكار اليهودية السلبية لفيلسوف يهودى هولندى ولكن سرعان ما اندثر أثره وظهر الفكر الغربى على اصالته وطبيعته ولذلك يحث اقبال على دراسة الفكر الغربى

نحو تنمية دينية

تطوير رسالة المساجد

الدكتور احمد كمال أحمد

خطة جديدة :

من الاخبار الهامة التى استرعت الانتباه ، ماتقوم به فى هذه الايام المباركة . امانة الفلاحين وامانة دعوة الفكر بالاتحاد الاشتراكى العربى بالتعاون مع وزارة الاوقاف والشئون الاجتماعية ، لاعداد خطة متكاملة للاستفادة من التجمعات الجماهيرية داخل المساجد باعتبارها افضل مراكز للتجمع بالقرى وعن طريقها يمكن تنمية القيم الروحية وتسليح الفلاحين ضد محاولات الرجعية والانتهازية وبريق المدنية الزائفة .

ومن المسلم به أن الرسالات السماوية وعلى رأسها الاسلام تستهدف سعادة الانسان ورفاهيته وفي يقيننا ان المساجد والمؤسسات الدينية بتاريخها الاسلامى الحافل المجيد قادرة على القيام بدور خطير فى تطوير المجتمع ودفع تقدمه وتحقيق جميع اهدافه ، وتقوية الروابط الانسانية يطابق تعاليم الاسلام ذلك الدين الحنيف الذى له من الاصالة والسمو ما يجعله صالحا لكل زمان ومكان .

رسالة الاسلام :

والاسلام كما نعرف ـ هو ذلك الدين الذى يهدى به الله سبحانه وتعالى ، الانسان الى سبيل السلام والى الصراط المستقيم ليخرج المجتمع الانسانى من الظلمات الى النور .

تلك رسالة الله لتوجيه البشر سواء يعيشون فى الريف أو الحضر ، فى الصحارى أم على الجبال والشواطيء فى مشارق الارض ام مغاربها ، فى شمالها ام فى اقاصى جنوبها فالاسلام رسالة الهية للانسان اينما كان ومتى وجد ليهديه الطريق السوى ويجنبه الزلل والخطا « هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » .

ولقد راعى الاسلام طبيعة الانسان وتكوينه البيولوجى والنفسى فجاء متفقا مع خصائص طبيعته من غير محاولة لنقله الى طبيعة الملائكة او طبيعة الحيوانات بل ترك الانسان ليكون بشرا ، بل ويبلغ أسمى درجات البشرية اذا اتبع تعاليم الاسلام .

وحتى لايترك الانسان بدون توجيه سليم يقوم الاسلام بتوجيه الانسان فى حياته الخاصة والعامة فيدعوه أحيانا الى ممارسة النظافة ويعلمه فى مناسبات اخرى كثيرة كل مافيه صلاحه وخيره سواء فى عادات المآكل والمشرب والملبس والترويح والتسلية ويحدد له تحديدا واضحا علاقاته الانسانية مع الاهل الاقارب والجيران والمواطنين وسائر البشر ، هذا بجانب عبادة الانسان لله لان فيها صلاح دنياه وصلاح آخرته « قل الله اعبد مخلصا ، له دينى » ـ « ذلكم الله ربكم ، لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ، لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » .

ومن معجزات القرآن الكريم وصفه الطبيعة البشرية واثر الاسلام عليها « ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ، الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين فى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ، والذين يصدقون بيوم الدين .

والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ، ان عذاب ربهم غير مأمون ، والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم او ماملكت ايمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم بشهاداتهم قائمون ، والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك فى جنات مكرمون »

ان الاسلام فى توجيهه للانسان انما يهدف الى تنمية الفرد كانسان اى « خدمة الفرد » لعلاجه من الانحراف ولتجنيبه الاخطار ولتوقيه من الاضرار ومن عدوان غيره عليه او عدوانه على غيره . ان الاسلام يهذب الانسان ويصقله ليساعد على اقامة المجتمع السليم الذى لا يرتكز على التعصب والشعوبية او القبلية بل يقوم على مقومات متينة من الصداقة والمحبة ونزع العدوان والاعتداد ونشر الامن ودعم السلام وايقاظ روح الجماعة حتى يصبح المجتمع الاسلامى مجتمع سلم وعدل واحسان يتكون من اعضاء كلهم على خلق فاضل كريم

« يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله أتقاكم» وكانت دعوة النبى صلاة الله عليه وسلامه الى الناس اجمعين « قل يايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا »

ومن الواضح لنا ان رسالة الاسلام للانسان هى رسالة كفاح وعمل وجهاد فى سبيل الانسانية والسلام والاخوة وتحقيق الرفاهية الانسانية .

الدين فى المجتمعات الحديثة :

ان الدين بالنسبة للانسان ضرورة وقائية لحمايته من امراض المدنيةالحديثة والافاتالاجتماعية للمجتمعات

الصناعية وقد تنبهت لذلك مجتمعات كثيرة فأولت عنايتها الى مؤسسات العبادة وحولتها الى مراكز اشعاع لتادية خدمات دينية وخدمات دنيوية ايضا وان رسالة الاسلام للبشر جميعا ولو انها ليست من وضع البشر لانها وحى من الله القدير الذى هو بكل شىء عليم انها منحة الهية للانسان « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » ليوقظ الضمير الانسانى ليكون المجتمع الاسلامى خير امة اخرجت للناس « لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم أو عشيرتهم ، اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ، رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ، الا ان حزب الله هم المفلحون »

وقد اثار الدين اهتمام العلوم الاجتماعية الحديثة وثبت من كثير من البحوث الاجتماعية ان الدين لازال يحتل مكان الصدارة من تامل وعناية واهتمام وتفكير الانسان ، فلا توجد عاطفة انسانية اقوى اثرا وأبعد غورا فى نفوس البشر من العاطفة الدينية

والدراسات الاجتماعية التحليلية للدين كانت دائما المنبع المتدفق لكثير من المعلومات الصادقة عن طبيعة المجتمع وحقيقته من عادات وتقاليد واحوال اجتماعية واقتصادية حيث استلهم كثير من العلماء والفلاسفة افكارهم واتجاهاتهم الاجتماعية التى ساعدتهم فى الوصول الى نظرياتهم وافكارهم الاجتماعية التى كانت ولا زالت دعائم ومقومات العلوم الاجتماعية والسلوك وعلم الانسان .

والخدمات الاجتماعية الحديثة - ولو انها مهنةحديثة فى المجتمعات المتحضرة تطبق نظريات وافكار العلوم الاجتماعية - الا انها فى الواقع وليدة الديانات السماوية التى حثت الانسان على مساعدة الضعيف والمحروم والتى دعت الى دعم العلاقات الانسانية بين جميع البشر غنيهم وفقيرهم ، قويهم وضعيفهم .

ومع ذلك فاننا لايمكننا مهما كانت قوة الديانات المختلفة - ان نغفل حقيقة هامة ، وهى ان هناك قوة اخرى فى المجتمعات الحديثة هى قوة العلم - ان ما حققه العلم الحديث فى تسخير قوى الطبيعة للانسان ترتب عليه هزات عنيفة لبعض المعتقدات للانسان ترتب عليه هزات عنيفة لبعض المعتقدات الدينية فى المجتمعات الاخرى حتى انه باسم العلموتقدمه تحول الانسان هناك الى المادية التى شغلته عن الايمان بالشئون الروحية والقوى الغيبية .

اذا كان الانسان قد آمن بالديانات كحقيقة مسلم بها فان الانسان نفسه عليه الان ان يستعد لتقبل كثير من الحقائق التى يكتشفها العلم الحديث ويقوم باقامة البراهين على صلاحيتها وصدقها . فعندما تظهر كشوف علمية واضحة مؤيدة بالبراهين فعلينا ان نعيد النظر فى طبيعة تصوراتنا الدينية فغالبا يحدث التناقض بسبب تصور شكلى وغير موضوعى لانه كثيرا ما تظهر التجربة الدينية فى صور قد لاتعطى معانى عقلية او حسية

ومن هنا اصبح حتميا علينا ان نفسر التطورات الدينية فى ضوء الاوضاع الاجتماعية والمفهومات المالوفة فى الوقت والبيئة التى تنتشر فيها .

ان المشكلة الهامة التى تواجهنا فى مجتمعاتنا الحديثة هى ضرورة التخلص من رواسب التصادم بين العلم والدين فى تكييف التطوير وتحقيق التغير الاجتماعى . ولا زال هناك وجهة نظر ترى ان للدين فى كثير من الاحيان مسئولية اعاقة طريق التقدم وايقاف التغير الاجتماعى المطلوب . ولكن المنصف للحقيقة سرعان مايتبين له ان المسئولية لايمكن ان تقع على عاتق الدين نفسه بقدر ما تقع على الذين ينصبهم المجتمع لولاية الاشراف على امور الاديان والعقائد - ان التاريخ يروى لنا اقاصيص كثيرة ، توضح كيف وقفت الهيئات الدينية ورجالها فى كثير من الاوقات فى عرقلة طريق التقدم بسبب جهالتهم أو بسبب بواعث ذاتية نفعية تخالف فى اساسها القيم الدينية . انهم عاونوا باسم الدين والدين منهم براء فى تثبيت الجمود والركود ومؤازرة الرجعية والاستغلال والظلم بالاضافة الى التعذيب والاضطهاد الذى اصاب اصحاب الارادة التقدمية والتحررية والمذاهب الفكرية والنظرة العلمية . على سبيل المثال نورد ان الاستعمار العثمانى استغل الدين فى مناسبات كثيرة ، ضد مصالح الشعب العربى فاصدر الخليفة العثمانى بيانا يحكم فيه على البطل المصرى احمد عرابى بالخيانة والخروج على الاسلام وان حركة عرابى مخالفة للشريعة الغراء ومضادة لتعاليم الاسلام ، والمعروف لنا جميعا ان عرابى قاد الشعب المصرى فى ثورة ضد الظلم والاستغلال ثم فى قتال ضد الاستعمار الاجنبى .

ان الدين براء من كل هذا وان ايماننـــا بالدين ايمانا لاحدود له لان الدين لم يتعارض ولا يتعارض مع حرية الفكر ولا مع جهاد البشر نحو حياة افضل .. فقال الله تعالى : « فبشر عبـاد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب » « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »

وفى نفس الاتجاه جاء فى ميثاق العمل الوطنى (ان الاقناع الحر هو القاعدة الصلبة للايمان ، والايمان بغير حرية هو التعصـب ، والتعصب هو الحاجز الذى يصد كل فكر جديد ويترك اصحابه بمنأى عن التطور المتلاحق الذى تدفعه جهود البشرية فى كل مكان)

ان الدين فى جوهره ثورات اجتماعية تهدف الى رفاهية الانسان وتقدم المجتمعات ولم يقف الدين نفسه ضد سعادة البشرية وحريتها ولا بد لنا فى كل زمان ومكان أن نحتاط من محاولات دعاة الدين التى تريد ان تقيد الفكر الانسانى وتوقف تقدمه وتساعد على الفوضى وعودة الاستغلال والرجعية .

ان الدين حق وكذلك فان العلم حق وهما تصوير متكامل لجوانب الحياة الانسانية وقد رأينا كيف تحث الديانات السماوية على طلب العلم وتقدير العالم والعمـل بماجاء به العلم ووضعت العلم والعلماء فى مكان الاحترام « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون »

واذا كان مفهوم الحرية فى المجتمعات الراسمالية أن يكون لكل مواطن حق الحرية فى ابـداء ارائه والتعبير عنها بدون قيد أو شرط حتى ولو كانت على اسس واهية وعلى غير سند من المنطق والتفكير السليم فان الحرية فى المجتمعات الاشتراكيه مفهوم ادق واسمى مما هو فى الراسمالية ، فالانسان الحر هو المواطن الذى تزود بالخبرة والمعرفة قبل ابداء رايه الطليق ليكون فى موقف استراتيجى يساعده على توضيح ارائه وتحديد مكانه والتعبير عن افكاره وفى اسهامه الايجابى فى تقرير امر وطنه .

ان المجتمعـــات الحديثة تتطلع الان الى الديانات كطاقات روحية فعالة تعصم الناس من التردى فى هاوية الشر وتجنب العالم اهوال وشرور الحروب وتهـدى الانسان الى الصراط المستقيم طريق السلام تعويضا لما اصاب المجتمعات الصناعية من ضـعف فى الوازع الدينى وما انتشر فيها من تفكك اجتماعى وما كثر فيها من امراض اجتماعية ونفسية واضطرابات انفعاليـة وسلوكية نتيجة فساد المجتمعات التى اشاعت القلق والصراع النفسى . ونحن الآن فى الجمهورية العربية المتحدة فى مرحلة حاسمة من تاريخنا المجيد ، فى فترة انطلاق سريع نحو تغير اجتماعى مقصود ومخطط له ، تنقل فيه اقتصادياتنا من الزراعة الى الصناعة وبسرعة هائلة لم تشهدها مجتمعات قبلنا وكل مانخشـاه ان تنتقل الى اجزاء من مجتمعنا خصائص بعض المجتمعات الصناعية الفاسدة ، وفى تقديرنا ان الاسلام والديانات السماوية الخالدة خير عاصم لنا فى هذه الفترة الهامة فى تغيرنا الاجتماعى .

دور المؤسسات الدينية « المساجد »

لقد مرت المؤسسات الاجتماعية الدينية فى الخارج كما كانت مساجدنا فى تجـارب وخبرات غنية فى مجالات التوعية الروحية وتنمية القيم الروحية وتسليح المواطنين ضد محاولات الرجعية والاستغلال ، ففى مجتمعنا العربى نجد ان المساجد كانت ولا زالت اماكن لاقامة الشعائر الدينية الاسلامية والاحتفالات الدينية . كما ان المتتبع للتاريخ الاسلامى يجد ان المسـاجد انتشرت فى الاقطار الاسلامية لنشر التعاليم الدينيةحتى تكون فى خدمة المجتمعات التى دخلها المسلمون وكان المسجد مكانا للدرس الدينى ايضا ومركزا لتشـاور قادة المسلمين ولذلك فان المسجد اساسا مؤسسـة اجتماعية ذات طابع دينى ويؤيد ذلك ان المسجد ايام الرسول عليه افضل الصلاة والسلام كان يصدر منه التشريعات الاسلاميه التى تنظم العلاقات الانسانيـة والمعاملات بين المسلمين بعضهم ببعض وبين المسلمين وغيرهم من غير المسلمين وبذلكامكن للاسلام حل كثير من المشكلات الاجتماعة الفردية والجماعية والمجتمعية ووضع اساسا للمواقف المشابهة المستقبلة مما ساعد على وحدة الفكر فى القاعدة التشريعية كما كان المسجد ملتقى الوافدين الى المدينة المنورة لدراسة احـوال مجتمعاتهم ووضع اسس المجتمع الاسلامى كذلك خرج من المسجد فى عهد النبى عليه السلام جيوش المسلمين والحق به بيت المال .

وكان المسجد فى عهد الخلفاء الراشدين مقرا للخلافة ومقرا لبيت المال وملتقى لكل محتاج او لاجىء .

وفى عهد بنى امية اهتم ببناء المساجد واصبحت منارا للوعظ ونشر تعاليم الاسلام

وفى العصر الفاطمى الحقت بالمساجد ، المـدارس والمشافى وتم فى عهدهم انشاء الجامع الازهر الشريف فكان ولا زال البناء الذى ارتفع . والبنيان الشامخ الذى صد عواصف الزمن ، والمعقل الذى حفظ لنا الثقافة العربية ، والحصن الذى اعتصمت به اللغة العربية من عدوان للغة التركية حين استعجم اللسان وتفشت الجهالة .

وسيستمر الازهر ، الجامعةالعالمية التى يؤمهاجماهير الطلاب من مشارق الارض ومغاربها للتفقه فى الدين واللغة العربية .

لقـد كان الازهـر القاعدة الروحية التى وقفت امام المستعمرين تصد كيدهم واجبرتهم على الفرار .

وفى عصر احمد بن طولون كان بالمسجد مدرسـة لتعليم الطب ومستشفى للامراض العقلية - وفى القرن التاسع عشر ارسلت البعوث من الازهـر الى اوروبا لدراسة الطب والهندسة والعلوم والاداب وكان للازهر دوره العظيم فى جميع الثورات الوطنية وهو الذى اخرج امثال عمر مكرم والسادات وعبد الله الشرقاوى وسعد زغلول

وخلاصة القول ان المسجد كان ايضا مكانا للتعليم والتمريض والعلاج وناديا للبحث والمشاورة وساحة للتدريب العسكرى وتعليم الجندية ودارا للقضاء والفصل فى المنازعات ومظهرا لفن العمـارة الاسلامية ومنبرا للادب والخطابة والشعر بجانب اقامة الشعائر الدينية

وفى جمهوريتنا تنتشر المساجد فى جميع القرى والمدن ويبلغ عددها عام ١٩٦٤ مايزيد على ثمانية الاف مسجد منتشرة فى اكثر من ٤٠٠٠ قرية وتشرف وزارة الاوقاف

والشئون الاجتماعية على مايقرب من ربع العدد اما الباقى وعددها حوالى ٦٠٠٠ مسجدا فيتبع عدد كبير منها الهيئات والجمعيات التى تهتم بالنواحى الدينية والتى من اهدافها ايضا النواحى الثقافية والرعاية والرعاية الصحية والاجتماعية للمواطنين .

ومن سياسة وزارة الاوقاف والشئون الاجتماعية ان تضم نحو اربعة الاف مسجدا آخر فى مدة تنتهى عام ١٩٧٠ ، كما ان الوزارة تقوم بالاشراف والتوجيه والمعاونة لباقى الهيئات وتبلغ عدد المساجد التى تعينها الوزارة الان حوالى ٢٠٠٠ مسجدا .

وتتلخص اهم وظائف المسجد حاليا فى النواحى التاليه :

اولا : الخدمات الدينية : ويتضمن اقامة الشعائر الدينية كاقامة الصلوات ، والوعظ والارشاد ، واحياء الاحتفالات الدينية كمولد النبى صلى الله عليه وسلم وموالد الاولياء واحتفالات رمضان المعظم ، وجمع النذور وتخصص الحصيلة لصيانة المسجد وغيرها من اوجه الانفاق على البر .

ثانيا : الخدمات الاجتماعية ويتمثل ذلك فى الحث على مساعدة المحتاجين عقب صلاة الجمعة عادة وتوجيه المواطنين ومساعدة العاطلين وحل المنازعات بعقد الصلح سواء بين الاسر او بين الاهالى

ثالثا : خدمات اخرى ويقصد بذلك التوجيه والتوعية بالمسائل القومية والسياسية والارشاد الصحى والزراعى بجانب قيام المساجد الاهلية بالاشراف على علاج المرضى عن طريق العيادات والمستشفيات التابعة لها او تقديم الاعانات والمساعدات للاسر المحتاجة .

وهناك ايضا مكتبات ملحقة ببعض المساجد ومشروعات لتثقيف المصلين ولمحو اميتهم وتحفيظ القرآن الكريم .

آفاق جديدة لرسالة المساجد :

لما كانت رسالة الاسلام تحقيق الخير والرفاهية للانسان عن طريق تنميته وتقويمه وتعديل اتجاهاته وخلق مثل عليا لديه تحثه على الفضيلة وتبعده عن المنكر وتدفعه نحو التعاون والتقوى ، وكانت المساجد هى بيوت الله يشرف عليها مواطنون علماء متخصصون فى الدين ولهم من القدرة على التاثير على المسلمين ، فان تطوير المساجد لجعلها مراكز اشعاع للبيئة الموجودة فيها هدف يجب التفكير الجدى فى تحقيقه فى مجتمعنا العربى الاشتراكى .

وهذا الاتجاه الجديد يساعد على تدعيم تراثنا الثقافى الدينى ويجعل من المساجد وسائل فعالة لغرس اهداف دينية وقومية ومثل عليا فى المواطنين خليق بان يضاعف من مسئولياتهم على الشئون الدينية بل تمتد الى الجوانب القومية والاجتماعية . وفى تقديرنا ان المساجد يمكنها ان تقوم بدور اساسى فى دعم اهداف التغير الاجتماعى الذى ننشده اذا قامت على اسس جديدة هى :

اولا : معاونة المجتمع المحلى الموجودة به فى كافة النواحى القومية وان يكون مركزا للنشاط الاجتماعى سواء بواسطة برامج تقوم بها هيئات اخرى او بايجاد خدمات تكون تحت اشراف المساجد مباشرة

ثانيا : تكوين مجلس ادارة لكل مسجد يمثل فيه امام المسجد واعضاء من لجنة الاتحاد الاشتراكى وبعض الهيئات والمؤسسات الحكومية والاهلية والاهالى بحيث يمكن أن يقوم بدور « مجلس خدمات الحى » للبيئة الموجود بها المسجد .

ثالثا : اعداد برامج تدريبية لائمة المساجد ومشايخها ليقوموا بمسئولياتهم على اسس سليمة تتمشى مع مسئوليات المساجد الجديدة المقترحة

رابعا : انشاء « ادارة عامة » فى وزارة الاوقاف والشئون الاجتماعية للاشراف وتوجيه البرامج الجديدة « غير الدينية » فى المساجد

خامسا : تعديل بعض مناهج المعاهد الازهرية لاسيما كلية اصول الدين ومعهد الدعوة والتوجيه بالجامعة الازهرية بما يحقق للخريجين الاضطلاع بمهمتهم الجديدة .

سادسا : رصد بعض الاعتمادات المالية اللازمةلتتمكن

المساجد التابعة للوزارة من قيامها بمسئولياتها والاستمرار فى صرف اعانات للمساجد الاخرى لاسيما التى تقوم بالبرامج الجديدة المقترحة .

سابعا : يجب ان تتميز البرامج المقترحة لتحقيق الرسالة الجديدة للمساجد بالمرونة والتناسب مع البيئات المختلفة للمساجد وان تكون فى حدود احتياجات وموارد كل بيئة

ثامنا : يجب تشجيع القيادات المحلية على التطوع والمشاركة فى هذه المشروعات وان يسمح للشباب فى اداء بعض الخدمات العامة لبيئتهم تحت اشراف المساجد .

ان تطوير رسالة المساجد ليس بالامر الجديد فان جذوره تمتد الى تاريخ المساجد الحافل منذ الدعوة النبوية الشريفة ، وانه استخدام سليم لمؤسسات اجتماعية دينية تنتشر فى كل ركن من اركان مجتمعنا العربى الاشتراكى ولها احترامها وقدسيتها وهيبتها ، وهى الكفيلة بنجاح رسالتها الجديدة ، كما يوجد بكل مسجد الان رائد دينى مهماكانت مؤهلاته وخبراتهالحالية فهو ولا شك من اعلى المستويات الثقافية الموجودة فى بيئة المسجد . وكلها مقومات اساسية لنجاح المسجد فى رسالته الجديدة .

ان المشروع المقترح يساهم فى بناء مجتمعنا الجديد الاشتراكى ويساعد على حل كثير من المشاكل الثقافية والقومية والصحية والاجتماعية « والتموينية » فضلا عن انه سيدرأ السيطرة المادية على تفكير المواطنين التى تصاب بها عادة المجتمعات الصناعية فيعود الاتزان الى حياة الناس ويحقق مزيدامن الدفء والامن والطمانينة والاستقرار النفسى والعلاقات الانسانية السليمة بين جميع المواطنين وجماعاته ، ويعيد لمقوماتها الدينية مكانتها المرموقة ، التى ترى فيها بحق انها الدرع الواقى من اخطار التغيرات السريعة للمجتمعات الصناعية ، والله الموفق .

عقيدة التوحيد

حسن الشيخة

الاسلام هو آخر الاديان السماوية التى ارادها المتصرف فى الاكوان لاسعاد البشرية فهو وهذه حالته اصلاح فى اصلاح ، والمتاخر فى الظهور من الاديان وكل الشرائع والقوانين يزيد على ماتقدمه من نوعه فى الخصائص والمقومات ، والا كان ايجاده عبثا ، ويكون كالكلمة المترادفة ، يمكن الاستغناء عنها ، مادامت الكلمة السابقة عليها تدل على المراد منها .

جاء الاسلام باحسن ماجاءت به الاديان السماوية الاخرى من اصلاح ، وزاد عليها بما جعل اصحابها يحاربونه ويقفون فى وجه انتشار رسالته ، لكيلا يطغى على اديانهم ، ويسفه معتقداتهم .

اساس الاسلام عقيدة التوحيد . وفى القرآن الكريم مالا يحصى من آيات هذه العقيدة ، مثل

١ - قل هو الله احد . الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد

٢ - قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض

٣ - قل ان صلاتى ونسكى ، ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لاشريك له ، وبذلك امرت ، وانا اول المسلمين .

٤ - « قل اغير الله ابغى ربا وهو رب كل شىء »

هذه الوحدانية هى اساس العقائد فى الدين الاسلامى ويتبعها الايمان بالرسل ، والكتب المنزلة ، والملائكة واليوم الآخر فاذا اتخذتها حديثى فى كلمتى هذه فليس ذلك لابرهن على وجوب اعتقادها بطريقتى الشرع والعقل ، لانها اصبحت من المعلوم من الدين بالضرورة . وكل ما علم من الدين بهذه الصفة ارى الا يعاد فيه الحديث فى كل موقف نتحدث فيه عن الاسلام ، وانما حديثى عنها هو حديث تحليل لها ، وكشف عما يراد بها عملا . لانها ليست من العقائد المغيبات المعانى . كالاعتقاد فى الجنة والنار ، والبعث والنشور والملائكة والجن ، وانما هى عقيدة ذات دلالة عملية اذا وصلنا الى قرارتها .

ان عقيدة « لا اله الا الله » حصرت الخضوع والالوهية والعبادة فى ذات واحدة هى ذات الله تعالى ، وفحوى ذلك أن الناس سواسية ، ليس منهم متاله يعبده الناس ، وليس منهم ذليل يقوم بعبادة غير الله وليس منهم من يختصون بتوزيع الغفران على الناس كما كان هو الشأن فيمن يعلون على الاقوام علوا كبيرا ، ويكون لهم ما للاله من صفات واسماء .

ان الطاعة غير التاليه ، فاذا كان يجب على الناس ان يطيعوا الامام العادل وذى الامر العادل ، فليس معنى ذلك انهم أذلاء ، وانما هم يطيعون وهم آدميون لهم من الحقوق بمقدار ماعليهم من الواجبات ، اما التأليه وهو اعتقاد الناس فى ان من مخلوقات الله آلهة غير الله تجب لهم الطاعة لانهم منفردون من بين الخلق بأنهم اشتقوا الوهيتهم من الوهية الله ، وان على الناس ان يعبدوا هذه الالوهية المدعاة كما يعبدون الله ، وأنهم يطيعونها كما يطيعون الله فذلك هو الذى نفته نفيا قاطعا وحدانية الله ، وعقيدة « لا اله الا الله

هذه الوحدانية قررها الاسلام فى زمن عبدت فيه الطواغيت والاوثان ، وعبدت فيه الاحجار وعبدت فيه الكواكب كالشمس والقمر وعبدت فيه الجبابرة ، وعبد فيه المال واصحاب المال ، فهى بذلك قد مهدت للناس طريق التحرر العقلى من عبادة غير الله ، وطريق التحرر الطبقى من المساواة فى العبادة ، والمساواة فى شئون الحياة من

الحقوق والواجبات المتبادلتين بينهم ، ومادام لا اله الا الله فانهم بعد ذلك متساوون ، الا فيما يفرق بينهم من فروق لا دخل لها فى شىء من التاليه ، والعظمة والكبرياء ، التى اختصت بها الذات العلية ، كالفرق بين الحاكم العادل وبين المحكوم من وجوب اطاعة الثانى للاول لتنتظم الحياة ولتمشى فى طريق سوى ، وكالفرق بين الغنى والفقير فى يسر العيش وقلته ، لا فى التمييز فى درجة الآدمية ، ولا فى تسلط الاول على الثانى بمجرد انه ذو مال ولذلك نرى ان الاسلام اوجب للفقراء حقا معلوما فى مال الموسرين ، ليضيق من البعد بينهما .

وبالاجمال فالاعتقاد بوحدانية الله يفرد اصلح القواعد فى الآداب العامة ، والسلوك الانسانى ، وليست بعقيدة يتعبد بها وحسب ، حتى انه كان من لطائف القرآن والسنة انهما لم يرضيا ان يضيفا العبودية لغير الله فى العبد والامة الرقيقين ، فعبرا عن الاول بالفتى فى قوله تعالى « واذ قال موسى لفتاه » كما عبر عن الامة بالفتاة فى مثل قوله تعالى « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء » . كما قال الحديث الصحيح فى الاثنين معا « لايقولن احدكم عبدى وامتى ، ولكن ليقل فتاى وفتاتى »

على انه شاع بعد ذلك استعمال كلمة الفتى فى الرقيق حين الاضافة لمولاه فقد سئل الامام ابويوسف عمن قال انا فتى فلان ، فاجاب بان هذا اقرار منه بالرق ، ومن هذا نعرف ان الاسلام اختار خير الالفاظ للدلالة على العبودية لله ولغير الله

نسج الاسلام حول هذه العقيدة نسيجا بديعا ، ووسالة واضحة المعالم والحدود . لاتبلى على الايام جدتها ، وكون من اعتقاد هذه كائنا حيا فى الافئدة والقلوب هو اقوى الكائنات القلبية العقائدية .

ان كل كائن حى يعتريه بعض الهزات فى بعض الاوقات وهو ما اسميه ضريبة الحيوية ، هذه الضريبة يدفعها كل حى من صحته وعافيته ، فاذا كان ذا مناعة لم يلبث ان يعود سيرته سليما معافى كما بدا وان كان الهزال متاصلا فيه فانه لايلبث ان يتدهور ثم يفنى .

الاسلام كائن حى ، تركه رسول الله صلوات الله عليه قوى البنية ، ولكن سلامته بحاجة الى رعاية وعناية ، وقد جاء الخلفاء الراشدون بعده فرعوه حق رعايته ، وجاهدوا فى سبيله بما جعله يقوى ويشتد ساعده ، ولكن خلف من بعدهم خلف لم يكونوا على غرارهم فتاثر الاسلام بعض التاثر لا فى جوهره العقائدى ، ولا فى كيانه التعبدى ، ولكن كان فى بعض القوامين عليه ماعرف عنهم انهم لم يكونوا على شىء من الجدارة فى رعاية هذا الدين بل انه لو تركوشانه دون ولايتهم عليه لكان ذلك اصلح لحاله ، واقوم لسبيله .

وشىء آخر هو ان عقيدة القضاء والقدر التى كانت الاساس القوى فى بناء الاسلام وانتشاره ، والتى اشتقت من عقيدة التوحيد اشتقاقا معنويا ــ قد صارت مكسلة وقعودا ، ووخامة وجمودا ، وعجزا وبرودا على حين ان عقيدة التوحيد « لا اله الا الله » هى التى صنعت الاعاجيب ، وحققت المعجزات فى تاسيس هذا الدين الحنيف ، ثم انتشاره بسرعة لم يعهد لها نظائر فى تاريخ البشرية

بعض مبادئ النظام السياسى

لقد عاشت بلاد الشرق فى العصور الوسطى الاسلامية ، مع الاسلام وعلى أساسه تجربة ديمقراطية خاصة ، فى اطار المبادىء العامة التى قررها القرآن والسنة .

ونقطة الأساس فى هذه التجربة أن الاسلام ليس دينا فقط . ولكنه دين ودولة كذلك .

ولكنه كدولة أى كنظام سياسى ، لا يزال نظاما دينيا يجد مصدره فى القرآن وفى السنة ، كما يجد أهدافه فيما يجب على الخليفة من حمل الكافة فى مصالحهم الدنيوية ، على مقتضى النظر الشرعى فيها . واتفاقا مع هذه القاعدة ، فان الاسلام يرفض **الازدواج فى السلطة** ، بحيث تكون السلطة الزمنية للامبراطور ، والسلطة الدينية للبابا . ان الاسلام على النقيض يأخذ بقاعدة وحدة السلطة السياسية والدينية . ومن هنا ، فقد كان الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ على رأس جماعة المسلمين ــ خصوصا فيما بعد الهجرة ــ زعيما سياسيا وقائدا عسكريا ، وقاضيا ، بالاضافة الى أنه رسول الله الى البشر كافة ، يدعوهم الى

في الاسلام

الدكتور طعيمة الجرف

الدين الحنيف ، وكذلك ، فقد كانت الخلافة باستمرار ، حسبما جرى تعريفها ، وجرى بها تجربة الحكم الاسلامى ، نيابة عن صاحب الشريعة لرعاية شئون المسلمين دينا ، ودنيا .

وجدير بالذكر من ناحية اخرى ، أن القرآن والسنة ، قد التزما المرونة الكاملة فى تحديد خطوط النظرية السياسية الاسلامية، بشكل يسمح بصلاحيتها للتطبيق فى كل زمان ومكان . فلم يجمد القرآن والسنة ، شئون المسلمين عند نظام بعينه من نظم الحكم ، ولم يفرضا عليهم لونا بذاته من الوان التنظيمات الدستورية . ولكن ذلك لم يمنع القرآن والسنة ، من أن يحددا للمجتمع الاسلامى جملة مبادىء عامة وأحكام كلية ، يجب احترامها دائما ، حتى يكون نظام الحكم سليما ، قريبا من روح الاسلام وتعاليمه .

ويمكن تلخيص هذه المبادىء العامة فى : العدل والمساواة والشورى والتعاون بين الحاكم والرعية ، ومراعاة اصلاح المجتمع وحمايته من الرذائل .

٢ - ونتناقش هذه المبادىء العامة باختصار فيما يلى :

أ) أما العدل ، فيمثل أصلا وجوهرا فى الاسلام ، يحرص عليه القرآن وتؤكده السنة ، حتى تصلح سياسة أمور الناس وحتى يستقيم أمر الحكم فيهم . وفى ذلك يقول تعالى : « **واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** » .

ب) وأما المساواة ، فقد كان طبيعيا بعد أن قرر الاسلام أن العدل أساس الحكم، أن يحرص على جوهر هذا العدل ووسيلة تحقيقه . وهو ما لا يكون بغير احترام قاعدة المساواة بين الرعية ، مساواة كاملة فى الحقوق والواجبات ، فالمؤمنون اخوة ، ولا فضل لأحد منهم على الآخر الا بالتقوى .

وتاسيسا على ذلك فان دولة الاسلام ، لا تقوم على امتيازات اجتماعية أو اقتصادية أو عسكرية أو دينية ، لفئة دون أخرى . ولكن أمة الاسلام جميعها أمام حكم الله ، وأمام القرآن والسنة ، وأمام ولى الأمر ، سواسية كأسنان المشط .

جـ) وأما الشورى . فلأن الاسلام لا ينزع الى الاستبداد بالرأى ، ورغم أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يوحى اليه ، وما كان ينطق عن الهوى فى كل ما يعرض عليه من أمور ، فان القرآن الكريم قد رسم مع ذلك خطة الحكم الصحيحة لتكون دستورا يلتزمه المسلمون فيما بعد . ولم تكن هذه الخطة سوى التزام جانب الرأى والشورى . وفى ذلك يقول تعالى « **وشاورهم فى الأمر** » ويقول سبحانه « **وأمرهم شورى بينهم** » .

ولكثرة ما جاء فى القرآن الكريم ، تنديدا بالاستبداد والظلم ، قرر ابن تيمية ، فى رسالته « **السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية** » ، ان الامارة قربة يتقرب بها الى الله، وان التقرب اليه بطاعته وطاعة رسله أفضل

القربات وانما يفسد حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها .

د) وأما التعاون بين الحاكم والرعية ، وبين المؤمنين بعضهم وبعض ، فذلك أصل هام فى الاسلام . فقد قال سبحانه وتعالى **« وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان »** .

هـ) وأما اصلاح المجتمع وحمايته من الرذائل ، فخلاصته أن يتجه ولى الأمر فى الدولة الاسلامية بكل ما فى يده من سلطات الى ما فيه صلاح المجتمع الاسلامى وحمايته ، مع العمل على دفع كل عدوان يهدد الأنفس والأموال والأعراض .

*

وفى اطار هذه المبادىء العامة، فانه يتفرع مبدأ جديد ، هام وأساسى ، هو وجوب طاعة ولى الأمر فقد قال تعالى « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم»

وها هو الخليفة أبو بكر وعمر من بعده يتبعان نفس القاعدة . فقد نادى أول الخلفاء الراشدين فى أمة محمد **« أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فان عصيته ، فلا طاعة لى عليكم »**، كما نادى عمر بن الخطاب فى المسلمين : **« ومن رأى منكم فى اعوجاجا فليقومه »** .

٣ ــ ولتحديد الخصائص العامة للنظام السياسى الاسلامى ، يكفى أن نشير الى الملاحظات العامة الآتية :

أولا ــ ان النظام السياسى الاسلامى وان كان يقوم على مبدأ وحدة السلطة وجمع مظاهرها الدينية والزمنية ، فى يد الامام ، فان ذلك لا يفيد أكثر من ضرورة قيام الامام على أمر الشريعة الاسلامية ، بحيث يسوس شئون الرعية على مقتضى النظر الشرعى فيها، أما بعد ذلك فليس لفكرة السلطة الدينية أية دلالة . بمعنى أن الامام فى الاسلام لا يحكم على مقتضى النظريات التيوقراطية التى ذهب اليها فلاسفة الكنيسة الكاثوليكية فى أوربا فى العصور الوسطى . فالخليفة فى الاسلام لا يحكم بالحق الالهى المقدس ، ولا بالتفويض الالهى ، ولكنه يحكم بموجب سند بشرى بحت هو البيعة القائمة على الاختيار والرضا الصحيح . فالخلافة ــ حسبما يقرر الفقه الاسلامى ــ : عقد مبناه الاختيار من الأمة ، ووسيلته البيعة الصحيحة القائمة على الرضا .

ثانيا ــ ومن الاصول العامة فى الاسلام ، أن اختيار الخليفة ، ليس فرض عين يلتزم بأدائه كل مسلم ، ولكنه فرض كفاية يسقطه عن الأمة كلها تصدى بعض المسلمين لأدائه . ومن هنا فقد استقر فى الفقه الاسلامى أن اختيار الخليفة يملكه أهل الحل والعقد من المسلمين ، ثم تجب على جميع الخلق بعد ذلك طاعته وامتثال أوامره .

فالشورى أمر مقرر فى الاسلام .

والمساواة والحرية قواعد أساس فى المجتمع الاسلامى .

ولا طاعة فى معصية .

والخليفة وكيل عن الأمة فى اقامة حدود الله ، تقع عليه تبعة الأمة كلها فى تقدير مصالحها وضروراتها ، وما يترتب على هذه المصالح والضرورات من أحكام .

والخلافة قربة ، يتقرب بها الى الله .

ثالثا ــ ومما تجب الاشارة اليه فى النهاية أن سيادة الأمة فى الاسلام ، وكذلك سلطة الخليفة وسلطة أهل الحل والعقد ، ليست سيادة مطلقة . ذلك أن هذه السيادة ومعها كل سلطات الدولة الاسلامية التشريعية والتنفيذية والقضائية ، يجب أن تدور باستمرار فى اطار مبادىء القرآن والسنة بحيث لا يجوز الأمر بمعصية ، كما لا يجوز للامة المسلمة أن تستعمل سيادتها خارج اطار تعاليم الاسلام ، والا فانها تنقلب الى جماعة غير اسلامية . ومعنى ذلك باختصار أن أمة الاسلام وان كانت تملك السيادة الا أنها تملكها من خلال القرآن والسنة وفى حدود تعاليمهما ، ومن ثم فهى لا تملك حرية الاختيار فى شأن فلسفة الحكم وأهدافه ، وان كانت تملك حرية الاختيار فى شأن أشكال الحكم واساليبه .

مصر في القصص المقدس

الأستاذ عبد الحميد ابراهيم محمد

اذا رحنا نتبين صورة مصر - في العالم القديم - فانها تبدو وكأنها واحة خضراء وسط صحراء مقفرة ، حباها الله من فيض خيره ، وأفاض عليها من واسع رزقه ، مما يجعلها أهلا لأن تقرن بجنة الرب ، وأن تصبح مثلا أعلى للصورة التي ينبغي أن يكون عليها العمران ، فقد وصف لوط الأرض التي ارتحل اليها بعد النزاع بين رعاته ورعاة ابرام بأن جميعها سقي بالبحر كأرض مصر (سفر التكوين ، الاصحاح /١٣)

وهذه الصورة تعكس ماكانت عليه مصر من حضارة وتقدم - بفضل موقعها الاستراتيجي وبفضل نيلها الخالد - جعلها تمثل بين العالم القديم جنة الرب التي يهاجر اليها الناس كلما حز بهم امر أو عضهم جوع ، وقلعة النضال التي يأوى اليها الثائرون كلما مسهم اضطهاد أو نالهم ظلم .

وليست هذه الصورة من وحي عاطفتي لهذا البلد الجميل الذي درجت على أرضه ، بل هي صورة منتزعة من وثائق تاريخية - فاذا كانت هذه الوثائق في يد أعداء طبعوا على التشويه والتحريف ، وليس من مصلحتهم أن تشيع هذه الصورة الجميلة بين الناس ، واذا أضيفت الى هذه الوثائق وثائق أخرى تدوولت بين الناس واتفقت مع الوثائق الاولى على ملامح هذه الصورة ، على الرغم من أنها اختلفت معها في أمور كثيرة وجوهرية - فاذا كان هذا أو ذاك فانه يدل على أن هذه الصورة من الامور الحتمية التاريخية التي لاتصدر عن عاطفة ولا تحمس

وأعني بالوثائق قصص التوراة ... وقصص القرآن .

والذي جعل هذه الصورة تسلم من الطمس والخدش في قصص التوراة ، وتخلص من بين أيدي قوم تكرر منهم المسخ والتشويه ، ان التوراة لم ترسم هذه الصورة رسما مباشرا صريحا ، فلم تقل مثلا ان مصر كف خضراء يتفيؤها المضطرون ، أو انها درع صلب يحتمي بها الثائرون ، لم تقل هذا ، وانما هي اللمحات التي يقتنصها الباحث والومضات التي يتنبه

اليها المدقق ، فقصص التوراة تذكر أحداثا ومن خلال تلك الأحداث تستطيع ان تقع على المعالم التى تحدد هذه الصورة وهذه اللمحات وتلك الومضات أصدق فى الاشارة الى الحقيقة من التصريح المباشر الذى قديكون عرضة للتعمل والتقليب والزيف ، اذ أن هذه اللمحات أشبه بفلتات اللسان واشارات اللاوعى التى يستطيع عالم النفس الذكى ان يتبطن ما وراءها حتى يصل الى الحقيقة المستترة

فمن خلال قصص التوراة تستطيع ان تلمح خطا ثقيلا يدل على الحضارة المصريه ويصور منعتهم من الناحيه الحربية وتفوقهم فى العدد والعدد ، فمثلا يتحدث سفر الخروج عن موكب فرعون الذى خرج وراء موسى فيقول « وأخذ ستماية مركبة منتخبة وسائر مركبات مصر وجنودا مركبية على جميعها » (الاصحاح/٤) ونلمح فى هذه القصص عظمة ملوك مصر وبطشهم بمن جاورهم ، فما أكثر الأحداث التى تذكر عن استيلاء ملوك مصر على أورشليم وفرضهم الضريبة على أهلها وتحكمهم فى أهلها فمرة يخلعون ملكا ومرة يقيمون ملكا ، فسفر الملوك الأول يتحدث عن سيشق ملك مصر الذى صعد فى عهد حيعام بن سليمان الى أورشليم وأخذ كل شىء حتى اتراس الذهب التى عملها سليمان (الاصحاح / ٤) وسفر الملوك الثانى يذكر أن فرعون نحو قتل يوشيا ودفنه فى أورشليم ، وقد ملك الشعب (اليهود) ابنه بهوا حاز فأسره فرعون أيضا وغرم الارض بمائة وزنة من الفضة ووزنه من الذهب واقام معابد يهو باقيم بن يوشيا الذى قوم الأرض وطالب الشعب بدفع الفضة والذهب لفرعون (الاصحاح /٢٣)

وخط آخر عريض نستطيع ان نلمحه فى تلك القصص ، خط ينبت الورق الأخضر ويصور التمر الطيب ، ويرسم مصر جنة ريانة يشقها النيل فتبدو آية تجذب العيون وتشد الأبصار فما أكثر حديث هذه القصص عن خيرات مصر ونعمها وعن الهجرات التى تتدفق اليها هربا من الجوع والقحط ، فسفر التكوين يذكر انحدار ابرام ولوط الى مصر بسبب الجوع فاصبح « ابرام غنيا جدا فى المواشى والفضة والذهب (الاصحاح/١٣) » وصار للوط غنم وبقر وخيام (الاصحاح/١٣) حتى ضاقت بهما وبرعاتهما الأرض فتفرق كل الى وجهة ويتحدث هذا السفر ايضا عن الأزمة التى طحنت الناس وكيف سلمت مصر من هذه الأزمة وأصبحت قبلة للجائعين فقد لجأ اليها الكنعانيون لما مسهم الضر فاستقبلهم يوسف وصنع لاخوته الطعام (الاصحاح /٤٣) ونستشف فى سفر الخروج سماحة المصريين وطيبة قلوبهم وحسن نياتهم ، فحين خرج بنو اسرائيل من مصر استعاروا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وأعطى الرب نعمه للشعب فى عيون المصريين حتى اعاروهم فسلبوا المصريين (الاصحاح/١٢)

ولهذا ارتبط بنو اسرائيل بتلك الأرض الخيرة السمحة ، فحين خرج بهم موسى الى فلسطين كانوا يتمنون الرجوع الى مصر حتى ولو عملوا فيها خدما (سفر الخروج الاصحاح /١٤) وكانت احلامهم تعود بهم الى قدور اللحم التى كانوا يتمتعون بها فى مصر (سفر الخروج الاصحاح /١٦) وان السمك والقثاء والبطيخ والكرات (سفر العدد ، الاصحاح ١١)

وخط آخر كالحائط السميك يبرز مصر قلعة للنضال ، وملجأ للثائرين ، وملاذا للمضطهدين ، اذ نستطيع أن نقتنص فى هذه القصص الاحداث التى تذكر هرب الثوار والمضطهدين الى مصر وعياذتهم بها ، فسفر الملوك الثانى يتحدث عن هرب الشعب صغيره وكبيره الى مصر بعد سقوط أورشليم فى يد ملك بابل (الاصحاح/٢٥) وسفر الملوك الأول يتحدث عن هرر الأرومى الذى هرب الى مصر فى عهد داود هو وعبيده واتصل بفرعون وتزوج اخت امرأته ، وظل عنده حتى سمع بموت داود وتوليه سليمان فانطلق ليحارب سليمان ، وحين أراد سليمان أن يقتل بريعام فر أيضا الى مصر ومكث بها حتى استدعاه جميع اسراره - بعد وفاة سليمان وتولية ابنه رجيعام - فذهب وكل جماعته وثاروا على رجيعام الذى لم يبق معه الا سبط واحد .

تتضافر تلك الخيوط الثقيلة العريضة السميكة ، فاذا نحن ازاء صورة خضراء غنية بالقلاع والحصون ، مزدانة بالحضارة والخيرات

فاذا ماجئنا الى قصص القرآن ، فاننا نلاحظ ما يبرز هذه الصورة ويظهرها ونجد ان قصص القرآن تتفق مع التوراة على معالم هذه الصورة بالرغم من انه جبه اليهود فى أمور كثيرة وجوهرية

فالخط الثقيل يظهر فى قصة فرعون وموسى ، فلفرعون ملك مصر تجرى من تحته الأنهار ، وقد أشار موسى الى هذا الملك والزينة فقال مخاطبا ربه : « **ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا فى الحياة الدنيا** » .. وقد أشار القرآن الى ما لمصر من ملك لايضارعه ملك ، فقال على لسان مصرى آمن بموسى : « ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض »

والخط العريض الاخضر يمكن ان تلتمسه فى سورة يوسف ، فقد أصاب الأرض عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ، وبقيت خزائن الارض فى مصر عامرة بسنابل القمح فاقبل الناس الى مصر — ذلك البلد الطيب — يلتمسون فيها الخيراب والنعم ، يدفعون بذلك القحط والجهد ، أو على حد تعبير اخوة يوسف : « يأيها العزيز ، مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين » .

تلك هى الصورة قد بدت واضحة القسمات بخطوطها البارزة ، وانما أريد ان اتجاوز هذه الصورة الى خلفية ينبغى اظهارها

فاذا كانت القاهرة — فى هذه الايام — ترى أنها قلب النضال العربى ، وترى ان مسئوليتها تمتد لتشمل الامة العربية كلها كما يقول الميثاق (الباب التاسع) — فليست هذه الرؤية نابعة من انفعال وقتى أو من حماس سياسى ، بل هى الحقيقة التى تمتد جذورها فى أعماق التاريخ والتى جاءت بحكم ما لهذا المكان من موقع ومن هبات اتاحت له حضارة وعمرانا ، والتى يمكن أن تقتنص من وثائق قوم من مصلحتهم تشويه هذه الحقيقة ، ومن وثائق أخرى اختلفت معهم فى أمور جوهرية ولكنها اتفقت على هذه الحقيقة

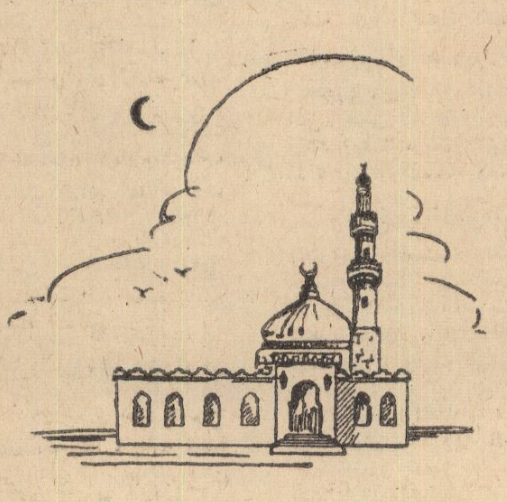

التصوف الإسلامي

من حيث هو علم

الأستاذ محيي الدين الألوائي

وأما التصوف الاسلامى ، من حيث هو علم خاص ، فقد اختلف فيه العلماء ، فمنهم من عرفه بأنه علم خاص ببواطن القلوب ، وما يجرى على هذه البواطن من أحكام ، هذا بالمقارنة الى علم الفقة الذى هو علم خاص بالأحكام الاسلامية الجارية على الجوارح ، كما أن علم الكلام يعنى العقائد ، وعرف البعض : التصوف الاسلامى باعتباره علما ببواطن القلوب ، بأنه رياضة القلب ومجاهدة النفس ومنهم من عرفه بأنه علم للاخلاق الدينية الاسلامية ومعانى العبادة وذلك نظرا لغلبة الخصائص الأخلاقية على التصوف الاسلامى ، وقال الكتانى : التصوف هو الخلق ، فمن زاد عليك بالخلق زاد عليك بالصفاء . وهناك أيضا أسماء عديدة لعلم التصوف الاسلامى ، كعلم السلوك ، وعلم الأخلاق ، وعلم الطريقة ، فقد عرفه أبو محمد الجريرى بأنه الدخول فى كل خلق سنى ، والخروج من كل خلق دنى ، وعرفه الجنيد : بأنه تصفية القلب عن موافقة البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، واخماد الصفات البشرية ، ومجانبة الدواعى النفسية .

وجه تسميته بهذا الاسم

فلما كان حال الصوفية متقلبة بين سير وطير ، فى الاحوال والمقامات ، بحيث لا يقيدهم وصف جامع ، ولا نعت مانع ، نسبوا الى ظاهر زيهم ، فان الاغلبية من متقدمى الصوفية كانوا يلبسون الصوف ، وفيه أيضا معنى آخر وهو أن نسبتهم الى ظاهر لبستهم تنبىء عن زهدهم فى الدنيا وتقللهم من متع الحياة ، ومما يقال أيضا فى تسمية الصوفية باسم مشتق من لبسهم : أن نسبتهم الى أمر آخر ، من حال أو مقام أمر باطن ، والحكم بالظاهر أوفق وقيل بانهم سموا صوفية نسبة الى الصفة التى كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال الله فيهم : « للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض ! . الآية » . لأن الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك فى كونهم مجتمعين متآلفين متصاحبين لله وفى الله كأصحاب الصفة ، وكانوا يقيمون فى الزوايا والتكايا ، ويشتغلون بالعبادة بالصلاة وقراءة القرآن والذكر .

نشأة التصوف الاسلامى

اختلفت الآراء فى نشأة التصوف الاسلامى ومنبته ومصدره . وأن بذور التصوف الاسلامى توجد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وأصولها تظهر فى القرآن والسنة ، فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يخلو الى نفسه ، ويتعبد وحيدا يفكر فى ملكوت السموات والأرض ، وما ذهابه الى غار حراء ، واعتكافه فيه قبل أن ينزل عليه الوحى الا تمهيد لتلقى الرسالة الكبرى ، وتصفية للنفس الكريمة التى تكون أسوة حسنة ، ومثلا أعلى للأخلاق الفاضلة للناس كافة ، ولكن لم يظهر التصوف كعلم ذى قواعد ومناهج حتى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى ، ثم انتشر هذا الاستعمال ، وعرف فى الاصطلاح العربى باسم علم التصوف ، ومع كون الحركة الروحية الباطنية ، وتصفية القلب بمعانى العبادات ، ومواظبة المناجاة نزعة اسلامية أولية ، لم تأخذ هذه الحركة مكانة فى التاريخ الا فى نهاية العصر الأموى اذ اتسع أفق الاسلام الى حدود أسبانيا من ناحية ، والى الهند من ناحية أخرى ، ومنذ ذلك العصر بدأت المراكز الاسلامية تنتشر فى أنحاء العالم ، ونشأت علوم عديدة تعرف بأسماء متنوعة مستمدة من القرآن والسنة ، وسمى الزهاد الذين انقطعوا للعبادة باسم العباد ، وأقدم رائد منهم لقب باسم

الصوفى هو الزاهد المشهور « الحسن البصرى » المتوفى سنة ١١٠ هـ ويشير اليه أبو طالب المكى بأنه أول من عبر عن هذا الفرع من العلم ، وقدم تعاليمه الصوفية الى أهل عصره خلال خطبه التى ألقاها فى البصرة .

الآراء المختلفة فى أصل التصوف الاسلامى

واذا نظرنا بعين التحقيق والانصاف نجد أن التصوف الاسلامى الصحيح نشأ من بيئة اسلامية محضة ، وأن حياة الرسول كانت المنبت الخصيب للتعاليم التى بنى عليها التصوف ، وكانت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومسالك الصحابة رضى الله عنهم أسسا بنى عليها الصوفية أخلاقهم وتعاليمهم فى أحوالهم ومقاماتهم وطرقهم الخاصة .

وقبل أن نخوض فى المنبع الغزير القرآنى الذى اغترف منه الصوفية أخلاقهم السامية ، نقوم بتطواف سريع حول بعض الآراء التى حاول بها المحاولون الاثبات بأن أخلاق الصوفية مأخوذة من مصادر خارجية ، ودخيلة فى الاسلام ، لكى نثبت فى ضوء تضارب آرائهم ، وضعف أدلة دعواهم ، أن هذه الأخلاق ناشئة من منبع اسلامى محض ، ومغترفة من منابعه الفياضة ، وأن القول بأنه غريب عن البيئة الاسلامية ، ووافد من عادات وتقاليد الأجناس الأخرى بحكم المزج والاختلاط الذى أعقب الفتح الاسلامى ، قول باطل ، ومخالف للتاريخ والواقع .

(١) القول بأنه من أصل يونانى

يرى فريق من الباحثين أن التصوف الاسلامى وكثير من أخلاق الصوفية سيما المتأخرين منهم ، مستمد من الفلسفة اليونانية ، ويستدلون على رأيهم بشيوع الفلسفة اليونانية فى العصر العباسى لدى العرب ، وحينما نقلوا التراث اليونانى الى العربية تأثر الصوفية بالفلسفة الاشراقية التى تقوم على المجاهدات والرياضات النفسية ، وغيرها من آثار مدرسة أفلوطين وتعاليمه . واستدل أصحاب هذا الرأى بأن أثر هذه الفلسفة يبدو واضحا عند المتأخرين من الصوفية ، أمثال ابن العربى ، والسهروردى ، وكما أن فلسفة معرفة النفس الانسانية التى يدور عليها كثير من تعاليم الصوفية وخصائصهم ، لمبنية على الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » . وقد وجدت كلمة مماثلة على جدران بعض المعابد اليونانية القديمة وهى : أعرف نفسك بنفسك .. فقالوا بأن هذه الفلسفة انضمت الى الأثر الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم فبنى عليها الصوفية كثير من أسس بحوثهم عن النفس الانسانية ، وأحوالهم ومقاماتهم .

(٢) من أصل هندى

ان القائلين بأنه من أصل هندى يستدلون على قولهم بما يوجد من تشابه بين آراء الصوفية وأفكارهم ، مثل القول بوحدة الوجود ، وبين الفلسفة الهندية القديمة . فتقول تلك الفلسفة بأن « براهمان » هو الموجود الأعلى . وهو جوهر لا شخص ، يوجد فى كل كائن ، وكل صغيرة وكبيرة من أجزاء العالم مشتمل على « براهمان » الذى هو المطلق الأعلى ، وتسمى فى اللغة السنسكرتية باسم : « آتما » أى الروح الأعظم ، وهو الحياة التى تدب فى كل جسم ، وهو الذى يغمر العالم فى الواقع بالكائنات ، وكانت نتيجة هذه الفلسفة أن لا يكون فى الوجود حقيقة أخرى غير هذا الجوهر المطلق الموجود فى كل جزء من كائنات الكون .

ويحدث أبو الريحان البيرونى الذى يعتبر حجة فى علوم الهند وفلسفتها بفضل كتابه الجليل : « تحقيق ما للهند » الذى وضعه بعد دراسة وافية لها خلال اقامته بالهند فى القرن الحادى عشر الميلادى لعدة سنوات فاختلط بشعبها وناقش علماءها ، وعجم عودهم بالمناظرة والمباحثة فيقول : قال « باسوديو » فى كتابه « بهكتا » : « أما عن التحقيق فجميع الأشياء الهية لأن « وشنو » جعل نفسه أرضا ليستقر الحيوان عليها ، وجعله ماء ليغذيهم ، وجعله نارا وريحا لينميهم وينشئهم وجعله قلبا لكل واحد منهم ، ومنح الذكر والعلم وضديهما على ما هو مذكور فى « ويد » : « ان فكرة بدء الخلق الواردة فى الأساطير الهندية لم تلبث أن تحولت الى وحدة الوجود الفلسفية ، ويعد كهنة الهنادكة ان الله والكون حقيقة واحدة ، ولابد من ترويض النفس ومواصلة التأمل والذكر للتخلص من كثافة هذه المادة الأرضية والاتحاد بالروح الأعظم » ومن أدلة القائلين بأن التصون الاسلامى تأثر بالفلسفة الهندية ـ أيضا ـ ما رأوه من تشابه بين حلقات الذكر واستعمال المسابح الشائعة لدى البوذيين وبين حلقات الذكر وعادة استعمال المسابح عند الصوفية .

(٣) من أصل مسيحى

يذهب البعض الى أن التصوف وبعض أخلاق الصوفية وفد الى البيئة الاسلامية من النصارى بحجة اختلاط العرب والنصارى فى الجاهلية ، ووجود عدد من حنفاء العرب مترهبين ومتمسكين بطريقة رهبانية الشام وكما أن وجدوا أوجه التشابه بين حياة الرهبان والقسيسين من النصارى وبين حياة الزهاد والصوفية من المسلمين ، حتى أن لبس الصوف كان من زى المسيح عليه السلام .

ومن ناحية أخرى يورد أصحاب هذا الرأى أوجه تشابه عديدة بين نظرة المسيح وأتباعه الى الحياة ، وبين نظرية الحب الالهى التى استولت على نفوس الصوفية ، وأن هذا الفريق يورد فى كثير من المناسبات قصة مشهور من قصص المسيح عليه السلام : « ان المسيح مر بقوم من العباد فقال ما أنتم فقالوا : نحن عباد ، فقال : لأى شىء تعبدتم ؟ قالوا : خوفنا الله من النار فخفنا منها ، فقال : حق على الله أن يؤمنكم ماخفتم، ثم جاوزهم ومر بآخرين أشد عبادة منهم ، فقال : لأى شىء تعبدتم ؟ قالوا : شوقنا الله الى الجنان ، وما أعده فيها لأوليائه ، فنحن نرجو ذلك ، فقال : حق على الله أن يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم ومر بآخرين يتعبدون ، فقال ما أنتم ؟ فقالوا : نحن المحبوبون لله لم نعبده خوفا من ناره ، ولا شوقا الى جنته ولكن حبا له وتعظيما لجلاله ، فقال : أنتم أولياء الله حقا ، معكم أمرت أن أقيم ، وأقام بين ظهرانيهم » فقالوا : ان فكرة هذه القصة استولت على نفوس الصوفية الذين لا يرضون بذات الله بديلا ، ويرفضون العبادة طمعا فى الجنة ، أو خوفا من النار .

(٤) من أصل فارسى

يذهب البعض بأن التصوف الاسلامى فارسى الأصل ، الى أن الصوفية استمدوا أفكارهم كلها أوجلها ، وأفكارهم من الفلسفة الفارسية ، وآراء « زرادشت » مؤسس الديانة الزرادشتية القائمة على دراسة الشخصية البشرية وتقسيمها الى « جسم وروح » . ويقسم الزرادشتيون الروح الى أقسام من الالهام والعقل والضمير والوجدان النفسى ، والشعور وغيرها .

وهذه التحليلات النفسية وغيرها من مصير الروح ومصير الكون ، وفلسفتهم الاخـلاقية أدى الى وجود تشابه بين الفلسفة الزرادشتية ومذهب الصوفية ، فقال البعض بانه مستمد من الفرس عن طريق الصلات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية القوية بين العرب والفرس منذ القدم ، ويضيفون الى ذلك أن كثيرا من شيوخ الصوفية كانوا من الفرس أصلا ومولدا ، أو نشأة وتربية ، فقد انتقل التصوف بطريقهم الى جميع انحاء العالم الاسلامى .

وهكذا تضاربت آراء القائلين بأن التصوف الاسلامى قد تأثر بالمصادر الخارجية أو من مزيج من عدة عادات وتقاليد وفلسفات وأفكار وأخلاق بحكم المزج والاختلاط ، والنقل والتأثر .

فلا يجوز لباحث علمى أن يصدر رايا قاطعا فى نشأة التصوف الاسلامى ومنابعه الا بالرجوع الى كتب أصحاب هذا المذهب ومؤلفاتهم وآرائهم ، ودراسة تاريخ نشـأته وملابساتها والبيئة التى نشـأ فيها ، لأن أقوال غير أصحابه لا يكون حجة على أصحابه ، سيما الخصـوم منهم ، وكذلك الآراء المبنية على الافتراض وعلى دليل التشابه والتقارب فى الأزمنة أو المظاهر ، لا تكون دليلا قاطعا فى نظر البحث العلمى ، فننقل اذن الى أقوال الصوفية انفسهم فى هذه الآراء والمصادر التى استمدوا منها مذهبهم وطرقه .

ان الصوفية يأبون كل الأباء ان ينسب مذهبهم الى اى اصل غير الاسلام ، ولا يكادون يطيقون أن يسمعوا انهم اعتمدوا فى مذهبهم على اى لون من المصـادر غير القرآن والسنة وحياة النبى صلى الله عليه وسلم ومسلك الصحابة رضوان الله عليهم ، وفى مكنتنا أن نقول بأن كبار المؤلفين والكتاب والشعراء فى الصوفية ما كانوا يبداون أبوابهم وفصولهم فى كتبهم ومؤلفاتهم بآيـات قرآنية وأحاديث نبوية الا لاشارتهم الى قوة الصلة التى تربطهم بالكتاب والسنة .

ونرى الصـوفية يستدلون فى كثير من نظرياتهم الخاصة ومقاماتهم وأخلاقهم وأحوالهم وطرقهم بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية . ونجد كتبهم ورسـائلهم مليئة بالاسـتدلالات على مذهبهم وآرائهم من القرآن والسنة حتى لا نكاد نرى اى باب من أبوابها ورد فيه الاستدلال من مصدر خارجى . وهذا هو أوضح دليـل على أنه ليس لمذهبهم اصل ولا مصـدر الا الكتاب والسنة ، وحياة الصحابة ومسـالكهم ، والا لكان من العسير جدا الا يشير أحـد منهم فى باب من أبواب مؤلفاتهم الى شىء من المصـادر التى استمدوا منهـا مذهبهم . وفوق هذا وذاك أن أصحاب الآراء السابقة لم يقدموا أدلة على رأيهم ، نقلية كانت أو عقلية ، الا التشابه فى الآراء والأخـلاق ، ووجود حالات فكرية متشابهة ، وأما التشابه فى الآراء والأخـلاق فليس دليلا على أخذ احدهما من الآخر ، لأن الأحوال والتيارات والأفكار تتشابه فى بعض البيئات والأزمنة ، وفضـلا عن هذا كله فان الاتصال كان وثيقا بين الهند والعرب ، وكذلك الفرس والعرب ، ولكن لم يظهر أثر ماللمؤثرات الفكرية فى الأمتين ، فلا شك بأن الاسلام هو الفيض الأول لهذا العلم ، وهو الذى شق الطريق اليه ، ونشأ فى أحضانه ، واستمد أصوله من منبعه الصافى ، ولكن هذا القول لا ينكر احتمال تسرب بعض الروافد الخارجية الى عادات الصوفية وطرقهم ، وتركت رواسبها هنـا وهناك ، حسب تقلبات الزمن وتطوراته .

اليهود

على الرغـم من ان المجمـع المسكـونى الكاثوليكى مد يده لليهـود ، لاعتبـارات سياسيـة ، وأصدر وثيقة تعلن براءتهـم من تهمة هى محل فخر اليهود واعتزازهم ، وعلى الرغم من أن الاعتبارات السـياسية كثيرا ما تطمس الحقائق أو تحجب الأبصـار عن رؤيتها ، فان ذلك كله لا يجعلنا نغفـل عن حقائق كشف الاسلام النقاب عنهـا ، وهو يحدثنا عن موقف اليهود من المسيح ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

اولى هذه الحقائق أن الشعب اليهـودى ـ ما زال الى اليوم ـ يكره المسيح ويعتبره من الآثمين الخارجين على نظامه ، ومن ثم كان التفكير فى اغتياله مصدر فخر واعتزاز فى المجتمع الاسرائيلى . ولا يكفر الشعب اليهودى برسالة المسيح ـ عليه الصلاة والسـلام ـ فحسب ، بل ويتطرق الى شخصه الطاهر ينال منه دون حياء فيتقول كلاما كثيرا على مريم العذراء ـ رضى الله عنها ـ .

والحقيقة الثانية هى أن الشعب اليهودى فكر فى اغتيـال المسيح ـ عليه الصـلاة والسلام ـ وعقد العزم على قتله وأعد لذلك عدته . ولم يكف ذلك التفكير الآثم والسعى بالفساد هو السـابقة الأولى أو الأخيرة فى تاريخ بنى اسرائيل ، بل اعتاد الاسرائيليون قتل الأنبياء من قبل واستباحوا دماءهم ودماء المصلحين ، وما زالوا الى اليوم يعيشون فى الأرض فسادا ... !

والمسيح

الدكتور عبد الناصر توفيق العطار

وثمةحقيقة أخرى انفرد الاسلام بتسجيلها انصافا للحق ، ذلك أن الله – سبحانه – أنقذ نبيه عيسى – عليه السلام – فتوفاه ورفعه اليه وشبه للجناة أحدهم فقتلوه ظنا منهم انه المسيح – عليه السلام – ثم مثلوا بجثته ، وملأ القوم المغضوب عليهم أسماع الدنيا – بعد ذلك – بجريمتهم النكراء ، اعتزاز بارتكابها ، دون شرف منهم أو حياء ..!

تأمل كيف ذكر الله تعالى فى قرآنه العظيم هذه الحقائق الرهيبة – بصدد بيان أسباب غضبه تعالى على اليهود – حيث قال :

« فبما نقضهم ميثاقهم ، وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقولهم قلوبنا غلف ، بل طبع الله عليها بكفرهم فلايؤمنون الا قليلا . وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما . وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما . »

ان موقف بنى اسرائيل من المسيح لن يتغير الى يوم الدين :

« وقالت اليهود ليست النصارى على شىء » ..

حقيقة تاريخية واقعيـة ثابتة لا يملك اليهود غير الاعتراف بها ، حفاظا على منطقهم ومعتقداتهم ومقدساتهم ، مهما صفح المسيحيون عنهم وأصدروا الوثائق تلو الوثائق أنهم أبرياء !

أين هذا من موقف الاسلام من المسيح – عليه الصلاة والسلام – ! وهو موقف لا يبغى الاسلام منه غير الحق واظهار الحقائق !

ان الاسلام – على خلاف اليهودية – لم يعتبر المسيح من الآثمين الذين يجب اغتيالهم وانما آمن به رسولا نبيا ، وأقر به من الصالحين وبرأه الله مما تقوله الاسرائيليون عليه وعلى والدته الصديقة ، تأمل قول الله تعالى فى قرآنه العظيم :

« ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة ، كانا يأكلان الطعام . انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون . »

« اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ، قال كذلك الله يخلق ما يشاء ، اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » .

ان الاسلام يعرف للمسيح – عليه الصلاة والسلام – قدره ، ويعرف مبلغ اختلاف أعدائه وأتباعه فيه ، ويذكر بصراحة ووضوح أن دم المسيح لم يهدر من اليهود أو من غيرهم بل قضى الله أن يرفع نبيه اليه بعد أن أجمع المجرمون من اليهود على قتله ، وما قتلوه يقينا . غير أنه مما يثير التأمل – بحق – هو أن اليهود ما زالوا يفخرون بما اقترفه أسلافهم نحو المسيح بما وقر فى ظنهم من أنهم قتلوه ، وهم اليوم يفخرون – كذلك وفى نفس الوقت – بتلك البراءة التى حصلوا عليها من أتباع المسيح !

الدعوة روح الفكرة

الأستاذ عبد السميع البطل

ألمعنا فى المقال السابق ، الى بعض الأسباب التى يجب أن تتوافر فى الداعى ليكون ناجحا فى مهمته ، ونزيد عليها الآن ما يأتى :

لغة الداعى :

قد يكون الداعى خطيبا ، وقد يكون كاتبا ، الأول يستخدم لسانه ، والثانى يستعين بقلمه ، وبينهما فروق فى الأسلوب الذى يصطنعه كل منهمـــا ، فالخطيب يحسن أن يكون :

(١) مرتجــلا ، ولو أن يحضر موضــوعه ويحصرها فى نقط معدودة ، ثم يتكلم فيهــا واحدة بعد أخرى ، وقد يضـــطر فى بعض الظروف الى تغيير اتجاهه ، أو تجديد فى موضوعه كله أو بعضـــه ، ولو كان مكتوبا لتعذر عليه ذلك .

(٢) قد يحتاج الى مقـــدمة يدخل بها على الموضــوع ، ليهيىء له الأســماع ، أو ليزيل جفوة بينه وبين السامعين ، ويجب أن تكون المقدمة سهلة ، مشوقة جذابة لأنها أول مايقرع الأســماع ، فاذا لم تكن كذلك ، استثقلوه ، وربما انصرفوا عنه ، قصيرة والا كانت خطبة داخل الخطبة ، لها اتصال بالموضوع وليست بعيدة عنه .

(٣) الخطيب يخاطب الجماهير ، فيحسن أن يستعمل الأسلوب الوسيط ، الذى لايعلو على الدهماء ، ولا ينزل عن مرتبة الخواص

(٤) ألا يستبد وحده بالفكرة ، فينبغى أن يشرك معه السامعين فى الرأى ، كأن يقول : هذا ما رأيت وأخالكم تشتركون معى فى هذا الرأى ، أو أظنكم سمعتم ، أو رأيتم كما سمعت ورأيت كذا وكذا

(٥) يحسن أن يرفه عن الســامعين بشىء من الفكاهة ، ليجلب لهم شيئا من الاستجمام والمرح ، حتى لايكون ثقيل الظل ، وبخاصة اذا كان الموضوع فيه شىء من العمق ، أو اذا شعر بأن السأم أخذ يدب الى النفوس

(٦) من اسباب اخفاق الخطيب ، التقعر فى الألفاظ ، واستعمال كلمــات تند عن أفهام السامعين ، وتحتاج الى الرجوع الى المعــاجم وحينئذ يقف ذهن السامعين عن الاســتمرار معه ، وهو بحاجة الى أن يسيروا معه خطوة خطوة ، ليستطيع اقناع عقولهم ، واجتــذاب عواطفهم

(٧) يحسن فى بعض الأحيــان أن يختم موضوعه بتلخيص لما سبق فى الخطبة والواجب أن يركز فيه كل اهتمامه ، بالاقتصــار على النقط الرئيسية بأسلوب جديد ، أقوى من الأســلوب الســابق ، لانه آخر مايبقى فى ذهن السامع ، ويبقى رنينه فى النفوس

(٨) يستخدم الخطيب الأدلة التى يحتــاج اليها ، فى تضاعيف كلامه ، والذى يهمنا منها هنا ، الأدلة الدينية ، فى الدعوة الى الاصلاح ، والقضاء على المفاهيم الخاطئة

والمنبع الفياض الذى لاينضب ، ولا يسجر غوره : القرآن الكريم والحــديث النبــوى الشريف ، لذلك كان من أوجب الواجبات أن

يكون الداعى حافظا للقرآن ، مستحضرا للآيات التى يستشهد بها فى سرعة وبراعة فى انطباقها على موضوعه ، ومع فهم دقيق وتحليل لها ، وأن يكون ذا حظ من معرفة الحديث رواية ودراية ، وألا يلقى بالأحاديث جزافا ، فلا بد من معرفة رواتها ، ودرجتها عند المحدثين ، من حيث الصحة أو الضعف ، أو الوضع ، فلا يثق بكل حديث يراه فى كتاب .

وأن يكون على صلة بالتاريخ الاسلامى ، والسيرة النبوية ، متعمقا فى فهم الاسلام : عقيدته وشريعته ، فان مدار دعوته على ذلك . وليحذر كل الحذر من الالتجاء الى القصص الخرافية ، وروايات الدجالين التى أفسدت عقول المسلمين ، وكانت من أسباب تأخرهم وجمودهم .

(٩) تسلسل الافكار تسلسلا منطقيا ، وتنظيم الفكرة يساعد كثيرا على الفهم ، والتأثر والنجاح ، وكثير من الخطباء لم ينجحوا لأن موضوعهم مهوش مضطرب ، يخرج منه السامع على غير جدوى

الداعى الكاتب :

قسمنا الدعاة الى خطباء وكتاب ، وقلنا أن هناك فروقا بين الاثنين ، وبينا خصائص الخطيب ، والآن نذكر كلمة عن الداعى الكاتب وان كانت خصائص الكتابة تظهر مما سبق فى الحديث عن الخطابة

(١) فالكاتب يتجه بموضوعه الى العقل يخاطبه أكثر مما يتجه الى الخيال ، فيرتب أفكاره ، ويتعمق المعانى لأن فرصته أوسع وفرصة القارىء أوسع كذلك

(٢) يحتاج الى التأنق فى الأسلوب ، وأحيانا يمزج الحقيقة بالخيال لتكون مستساغة أكثر ،فيلجأ الى التشبيه والاستعارة والكناية والجمل المترادفة ، ويوجز أو يطنب على حسب مقتضى الحال .

لذلك كانت محاسبة الكاتب ، ومؤاخذته أشد ، و لايغتفر له مايغتفر للخطيب

الفرق بين الخطبة والمقالة :

هناك خطب تقرأ وتسمع ، لأن أسلوبها جيد ، والالقاء مؤثر وخطب تقرأ ولا تسمع ، وهى التى جمل أسلوبها ، وقبح القاؤها ، وخطب تسمع ولا تقرأ ، وهى التى استولى فيها الخطيب على مشاعر السامعين ببراعة القائه مع أن أسلوبها ليس هنالك ، وخطبا لاتقرأ ، ولا تسمع ، وهى التى أحاط بها الفشل من جانبيها .

وان تأثير الخطب ، البارعة الأسلوب ، الساحرة الالقاء لتؤثر أكثر من المقالة مهما كانت أخاذة شائقة .

ذلك أن **موقف الخطيب ، ونبرات صوته العذبة وحسن اشاراته** ، ومما يبدو على وجهه من الانفعالات المختلفة ، من **انبساط أساريره، أو انقباضها** ، ورنة العتاب ، **أو الرضا ، أو الغضب ، أو التهكم ورفع الصوت حينا ، وخفضه حينا ، والالتفاتة يمينا أو شمالا ، وأناقته وحسن هندامه ، بل جمال خلقه** - كل أولئك يخلع عليه خلع القبول والاعجاب ، ويغفر له ضعف أسلوبه اذا كان ضعيفا .

وليست المقالة كذلك فقارئها يقرؤها وحده غالبا ، فتفقد كثيرا من مقومات الخطبة ، وان كانت التؤدة فى قراءتها تجعل القارىء أكثر احاطة بها ، ودقة فى فهمها ، وتحليلا لها

كيف يدعو الداعى ؟

(١) قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن)

فالطرق ثلاث ، وكل واحدة لصنف من الناس ، فمن تصلح دعوته بالحكمة ، أو الموعظة الحسنة ، لايصلح ، له الجدل بالتى هى أحسن ، ذلك أن الدعوة وظيفة الأنبياء والحكماء الربانيين ، والعلماء الراسخين ، وقد كانوا يدعون الناس عامة لا لطبقة المثقفين خاصة ، ومع ذلك استطاعوا أن يجذبوا كل طبقة الى حظيرة الحق الذى يدعون اليه ، ما لم تكن هناك مكابرة أو معاندة

فالخواص من الناس يخاطبون بالعقل والبرهان ، والعوام يخاطبون بالموعظة الحسنة ،

المؤثرة فى النفوس الفاتحة للقلوب قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا) أى يبلغ قرارة نفوسهم بما يحمل من قوة التأثير ، الذى يعقبه التسليم .

وبالموعظة الحسنة دعا أكثر الدعاة ، واجتذبوا اليهم الناس بزمام المسلمات البديهية والاقناع بالقياسات الخطابية والشعرية لا بالحجج المنطقية

لكن الشعوب اليوم ، غير الشعوب بالامس ، فالعلم فى رواج ، والعقول فى طريق النضج ، وما يصلح لعامة الناس فى بعض عصورهم ، لايصلح لهم فى بعضها الآخر ، لذلك كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة الرسائل وأكملها ، لأنها جاءت بعد أن نضجت الأفكار ، واستحصدت مراتها ووصفت العرب الذين أرسل اليهم أولا ، بأنه لد الخصام .

وقد ذكر الله تعالى طريقة ثالثة ، وهى المجادلة بالتى هى أحسن ، وهى الطريقة المثلى ، الهادية الى طريق الاقناع .

(٢) ومما تجب ملاحظته فى الداعى ، أن يكون على علم بلغة المدعوين ، ولذا كان من أول الواجبات أن يتعلم الداعى لغة الأمة التى يرسل اليها ، ليتبادل واياهم الفهم والنقاش ، ولم يرسل الله رسولا الا بلغة قومه ، قال تعالى **(وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ، فيضل الله من يشاء ، ويهدى من يشاء)**

ومن هنا كان من أوجب الواجبات أن نرسل مبعوثينا الى الأقطار التى تعلموا لغتها ، وأن ننشىء للدعاة مدرسة لتعليم اللغات واتقانها ، ولنا عبرة بدعاة النصرانية ، الذين يجيدون كثيرا من اللغات ، فتساعدهم على أداء رسالتهم اداء كاملا .

(٣) وليست معرفة اللغات وحدها بكافية فيجب أن يكون الداعى ذا دراية بأخلاق المدعوين وعاداتهم ، ومذاهبهم وتقاليدهم الدينية ، وما يساورهم من الشبهات والشكوك ، هكذا كان ائمة الدعاة عليهم الصلاة والسلام ، وهكذا فعل رؤساء النصرانية بعد أن فشلت تجاربهم الأولى حين كانوا جامدين ، على ماقررته الكنيسة ومعادين لعلوم الكون ، فأخذوا يقربون بين علوم اللاهوت والناسوت ، وعلا بذلك صوتهم فى جميع البقاع .

(٤) أدب الداعى حسن تأتيه ، وسعة صدره ، وكمال خلقه ، وهذا مفهوم من قوله تعالى **(وجادلهم بالتى هى أحسن)** ومن ذلك تنزله الى مرتبة الذين يدعوهم ، وحملهم على البحث معه بتشكيكهم فيما يألفون من عادات وعقائد ويدل عليه قوله تعالى **(وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) وقوله (قل لاتسألون عما أجرمنا ، ولا نسأل عما تعملون)**

وتلك سياسة يحسن أن ينتهجها الداعى ، ليحفظ كرامة الناس التى يتشبثون بها ، فلا يشمخون بأنوفهم ، ولا تأخذهم العزة بالاثم ، وبخاصة ، والتقاليد فى الناس راسخة ، و (شديد عادة منتزعة) وليتأدب الداعى بأدب القرآن **(فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى)** ذلك أن القول اللين ولا سيما مع مخاطبة العظماء ، يجتث من نفوسهم الرعونة ويطامن من كبريائهم ، وتأمل قوله تعالى (لعله يتذكر) لندرك مقدار الرجاء الذى ينتظره الداعى فى نجاح دعوته

وأصرح من هذا قول الحكيم العليم بنفوس عباده **(ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)**

وللسياسيين أساليب فى دعوتهم ، وجذب الناس اليهم ، وقد أشيع أن نابليون بونابرت ادعى الاسلام بمصر وكان يحضر مجالس الذكر وهؤلاء دعاة النصرانية يلبسون لباس البوذيين فى الصين ويحملون أصنامهم ليستدرجوهم الى خطبة تلقى ، أو كلمة تسمع ، وكم من داع كان عنيفا فى دعوته ، فأفسد العنف عليه أمره ، حتى فى الدين الواحد بعد تفرقه مذاهب وشيعا ، هذا يكفر ، وهذا يفسق ، ولا سبب لذلك الا العنجهية ، وعدم المرونة ، وكثرة اللجاج فى الخصام ، وقلة الانصاف فاعتبروا يا أولى الأبصار

(للبحث بقية)

الرحالة والمستكشفون العرب
-٣-

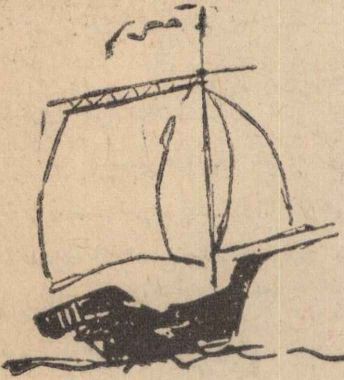

العرب في سواحل إفريقيا الشرقي والمحيط الهندي

الدكتور أنور عبد العليم

فى العام الماضى كان لى شرف الانضمام الى البعثة الدولية للكشف العلمى للمحيط الهندى على سفينة الأبحاث المسماه « انتون برون » بدعوة من اكاديمية العلوم الأمريكية ضمن وفد من العلماء يضم نيفا وعشرين عالما ينتمون لدول مختلفة . وقد أخذت الطائرة من القاهرة الى ميناء ممباسا فى كينيا على ساحل افريقيا الشرقى للحاق بسفينة الأبحاث المذكورة. وقد كانت رحلتنا هذه هى ختام برنامج طويل للبحث والكشف العلمى للمحيط الهندى استغرق بضع سنين أميط اللثام فيها عن كثير من الحقائق العلمية الجديدة عن هذا المحيط الغريب المتسع الأرجاء : عن تركيب قاعه وما عليه من جبال وهضاب وأخاديد ، وعن أعماقه البعيدة وأحيائها القريبة عن خواص مياهه وتياراته وعن شعابه المرجانية التى تضم عالما غريبا من الأسماك وأحياء البحر الأخرى التى تميز البحار الحارة .

وقد كانت رحلتنا هذه فريدة فى نوعها ، اذ كان علينا دراسة الساحل الشرقى لافريقيا فيما بين كينيا وتنجانيقا بالاضافة الى سواحل الصومال ثم دراسة الجزر الكثيرة المتناثرة فى عرض المحيط حتى خط عرض ١٢ درجة جنوبى خط الاستواء .

وخلال رحلتنا هذه رست سفينتنا الحديثة المزودة بأحدث آلات الكشف العلمى والملاحة على مجموعة من الجزر البركانية الضخمة المنعزلة فى عرض المحيط على خط العرض ١٢ درجة جنوبى خط الاسواء - هى جزر «القمر» ويطلقون عليها اسما محرفا هو جزر « كومور » وهى جزر خضراء تكتنفها غابات استوائية وعليها جبال ترتفع قممها فوق السحاب ولا تزال عليها براكين حية ينبعث من فوهاتها الحمم والدخان والغازات البركانية وأشهرها

جبال القمر التى تميز هذه الجزر من مسافة بعيدة فى عرض البحر • **وعلى هذه الجزر تعيش جالية اسلامية من أصل عربى يحفظ أبناؤها القرآن عن ظهر قلب ، ويبلغ تعدادهم نحو ١٦٠،٠٠٠ نسمة يرأسهم فقيه من أهل البلاد يتولى تنفيذ احكام الشريعة الغراء فيما يتعلق بالأحوال الشخصية والمواريث •**

وقد كانت هذه الجزر مستقلة حتى القرن التاسع عشر وكان يحكمها سلاطين عرب كانوا يتبارون فى بناء المساجد حتى ان ميدان العاصمة الصغيرة المطلة على البحر يضم اثنى عشر مسجدا متجاورا • **وهى الآن تحت الانتداب الفرنسى وبها جالية فرنسية صغيرة لا يزيد عدد أفرادها على مائتين يتولى أفرادها كبار مناصب الدولة ويقوم بعضهم بالتدريس فى المدرسة الثانوية الفرنسية الوطنيه التى تماثل مدارس « الليسيه » • ولشد ما دهشت حين علمت أن جميع المدن على هذه الجزر تحمل أسماء عربية مثل « المحلة » و « مجيدى » ••**

وقد أخبرت بأن هذه الجزر كانت بمثابة محطة التموين للسفن الشراعية العربية القديمة بين ساحل افريقيا الشرقى والهند ، **وقد زارها مرارا الملاح العربى الأشهر أحمد ابن ماجد النجدى الذى تقول الرواية المعروفة أنه كان المرشد لسفينة فاسكودى جاما البرتغالى فى الطريق الى الهند فى أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجرى •**

وقد اتيح لى خلال رحلة المحيط الهندى سالفة الذكر أن أحقق بعض المواقع العربية القديمة على ساحل افريقيا الشرقى وفى المحيط الهندى وأخرج برأى جديد عن دور الملاح العربى ابن ماجد فى رحلة فاسكودى جاما يخالف الرأى القديم القائل بأن هذا الملاح العربى هو الذى دار بفاسكو دى جاما حول راس الرجاء الصالح • والأغلب فى رأيى ان فاسكو دى جاما قد دار حول رأس الرجاء الصالح وحده بسفينته حتى موزمبيق على الساحل الشرقى لأفريقيا • وليس هذا العمل هو أشق ما فى الرحلة الى الهند بحال فان أية سفينة معدة لمثل هذه الرحلة الطويلة تستطيع ان تدور حول الرأس وهى بمحاذاة الساحل دائما وبخاصة انه قطع الطريق من البرتغال حتى جنوب افريقيا بمحاذاة ساحل افريقيا الغربى دائما• أما أصعب جزء فى الرحلة فهو الملاحة شرقا فى محيط جديد غريب لا يعرف دى جاما مسالكه ولا تياراته ورياحه اذا ما جازف وحده بالملاحة فيه شرقا • وأغلب الظن أن دى جاما سار شمالا على ساحل افريقيا الشرقى عقب اجتيازه لرأس الرجاء الصالح حتى موزمبيق• **وكان العرب قبل القرن التاسع الهجرى يعرفون هذا الساحل جيدا بل ووصفوا خلجانه وانهاره وموانيه ، وفى موزمبيق عرف دى جاما بأمر ابن ماجد فسار بسفينته شمالا حتى شعب الملتدى بالقرب من خط عرض ٤ جنوب خط الاستواء وهنالك تقابل مع ابن ماجد وأقنعه على أن يكون مرشده فى الرحلة الطويلة الى الهند ،** فى مياه المحيط الهندى المجهولة والتى كان يعرف ابن ماجد مسالكها على وجه التحقيق • وأغلب الظن أن ابن ماجد قد اتجه بسفن دى جاما من شعب الملتدى الى الجنوب الشرقى فى المحيط الهندى مارا بجزر القمر حيث تكون الرياح مواتية فى وقت معلوم من السنة، وسار بمحاذاة جبل القمر سالف الذكر حتى جاوز جزر القمر المذكورة ثم اتجه شرقا الى الهند ، ويؤيد هذا الرأى ما ورد فى مقالة النهر والى عن رحلة فاسكو دى جاما وابن ماجد من انه مر بطريق على « احد جانبيه جبل وفى الجانب الآخر مكان تتكسر فيه سفنهم •• الخ » • وأغلب الظن أن الجبل المذكور هو جبل القمر على أكبر جزيرة من جزر القمر سالفة الذكر الواقعة فى وسط المحيط الهندى جنوبى خط الاستواء • **ومما يؤيد الرأى أن ابن ماجد قد اتخذ الطريق المذكور وجود مدينة ساحلية على جزر القمر تحمل اسمه هى مدينة «مجيدى» نسبة اليه ، ولنا عود فى هذا الموضوع ان شاء الله بعد استكمال البحث والتحقيق •**

لا إكراه فى الدين

آية ٢٥٦ سورة البقرة

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

تحدثنا اليك فى مقالنا السابق عن المسألة فى الدعوة الدينية ، وأنهـا لم تكن عنيفة من جانب الرسول ، صلى الله عليه وسلم .

ومن خلال هذا الحديث ندرك فى غير تكلف أن الحـرب من جانب المسلمين كانت معاملة بالمثل ، فان الشر بالشر والبادى أظلم فمن اساء فعليه شؤمه ، ومن كف عن عداوة الاسلام صلحا فلا سبيل لنا عليه ((وان نكثوا أيمانهم من بعـد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر ، انهم لا أيمـان لهم لعلهم ينتهون)) .

فآيات القتال مهما كان فيهـا من تحريض شديد للمسلمين على قتال الكفار ، والمنافقين والناقضين للعهد ، لا تعتبر وسيلة مباشرة لحمل الناس كرها على الدخول فى الاسلام .

بل هى وسيلة تكفهم عن الامعـان فى عدوانهم لـدين الله ، وتحملهم على التفكير فيما هم عليه ، وعلى مراجعة أنفسهم فيمـا يتشبثون به من الكفر أ والنفاق ، وفيمـا يطلب منهم من الايمان .

ثم تكون فكرتهم ازاء الحرب متجهة الى الاختيار ، ويكون دخولهم فى الاسلام راضين مطمئنين بعد تفكيرهم فيه ، واذا لم تطاوعهم انفسهم العصية ، فلديهم المعاهدات ليحتموا بها من آثار موقفهم الشاذ الى حين .

ويمكن ان يقال أن آيات القتال مهما تكن للمعاملة بالمثل ولدفع شرور المعتـدين ففيها شائبة الاكراه ، لأن من أسلم تحت السيف يكون مكرها ،خصوصا أن النبى قال : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله)) .

فتهمة الاكراه تكون عالقة بالاسلام .

والجواب أن الاكراه ،ونحوه كمـا أوضحنا يتصور فى امر غيـر مفهوم ولا مقبول أما الدين ، وخاصة الاسلام ، فقد صـار أمره واضحا مبينا ، ولم تعد فيه ولا فى شيء من مبادئه جهالة ، ولم يعد فى ذاته شيئا بغيضا الى النفوس الطيعة .

ومن تخلف عنه أو تزهد فيه فهو متبجح فى وجه الحق الصراح ، وهو متعنت لا يقام لامتناعه وزن ، فاذا عرض نفسه لحرب فلا يقال انه مكره ، لأنه قاهم للحق ولكن يعاديه .

فليس هنا ما يسمى اكراها ، وهـذا ما نفهمه من قول الله ــ بعد نفى الاكراه والنهى عنه ضمنا ــ ((**قد تبين الرشـد من الغى**)) يعنى ظهر الحق من الباطل ، وبان طريق الصواب من طريق الخطأ ، فمن سلك طريق الخطأ وامتنع عن طريق الصواب لا يقـال ان دعوته الى الصواب اكراه له حيث لم يعد له عذر فى الاعراض عن دعوة الله ، وانما هو باغ متعنت ، ومن بغى فانمـا يبغى على نفسه ، وهذه هى العدالة الإجتماعية التى يقوم عليها العمران ، ويدرأ بها الفساد فى الأرض وأما قول النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أمرت أن أقاتل النـاس حتى يقولوا لا اله الا الله فمعناه حتى يعدلوا عن مقاومة الاسـلام ، ويدخلوا فيه ، ولا عبـرة باحجامهم عنه بعد أن ظهر لهم شأنه ، وعرفوا حقيقته ، وظلوا على عنادهم له ، وقد قال العلماء ــ لا تقولوا لمن أسلم تحت السيف انه مكره .

لأنه معاند بغير حق ، فلا يترك على عناده ، ومقـاومته للحق بسيف الظلم ، ــ ولا يعتبر هذا اكراها كما ذكرنا ، بل هو يحارب الحق الذى اتضح شأنه وهو يطفىء نوره .

ومما يقـال : ان المسلمين حاربوا أقواما آخرين من غير كفار قريش كالفرس ، والروم

لمجرد الفتح لبلادهم ، والاستيلاء والسيطرة عليهم .

وجواب ذلك : أن الاسلام وصل اليهم العلم به ، واتجهت اليهم دعوته السلمية ، فلم يستجيبوا ، وكانوا رداء لكفار قريش ، وللمنافقين من أهل الكتاب فى المدينة ، وظلوا كخنجر فى ظهر المسلمين .

فتركهم على هذه الجفوة يثير القلاقل حول البلد الاسلامى .

وبقاؤهم كذلك يعتبر اقرارا أو تركا للمنكر يستفحل .

فمن ضرورة المسلمين أن يبلغوهم الدعوة الاسلامية أولا فان لم يقبلوها كان رفضهم هذا جنوحا منهم الى العداء ، ومؤازرة الأعداء، فالسياسة الحتمية تقتضى اتقاء شرهم .

وذلك بعد الدعوة يكون بحربهم ليراجعوا انفسهم ، ويتراجعوا عن تشبثهم ، ويسلموا أو يعاهدوا على الصلح ، فليس فى ذلك اكراه مفاجىء ، ولا تكليف بشىء غير مفهوم أو غير مقبول فى ذاته .

وما دامت وجهة الاسلام كدين من عند الله هى ازالة المنكر الذى يخالف دينه فلا يكون خطأ ولا تحكما من المسلمين ان يخاطبوا الناس بالدخول فى دين ربهم الذى توافرت عليه الأدلة .

ولا يكون خطأ ، ولا تحكما أن ترتفع كلمة الحق على كلمة الباطل .

ولا يكون مفهوما لدى العقل أن يظل أهل الباطل على باطلهم دون مبرر لذلك ، أو يسكت أهل الحق عن الدعوة اليه دون مانع من ذلك .. فالحق أحق أن يتبع ، وليس بعد الحق الا الضلال .

ومما يقال فى هذا الصدد : اذا كان المرء يحتم على زوجته أو ولده أو مرءوسه أن يتمسك بأحكام الدين ، فهل ذلك اكراه غير جائز .

وجواب ذلك أن هذا ليس اكراها على الدخول فى الدين حتى نقول لا اكراه فى الدين ، وانما هو اكراه فى المحافظة على دين موجود بالفعل عند الزوجة او الولد فمثلا اذا كانت الزوجة كتابية فليس لزوجها المسلم حق فى اكراهها على الدخول فى الاسلام ، وهى صاحبة الارادة والاختيار وحسابها على نفسها .

ولكن اذا كانت الزوجة مسلمة وتقصر فى العمل بدينها فللزوج أن يلزمها بالواجبات الدينية فان هذا للمحافظة على الدين من التهدم ، ومحافظة على الاسرة من التحلل .

والأسرة أمانة فى عهدة المشرف عليها ، فالرجل راع فى أسرته ، وكل راع مسئول عن رعيته ، والمراة راعية فى بيت زوجها ، وكل راع مسئول عن رعيته .

ولا يقال انها حرية ، ولا يصح التدخل فى حرية الانسان فان تلك حرية منحرفة عن المبادىء التى فرضها الله على عباده فهى فوضى وهمجية وربما أدت الى الفوضى الاجتماعية ، ففرق بين الاكراه على الدخول مبدئيا فى الدين ، وبين الاكراه على الاحتفاظ بالدين القائم الذى ينتهى اليه الانسان فعلا ، والعلماء يقولون انه يغتفر فى الدوام مالا يغتفر فى الابتداء ، ومعنى ذلك أن الاكراه جائز فى صيانة الدين بين أهله من التلاعب بأحكامه .

ولرب الاسرة وللحاكم تمام الحق شرعا فى الزام رعيته بالمحافظة على دينهم لما فى هذا من صيانة القيم التى تقوم عليها حياة المجتمع فى أمان .

ولذلك ترى من أحكام الاسلام قتل المرتد عن الدين ، لأن الخروج من الاسلام يعتبر افسادا وتحريضا للغير ، ولم يشرع فى الاسلام قتل انسان غير مسلم الا بالحق لأن بقاءه على دينه لا يسمى ردة ، ولا تحريضا على فساد .

هذا ومن البلاء الذى يؤذى المجتمع أن تجد بعض المتاجرين بالدين يحاولون تضليل الناس ، وخداعهم باسم الدين ليقودوهم الى المفاسد والمهالك لأغراض دنيئة شيطانية ، واستخدام الدين فى هذه المحاولات الماكرة نوع من التمرد والمتاجرة .

وربما كان هذا من غير مبالغة شرا على الأمة والوطن والدين من شرور الكافرين الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا .

الجمهورية العربية المتحدة

زعامة سياسية ودينية

فضيلة الشيخ أبو الوفا المراغي

أما أن الجمهورية العربية المتحدة هي الزعيمةالسياسية للدول العربية فتلك حقيقة لا شك فيها ، وهي زعيمة هذه الدول بما تحملته من نضال وكفاح وتضحيات في سبيل تحررها واستقلالها أولا وبما أشاعته في نفوس الشعوب العربية من روح الثورة على الاستعمار للتحرر والاستقلال وبماقامت به نحوها منمساندات مادية وأدبية استظهرت بها على بلوغ أهدافها ثانيا وبهذا وذاك اتخذت الجمهورية العربية مكان القيادة في الشعوب العربية كما اتخذت مكانها بين الشعوب المتصدرة للقيادة العالمية تسهم بنصيبها في حل المشكلات الكبرى وتؤدي دورها في خدمة السلام العالمي ويعول على رأيها واتجاهها في تسوية القضايا الدولية .

وما من شك في أن تلك المنزلة انما كانت وليدة ثورة ٢٣ يوليو واحدى ثمراتها السياسية وكلنا يعرف كيف كانت منزلة مصر السياسية قبل الثورة ؟ فقد كانت منزلتها منزلة التابع الذليل للمستعمر الغاصب يقضي في شئونها بما يرى مما يتفق ومصالحه ، وكانت الوزارات والمجالس النيابية مسارح تمثيل يقوم فيها المستعمر بدور التاليف والاخراج واختيار الممثلين ويختار منهم من يتوسم فيه الكفاية لتمثيل دوره المطلوب منه ، تلك هي الزعامة السياسية للجمهورية العربية ومن قبل ذلك كانت لمصر زعامة أخرى ، هي الزعامة الدينية التي ورثتها عن مكة والمدينة وبغداد ودمشق منذ أكثر من الف عام وقد قامت الجمهورية بحقوق هذه الزعامة واحسنت رعايتها والحفاظ عليها وما ضنت في سبيلها بجهد او مال ، وقد تمثلت تلك الزعامة في الازهر الذي حمل مشاعل الثقافة الاسلامية وبث أضواءها في آفاق الارض شرقا وغربا تحمل الهداية والرشاد ، واذا كانت مصر هبة النيل في نواحيها المادية كما يقول هيروديت بما يمد به تربتها من خصوبة وماء يحيي مواتها وينبت زروعها ، فان مصر هبة الازهر في نواحيها الروحية بما يغرس في نفوس ابنائها من تعاليم الدين وفضائل الاخلاق وبما يقوم به علماؤه من حمل رسالة الاسلام والدعوة اليها في مصر وسائر الاقطار حتى غدت الجمهورية العربية بفضله كعبة المسلمين يحج اليها طوائف من ابناء الشعوب الاسلامية ينشدون

العلم والمعرفة ويتزودون بما يؤهلهم لان يكونوا رسل الهداية فى مواطنيهم . ولطالما استضاف الازهر على امتداد تاريخه فى أروقته وحلقاته أجيالا من هؤلاء كانوا عروقا طيبة ربطت شعوبهم بالازهر وبمصر وانشات بينهما وشائج البنوة الصالحة التى تزداد على مر الايام قوة ومتانة .

ومن الانصاف ان نقول : ان الازهر على امتداد تاريخه وتقدير المزايا التى ألمعنا اليها - وأخصها أنه الرباط الاسلامى المتين من الجمهورية العربية وسائر الشعوب الاسلامية - تفيأ ظلال الرعاية والعناية من جميع الحكام وكان علماؤه وطلابه موضع التقدير والاجلال وكانت مطالبة المادية فى المقدمة من مطالب الدولة وفى التاريخ تفصيل لتلك العناية وحسبنا أن نذكر من التاريخ الحديث هذه العناية التى أولتها الثورة للازهر ويكفى أن نقول ان الازهر يستضيف الآن قرابة أربعة آلاف طالب من ستين جنسية منتشرة فى أرجاء المعمورة تكفل الدولة رعايتهم ماديا وعلميا وقد بلغت نفقاتهم نحو مليون جنيه سنويا . وأنها انشات لهم مدينة سكنية تضم احدى وأربعين عمارة عدا ملحقاتها من المطاعم والملاعب والمصحات والمتنزهات والاندية . وفى عهد الثورة تطورت الجامعة الازهرية وتعددت كلياتها فانشىء بها كليات للطب والهندسة والزراعة والمعاملات الى جانب كلياتها التقليدية المعروفة وليس هنا مجال لتفصيل ما يلقاه الازهر من عناية حكومة الثورة .

وقد اكتسبت الجمهورية العربية بفضل الازهر وبجهود علمائه فى الميادين العلمية والوطنية والاجتماعية وبثقة الشعوب الاسلامية فى كفايتهم مكان الزعامة الاسلامية وغدت قلب الاسلام النابض وعلمه الخفاق يجتمع المسلمون فى ظلاله من سائر الآفاق . وكانت كلتا الزعامتين السياسية والدينية للجمهورية العربية مثار غبطة واعجاب من أشياعها ومحبيها كما كانتا مثار كيد وحقد من أعدائها وخصومها ، وتعرضت زعامتنا السياسية لمناورات ومؤامرات من الشرق والغرب كتب لها أن تفشل وأن تخرج منها أصلب عودا وأقوى على احتمال الاحداث والمحن .

وتتعرض زعامتنا الدينية لهزات تستوجب اليقظة والانتباه ومن يقرأ الصحف ويتتبع الاخبار التى تتصل بالناحية الدينية الاسلامية يستبين هذه الهزات وتتكشف له أهدافها ومقاصدها وليس من شاننا أن نتحدث عما يلابسها من النواحى السياسية . وحسبنا ان نقول ان بعض الشعوب العربية حاولت أن تحاكى الجمهورية العربية المتحدة فى خططها فى التعليم الدينى بالازهر فانشأت معاهد وجامعات على غرار المعاهد والجامعات الازهرية لتزاحم الازهر أولا وتنتزع رسالته أخيرا ورصدت لها الاموال التى قدرت أنها كافية فى اغراء أبناء الشعوب الاسلامية بالانصراف عن الازهر والاقبال على معاهدهم والسلك فى نظامها كمقدمة لانتزاع الزعامة الاسلامية من الجمهورية العربية بانتزاع التعليم الدينى الذى يقوم عليه الازهر والذى اشتهر به ولكن آمال هؤلاء لم تتحقق وأخفقت هذه المشروعات على ما يبدو وانتهى الأمر ببعض هذه الجامعات الى الفشل وقد كان ذا كمتوقعا فليست الزعامة الدينية حصاد فصل من الفصول أو عام من الاعوام ولكنه حصاد قرون وتجارب قرون وثمرات أفكار وجهود وأموال .

« البقية ص ١٠٦ »

التربية

ما هى التربية ؟

عرف جون ديوى عالم التربية الامريكى التربية بانها « عملية دائمة لتعديل الخبرة بشكل يزيد فى معناها وفى قدرة المرء على توجيه الخبرة التالية » :

والتربية تختص بدراسة الانسان وطرق تعديل طباعه وسلوكه والعلاقات الناشئة بينه وبين بنى جنسه .

وقد عنيت التربية الحديثة بالطفل عناية كاملة فى طفولته وصباه وشبابه واصبح هذا العصر ينظر اليه على انه عصر الطفولة السعيدة فقد توفر على العناية به الآلاف من المربين والمربيات فى المدارس التى تجرب وتنشر تجاربها على العالم اجمع وهى بهذا تؤدى اجل الخدمات للطفولة وللجيل المقبل . وتعده ليكون متعلما مزودا بالعقل الراجح والخبرة العملية التى يستطيع بها ان يحكم الاشياء والاخلاق والقيم الحكم الصحيح .

وقد توصلت التربية الحديثة الى ان الانسان مزود فى طبيعته بالغرائز والاستعدادات التى تدفعه الى اكتساب الخبرة والى تعديلها وتنظيمها ، ورات انه لابد من وجود علم التربية والمربين وذلك لامرين :

١ - ان الانسان فى جهوده محتاج الى من يوجهه ويرشده ويوفر عليه الجهد غير المجدى والاخطاء المضللة .

٢ - أنه محتاج الى من يزوده بالثقافة الانسانية منذ نشاتها حتى اليوم فيوفر عليه الكثير من التجارب التى قد لا يتسع لها عمره .

ولولا هاتين الناحيتين لما كان للمربين وجود فى حياة الطفل ولا كان لعلم التربية اهميته .

التربية عند العرب :

العرب امة من الامم التى كان لها حضارة ومدنية وتنقسم حياتهم الى قسمين : القسم الاول قبل الاسلام والقسم الثانى بعده وأسلوب التربية فى كل من القسمين يختلف عن الآخر ذلك لان التربية تكون على حسب البيئة وحاجاتها واستعداد اهلها .

والتربية عند العرب فى الجاهلية تهدف الى اعداد النشء لتحصيل ماهو ضرورى للحياة وحفظها فكان الغلام يتمرن على اعمال آبائه ليسلك طريقهم فى كسب العيش وتحصيل الملبس واتخاذ المسكن ليقدر على مدافعة الاعداء ومنازلة الوحوش .

وقد هدتهم تجاربهم الى جملة فنون كسبوها بالتجارب وتناقلوها بالرواية لقلة معرفتهم بالقراءة والكتابة . ومن ذلك الشعر والخطابة وعلم النجوم والانساب ووصف الارض والطب والانواء ومهاب الريح والكهانة والعرافة .. وما الى ذلك .

وكان عندهم اسواق مثل سوق عكاظ ومجنه وذى المجاز وهذه الاسواق كان لها اثر كبير فى تربية العرب وهذا كله كان فى الجاهلية فى البادية

عند العرب

الأستاذ على القاضى

اما العرب فى الاماكن التى كانت لها حضارة فقد كانت عندهم مدارس ترمى الى تخريج الاحداث فى الصناعات والمهن المختلفة كالهندسة والطب والبناء والنقش والنجارة وغيرها من الحرف التى تساعد فى توفير الرزق وكانت كلها تعتمد على التجارب ويشوبها كثير من الاباطيل والخرافات • كذلك كان من اهدافها غرس الخلال الطاهرة التى اشتهر بها العرب منذ القدم • يؤيد هذا ما عثر عليه الباحثون فى آثار مدائنهم • فقد عثروا على انقاض مدرسة للاطفال حوت قراميد عليها دروس للاطفال فى الحساب والهجاء وشملت ايضا معجمات وكتب للمطالعة

هذه هى التربية عند العرب فى الجاهلية وتلك اهدافها على قدر ما استدعته البيئة العربية فى ذلك العهد •

اهداف التربية العربية بعد الاسلام :

جاء الاسلام فاحدث انقلابا فى حياة العرب وفى اتجاههم • وأصبح الدين هو أساس كل شىء فى حياة العرب • وأصبح اهم هدف من أهداف التربية العربية بعد الاسلام هو التفقة فى الدين وتعلم احكامه والتحلى بالاخلاق الفاضلة •

و « الغزالى » ينصح المتعلم بأن يقصد بطلب العلم القرب من الله تعالى ولا يقصد به الرياسة والجاه •• « واخوان الصفا » يقولون : « كل علم وبال على صاحبه مالم يرد به وجه الله تعالى » « والزرنوحى » يقول : « ينبغى ان ينوى المتعلم بطلب العلم رضا الله تعالى والدار الآخرة » ولذلك كان المعلمون يعلمون فى كثير من الاحيان بغير اجر وكان كل شىء يقاس بمقدار خدمته للدين •

والغزالى يقول « على المعلم ان ينبه المتعلم بأن الغرض من طلب العلوم هو القرب الى الله تعالى لا الرياسة والجاه والمباهاة •

واذا كان هذا هو غرض التربية عند غالبية المربين العرب فان منهم من كان يرى اتخاذ العلم وسيلة للعز والرفعة والجاه بين الناس •

قال مصعب بن الزبير لابنه : « تعلم العلم فان يكن لك مال كان لك جمال وان لم يكن لك مال كان لك مال • وقال عبد الملطب بن مروان لبنيه « يابنى تعلموا العلم فان كنتم سادة فقتم وان كنتم وسطا سدتم وان كنتم سوقة عشتم • ويرى بعض المربين العرب أن العلم ينبغى أن يطلب لذاته فان فيه لذة لا تعدلها لذة •• قال الزرنوحى فى تعليم المتعلم « كفى بلذة العلم والفقه والفهم داعيا وباعثا للعاقل على تحصيل العلم »

والجاحظ يقول : لست أطلب العلم طمعا فى بلوغ غايته والوقوف على نهايته ولكن لالتماس مالا يسمح تهله ولا يحسن بالعاقل ان يعمله •

وبعض المربين العرب يهدف الى الغرض النفعى وابن سينا من انصار هذا الغرض اذ انه يدعو الى التعليم الفنى والصناعى بعد ان يتم الغلام التربية الابتدائية يقول :

« واذا فرغ الصبى من تعلم القرآن وحفظ اصول اللغة نظر عند الى مايراد ان تكون صناعته فوجه لطريقته بعد ان يعلم مدبر الصبى أن ليس كل صناعة يرومها الصبى محكمة له مواتية ولكن ما شابه طبعه وناسبه »

وابن خلدون يخبرنا ان من العرب من طلب المال بدراسة الكيمياء •

وهناك غرض آخر من اغراض التربية العربية ذلك هو التربية لنشر مذهب دينى او سياسى كما فعل الشيعة فى انشاء الازهر لنشر مذهبهم وكمدرسة الشافعى فى مصر التى أنشئت لنشر مذهبه • وكمدرسة نظام الملك التى أنشأها للقضاء على مذهب الشيعة ونشر مذهب أهل السنة •

ونحن نلاحظ ان هذه الاغراض فى مجموعها لاتخرج عن الغرض الاول فهو قاسم مشترك فى هذه الاغراض كلها •

فالتربية العربية الاسلامية بهذه النظرة تختلف عن التربية عند اليونان والروم فقد كان غرضهم نفعيا محضا كما تختلف عنها عند الاسرائيليين القدماء فى الفترة الاولى فقد كان دينيا محضا •

والتربية فى اهدافها تسير على حسب البيئة وحاجاتها وحالة مجتمعها ولذلك فان التربية الحديثة فى أمريكا تهدف الى تعلم المهنة التى يكتسب منها الانسان معاشه وفى انجلترا تهدف الى أن يكون الفرد شخصا مهذبا رشيقا « جنتلمان » وفى فرنسا تهدف الى الثقافة العقلية وكسب المعارف النظرية

السن المناسبة للتعلم

فى تربيتنا الحديثة نرى ان السن المناسبة للتعليم الابتدائى هى سن السادسة وفى الابتدائى القديم كان السابعة • ونرى بعض الاباء يذهبون بأبنائهم الى الروضة والحضانة فى سن الرابعة واحيانا قبل ذلك بينما الازهر يقبل تلاميذه فى السنة الاولى الابتدائية فى سن الثانية عشرة : ترى اى سن انسب لبدء التعليم ؟

يرى العبدرى : « أن السن المناسبة للتعليم هى سن السابعة وهو يحذر من تعليم الطفل القراءة والكتابة قبل هذه السن اذ لافائدة من ذلك ويرى ان الاباء الذين يريدون تعليم ابنائهم قبل هذا انما يريدون ان يستريحوا من ابنائهم وتعبهم بالتعليم ويؤيد هذا الرأى الاستاذ « رودوس » فقد قام ببحث عن السن التى ينبغى ان يبدأ عندها ارسال الطفل الى المدرسة فوجد ان الاطفال الذين بدءوا تعليمهم فى سن الرابعة كانوا اضعف فى الرياضة والمعلومات العامة عندما اختبروا فى سن الثانية عشرة عن الاطفال الذين ذهبوا الى المدرسة بعد الرابعة • الا انه وجد فيما يختص بالحفظ الآلى مساواة بين الاطفال جميعا • ولم يتميز الذين بكروا الى المدرسة الا فى الاشغال اليدوية •

ولعل سن السابعة هو السن الذى كان يبدأ به فى الكتاتيب وقد شاهدنا هذا فى كتاتيبنا فى العصر الحاضر •

أما الدراسة فى المساجد فقد كانت فى العادة تبدأ بعد الانتهاء من الكتاب وحفظ القرآن ومعرفة شىء من الحساب والخط وما الى ذلك •

العناية بالطفل

فى كتاب الطفل فى المدرسة الابتدائية القصــة الآتية :

جاء رجل الى السيدة « سوزان ايزاكس » مؤلفة الكتاب وقال لها : ياسيدتى ساعدينى فى تربية ابنى فانه مشكل فقالت له : وكم عمره ؟ فقال : خمسة اعوام . فقالت : ياسيدى لا تضيع وقتى فقد انتهى اوان التربية . ومعنى هذا ان سنوات الطفل الاولى هى سنوات التكوين وهى التى لها الاهمية الاولى فى حياة الطفل .

والمربون العرب يعرفون للسنوات الاولى قيمتهـا واهميتها فى العناية بالطفل وبمرضعته وحاضنته والا كانت النتيجة سيئة . يقول الغزالى :

يجب العنايا بالطفـل من مبدا ولادته والا كانت النتيجة سيئة . وان يراقب من ولى امره فلا يستعمل فى رضاعته وحضانته الا امراة صالحة متدينة .

ويقول :

ان الصبى اذا اهمل فى بدء نشاته خرج غالبا ردىء الاخلاق كذابا حسـودا سروقا نماما لحوحا ذا ضحك وكياد ومجانه وانما يحفظ من ذلك بحسن التاديب .

بل اكثر من هذا فان المربين العرب يرون العناية بالطفل من قبل ولادته وذلك باختيار الوالد والوالدة تمشيا مع مايقوله الرسول الكريم فى الوالد : « اذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير » وفى الوالدة : « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » و « فاظفر بذات الدين تربت يداك » ومن ذلك « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالرسول الكريم يجعل الام راعية ومسئولة عن ورعيتها يجعل الام راعية ومسئولة ، فالرسول الكريم اولادها

تكوين الشخصية

تقول مدام منتسورى : ان اهم مايميز التربية الحديثة احترام شخصية الطفل الى حد لم يعهد من قبل .. وهذا صحيح بالنسبة لاوربا وامريكا . اما التربيـة العربية فقد اهتمت بتكوين شخصية الطفـل اهتماما اوليا ويؤيد هذا مانراه فى صبيان الكتاتيب فى الريف وما يطلب القـابسى ان يكون مع الصبيان دائما . فالاطفال فى الكتاتيب يكتبون للناس رسائلهم وهذا ما يقوى شخصيتهم ويجعلهم يكفون بانفسهم ومكانتهم فى المجتمع . والاطفال يكتبون للناس رسائلهم وهذا مما يقوى شخصيتهم ويجعلهم يثقون بانفسهم وبمكانتهم فى المجتمع .

والاطفال ايضا يقومون بتعليم بعضهم بعضــا . القوى يساعد الضعيف ويملى عليه . ونظام العريف فى الكتاتيب يقوم على هذا النهج وهذا النظـام هو الذى سارت عليه احدث المدارس التقدمية فى امريكا وهى مدرسة واشنطن الثانوية فى ولاية بلبيرى حيث جعلت التلاميذ الذين ياخـذون اكثر من ٥٠٪ يقومون بتعليم زملائهم الضعاف . ووجدت النتائج باهرة وسمت هؤلاء الطلبة المتقدمين بمعلمى ومعلمات المستقبل الامريكيين

والصبى اذا بلغ الحلم استطاع ان يتقدم الناس وان يصلى بهم اماما حيث انه يحفظ كلام الله . وهذه نهاية مايمكنه ان يكون فى تقوية الشخصية .

والصبى ينبغى ان ياخذ طفولته مع زملائه فهذا ادعى الى تكوين شخصية يقول ابن سـينا « ووجود الصبى مع غيره من الصبيان من ادعى الى التعلم والتخرج فانه يباهى الصبيان مرة . ويغبطهم مرة ويانف عن القصور عن شاوهم مرة ثم انهم يترافقون ويتزاورون ويتعاملون وكل ذلك من اسباب المباراة والمباهاة والمســاجلة والمحاكاة وفى ذلك تهذيب لاخلاقهم وتحـريك لهممهم وتمرين لعاداتهم »

الثواب والعقاب المدرسى

اختلف المربون اختلافا كبيرا فى العقاب المدرسى وان لم يختلفوا فى الثواب . والتربية الامريكيـة الحديثة تميل الى منع العقاب المدرسى لان الاطفال فى حاجة الى العلاج لا الى العقاب يقـول « مستر نايل » مدير معهد ملبورى الامريكى : « ليس هناك طفل مشكل ولكن هناك آباء مشكلون ومعلمون مشكلون » . وان كان هذا الراى لايميل اليه كل المربين الامريـكيين والاديان السماوية كلها تتحدث عن الجنة والنار والجنة اثابة والنار عقاب .

والمربون العرب يطلبـون اثابة الصبى اذا فعل شيئا جميلا او اذا ظهر بخلق متين فان ذلك له تاثير على الصبى وعلى زملائه يقول الغزالى : اذا ظهر من الصبى خلق جميل وفعل محمود ان يكرم عليه ويجازى بمـا يفرح به ويمدح بين الناس ويطلب القابسى « الثنـاء على افعالهم المحمودة » فان خالف الصــبى فالمربى يستطيع ان يعالج هذه المسالة وكذلك ان ظهر منه خلق غير طيب . والعلاج يختلف من طفل الى طفل ومن حالة الى حالة يقـول الغزالى « فان خالف ذلك فى بعض الاحوال مرة واحدة فينبغى للمؤدب ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهـر له انه يتصور ان يتجاسر احد على مثل تلك المخالفة فانه اذا ظهر ذلك عليه فربما تزيده خسارة حتى لايبالى بالمكاشفة فان عاد ثانيا فينبغى ان يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال له اياك ان تعود بعد ذلك لمثل هذا فتفتضح بين الناس »

ويقول الغزالى للمربى « ولا تكثر القول عليـه بالعتاب فى كل حين » وهكذا يسير الغزالى فى علاج التلميذ فى هدوء .

والعبدرى فى المدخل يرى مثل هذا الراى ولكنه يرى العلاج بالضرب اذا لزم الامر على ان يـكون الضرب للتاديب وغير مبرح . يقول العبدرى : « رب صبى تكفيه عبوسة وجهك عليه وآخر لا يرتدع الا بالكلام الغليظ وآخر لا ينزجر الا بالضرب كل على قدر حاله » وهو يرى « ان يكون الضرب غير مبرح والا يزيد على ثلاثة اسواط فان زاد فليكن الى العشرة بآلة غير ضارة وقال : وليحذر كل الحذر من مثل بعض المؤدبين فى هذا الزمان وهو انهم يتعاطون آلة اتخذوها لضرب الصبيان مثل عصا اللوز اليابس والجريد والفلقة وما اشبه ذلك

وفى مقدمة ابن خلدون : ان الشدة بالمتعلمين مضرة بهم ولا سيما اصاغر الولد والغزالى يرى أن الشفقة بالمتعلمين واجبة وان يجريهم المعلم مجرى بنيـه . والقابسى يقول فى وصفه للمعلم : « ومن حسن رعايته لهم ان يكون بهم رفيقا ولا يرضى أن يـكون من بين العقوبات حرمان الطفل من طعامه لان ذلك شديد على نفسه » ونهى القابسى عن عقوبة الانتقام . ولذلك منع ان يكون الضرب فى ساعة غضب حتى لايكون « ضرب اولاد المسلمين لراحة نفسه وهذا ليس من العدل »

والمربون الامريكيون حين ينصحون بعـدم اخـافة الصبيان بالضرب ويمنعون العقوبة البدنية يعودون الى القول بضرورة تعريضهم للمخاوف الطبيعية لينشأ

الصبى صلب العود قوى العزيمة صادق الارادة قادرا على مجابهة الاخطار والوقوف امام الصعاب »

ويقصدون الى ان يتعلم الطفل بنفسه من ظروف الحياة .

توجيه التلاميذ حسب ميولهم

التربية الغربية الحديثة تفخر بانها توجه الطلبة حسب مواهبهم واستعداداتهم وهى لذلك تهتم باختبارات الذكاء والاختبارات المهنية لتوجه كل طالب الوجهة التى يصلح لها .

وقد عرف العرب فكرة توجيه التلاميذ حسب ميولهم وكانت عملية التوجيه تبدأ بعد ان يجتاز التلميذ المرحلة الاولى للتعليم وبعد أن يعرف شيئا من العلوم الضرورية كالقراءة والكتابة والحساب. ثم على التلميذ بعد ذلك ان يتجه الى العلم او الحرفة حسب استعداده وميوله .. والاستاذ بما له من خبرة لتلاميذه هو الذى يوجهه الوجهة المطلوبة فاذا ظهر للاستاذ أن الوجهة التى سار فيها الطالب لم تكن مناسبة له امكنه ان يوجهه الى وجهة اخرى يقول الزرنوجى « وينبغى للطالب الا يختار نوع العلم بنفسه بل يفوض امره الى الاستاذ فهو اعرف بما ينبغى لكل واحد وما يليق بطبيعته » وفى منهاج المتعلم يقرر انه يجب على المعلم أن يشخص طبيعة المبتدىء من الذكاء والغباوة ويعلمه على حسب طاقته . ولا يكلفه فوق ذلك لانه اذا كلف يئس عن تحصيل العلم »

وكان المربون العرب يعتمدون على التجربة فى طرق اختبارات الذكاء فهم يعلمون الطفل ثم يحكمون عليه بمقدار النتيجة التى يستطيع ان يحصل عليها كما كانوا يختبرون ذاكرة التلميذ ليروا ميله الى الحفظ او التعمق أو التفكير فان كان يميل الى الاولى فليدرس علم الحديث وان كان يميل الى الثانية فليدرس الفلسفة أو المناظرة وعلم الجدل والكلام .

واذا وجه التلميذ او التحق بحلقة دون توجيه ورأى المدرس فى هذه الحالة او تلك أن التلميذ ينبغى له ان يترك هذه الحلقة الى سواها فان المدرس لايتردد ان يخبر التلميذ بهذه النتيجة وينصحه بتغيير الموضوع الى موضوع آخر . وابن سينا يقول « وليس كل صيانة يرومها الصبى له مواتية ولكن ما شاكل طبعه وناسبه وانه لو كانت الآداب والصناعات تنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملاءمة اذن ما كان احد غفلا من الادب وعاريا عن الصنعة واذن لاجمع الناس كلهم على اختيار أشرف وأرفع الصناعات » وينبغى لمدبر الصبى اذا رام اختيار الصناعة ان يزن اولا طبع الصبى ويسبر قريحته ويختبر ذكاءه فيختار له الصناعات بحسب ذكائه

مراعاة الفروق الفردية :

تفخر التربية الامريكية والاوربية بمراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ . والتربية العربية منذ القدم تراعى الفروق الفردية فى كل ناحية من نواحيها فى المساجد والمدارس والكتاتيب بل لعل الفروق الفردية لم تراع فى اى لون من الوان التربية كما روعيت فى التربية العربية . ولعلنا لهذا السبب نجد انكثيرا من العلماء المبرزين ظهروا فى سنوات قليلة لذكائهم واستعداداتهم بينما تاخر المئات من زملائهم عن اللحاق بهم وساروا حسب قدراتهم .

والغزالى يقول فى هذا « وينبغى الا يؤخذ الغلمان جميعا بطرق واحدة والا يعاملوا معاملة واحدة فى العلاج والتهذيب . وانما ينبغى ان يختلف علاجهم باختلاف امزجتهم وطباعهم واسنانهم وبيئاتهم »

وقال : « وكما ان الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم كذلك المربى لو اشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم وانما ينبغى ان ينظر فى مرض المريد وفى حاله وفى سنه ومزاجه وما تحتمله نفسه من الرياضة » وقال الغزالى « من وظائف المعلم ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى اليه بما لايبلغه عقله فينفره» وقال ايضا « ان المتعلم القاصر ينبغى أن يلقى اليه الجلى من الامور واللائق به ولا يذكر له ان من وراء ذلك تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته ويشوش عليه قلبه

ولذلك عاب ابن خلدون على الازهر فى ايامه عدم التفاته الى هذه الناحية .

اللعب

اللعب فى التربية الحديثة يكون جانبا هاما من جوانبها بل ان بعض مدارس الاطفال كمدرسة منتسورى قامت على اللعب الخاصة بالاطفال . ولما كان اللعب بالنسبة للصبى هاما فقد أدخلناه فى صلب الجدول المدرسي ليستفيد الطالب وليتعود منه عادات طيبة واخلاقا حسنة .

والتربية العربية ترى اهمية اللعب بالنسبة للعاقل يقول الغزالى « يجب ان يعود الصبى فى بعض النهار على المشى والحركة والرياضة حتى لايغلب عليه الكسل» ويقول « وينبغى أن يؤذن له بالانصراف من المكتب بعد الدروس وأن يسمح له باللعب الجميل الذى يستريح اليه من تعب التعلم بحيث لايتعب من اللعب ، فان منع الصبى من اللعب وارهاقه فى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه » وفى تهذيب الاطفال لابن مسكويه ويعود الصبى المشى والحركة والركوب والرياضة »

التغذية فى معاهد العلم

ترى التربية الحديثة ان التغذية جزء من عملية التربية لما لها من أثر فى تقوية اجسام التلاميذ وهذا هو الذى فعله العرب قديما .. كانت الاوقاف الكثيرة توقف للانفاق على معاهد التعليم والانفاق على الطلبة . وقد ذكر ابن جبير فى رحلته انه كان ببغداد ثلاثون مدرسة حبس عليها من الضياع ماكفت غلته نفقات الطلبة والاساتذة جميعا . وذكر أيضا انه لما زار دمشق فى القرن الخامس الهجرى وهو القرن الذى يوافق الثانى عشر الميلادى وجد أكثر من خمسمائة طالب يأخذون الجراية اليومية من اوقاف مسجد المدينة .

وذكر ابن بطوطة فى رحلته ان تلك الحبوس كان فيها كفاية للطلبة ملبسا ومأكلا ومسكنا . ولقد كان الازهر الى عهد قريب فيه جرايات كافية لطلبته الى جانب مجانية التعليم .

ومما يذكر ان هذه الاموال التى كانت تنفق على معاهد التعليم اشترك فيها رجال الدولة وعامة الشعب لافرق بين الرجال والنساء ولا بين الموظفين وارباب المهن الحرة . وقد تمتع طلبة المعاهد العربية ايضا بسكنى منازل اعدت لهم بالمساجد او المدارس التى كانوا ينتسبون اليها ومامساكن الطلبة باروقة الازهر الا اثر من تلك الاثار القديمة .

الزام التعليم

الامم الراقية تتطلب فى جميع افرادها ان يكونوا متعلمين ومن هنا فاننا فى الاقليم الجنوبى نحاول ان ننشر التعليم فى جميع طبقات الامة ولو عن طريق الالزام .

وعلماء التربية عند العرب يرون مثل هذا الراى وقد ذهبوا الى هذا بطريقة توافق اتجاههم وهى ان العبادات واجبة ومعرفة القرآن ايضا واجبة لضرورتها فى الصلاة والوالد مكلف بتعليم ابنه القرآن والصلاة فاذا لم يتيسر له ان يعلمه بنفسه فعليه ان يرسله الى الكتاب لتلقى العلم بالاجر فاذا لم يكن الوالد قادرا على نفقة التعليم فاقرباؤه مكلفون بذلك فاذا عجزوا عن نفقة التعليم فالمحسنون مرغبون فى ذلك او معلم الكتاب يعلم الفقير احتسابا او من بيت المال .. والغزالى يرى هذا الراى مستدلا بحديث النبى الكريم « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة »

الطريقة الجميلة

انتهى الجشطالت فى ابحاثهم الى ان الشىء يدرك جملة قبل ان يدرك بالتفصيل . وبدا المربون فى العصر الحديث يستفيدون من هذه النظرية فى الرسم وفى تعلم القراءة والكتابة وفى بعض العلوم . وابن خلدون يرى مثل هذا الراى . ويرى ان يبدا المعلم بالاجمال ثم يفصل بعد ذلك كما يرى ان يعتمد المعلم فى اول الامر على الامثلة الحسية فان المبتدىء فى اول الامر ضعيف الفهم قليل الادراك ولا يعينه على فهم مايلقى اليه مثل الامثلة الحسية .

الفنون :

يرى « دوركيم » ان حب الفنون الجميلة وتذوق الجمال مما يؤدى الى تجرد المرء من نفسه فيخفف عنه عبء الحياة فالفن سبيل الى الراحة النفسية . وميدان الفن الخيال .. ولذلك ينتهى دوركيم DWRKKIME الى ان الفن والادب لايصلحان اساسا للسلوك »

وقد انتهى « سبنسر » الى نفس النتيجة وهو لهذا يجعل السلوك فى الحياة اساسه تعلم العلوم الطبيعية لانها تعرفنا حقائق الاشياء على الوجه الصحيح . وهذا الراى لايراه اكثر المربين الغربيين لان الفصل بين الحقيقة والخيال فيه كثير من الافتعال فالحقيقة والخيال قطعة واحدة فى عقل الانسان والفن جهة التعبير بطريق الخاصة عن اغوار الحقيقة وما فيها من اعماق .. ولا يمكن الاستغناء عن الفنون كما لايمكن الاستغناء عن العلوم بالنسبة للصبيان .

والفن الذى اشتهر به العرب هو الشعر والشعر له اهمية خاصة فى حياتهم ولذلك كان المتعلمون فى كثير من الاحيان يهتمون به اهتماما خاصا ويحفظون منه الكثير فى جميع مراحل حياتهم بل ان القاضى ابو بكر بن العربى يرى البدء بتعليم الشعر وعلوم اللغة والانتقال بعد ذلك الى تعليم الحساب حتى اذا اتقن الصبى ذلك انتقل الى القرآن وقال « وياغفلة اهل زماننا فى ان يؤخذ الصبى فى اول الامر بكتاب الله يقرا مالا يفهم وينصب فى امر غيره اولى منه بالتقديم» ووافقه ابن خلدون الذى قال معجبا بهذا الراى « وهو لعمرى مذهب حسن الا ان العادات لاتساعد عليه »

والقابسى يحض على الشعر ويعتمد فى رايه هذا على احاديث منها « انما الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح » ومنها « ان من الشعر لحكمة »

التربية الخلقيه

وسائل العرب فى التربيه الخلقية كثيرة اهمها :

١ - القدوة : ذلك لان الصبى يرى فى استاذه المثل الاعلى وهو كثير المحاكاة له وعلى ذلك ينبغى ان يكون قدوة . يقول ابن خلدون « الاطفال ياخذون بالتقليد والمحاكاة أكثر مما ياخذون بالنصح والارشاد . ومن احسن ماسمعته فى هذا الموضوع ماكتب به عتبة بن سفيان الى معلم ولده قال : ليكن اول أصلاحك لولدى اصلاحك لنفسك فان عيونهم معقودة عليك فالحسن عندهم ماصنعت والقبح عندهم ماتركت »

٢ - حفظ القرآن والحكم والاشعار له تاثير فى سلوكهم .

٣ - الاستعانة بميول الطفل الفطرية الفردية واستعداداته الفطرية وذلك عن طريق :

ا - ميله للمدح واشباع غريزة السيطرة فيه وخوفه من اللوم فيمدح اذا ظهر منه شىء جميل ويزين له مخالفة الشهوات .

ب - الاستعانة بميل الطفل الفطرى الى الاجتماع بغيره من الاطفال والشخصية لاتنمو الا فى جو اجتماعى

ح - الاستعانة بتكوين عادات وميول منذ الصغر كأن يعود الطفل الاستيقاظ المبكر والمشى والحركة ويعود الصدق والطاعة . وما الانسان الا مجموعة من العادات التى توفر الوقت والمجهود وتؤدى الى السهولة وتجعل صاحبها يتفرغ لاعمال جديدة يفكر فيها يقول القابسى « وقد امر المسلمون ان يعلموا اولادهم الصلاة والوضوء لها ويدربوهم عليها ليسكنوا اليها ويالفوها فتخف عليهم اذا انتهوا الى وجوبها عليهم .

خاتمة :

هذه اضواء على التربية عند العرب . وحبذا لو اهتم اساتذة التربية عندنا بان تكون لنا شخصيتنا العربية فى التربية فلا ناخذ من التربية الامريكية لتجرب فى مدارسنا مع اختلاف الظروف والبيئة ثم تمضى سنوات . وقد فشلت التجربة لعدم ملاءمتها للبيئة ونبدا فى تجربة اخرى جديدة وهكذا .

لقد كنا نسمع عن طريقة المشروعات وطريقة دولتون وطريقة منتسورى وطريقة فرديل وطريقة دندكا وغيرها .. وقد اختفى كثير من هذه الطرق لعدم ملاءمتها لنا فلماذا لاتكون ثقافتنا العربية مثل ثقافتنا عن التربية الغربية ؟ ولماذا لاتكون لنا شخصيتنا الخاصة فى البحث والتجربة ونحن ادرى بظروفنا وبيئاتنا وحاجتنا ؟

الإسلام بين العقل والنقل

للأستاذ محمود أبو الفيض المنوفى

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما » « واذا مروا باللغو مروا كراما » .

الصوفية - ان التصوف منـاجاة القلب ومحادثة الروح ، وفى هذه المناجاة طهارة فى القلب والروح والنفس لمن شاء ان يتطهر ، وصفاء لمن اراد التبرؤ من الرجس والدنس وفى ذلك صعود بالروح الى سماء النور والتكامل الى عالم الفيض والالهام ، وما هذا الحديث والنجوى الا ضرب من التامل والنظر والتدبر فى ملكوت السموات والارض بالعقل والقلب معا .

بيد ان الجسم والنفس متلازمتان وتوأمان لاينفصلان ولا سبيل الى تهذيب احدهما بدون الاخر ، فمن شاء لنفسه صفاء ورفعة فلا بد له أن يحد من غلواء الشهوات وملذات البدن . فالتصوف اذن : فكر وعمل ودراسة ورياضة وسلوك ، واختلاف المتصوفة فيما بينهم راجع فى الغالب الى تغاير المنهج فى السلوك وان كانت الغاية واحدة ، فبعضهم يرى أن سبيل الوصول الى هذا هو التبتل والتزهد .. البعض يقدم العلم والتامل واذن يمكننا أن نقول بوجه عام ان هناك ضربين من التصوف : نظرى ، وعملى ، وقدامتاز كل منهما بمميزاته الخاصة وان كانا غير منفصلين تمام الانفصال ، لانه لابد لصاحب المنهج العلمى النظرى من العمل ، ولصاحب المنهج العملى من المعرفة القلبية والعقلية ، والاسلام بما فيـه من طاعـات وقربات وأدعيـة وعبـادات واردة فى القرآن يكون قد اشتمل على أكثر اسس التصوف والتصوف الاسلامى على الاخص لانه لاينفر من الدنيـا ولا يحرم زينة الله التى أخرج لعباده ولا الطيبات من الرزق ، ولكنه يدعو الى العمل للآخرة فى الدرجة الاولى والى تطهير الجسم والنفس من الرجس والدنس ثم العمل للدنيا وفى مثل هذه الدعوى سلاح

ممين من احكام الدين يعتمد عليه اهل التصوف باعتبارهم اهل الناحية الروحية المتعلقة بسائر نواحى الاسلام ظاهرا وباطنـا والتى تتطلب الاخلاص والخلوص والانابة ، فأولئك القوم الذين خصصوا انفسهم لفهم روح الدين وتطبيق القول على الفعل والحال على المقال بصدق واخلاص مضافا الى ذلك أن فى لغـة القرآن والحديث من العطف والحنان ما يلائم نزعات النفوس والقلوب ، وان تلك اللغة فى اعلى آفاقها تصف البارى جل شأنه بأنه رحيم ودود وأنه اقرب الى عبده من حبل الوريـد ، وفيهـا ما يفسح مجالا لتقرب المتقين والعارفين الذين لايحجبهم عن الله حجاب ولا يحول دون شهود حكمته حائل .

فالتصوف الاسلامى الحقيقى مبناه على الكتاب والسنة وعلى أحوال الرسول النبى العربى صلى الله عليه وسلم وأن تلونت تعاليم التصوف وتعرجت فى بعض فروعه ألوانا عدة ، واتجهت تلك الفروع فيما بعد اتجاهات مختلفة ببعض مذاهب الداخلين المحدثين فى الاسلام من هنود وفرس واسرائيليين ومسيحيين ولا سيما فى عصر الترجمة الذى شجع عليه المأمون ومن بعده من الخلفاء العباسيين ، فترجم المسلمون كتبا كثيرة من التصوف الهندى واليونانى والفارسى فطعمت بعض فروع التصوف الاسلامى الخالص بما دخل عليها من النزعات الافلاطونية الحديثة أو القديمة ومن بعض المذاهب الهندية والفارسية فى التصوف « ولكل دين تصوفه طبعا »

وظل التصوف الاسلامى الصميم الذى مصدره الكتاب والسنة قائمـا على حاله فى صدور رجاله وفى الكتب الاسلامية كالحسن البصرى والقشيرى وأبى طالب المكى والسهروردى والسراج والغزالى .. الخ

وشذ عن ذلك أمثال الحلاج الذى قال بالحلول ، والقائل (انا الحق ، أو ما فى الجبة سوى الله » ومحيى الدين القائل « خضنا بحرا وقف الانبيـاء

بساحله » ويرا نفسه من فكرة الحلول بقوله بالسكر وغلبة الحال ، واكثر الصوفية الاعاجم خلطوا بين الفلسفة الفارسية القديمة او الهندية وما قبسوه عن اليونانية والافلاطونية الحديثة وبين تصوفهم الخاص .

وقد تأثر امثال اولئك ببراهمة الهند والفرس في ازيائهم وطقوسهم ، واعتنقوا قدرا من افكارهم ولم يترددوا في استخدام نظريات الفلاسفة اليونانيين وخاصة افلاطون وافلوطين ونصرة ارائهم الفلسفية ، وعلى هذا لايكون من الصواب في شيء ما ذهب اليه بعض المستشرقين الاوروبيين من عد التصوف كله مجرد عدوى اجنبية سرت الى العالم الاسلامي دون ان يكون في تعالم الاسلام ما يهيىء لها ويعد المسلمين لقبولها .

والحال ان مايقرب من ثلث القرآن على الاقل وخصوصا ما يدعو الى الورع والصبر والتقوى والاخلاص، وما يذكر منها الموقنين والصابرين والمحسنين الصادقين والمخلصين كلها من صلب التصوف وكذلك من صلب اى القرآن ، ولكن التصوف الاسلامي المحض غير مايعرف المستشرقون او يفهمون لانه ايمان ويقين وحال وعلم وعمل . فاذا تكلم المستشرقون عن التصوف المسيحي او اليهودي فربما ، وكذلك عن التصوف الهندي من برهمي وبوذي ويوجى فنعم ، واما عن التصوف الاسلامي فلا . ولماذا ؟

لان الله خصص طائفة من اهل الاسلام بنص آى القرآن بانهم عباده وخواص اهل حضرته ، فقال سبحانه وتعالى للشيطان « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان » مع ملاحظة ان الكل كل مخلوقاته من انس وجن ومسلمين ومسيحيين ويهود وهنود ، والكل من عباده عموما لانهم من مخلوقاته الذين خصص منهم بضعة سماها عباده على التخصيص ، وحتى الشيطان وهو ايضا من عباده قد خاطب الله عز وجل في تعبير القرآن بقوله « لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين » وايضا قد امر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بعد ان رباه وكمل خلقه واتم عليه نعمته بان يتصوف ويندمج في الصوفية من اهل الصفة بقوله « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » وان الله عز وجل قبل ان يرسل محمدا برسالته الكبرى والملة العظمى امره بدخول الخلوة « غار حراء » بالتبتل والذكر والفكر ، وما ذلك الا ليعده سبحانه ويهيأه لما اعد له من حادث جليل هو الرسالة العظمى حتى قال صلى الله عليه وسلم (ادبنى ربى فاحسن تاديبى)

هذا كله مفهوم ، ولكن لماذا دخل الرسول الخلوة وتعبد وتحنث في الغار وفيه قد اكثر من الذكر والاستغفار والاعتكاف عامة ، رمضان واوقاتا كثيرة من غيره غير رمضان ؟ ذلك للسبب نفسه وكذلك آتاه الله الرؤية الصادقة تاتى كفلق الصبح . فماذا بعد هذا النمط والتربية من العبادة الخاصة الا ان يكون ذلك تصوفا اسلاميا رفيعا ، وان الرسول صلى الله عليه وسلم قد بدا متدرجا في هذا الكمال كمريد متأدب بامداد ربه ، ثم تهيا لحمل الرسالة ولذا وصفه الله في كتابه لقوله « وانك لعلى خلق عظيم »

وحتى بعد ان حمل الرسالة فاصبح سيد المرسلين قد امره الله في ذلك بان يصاحب اهل الصفة وذلك واضح في قوله « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » اى يامحمد .

وجدير بنا ان نبحث عن اصول التصوف الاسلامي « بالذات » في الايات القرآنية والاحاديث النبوية ، وليس في الصوامع الهندية والبيع اليهودية والاديرة المسيحية وتعاليم مدرسة الاسكندرية او غيرها كما يريد المستشرقون ان يضعوا في اذهان المسلمين من جهة تصوفهم الاسلامي الخالص من كل تشويش وشكوك وشبه ليست بالواقع في الاسلام ولا اهل الاسلام عموما ، فان لكل دين تصوفه وفلسفته وللدين الاسلامي كذلك تصوفه الخاص وان ظل بعض الداخلين الى الاسلام محتفظين بمعلومات تناسبهم كل عن دينه السابق اضافوها الى التصوف الاسلامي واتبعهم فيها شواذ آخرون من المسلمين .

ومر التصوف الاسلامي بادوار وتواردت عليه في ظروف مختلفة اضافات اجنبية ، وقد نشا لاول مرة كالاسلام نفسه عمليا بسيطا سهلا ، يتخلص في العلم بفقه الدين اولا ، ثم بتطبيق العلم بالدين على العمل ، وهذا التطبيق ينتج حتما ايمانا ويقينا خاصين بصاحبه وامثاله ، وينتج احوالا سنية ، وبالاضافة الاذكار باسماء الله يشرق القلب بالنور الالهي وتبقى الاوراد والافكار والاعمال الصالحة مع عدم الانقطاع كلية عن الاسباب الدينوية حيث ان « لارهبانية في الاسلام » ويمتاز التصوف الاسلامي ببعض العادات الجميلة والتقاليد الفاضلة المتصلة بالمسكن والملبس والطعام والشراب ونظام الحياة بوجه عام من حيث النظافة والطهارة واجتناب الفواحش والخبائث والمنكرات . والله هو الهادى الى سواء السبيل « للذين احسنوا الحسنى وزيادة »

بقية مقال « الجمهورية العربية المتحدة زعامة دينية وسياسية »

ولقد نشطت الحركات حول هذا الموضوع اثر تطوير الازهر حيث خيل لأعداء الجمهورية العربية أن هذا التطوير عدول به عن رسالته الدينية وبالتالى فهو تخل من الجمهورية عن زعامتها الاسلامية كما خيل لهم ان هذه فرصة ينبغى المبادرة الى اغتنامها واستغلالها كسلاح للدعاية ضد الجمهورية العربية ، وفاتهم أن هذا التطوير لم يكن لشيء مما تخيلوه وانما كان بدافع الرغبة من حكومة الثورة في تدعيم الازهر واستكمال ماينقص مناهجه من مواد تدعو اليها حاجة العصر وتقدم الفكر الانساني ليكون خريجوه اقدر على حمل رسالة الازهر في عصر يموج بالافكار الخبيثة والمبادىء المتطرفة كما فاتهم أن حكومة الثورة أحرص ما تكون على الازهر كقاعدة من القواعد في بناء الامجاد التاريخية والعلمية للجمهورية العربية ولذلك كان من حصافة الرأى وبعد النظر أن تعمد الحكومة الى ان تنشىء المعهد العالى للدراسات الاسلامية في هذا الوقت وان تجعل الدراسة فيه صورة من الدراسة في الازهر قبل التطوير من حيث المناهج والكتب وحلقات التدريس فقد اخرست الحكومة بهذا العمل ابواق الدعاية ضد الجمهورية وأصبح الازهر بنظمه المتطورة ونظمه التقليدية محققا لرغبات الشعوب الاسلامية وممثلا لكافة الاتجاهات العلمية .

ان الجمهورية العربية يسرها أن تكثر معاهد التعليم الدينى وتنتشر في ارجاء العالم وتعمر جميع الاقطار على ان يكون الغرض صحيحا والنية خالصة ، اما أن تكون المعاهد الدينية وسائل للمزاحمة وللدعاية السياسية فذلك ما لا ترضاه ولا يرضاه كل حريص على التعاون الاسلامي مؤمن بالوحدة الاسلامية .

في محراب القرآن

فضيلة الشيخ
حسين أحمد هاشم

ان المنهاج التربوى فى القرآن محكم غاية الاحكام ، هادف لالوان من المعرفة تكون بها الأمة المسلمة مثالا لما يجب أن تكون عليه الامة القائدة الرائدة الخالية من الضعف والوهن .

وكما يتجه القرآن الكريم الى تقويم الفرد والأخذ بيده الى أنماط من السلوك والعادات الصالحة عن طريق ضرب الأمثال ، وذكر اخبار السابقين ممن سلك طريق الخير ففاز ونجا ، أو سلك طريق الغواية فضل وهوى ... يتجه أيضا الى الأمة ككيان متكامل فيعطيها من أحوال الأمم السابقة أمثلة ونماذج تؤكد ان الايمان برسالة السماء والسير على هدى شريعة الله أقوى الدعائم التى تبنى عليها الامم حضارتها .

ولا يسوق القرآن الدرس مجردا فى ألفاظ مجردة وانما يعطى صورا حية تكون أقوى فى الاقناع وأقرب الى التخيل والمحاكاة .. فمثلا .. حين يسوق حكاية نوح عليه السلام مع قومه يستعرض مراحل الدعوة ، وألوان المغريات التى تنتظر المؤمنين برسالته ، والزمن الطويل الذى استغرقته هذه الدعوة فيقول « استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا » .. ورغم هذا الخير المدرار الذى وعدهم به مقابل ايمانهم بالله تعالى سدروا فى غيهم واستمروا على عصيانهم مؤثرين حياة الجهالة والهمجية على حياة النعيم والرفاهية التىتنتظرهم دون أن يكلفهم ذلك أدنى مشقة ، واستمر يدعوهم ويرغبهم فى ذلك ألف سنة الا خمسين عاما فلم يزدهم هذا الا ضلالا .. فكانت النتيجة الحتمية والنهاية التى لا مفر منها أن قال نوح : « رب انهم عصونى واتبعوا من لميزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا » .. « وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ، انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا » .

وكانت السفينة هى جناح الأمان الذى حمل المؤمنين الى بر النجاة . وأما الذين كفروا فاغرقوا وأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا .

ففى هذا نمط من العظة والعبرة فى القرآن الكريم .. وهناك أنماط أخرى كثيرة ومتعددة تركز على هدف واحد وتصل الى غاية فريدة وهى أن الايمان أمان ووقاية ، وان النصر فى النهاية لجنود الحق مهما بلغ من قوة أعدائهم، لان السماء تبارك جهاد المؤمنين . فها هم قوم عاد قد بلغوا من القوة أن كان الواحد منهم يبلغ طولا وعرضا وقوة ما لم يبلغه أحد فى أمة من الامم ، فحملهم ذلك علىالتباهى بقوتهم حتى ظنوا أن لا قوة تفوق قوتهم وهذا واضح من التعبير القرآنى الكريم حينما يقول عنهم « وقالوا من أشد منا قوة » ثم يؤكد هذا المعنى بعد ذلك حيث يرد عليهم بقوله . « أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة » ولم يضرب لهم مثلا بأمة سبقتهم مما يدل على أنهم تفردوا بهذه القوة ويؤكد هذا المعنى قول القرآن فى حكاية قارون حينما بغى وأخذه الغرور « أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا » ..

وكان الاجدر بقوم عاد أن يشكروا صاحب هذه النعمة ومصدر هذه القوة وهو الله تبارك وتعالى ولكنهم اخذتهم العزة بالاثم ، واغتروا بقوتهم فاهلكهم الله بذنوبهم « فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين » .

وهاهم أولاء قوم ثمود عاشوا فى مدنية وحضارة قبل ان يعرف الزمان المدنية والحضارة فهداهم الله الى نحت القصور فى الجبال ، وتجميلها بالاعمدة الرشيقة ، وتزيينها بالرسوم البديعة ، وعرفوا الصناعات فبنوا مصانع الخلد .

أرسل الله اليهم رسولا من بينهم هو صالح عليهالسلام فدعاهم دعوة الحق . وانشقت الصخرة لتخرج منها آية على صدق نبوته فأغراهم شيطانهم فعقروا الناقة فى تحد ورأى صالح أن جهوده كانت عبثا فدعا عليهم فأتاهم العذاب دون انتظار « فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين » .

والأمثلة كثيرة ومتعددة فى القرآن الكريم نرى من خلالها نتيجة الايمان فى صور حية متتابعة يرتب عليها نتائجها الحتمية والمنطقية ، ويسوق الينا العظة والعبرة ممتزجة بكياننا .

وسيرا على هدى القرآن وأخذا بأسلوبه الحكيم وتعاليمه القويمة نذكر بأحداث جليلة لنا فيها عظمة الايمان ، وقوة اليقين حيث نجد القلة الضعيفة تقف فى تحد أمام الكثرة القوية وذلك فى مثل هذا الشهر منالسنة الخامسة للهجرة فى حرب الخندق . فلقد آلم عظماء بنى النضير جلاؤهم عن ديارهم وارث المسلمين لها وكانوا دائما يفكرون فى استردادها والثأر من المسلمين فراح جمع منهم الى مكة والتقوا برؤساء قريش وحرضوهم على حرب المسلمين بمساعدتهم فوافقوا .

كما انهم حرضوا قبيلةغطفان واعلموهم بتحالف قريش معهم فوافقوا .

وخرج جيش قريش برئاسة أبى سفيان وعددهم أربعة آلاف ، وجيش غطفان برئاسة عيينه بن حصن ربيب نعمة رسول الله وعدده ألف فارس ، وجيش بنى مرة برئاسة الحارث بن عوف المرى وعدده أربعمائة ، وبنو أشجع برئاسة أبى مسعود ابن رخيلة ، وبنو أسد برئاسة طلحة ابن خويلد الاسدى ، وبنو سليم برئاسة أبى سفيان بن عبد شمس ، وكان مجموع هذه الجيوش عشرة آلاف محارب بعدتهم وعتادهم ، وكان القائد العام لهذه الجيوش هو أبو سفيان .

وجاءت هذه الاحزاب لمحاربة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كعادته يستشير أصحابه .. فقال انخرج للقاء الاعداء أم نمكث بالمدينة فرأى الجميع أن المكث فى المدينة أجدى ، فهى محصنة من كل جانب

بالسدود والبساتين والقلاع .. غير ان الجانب الشمالى للمدينة كان ضعيفا فاشار سلمان الفارسى بحفر خندق فى هذه الجهة فحفر الخندق من الحرة الشرقية الى الحرة الغربية وقاس المسلمون كثيرا فى حفره فقد هبت عليهم ريح ثلجية باردة ذات اشعاعات شديدة كادت تتجمد معها أجسامهم وقد قطع الأعداء عنهم المئونة فاصبح المؤمنون والجوع يوشك أن يشل قواهم ولكن الايمان كان يبعث فيهم الدفء والقوة وكان النبى صلى الله عليه وسلم ينقل التراب معهم .

أقام جيش المسلمين فى الجهة الشرقية وكان عدده ثلاثة آلاف مقاتل ، وكان يحمل لواء الانصار سعد بن عبادة ويحمل لواء المهاجرين زيد بن حارثة ، ونزل جيش قريش بمجمع الأسيال ، وجيش غطفان جهة أحد ، وكان الخندق بينهم وبين المسلمين ، فتراموا بالنبال ولما طال عليهم الأمر اقتحم بعض المشركين الخندق من مكان ضيق منه ، ومن هؤلاء ، عكرمة بن أبى جهل وعمرو بن ود وآخرون ، وقد برز لعمرو على بن أبى طالب فقتله وفر الباقون ، وأما نوفل بن عبدالله فقد هوى فى الخندق فأتبعه المسلمون بالحجارة وأخيرا أرسل اليه سعد بن معاذ ضربة من سهمه فقد معها الحركة ، واستمرت المراماة بالنبل بعد ذلك ، وكان صلوات الله وسلامه عليه يبشر أصحابه بالنصر ويعدهم بالخير فينشط المؤمنون ، وأما المنافقون فقد ظهر ماكمن فى قلوبهم وقالوا «ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا » ثم انسحبوا قائلين « ان بيوتنا عورة » ولكن الحكيم الخبير يقول . « وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا ، ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا » .

بلغ القلق بالمسلمين مبلغا عظيما، فهذا الحصار صاحبه تضييق عليهم فى عيشهم كما أنهم سمعوا يهود بنى قريظة نقضوا عهدهم مع النبى صلى الله عليه وسلم وهم موجودون معهم فى المدينة ، فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام ليتأكد من صحة هذا النبأ فعاد الزبير ليؤكد له صدقه »

اشتد وجل المسلمين ، فالمشركون أمامهم خارج المدينة، واليهود معهم فيها والمنافقون خذلوهم « اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » .

ولكن الايمان العميق ، والامل الذى أعطاه اياهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيا على وجلهم .

ولكى يحقق الله للمؤمنين ماوعدهم به رسوله الكريم ساق اليهم رجلا صديقا لقريش ولليهود وهو سيد غطفان نعيم بن مسعود الاشجعى ..! جاء ذلك الرجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له : يا رسول الله انى قد أسلمت وقومى لا يعلمون باسلامى فمرنى بأمرك حتى أساعدك .

فقال له الرسول صلوات الله عليه : أنت رجل واحد وماذا عسى أن تفعل ؟

ولكن خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة .

فذهب نعيم الى بنى قريظة الذين نقضوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم :

يا بنى قريظة .. تعرفون ودى لكم وخوفى عليكم ، وانى محدثكم حديثا فاكتموه عنى

فقالوا : نعم .. لست عندنا بمتهم .

فقال لهم :

ان قريشا وغطفان ليسوا منكم فالبلد بلدكم ولا تقدرون أن تحولوا عنه الى غيره ، وان قريشا وغطفان جاءوا الحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه فان كسبوا المعركة فازوا وحدهم بثمرتها ، وان كان غير ذلك فروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين محمد ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم . فلا تقاتلوهم مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا سبعين شريفا منهم .

فاستحسنوا رأيه وقالوا : نعم هذا الرأى .

بعد ذلك ذهب الى قريش وقال لهم :

قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا .. قالوا : نعم .

قال : وانه قد بلغنى أمر قد رأيت حقا أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه عنى .

قالوا : نفعل .

قال : ان اليهود قد أرسلوا الى محمد يقولون : انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم فنقتلهم حتى نبيدهم جميعا؟

فأرسل اليهم : أن نعم .

فان بعث اليكم اليهود يطلبون رهنا منكم من رجالكم فلا تعطوا اليهم رجلا واحدا .

ثم أتى عشيرته غطفان وقال لهم مثل ما قال لقريش .. فأحرز عين النجاح وقد آلى القرشيون والغطفانيون على أنفسهم أن يتخذوا الحرص والحذر .

فأرسل أبو سفيان الى بنى قريظة يدعوهم الى القتال غدا .

فقالوا لا يمكننا أن نحارب فى يوم السبت « وكان قد أرسل اليهم ليلة السبت » ومع هذا فلن نقاتل حتى تعطونا رهائن من أشرافكم حتى لا تتركونا وتذهبوا الى بلادكم ونحن لا طاقة لنا بمحمد ورجاله .

فتأكد لقريش وغطفان صدق ما قاله نعيم بن مسعود ، فتنافرت القلوب وخاف بعضهم بعضا .

وكان صلوات الله وسلامه عليه قد دعا ربه « اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب ، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم » ولقد أجاب الله دعاءه وحقق رجاءه ، فأرسل الى الاعداء ريحا باردة فى ليلة مظلمة فخافت قريش غطفان أن يتفق اليهود مع المسلمين ويفاجئوهم فى هذه الليلة المظلمة فقرروا الرحيل قبل أن يطلع عليهم الصباح.

علم بذلك الرسول صلوات الله وسلامه عليه فأراد التأكد من صحة النبأ فنادى أصحابه : من منكم ينظر لنا خبر القوم ؟

ثم نادى عليه الصلاة والسلام حذيفة بن اليمان وقال له: اذهب فى حاجة رسول الله واكتشف لناخبر القوم .

فتسلل فى الظلام الحالك والريح الصرصر وسط خيام الاعداء ، ثم عاد فوجد الرسول قائما يصلى فلما رآه الرسول أشار اليه بالاقتراب منه فطرح عليه طرفا من الثوب الذى كان يصلى عليه ليقيه من البرد ، وبعد أن أتم الرسول صلاته أخبره حذيفة بما رأى وما سمع من خوف المشركين وهلعهم وعزيمتهم على الرجوع الى ديارهم ففرح النبى صلى الله عليه وسلم .

وذهبت ظلمة الليل وذهب بذهابها الاعداء حيث لارجعة « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا » .

وكان جلاء الاعداء وانهزام الاحزاب فى ذى القعدة من السنة الخامسة للهجرة .

ولقد سمى الله تعالى هزيمة الاحزاب نعمة حيث قال جل شأنه :

« يايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا » صدق الله العظيم

الثقافة التي ننشدها

الأستاذة عزيزة مريدن

يختلف الناس فى تعريف كلمة الثقافة ، كما يختلف المربون فى تحديد العناصر اللازمة ، والمواد الكافية التى تكون الثقافة العامة ، وليس اختلافهم هذا ناشئا عن صعوبة التعريف ، بل يعود فى الدرجة الاولى الى تعدد وسائل الثقافة وتنوعها ، والى طبيعتها واتساع عناصرها .

أما معاجمنا اللغوية فتعرف الثقافة وتفسرها بالمهارة والحذق ، فاذا ثقف الرجل فمعنى ذلك أنه صار حاذقا فطنا . يفقه الامور بامعان ، ويعى مايلقى عليه بدقة واحكام . ولو سألت القائمين على شئون التربية عن نوع الثقافة العامة التي يجب أن يلم بها الانسان حتى يكون مثقفا ، لحار فى الاجابة ، ولما استطاع أن يحدد لك عناصرها على الوجه الصحيح ، ولكنه يؤكد لك أن آية معرفة من المعارف ، وأى علم من العلوم يؤدى الى الغرض المقصود اذا أحسنت فهمه والاستفادة منه .

ومهما اختلف الناس فى تحديد كلمة الثقافة ، فانهم متفقون على الاسس الاولية المكونة لها ، ويدعون المرء مثقفا اذا ألم بالمبادىء الاساسية التى تعينه على فهم نفسه أولا ، وأنه جزء من الانسانية له قيمته ، وعليه أن يحيا الحياة الكريمة العزيز التى تليق بالانسان الحر الكريم .

وهذه المبادىء تحققها العلوم المختلفة : كعلم التشريح وعلم الوراثة وعلم النفس والعلوم الطبيعية وغيرها .. الى جانب هذا لا يكون الفرد مثقفا الا اذا ألم بمبادىء المعرفة العامة التى يفهم بها بيئته والعالم الخارجي المحيط به كالتاريخ العام ، وتاريخ الفنون الجميلة المختلفة ودراسة مشاهير الرجال الذين خلفوا لنا الأثار الخالدة فى العلوم والآداب والفنون ، ومختلف الحركات السياسية والاقتصادية والصناعية والاجتماعية هذا فضلا عن دراسة لغة البلاد وتاريخها وآدابها ، مع اتقان لغة أو اثنتين من اللغات الحية الأخرى .

أما الفرد العربى خاصة فلا يكون مثقفا ثقافة حقيقية الا اذا أتقن لغته العربية الفصحى ، وتثقف ثقافة عربية اسلامية واسعة ، ولذلك لابد له من التفقه فى العلوم اللغوية والدينية التى أساسها القرآن كمقوم رئيسى للسان ، وكمنبع أصيل للغة العربية ، بالاضافة الى مختلف العلوم الدينية كالفقه والتشريع وعلم الحديث وما يتصل بها كلها من قريب أو بعيد .

فهل هذه الثقافة الواسعة متيسرة فى بلادنا العربية؟ وهل المثقفون عندنا بهذه الثقافة بين المتعلمين كثرة بالغة أو قلة ضئيلة ؟.

لو ألقينا نظرة على برامج التعليم فى المدارس الابتدائية والثانوية ، لرأينا أنها تضمن الى حد ما هذه الثقافة المنشودة من حيث المواد التى تقدمها للتلميذ ، ومن حيث كميتها .

فالمدرسة الثانوية تتيح للطالب معرفة كل علم من العلوم ، والالمام به الماما يمكنه من معرفة المعلومات الاساسية عنها ، فيكتسب منها ثقافة عامة يتعرف من خلالها على ميوله الطبيعية ، ويكتشف مواهبه الحقيقية فيستطيع بعدها أن يختار طريق مستقبله عن دراية وثقة واطمئنان . ولكن هذه الثقافة لا تكفى لتزويد الطالب بكل مايحتاج اليه ، لأن أكثر الطلاب عندنا ما زالوا يسخرون عقولهم ، ويصرفون أذهانهم الى الحفظ أكثر من الاهتمام بفهم المادة وتذوقها « وذلك لما وقر فى نفوسهم من أن الغاية فى الدراسة انما هى النجاح فى الامتحان ، فاذا نجح الطالب ، أصبح خالى الذهن من المعلومات ، فلا يخطر بباله أن يقرأ ويطالع ليوسع ثقافته ، ويتلافى النقص الذى فاته فى المدرسة ، لذلك كان لابد له من اتمام ثقافته عن طريق الاختصاص وهذا ما تقدمه له الجامعة أثناء الدراسة العالية .

واذا أتم دراسته الجامعية وحصل على الشهادة العالية اطمأن الى أنه أمسى رجلا مثقفا . وليس هذا هو اعتقاده فحسب ، ولكنه هو الاعتقاد السائد الى عهد قريب ، فقد كان الناس يعدون الرجل مثقفا اذا حصل على الشهادة الثانوية أو الجامعية ، فكان عندهم الطبيب والمهندس والمحامى والاستاذ يعدون مثقفين بل كانوا يقيسون الثقافة ويقدرونها بعدد الشهادات ولا يخفى ما فى هذا التقدير من البعد عن الحقيقة والواقع ، فقد يكون المختص فى علم من العلوم ، أو الحائز على شهادة عالية فى فن من الفنون عالما فى مادته ، أو بارعا فى فنه ، ولكنه مع ذلك بعيد عن الثقافات الاخرى ، وشتان بين الرجل المتعلم والرجل المثقف .

فالأول قد حصل على أشتات من المعارف ، ثم تعمق فى ناحية واحدة ، آثرها على غيرها ، فراح يمعن فى دراستها ، ويستقصى تفاصيلها الدقيقة ، حتى ضاق أفق تفكيره ، لاقتصاره على ناحية اختصاصه ، وأهمل كل ماعداها مما يتعلق بالثقافة العامة التى تتحدد وتتسع حينا بعد حين . أما المثقف ، فهو الذى ألم بالمعارف المختلفة ، وما زال كذلك يلم كلما واتته الفرصة ، حتى حصف عقله ، وفصح لسانه ، وعذب حديثه وتسامت روحه الى آفاق المعارف الانسانية ، وأقبلت نفسه المتعطشة الى المعرفة على نتاج العقول وفيض القرائح ، فاستمدت منها كل ما يهذبها ويثقفها ،

فغدت بذلك كله معينا لاينضب من المعرفة الانسانية ، وينبوعا يفيض بالخير والنفع والعطاء .

ولاريب فى ان لكل أمة من الامم ثقافتها الخاصة التى توافق مزاجها وتفكيرها وأسلوب حياتها ، بل ولكل قطر من الأقطار ، فى كل أمة من الامم ثقافته الخاصة المتميزة التى تضاف الى الثقافة العامة ، بيد أن مما لاشك فيه كذلك أن هناك ثقافة مشتركة بين اقطار أمة واحدة وبين الامم جميعا .

ولو تحرينا الثقافة العامة فى بلادنا العربية، لوجدناها ذات طابعين اثنين :

طابع اسلامى صرف ، خلفه لنا اجدادنا العرب . ونحن نتثقف به حفاظا على لغتنا وادبنا ، وطابع آخر غربى تسرب الينا بعد احتكاكنا بالغرب ، واطلاعنا على ثمرات الفكر العالمى الحديث . وأما المثقفون فى بلادنا ، ففريق منهم يحبذ قراءة الكتب الحديثة التى تنقله الى عوالم جديدة دائما ، مع اجتزائه باليسير من الكتب القديمة ، وفريق آخر يؤثر الاطلاع على الكتب القديمة سواء العربية منها أو الغربية لاعتقاده أنها معين المعرفة الغزير ، والمصدر الانسانى الخالد ، فيدرسون مؤلفات أرسطو ، وشكسبير ، وديكارت ، وروسو ، وجوته ، وفرجيل ، كما يدرسون نفح الطيب ، وألف ليلة وليلة ، والبيان ، والتبيين ، وتاريخ الطبرى ، والعقد الفريد ، ومقدمه بن خلدون وغيرها وغيرها من الكتب العربية القديمة ، وحجتهم فى ذلك أن العالم مدين لهؤلاء الكتاب والمفكرين لانهم هم الذين وضعوا لنا أسس الحضارة الفكرية ، وشقوا لنا طريق المعرفة .

ومعظم هؤلاء الذين يجمعون بين الثقافتين العربية والغربية ، يلمون بلغة أو اثنتين من اللغات الاجنبية ، وأما الذين لم تتيسر لهم معرفة هذه اللغات ، فانهم يقرؤون ما يترجم لهم فيها وينقل اليها .

غير أن نقطة الضعف عندنا هى افتقار القراء ، فاكثر المتعلمين لايقرؤون ، أو هم بالاحرى لم يعتادوا القراءة المعنة ليتثقفوا الثقافة التى تظل تغريهم بالاطلاع الدائم ، فلم اذن لا نلقى التبعية فى نقص ثقافتهم على المدارس ؟ - لم لانوفر للمتعلمين أوقاتا من المطالعة الحرة نجعله فى صلب البرامج التعليمية ؟.

أما الثقافة الفنية ، فما أحوجنا اليها ، اذ الملاحظ أن الفنون الجميلة تكاد تكون مفقودة فى ثقافتنا ، حتى لقد غدا النقص واضحا فى تاريخ الفنون سواء الرسم أو التصوير أو غيرهما . ونحن لا ننكر ان بلادنا العربية أخذت تهتم بالفنون ، فكان من نتيجة ذلك أن أصبح أكثرنا قادرا على تذوق ما يعرض فى المعارض من لوحات فنية أو ما يلقى من قصائد شعرية ، ولكن هذه النهضة الفنية ما تزال فى فجر حياتها تحبو نحو الرقى والتقدم.

واذا تجاوزنا الفنون الجميلة ، وجدنا نقصا فى الثقافة الاجتماعية ، هذه الثقافة التى تعلم الفرد كيف يعامل غيره من أبناء مجتمعه ، فيعرف ما له من الحقوق وما عليه من الواجبات ، فيحد من انانيته ، ويغار على مصلحة امته ، فيوليها جانبا كبيرا من عنايته ، وما احوجنا الي المثقف الذى يدرك انه جزء من المجتمع، عليه أن يتناسى فيه فرديته ، ويسهم فى رقيه وتقدمه ، فاذا كثر عدد المثقفين بهذه الثقافة ، سعد المجتمع بكامله ، ونشطت الاعمال الاجتماعية ، وزالت الفوضى ؛ وأصبحنا ننعم بالاجتماع لسماع محاضرة علمية أو أدبية، أو حفلة موسيقية ، أو رواية مسرحية او سينمائية دون أن يعكر صفونا ضجة من هنا ، وكلام من هناك ، وصخب فى مكان ، وثرثرة فى مكان آخر ، وهكذا فكلما زادت ثقافتنا الاجتماعية فى هذه الناحية زادت خبرتنا بالاداب العامة والنظم الاجتماعية ، فعرفنا كيف ننظم الجمعيات ، وكيف نوزع الواجبات على اعضائها بشكل منظم ، وكيف نعامل الناس ، فنحترم آراءهم ، ونراعى شعورهم ، كل ذلك خدمة للهيئة الاجتماعية ، واستجابة لشعور الفرد بواجبه نحو وطنه وأمته .

واخيرا لعل أكبر ثغرة يجب أن نسدها فى ثقافتنا الحالية حتى تتحقق لنا الثقافة المنشودة ، هى نقص ثقافتنا العربية الاسلامية ، فكم منا من يحفظ نصوصا كافية من القرآن والحديث تعينه على تقديم لغته وتثقيف لسانه دونما حاجة للرجوع الى المعاجم ؟.

وكم منا من يطالع كتب الفقه والتشريع ليعرف ما أوجدته لنا الشريعة السمحة من نظم وقوانين انسانية .

لو طبقت فى مجتمعنا لعمه الخير ، ولسادته السعادة، ولعمرت أرجاءه البهجة والطمأنينة ؟ اكثر من هذا كم منا من يستطيع أن يقرأ نصا من النصوص بلغة صحيحة وبطريقة سليمة خالية عن الخطأ بعيدة عن النقص والتحريف والتزييف ؟.

ليست الثقافة التى نبغيها اذن فى الاطلاع على الكتب القديمة أو الحديثة أو كليهما معا ، وليست كذلك فى الاقتصار على التوسع فى مادة الاختصاص ، أو الالمام بفن من الفنون ، ولا فى الاطلاع على الثقافة الغربية ، ولكن الثقافة التى ننشدها أوسع من ذلك وأعم وأشمل، انها ثقافة مستمرة دائمة ، واسعة غير محددة ، ولا مقصورة على بعض المعارف ، بل هى ثقافة شاملة يدعمها دائما حب للمعرفة غزير وتغذيها رغبة ملحة فى الاطلاع .

لانريد ثقافة ضيقة جوفاء ، بل نبغى ثقافة واسعة ، ثقافة عالمية تتخطى حدود الدراسة والمدرسة والاختصاص وتجعل المثقفين قادرين على الاستفادة من مختلف الحضارات الحديثة .

نريد - اذن - ثقافة عربية اسلامية واجنبية غربية ، أدبية وفنية ، واجتماعية وخلقية ، عامة وخاصة . واذا كان من طبيعة الثقافة أنها ترقى بالعقل وتهذب النفس ، وتصقل المشاعر ، وأردنا ثقافة شاملة كاملة ، فلنقرأ كل ما يحقق لنا هذه النتائج ، ولنطلع على كل مايوسع أفق المعرفة والفكر .

ولا يمكننا التوصل الى هذه الثقافة المنشودة الا اذا تمثلنا ما قرانا وفهمناه حق الفهم ، وأيا كانت وسائل الثقافة بعد ذلك ، فكلها تصلح للوصول الى هذه الغاية المنشودة ، والغرض المقصود .

ولئن كنا ننشد ثقافة واسعة ، فاننا نريدها كذلك ان تكون متينة قوية اشبه بشجرة راسخة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين ، فتنتج لنا اجيالا مثقفة راقية ، تسمو بعواطفها وتفكيرها ، وتحسن معالجة مشاكل الحياة ، فتحفظ للوطن العربى عزته وكرامته ، وللامة العربية مجدها وحريتها واستقلالها .

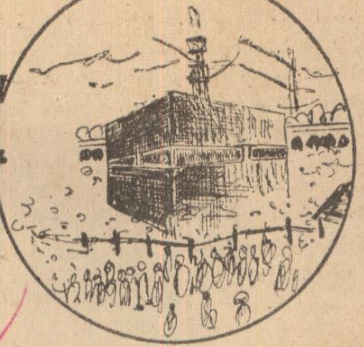

الحج وشعائره فى أضواء القرآن

للأستاذ عبد الرحيم فرغل البليني

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

((ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)) .

أيها القارىء الكريم :

حج بيت الله الحرام بغية النفوس ، ومنية القلوب ، ومرتجى الافئدة . لأن المسلم يرى فيه التخلص من أوزاره ، والتطهر من آصاره ، والبراءة من آثامه . ويعتقد أنه يرجع به نقيا كقطرة المزن ، صافيا كفطرة الوليد ، كاملا كما كان فى مستهل حياته ، قبل أن يلعب الشيطان بعقله ويستولى على فكره ونفسه .

فهو اذ يكون فى حرم الله يطوف فى مهابط الرحمات ، ويسعى فى منازل البركات ، ويتعرض لنوافح التجليات ويسير فى مواضع السجدات ، ويفوز بالطهارة والبراءة .

واذا ذكر ربه فى أماكن الرضا نكص الشيطان على عقبه ، واذا لجأ لجنابه ثاب العقل الى رشده ، واذا تاب من ذنبه فاز بالقبول ، وأدرك المأمول .

قال عليه الصلاة والسلام : ((من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)) .

وقال : ((الحج المبرور ليس له ثواب الا الجنة)) .

هذه هى بركات الحج ، وهذا قطاف من ثماره ، والواجب على المسلم المستطيع ان يحرص عليه ، وأن ينشد خيره ، كما يحرص على سلامة النفس والروح ، فان فيه الحياة الصافية ، وبه النعيم المقيم .

وما أجمل قول القائل وهو يباشر الحج :

آمنت بالرحمن جل جلاله
ومشيت حيث مشى النبى وآله
من يختتم سفر الحياة برحبة
لله طاب ختامه ومآله

وقد ذكر القرآن الكريم فصول الحج كاملة فى سوره وآياته ، وضمنها بناء البيت ومن بناه ، وأوصافه ونعوته ، وطلب القدوم اليه والطواف به ، وكذلك ضمنها التطوف بالصفا والمروة : والوقوف بعرفات والافاضة منها الى المشعر الحرام ، ثم ذكر أيام منى وختام المناسك . وذلك كله فى أجلى بيان ، وأجمل عرض ، واكمل نظام . ولا ريب فهو بيان الحكيم العليم فى كتابه المبين ، الذى لا يأتيه الباطل .

وها نحن - أولاء - نذكرها آية بعد أخرى ، ثم نهديها لأبناء الاسلام ، فنقول وبالله التوفيق :

١ - بناء البيت وبانيه

قال تعالى :

« واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم »

تفيد الآية الكريمة ان ابراهيم واسماعيل رفعا القواعد من البيت . وكان ذلك بعد أن أعلم الله ابراهيم بمكانه .

كما قال تعالى :

((واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت))

وان رفع تلك القواعد يحتمل أنهما أظهراها بعد أن كانت مطمورة ، ثم أعادا بناءها . وهذا يدل على ان البيت كان موجودا من قبل . وهو قول قيل به .

ويحتمل انه اعلاء البناء بعد وضع قواعده وأسسه . وهذا يدل على أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام أول من بناه . وهو القول المشهور .

وعلى الاول يكون المراد من التبوئة الارشاد الى مكانه الذى كان مغمورا بآثار الطوفان .

وعلى الثانى يكون المراد منها الارشاد الى مكان يبنى فيه بيت لعبادة الله تعالى .

(دعاء ابراهيم واسماعيل)

ثم تفيد الآية الكريمة ان ابراهيم واسماعيل كانت لهما دعوات أثناء البناء ، دفعهما اليها الاخلاص فى العمل ، والاستعانة بالله فيه .

ومن هذه الدعوات طلب لتفضل من الله بالقبول ، وجعلهما مسلمين خاضعين له ، وجعل جماعة من ذريتهما كذلك . وطلب هدايتهما الى مناسك الحج ، والتوبة عليهما من الذنوب والآثام .

وبالنظر فى هذه الدعوات نجدها تدل على اخلاص العمل لله ، ورجاء الجزاء منه وحده ، وتدل على ان المرء مهما كان اتصاله بالله ، يجدر به أن يترك الغرور ويديم الرجاء ، وتدل أيضا على ان اللائق بالداعى ان يحب لغيره ما يحب لنفسه ، فيعمم الدعاء ، وينشد الخير لنفسه وغيره .

كما قال عليه الصلاة والسلام :

« اذا دعوتم فعمموا » .

وقال :

« ابدأ بنفسك ثم بمن تحب »

وكما قال الشاعر الحكيم :

ولو أنى منحت الخلد فردا
لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت على ولا بأرضى
كتائب ليس تنتظم البلادا

واذا اتصف العامل بالاخلاص فى عمله ، وركن الى الله فيما يأتى وفيما يذر ، وأحب للناس ما يحب لنفسه ، فقد انبلج صبح عزه ، وأشرقت شمس مجده ، وسار فى انوار التوفيق وأضوائه .

٢ - (من اوصاف البيت الحرام)

قال تعالى :

« واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ، واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى ، وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود »

تفيد هذه الآية الجليلة ان الله تعالى جعل البيت الحرام متعبدا للناس يثوبون اليه للتعرف الى الله عن طريق الصلاة والدعاء ، والذكر والتسبيح والتهليل والتكبير .

فهو مقصد من يريد التفرغ للطاعة ، والانقطاع للعبادة ، والخلوة والمناجاة .

وتفيد ايضا ان الله - جل شأنه - جعله مأمنا للخائف ، وسكينة للواجف ، وطمأنينة للهالع .

فالقاتل لا يقتص منه ما دام فيه ، والخائف لا يروع اذا أوى اليه ، والجانى لا يعاقب على جنايته حتى يخرج منه .

ثم تفيد الآية ان الله طلب من رواد البيت ان يتخذوا مصلى بجوار مقام ابراهيم القريب من الكعبة المشرفة ، ليؤدوا فيه ركعتى الطواف .

ثم تختتم الاوصاف فتذكر امر الله ابراهيم واسماعيل بتطهير البيت من الارجاس والانجاس للطائف ، والمعتكف ، والمصلى .

كل هذه الخصائص تدل على سمو مكانته ، وعلو منزلته ، ورفعة شأنه ، ومن أجلها نرى القلوب تحن لرؤيته ، والنفوس تهفو لمشاهدته ، كى تنال النفحات الهابطة ، والبركات المتدفقة ، والرحمات الفائضة .

ويرحم الله القائل فى رحاب البيت الحرام :

يا رب جاء اليك يسألك الهدى
عبد ، له أوزاره وضلاله
عبر البحار الى حماك ودمعه
آماله ، أو دمعه أو جاله
حتى اذا البيت المحرم ضمه
قرت بلابله وأصلح باله

يا رب قد بلغتني أملي ومن
آواه بيتك لم تخب آماله
أنزلت فى القلب اللهيف سكينة
لا روعه باق ولا زلزاله

٣ – (اول بيت وضع للناس)

قال تعالى :

« ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » .

تدل هذه الآية العظيمة على ان البيت الحرام اول بيت جعل فوق صفحة الارض متعبدا للناس ، يحنون لله فيه رءوسهم بوازع الخشوع والخشية ، والخوف والرجاء، والدعاء والضراعة ، ان يدفع الله عنهم الضر، ويكشف الكرب، ويرفع البلاء ، ويحمى الوطن، ويعز الدين ، ويصون العاملين المخلصين .

واخبر المولى سبحانه وتعالى بأن هذا البيت مبارك وهدى للعالمين . ومن بركته ان الله يبعث الى أهله الخيرات والمبرات ، ويوفر لهم الارزاق والحاجات ، ويسهل لهم وسائل الحياة الهنيئة . كما يدل عليه دعاء ابراهيم عليه السلام :

« ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

ومن هداه للعالمين أنهم يتوجهون اليه فى الصلاة من مشارق الارض ومغاربها . وهذا دليل على ما له عند الله من الشرف العظيم ، والنور المبين .

ثم اخبر المولى – جل شأنه – بأن فى البيت الحرام دلائل واضحات على عظمته ورفعة قدره ، وان حجه واجب على المستطيع المالك للنفقة ، ووسائل الانتقال .

واخيرا أنه غنى عمن جحد وجوبه ، وانكر فرضه لان المنفعة اليه لا الى الله .

وبعد : فقد استفيد من كل ما ذكرنا ان الله تعالى قد عدد اوصاف تشريف البيت الحرام ونوعها ، وذكر خواصه ومزاياه واظهرها .

واذا تعددت اوصاف التكريم من الكريم دل ذلك على رفعة الموصوف وسموه ، وعظمته وجلاله . والله يجعل الفضل لمن يشاء ، ويفيض البركة فيما يشاء ، ولو كان جمادا . **« والله ذو الفضل العظيم »** .

٤ – (أذان ابراهيم فى الناس بالحج)

قال تعالى :

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم ، وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق » .

لبيان هذا الموضع نقول : لما أتم سيدنا ابراهيم بناء البيت أمره الله ان يعلم الناس ويؤذن فيهم بفريضة حجه . فقال : يارب ومن يبلغ صوتى الى الناس؟ فقال له : عليك الاذان وعلى البلاغ . فصعد جبل أبى قبيس وقال : ايها الناس أن الله فرض عليكم حج بيت الله، فسمعه الجن والانس فى مشارق الارض ومغاربها ، واجابوه بالتلبية والقبول .

ثم جاء الناس اليه من كل فج ، ليشهدوا منافع لهم : فى العبادة والتجارة ، والتشاور ووحدة الصف ، ودفع النوازل ومعالجة الاحداث .

ومن المنافع ذكر الله فى أيام النحر على الذبائح ، واطعام البائس الفقير منها . وذكره عند رمى الجمار ، ثم طواف الافاضة بالبيت العتيق .

وأقول : ان هذه المزايا التى اسبغها الله على البيت الحرام ، والتى حفلت بها هذه الآية الكريمة ، توحى بما لحجه من فوائد وثمرات ، وخيرات ومبرات، وتهيب بالمسلمين أن يحرصوا على ادائه ، وان يقدموه على كل المهمات ، وان جلت منافعها .

ولله در القائل حين وصل الى رحاب الحرم :

مكنت من حظى فليس بشاغلى
ادباره عنى ولا اقباله
ما زال ظل الله معتصمى ويا
ويلى اذا امتنعت على ظلاله

فضل من الرحمن كرمني به
وهو الذي لم تجفني أفضاله
قد نلت من شرف الطواف وعزه
سبحان ربي لا يفيض نواله
وشفيت شوقي للحطيم وزمزم
والشوق طال على الفؤاد مطاله
وسعدت بالحجر الكريم مقبلا
ومجال ازجاء الدعاء مجاله

٥ - (السعي بين الصفا والمروة)

قال الله تعالى :

« **ان الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ، ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم** »

ونقول في بيان هذا الموضع ما يأتي :

كان المشركون قبل الاسلام قد وضعوا على الصفا صنما اسمه اساف ، ووضعوا على المروة صنما اسمه نائلة ، وكانوا اذا سعوا بينهما تمسحوا بالصنمين .

فلما جاء الاسلام امتنع المسلمون من السعي بينهما نظرا لما كان يفعله المشركون .

فأنزل الله هذه الآية لتزيل ما بأنفسهم من من اعتقاد الاثم لو تطوفوا بهما . وتفيد أن السعي بينهما من شعائر الله وأعلام دينه ، وأنه من مطالب الحج .

ثم نقول : قال الجلال في تفسيره : عن ابن عباس : ان السعي غير فرض ، لما أفاده رفع الاثم من التخيير .

وقال الامام الشافعي وغيره : هو ركن . وبين صلى الله عليه وسلم فرضيته بقوله : « **ان الله تعالى كتب عليكم السعي** » رواه البيهقي وغيره .

وأقول : ان السعي بين الصفا والمروة يشتمل على جهد وعناء ، وضراعة ورجاء — أما الجهد فمن المشي سبعة أشواط في زحام وتدافع . وأما الرجاء ففي الابتهال الى الله سبحانه أن يتقبل الطاعة ، ويضاعف الجزاء .

وهذا كله يذكر الساعي بما كان من عناء السيدة هاجر حينما سعت بينهما سبعة أشواط من اللهفة والشدة ، والاستغاثة بالله أن يدلها على الماء حتى تسقي طفلها اسماعيل الذي يتلوى من الظمأ الشديد .

ولقد استجاب الله دعاءها فنزل جبريل وضرب الارض فنبعت عين ماء زمزم ، وكانت غياثا لها ولطفلها ، وللسلمين بعدهما .

اذا تذكر هذا لجأ الى الله اذا حزبه أمر ، أو الم به ملم ، وبذلك يجعل بينه وبين الله سببا موصولا .

٦ - (عرفات والمشعل الحرام « المزدلفة »)

ذكرت عرفات والمشعر الحرام في قول الله تعالى :

« **فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام** » .

ان هذا يدل على أن الافاضة من عرفات تكون بعد اجتماع للحجاج جميعا ، حتى لقد قال الفقهاء :

ان الوقوف بعرفات في اليوم التاسع من ذي الحجة ، هو أهم أركان الحج وأعظمها . فمن لم يدرك منه لحظة فقد فاته الحج ، ولا يمكنه جبره .

وقد جعل الله هذه الميزة لعرفات ، لانه مجمع الحجيج جميعا ، اختاره الله لهم ، ليتعارفوا فيه ، ويتشاوروا على اصلاح شئونهم ، وتدبير أمورهم ، وصيانة أوطانهم واملاكهم .

ويدل على هذا قول الله تعالى : « **ليشهدوا منافع لهم** » . ولا ريب ان جمع الكلمة في ذلك المؤتمر العالمي هو أجل المنافع وأسماها .

اما الافاضة الى المشعر الحرام (المزدلفة) فالحكمة في الاجتماع بذلك المكان الطاهر ، ووجوب المبيت به عند بعض الأئمة ، أهمها تأكيد التعارف والتعاون بين المسلمين ، لتقوم دولتهم على ركن شديد .

ويعجبني قول القائل في وقفته بعرفات :

ووقفت في عرفات أذكر وقفة
هي موثق الاسلام وهي كماله
هي وقفة للمصطفى أرست بها
ركن الحنيف يمينه وشماله
زكى وعلم ثم ودع قومه
ومن الاله ووحيه اقواله

وبعد فنكتفي بهذا القدر في هذا الموضوع ، ونسأل الله ان ينفع به من تلقاه بقلب سليم ، وان يجزل لنا الاجر على ما بذلنا فيه من جهد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الإسلام

الأستاذ حسنى عبد المجيد

من الحق علينا ان نقول ان الغرب بكل ما حمل من حقد وصليبية وضغائن دفينة . عمرها قرون طويلة . مازال هذا الغرب يخرج منه الكثير من البحوث النفسية فى تاريخ الدراسات الاسلامية والدراسات الشرقية . مما ساعد ابناء الشرق فى ان يتزودوا من هذه البحوث للاهتداء الى الحق والروح الاسلامى الصحيح . والامر الجدير بالغرابة ان هذه الابحاث نصل فى انصاف الدين الاسلامى ونصرته حدا . يعجز عنه الكثير من الكتاب العرب المسلمين انفسهم .

واذا كانت نصرانية الغرب تستكبر ان تجد النور الجديد فى الاسلام ورسوله . فيكفى ان الدين الاسلامى هو الذى انفرد بين الاديان السماوية بالمعادلة الانسانية العظيمة معادلة الوجود كله . وهى الدين والدنيا . العبادة والعمل والسعى . فالتفكير الاسلامى اذن هو تفكير علمى قبل اى شىء لم لا وقد كانت الكلمة الاولى فى القرآن . « اقرا وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان الم يعلم » فكأن العلم هو اساس الاسلام والقلم هو احدى الوسائل التى تفتح باب العلم المبشرية حتى يسطع نور الاسلام ناشرا الضوء والحياة والرفعة والسعادة ولا نذهب بعيدا حينما نتلو كتاب الله تبارك وتعالى : « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة . قالوا تجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال انى اعلم مالا تعلمون وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم - سورة البقرة » واذا كانت هذه الايات البينات تشرح لنا دور العلم فى الخليقة واصل الكون فانما يعنى هذا كله تقديس الاسلام للعلم والتعليم فعندما شاءت ارادة الله تبارك وتعالى فى ان يوجد خليفة فى الارض اختار آدم .. وعلمه الاسماء .. وزكاه ورفعه الى مرتبة من العلم فاقت مراتب الملائكة . فالتفكير الاسلامى اذن هو تفكير علمى مستنير سواء ما يتصل به من العقائد او المعاملات . فما الحياة . وما صلة الانسان بالكون . وما حرصه على الحياة وما هو الوجود وما وحدة الوجود وما مكان الانسان من الوجود ووحدته كلها اسئلة اجاب عليها الدين الاسلامى فى الكتاب الكريم « ما فرطنا فى الكتاب من شىء .. »

وهكذا نجد ان الايمان الدينى السليم فى الاسلام لايتعارض مع حركة الفكر الانسانى ولا مع جهاد الانسان وكفاحه فى سبيل الغد والمستقبل المشرق والحياة الافضل . وقد حض الدين الاسلامى على متابعة العلم والتقدم العلمى بعد ان رفع من شأن العلم وقدسه كما اشرنا حيث يقول تبارك وتعالى « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله . واولئك هم اولو الالباب » - سورة الزمر - ويقول تبارك وتعالى ايضا فى سورة المجادلة « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اتوا العلم درجات »

لذلك كان من الضرورى ان نؤمن ايمانا قاطعا بان الدين الاسلامى دين الحياة والعلم والتطور والدفع والخلق يدفعنا دائما الى ملاحقة الحياة وسباقها من اجل هذا نجد الميثاق يقول : « ان الاقناع الحر هو القاعدة الصلبة للايمان والايمان بغير الحرية هو التعصب والتعصب هو الحاجز الذى يصد كل فكر جديد ويترك اصحابه بمنأى عن التطور المتلاحق الذى تدفعه جهود البشر فى كل مكان . ان اى محاولة لتعطيل تجلية جوهر الدين المتألق وكشف العظمة الحقيقية للاديان باعتبارها ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وتقدمه وسعادته ماهى الا جريمة فى حق الدين وفى حق الانسانية

وفى حق الشعب الذى يريد أن يتبين طريق حياته فى المستقبل على هدى من رسالات الله القدير .

واذا كان الميثاق قد أوضح أن جوهر الرسالات الدينية لايتصادم مع حقائق الحياة وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ضد طبيعته وضد دوحه لايقاف التقدم وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السامية - فاذا كان الميثاق قد اوضح هذه الاخلاقيات والقيم فانما يعنى هذا بوضوح وجلاء ودون لبس ان نحذر كل الحذر من محاولات الرجعية الفكرية والاحتكار والاستغلال لاسم الدين وهى التى عانينا منها فى الماضى ورسالتنا فى الحاضر والمستقبل الا نسمح لهذه المحاولات ان يقيد الفكر الدينى الصحيح المتطور النامى الذى يسعى ولا يرضى بغير العدالة الاجتماعية بديلا لان الله تبارك وتعالى قد حرم الظلم على نفسه وحرم الظلم على عباده .

« فمن يعمل مثقال ذره خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » والله سبحانه وتعالى لايرضى ابدا أن يلتهم ويحتكر فريق من الناس كل الخير ويلقون بالفتات الى كل الناس بينما كل الناس شركاء فى نعم الله وفى خيراته بعد أن أكد الاسلام حق الانسان فى الحياة وفى الحرية وفى الكرامة بعد أن علمنا الاسلام الطريق الصحيح للاخوة وللتعاون وابناء المجتمع الاسلامى من تراحم وتواد وشورى وتلاحم فى الآراء وبعد ان أوضح لنا القرآن الكريم فى سورة الجاثية « وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

فالله تبارك وتعالى وضع لنا مافى السموات ومافى الارض رهنا وخدمة واسعادا للبشر أجمعين وعلينا نحن بما نحمل من قيم واخلاقيات ومعانى أن نحرك العلم وتطور الوجود لهداية الانسان العربى ومنحه طاقات لاحدود لها من أجل الخير والحق والمحبة . وشريعة الله سبحانه وتعالى هى شريعة العدل والعدل هو ان نعدل بين الناس والارزاق اى العدل فى مفهومه السياسى والاجتماعى . واذا كان مفهوم الحرية فى تصورها العام ان يكون المواطن حرا فى أن يصنع مستقبله وفى أن يحدد مكانه من نفسه ومن وطنه ومن مجتمعه فان مفهوم الحرية الاجتماعية هو الذى يحدد مكان الفرد من حقه فى الثروة الوطنية على اساس من الفرص المتكافئة وعلى اساس من العدل . القائم على العلم والمعرفة يقول تعالى فى سورة المنافقين (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون » وفى معنى الكرامة والتكريم يقول القرآن الكريم فى سورة الاسراء « ولقد كرمنا بنى آدم) ويجىء فى سورة الحجرات « ان أكرمكم عند الله اتقاكم » ثم يجىء ايضا فى سورة النساء التى توضح لنا ربط الذل والمسكنة « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا »

واذا كانت الاخوة الانسانية التى رسمها الاسلام « انما المؤمنون اخوة) (سورة الحجرات) هى التى دفعت البناء الاسلامى الضخم الى ان يرسخ فانها قد ساند هذا البناء معانى الحرية والعدل فى اطار العلم وبوحى من نور المعرفة التى يقول فيها تبارك وتعالى فى سورة الزمر (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون » فبالعلم ساد المجتمع الاسلامى وبالعمل طور هذا العلم الى اسعاد هذا المجتمع وبالعلم وضع الرسول العظيم كل قواعد اخلاقيات البشرية وبالعمل طور المسلمون هذه الاخلاقيات ليعيش مجتمعنا الاسلامى فى اطار هذه المفاهيم .

وكلما بعد المسلم عن دين الله وعن الكتاب زادت وتعقدت مشاكله وعميت بصيرته ، فالابتعاد عن كتاب الله هو تسليم بسيادة الجهل والتمسك بكتاب الله هو العلم كله ذلك العلم الذى ماترك لنا صغيرة وكبيرة الا واحصاها فاذا كانت آفة المجتمع مجتمعنا المسلم كانت واضحة فى صورة لاخلاف عليها وهى سيادة الاقطاع والاحتكار والاستغلال الى حد أوصلت هذا المجتمع - مجتمع ما قبل ٢٣ يوليو ٥٢ - الى الهوان فانه من الضرورى اعادة النظر فى سيادة الجهل ليسود العلم مرة اخرى وحتى تنتشر أخلاقيات الكتاب الكريم بيننا على أساس نظام المجتمع الجديد الذى نأمله والذى ينشده كل مواطن . هذا المجتمع الذى قال فيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لاخذت فضول اموال الاغنياء فرددتها على الفقراء فى هذا المجتمع الذى وضحت صورته فى صدر الاسلام وما بعدها والتى قام ت كلها على قول الرسول الكريم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » هذا المجتمع الذى يتناوله الميثاق حينما يوضح مبادىء الدين وآثارها على مبادىء المجتمع فيقول ان اساس الثواب والعقاب فى الدين هو فرصة متكافئة لكل انسان . ان كل بشر يبدأ حياته امام خالقه الاعظم بصفحة بيضاء يخط فيها أعماله باختياره الحر ولا يرضى الدين بطبقية تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم ان الله جلت حكمته وضع الفرص المتكافئة امام البشر اساسا للعمل فى الدنيا وللحساب فى الآخرة فكأن الميثاق يريد أن يقول ان ما يهدف اليه من تحقيق الفرص المتكافئة لابناء مجتمعنا الواحد هو اساس الدين وعماد نظرية الحساب والقاعدة التى تقوم عليها شرعت الثواب والعقاب لان الله تبارك وتعالى ورسوله العظيم قد اوضحوا لنا الصفحات البيضاء التى تفتح الطريق امامنا للعقل والخلق على أن يعتمد كل منا على ايمانه وجهده ونشاطه فمن احسن فلنفسه ومن أساء فعليها وهنا لن يكون الاحسان ولن يكون البناء الا بسلاح العلم وسلاح العمل حتى تكسب معركة الكسب والانتاج هذه المعركة التى سترد الكرامة العربية الى ما كانت عليه فى القرن العاشر الهجرى قرن العلوم والفنون والخلق ان هذا المجتمع الجديد الذى نبنيه اليوم على دعائم من الكفاية والعدل يحتاج الى نسيج من المبادىء الاخلاقية التى نشرها وما زال ينشرها الاسلام حتى تلف هذه المبادىء لان التقدم العلمى والقوة الناشئة من زيادة الانتاج يمكن أن تصبح مصدر خطر مالم تستطع القيم الروحية والمعنوية ان تساير خطاها بل تسبقها لتمهد لها .

مجتمعنا الاسلامى اليوم الذى بدا ينفض عنه وعن كاهله رواسب قرون خلت من التخلف والفقر والجهل والاستغلال عليه بعد ان حجم على اعادة بناء حياته وبعد ان قفز فى مسيرته نحو العدالة الاجتماعية والاستقلال الاجتماعى والاقتصادى قفزة انسانية ضخمة على هذا

المجتمع ان يتمسك بكتاب الله وان يولد بين مواطنيه الوازع الاخلاقى الدينى الالهى فهو اقوى وازع لشمول رقابته وسيطرته •

ولايمان الخاضع له بان الله عز وجل مطلع على كل شىء وانه يعلم السر والنجوى ومن خلال هذا الوازع يتولد احترام الاداب والتقاليد ثم اخيرا استخدام العقل وتنميته واذا كانت الامة الاسلامية فى تاريخها الطويل قد سعدت بنماذج كريمة من الرجال الابطال الذين خلق فيهم كتاب الله الوازع الاخلاقى فانهم قد ضربوا المثل فى خروجهم الى آفاق العلم ونوره بعد ان آمنوا به وبعد ان آمنوا بما يعكسه هذا العلم على المجتمع المسلم كله •

ولا شك ان الاخلاق قد تدهورت فى نفوس الكثرة من ابناء الحياة اليوم ولا شك ان لاوجه للمقارنة بين وازع المسلمين بالامس ووازعنا اليوم واخلاقنا بالامس واخلاقنا اليوم • وعندى ان من اقوى الاسباب لهذا التخلف ان لم يكن اقواها جميعا ضعف الوازع الدينى الذى نبع من جهلنا بشئون ديننا

والوازع الذى اعنيه والذى ينهى ويزجر ويمتلك عنان النفس ويسيطر عليها ويتحكم فيها عن اقتناع وخشية وايمان ورجاء وهو الذى يوجد فى المرءالمحاسبة والمراقبة والحياء وقد اطلق بعض الباحثين عليه الضمير الدينى • ذلك الضمير الذى يعتبر اللبنة الصالحة فى المجتمع الصالح الذى اوضح ابعاده الميثاق عندما ذكر لنا طائفة من الشواهد التاريخية المحددة التى تدل على ان قوة الايمان الدينى والوازع الدينى كانت هى الدرع الواقى للامة فى الازمات وكانت السلاح فى يدها خلال المعارك التى خاضتها من هذه الشواهد ما قامت به الامة الاسلامية من دحر الحملات الصليبية ثم ماقامت به امتنا العربية من القضاء على التتار ونحن من هذه الشواهد كلها نوقن بان ظروفنا الحالية وتربص الاستعمار بنا وبنظامنا الاجتماعى واطماعه واهوائه فينا كلها تحتم بأن دورا حاسما ينتظرنا بعد ان نجحنا فى وضع نموذج لمجتمع مسلم عامل ينبغى بالانتاج والحياة لصالح كل المسلمين •

ولكى ندرك خطورة هذه المرحلة الحساسة التى نمشيها اليوم فانه يجدر بنا دائما ان نقارن بين قوة المسلمين واقبالهم وعلمهم بكتاب الله وبين ضعف المسلمين وجهلهم وبعدهم عن كتاب الله • ولكى نؤمن ايضا بان نظامنا الاجتماعى انما هو النظام الامثل لابد ايضا ان نربط بين كل ماجاء فى الميثاق وبين كل القيم الضخمة والاخلاقيات العظيمة التى نشرها علينا الاسلام وفى الميثاق نجد صورة المجتمع المسلم الذى نامله والذى فيه للناحية الاقتصادية نصيب والناحية السياسية نصيب والناحية الانسانية نصيب والناحية العلمية والاخلاقية نصيب والقيم الدينية والروحية نصيب وفى الوقت الذى يملك شعبنا من ايمانه بالله وبرسوله العظيم وايمانه بنفسه مايمكنه من فرض ارادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق امانيه ولن يكون البناء ولن تكون الصياغة الا من خلال العلم وبالعلم وجنبا الى جنب مع الدين وبالعلم والاسلام سنرتاد كل آفاق الكفاية والعدل ورفاهية شعبنا المكافح ليكون شعبا مؤمنا قويا

والله الموفق

الحج حكمه وحكمته

فضيلة الشيخ عبد الحميد بليع

طلب الله سبحانه من المسلمين ان يحجوا الى بيته الحرام ما استطاعوا لأداء هذا الحج سبيلا ، ورغبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أداء هذا الحج ترغيبا يدفعهم الى المسارعة بأدائه رغم ما فيه من جهد ورغم ما يلاقيه الحاج من تعب ومشقة ، فيقول فيما رواه الصحيحان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

١ ـ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه) .

٢ ـ قال العلماء الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة ـ وكما رغبهم الرسول فى الحج رهبهم من تركه او اهماله اذ يقول فيما رواه ابن حيان فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يقول الله عز وجل ان عبدا صححت له جسمه ووسعت عليه فى المعيشة تمضى عليه خمسة اعوام لا يغدو على لمحروم) .

وقد ورد طلب الحج فى مواضع من الكتاب والسنة ، قال تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » . وقال : « وأتموا الحج والعمرة لله » .

وفى السنة قوله صلى الله عليه وسلم : (يأيها الناس ، قد فرض عليكم الحج فحجوا)

يدل قوله تعالى « ولله على الناس حج البيت » على ان الحج فرض عين ، وبعض العلماء يرى أن دليل الفرضية قوله تعالى : « وأتموا الحج والعمرة لله » والجمهور على الرأى الاول ، والحج فرض فى العمر مرة واحدة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (يأيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل أكل عام يا رسول الله فسكت صلى الله عليه وسلم حتى قالها الرجل ثلاثا ، فقال عليه الصلاة والسلام : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » . فمن أدى الحج امتثل أمر ربه وأثابه الله ، ومن تركه مع استطاعته وكان تركه عمدا مع اعتقاد وجوبه فهو مسلم عاص يعاقبه الله على هذا الترك وان شاء عفا عنه ، وان كان تركه عمدا مع جحد وجوبه عليه فهو مرتد ويقتل كفرا لا حدا ، ولا تجرى عليه أحكام المسلمين . وفرضيته على الفور أو التراخى خلاف بين الائمة .

والحج فى اللغة القصد الى معظم ـ وشرعا أعمال مخصوصة تؤدى فى زمن مخصوص ومكان مخصوص على وجه مخصوص .
واركان الحج عند أبى حنيفة اثنان فقط : هما الوقوف بعرفة . ومعظم طواف الافاضة وهو اربعة اشواط فقط . اما بقية اشواط الطواف وهى الثلاثة المكملة للسبعة فواجب.

وعند مالك اركانه اربعة :

١ ـ الاحرام وهو عبارة عن نية الحج من مكانه المقرر شرعا لكل جهة وذلك موضح فى كتب الفقه .

٢ ـ طواف الافاضة ، وهو بعد الوقوف بعرفة بطوف بالبيت سبع مرات مبتدئا من الحجر الاسود .

٣ ـ السعى بين الصفا والمروة سبع مرات

٤ ـ الوقوف بعرفة ـ يرى الامام مالك أن الركن هو الحضور بعرفة لحظة من الليل من غروب شمس يوم عرفة الى طلوع الفجر اما الحضور بعرفة فى نهار يوم عرفة الى غروب شمس ذلك اليوم فهو واجب لا ركن فعلى الحاج ان يقف بعرفة من قبل غروب شمس يوم عرفة الى بعد غروبها ليجمع بين الركن والواجب ، ويرى غير مالك ان الركن هو الحضور بعرفة فى أى جزء من زوال شمس يوم عرفة الى طلوع فجر يوم النحر
والحج فرض على كل مسلم بالغ عاقل مستطيع ، فلا حج على صبى ولا مجنون ، وللعلماء فى معنى الاستطاعة المطلوبة اراء ، فقال بعضهم : انها الزاد والراحلة ، فمن وجد الزاد الذى يكفيه ويكفى من يعول من زوجة واولاد صغار وغيرهم ، ووجد الراحلة التى يتنقل عليها الى الاماكن المطلوبة وجب عليه الحج والا فلا ، وقال مالك الاستطاعة امكان الوصول بلا مشقة فادحة مع الامن على النفس والمال الكثير ، ويزاد فى حق المراة أن تكون مع زوج او محرم أو رفقة مأمونة .
وأحكام الحج كثيرة تطلب من كتب الفقه .

وبعد ..

فأى مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر يسمع هذا الترغيب والترهيب ويرى هذا التيسير فى اداء هذه الفريضة ثم يألو جهدا فى أدائها واستكمال ما اوجب الله عليه من أركان الاسلام ! هذا الدين الخالد الذى شرعه الله لعباده بعقائده وأحكامه ، ومبادئه وتعاليمه ، يرسم لهم سبيل الهداية ، ويرشدهم الى معالم الحق ، ويوجهم الى أهداف الانسانية ، ويضع لهم ركيزة الحياة ، وأسس المجتمع ، ولا عجب فان مبادىء هذا الدين مبادىء بناءة وأن تعاليمه موجهة ، وان أحكامه مزبية مهذبة رادعة ، لذا رضيه الله دينا لعباده منذ نشأتهم ، فهو دين قديم بقدم البشرية .

هدف هذا الدين عبادة الله وحده لاشريك له « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » .
ولهذه العبادة أصول ثابتة من بدء تشريع هذا الدين الى الآن . دعا اليها رسل الله جميعا ، وهى التوحيد ، والصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصيام . فهى عماد كل دعوة دعا بها كل رسول امته ، وهى ركائز الاسلام منذ ان شرعه الله للبشرية أول عهدها بالوجود ، لم تتغير ولم تتبدل من لدن آدم الى محمد عليهما الصلاة والسلام .

قال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما أوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » وانما كان التغيير فى كيفيات هذه الاصول وفى مقاديرها ، فكانت تتغير هذه الكيفيات بتغير الناس مع طول الزمن لتجد كل طائفة فيها ما يناسبها ويوافق فطرتها لتتمكن من اداء ما وجب عليها ولتساير العبادة فطرة الناس فى كل زمن وليكون هذا الدين صالحا لكل زمان ومكان « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » . فالحج الذى نحن بصدد الحديث عنه عبادة قديمة منذ النشأة الاولى ، وهو أحد أركان الاسلام الذى

هو الدين عند الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(بنى الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا) .

ومن أغرب ما قرأت فى هذا الموضوع ـ موضوع أقدمية فريضة الحج فى كل الشرائع ـ لبعض السادة الكتاب . قوله (ومن الظواهر الجديرة بالتسجيل والالتفات اليها ان الصلاة والزكاة والصيام ثلاثتها صرح القرآن الكريم انها كانت فرائض على من كان قبلنا) ثم قال (وأما فريضة الحج الى هذا البيت فلم يرد فى القرآن الكريم شيء من هذا القبيل عنها الا ما كان من شأن ابراهيم واسماعيل وبنائهما البيت وأمر الله لابراهيم أن يؤذن فى الناس بالحج يأتون رجالا وعلى كل ضامر يأتوك من كل فج عميق . ثم قال : (فلم تكن هذه الفريضة فيما يبدو لنا الا ابراهيمية محمدية ليس الا ، ثم أكد هذه الفكرة التى بدت له بأن ربط بين دعاء ابراهيم وهو يبنى البيت اذ يقول « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » ربط هذا الدعاء بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله (انا دعوة ابراهيم) .
وقال السيد الكاتب فى بيان هذا الربط : (الا يرى الى عقد هذه الصلة وتقويتها فى هذا المجال فى قوله صلى الله عليه وسلم ؟ (انا دعوة ابراهيم) وانما يقصد الدعوة التى دعاها وهو يبنى البيت ، اهـ كلامه .

ويظهر أن السيد الكاتب يرى ان الحج لم يفرض الا فى شريعة ابراهيم وشريعة محمد فقط . وقد استدل على صحة هذه الفكرة وعلى استنباط هذا الحكم الجديد بشيء واحد فقط وهو ان القرآن لم يتحدث عن الحج فى أية شريعة من الشرائع الا فى شريعة ابراهيم وشريعة محمد ، بينما نرى انه تحدث عن الصلاة والزكاة والصيام فى الشرائع الاخرى ، ولا ادرى كيف يتم هذا الفهم ، ولا كيف يتأتى هذا التدليل ، ومعلوم بداهة ان مجرد سكوت القرآن عن التحدث عن الحج فى الشرائع التى قبل ابراهيم أو بعده لا يدل على عدم فرضية الحج فى هذه الشرائع ، على أن حديث القرآن عن الصلاة وغيرها ليس لبيان انها كانت فرضا او ليست فرضا فى الشرائع السابقة ، وانما كان هذا الحديث لمناسبات خاصة تتعلق بالرسل أو بالامم ، وقد ورد ما يفيد ان الانبياء السابقين كانوا يحجون البيت قبل ابراهيم ، فقد روى الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : (لما أهبط الله آدم من الجنة قال انى مهبط معك بيتا أو منزلا يطاف حوله كما يطاف حول عرشى ، ويصلى عنده كما يصلى حول عرشى فلما كان زمن الطوفان رفع وكان الانبياء يحجونه ولايعرفون مكانه (يعنى حدوده) فبوأه الله لابراهيم فبناه) .

على أنه لا يخفى أن الله سبحانه وتعالى ارسل رسله الى عباده منذ وجودهم يدعونهم الى دينه ، ودين الله الاسلام رضيه دينا لعباده وكلفهم العمل بكل ما جاء فيه ولهذا الاسلام أسس بنى عليها ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا) فلو لم يكن الحج مفروضا فى شرائع الرسل قبل ابراهيم فلا يتصور ان تكون حقيقة الاسلام قائمة فيهم مطلقا لانها نقصت جزءا منها وهو الحج وبالتالى لا يسمى اتباع هذه الشريعة مسلمين ، ولكنا نرى ان الله تعالى وصفهم بالاسلام وسماهم مسلمين .

فحكى عن نوح قوله لقومه « فان توليتم فما سألتكم من اجر ان اجرى الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين » .

وحكى عن يعقوب قوله لبنيه : « يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون » .

وحكى عن الحواريين قولهم لعيسى اذ قال لهم « من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشـهد بأنا مسلمون » . وغير ذلك كثير يدل على انهم مكلفون بهذه الاصول التى بنى عليها الاسلام ومنها الحج ، فهى الدعائم التى قام عليهـا كل شرع ارسل به الرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، فلا معنى للاستثناء والحج منها .

اما حكمة الحج ـ فمعلوم ان الله سبحانه شرع الحج كغيره من العبـادات لحكمة يقصدها ومنفعة يعلمها دون غيره تعود على أفراد المسلمين وجماعاتهم بالخير العظيم ، وقد اجتهد العلماء فى تلمس حكمة التشريع لكل عبادة حسب ما يفيض الله على قلوبهم من علم ، وقد تلمسوا للحج حكما عـديدة ذات جوانب خطيرة ومعان كبيرة تهدف الى آمال كبار وحياة كريمة ، حقا ان الحج مظهر عظيم معبر عن معنى الوحـدة فى صفوف المسلمين شعوبا وقبائل على اختلاف أجناسهم وتباين لغاتهم وتباعـد اوطانهم ، والوحـدة تستتبع المساواة بينهم لذا نرى الحجاج فى منى وفى عرفات جموعا غفيرة علـى قلب رجل واحد متجردين من ثيابهم ومن مظاهر زينتهم ، تراهم فى هذا المجمع الحاشـد ، وقد ذابت الفـوارق بينهـم ، وتسامت عن مفاتن الحياة نفوسهم ، وتوحدت فيهم المشاعر والمظاهر ، فترى فيهم زيا موحدا ، وهتافا موحدا ، وتفكيرا موحدا ، وهدفا موحـدا ، هو رضـا الله تعـالى يطلبـونه فى عبـودية ذليلة خاشعة راجين رحمتـه ملبين دعوته ، مرددين اجابته (لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمـد والنعمة لك والملك لا شريك لك) .

دعاء روحانى علوى معناه أكبر من مبناه ـ وهدفه أعمق من مرماه ـ حقا ان الحج ملتقى عام يلتقى فيه آلاف المسلمين من انحاء شتى كل يمثل شعبه ، ويصور مجتمعه فى تقاليده وعاداته ، فى علومه ومعارفه ، فى بداوته وحضارته ، فى نشاطه وركوده ، فى طموحه وخموله ، يجتمعون فى هـذا الوادى الفسيح ، وفى هذا الملتقى العريض، فيرى كل حـاج صـورا معبرة عن حـال الشعوب وشخصيات الامم ، وعلى ضـوء ما يرون فى هذا المجتمع من اتجاهـات الشعوب فى سلوكهم ومدى ما وصلوا اليه من مقومات الحياة فى أعمالهم يتشاورون ، نعم حينئذ يتشـاور اولو الامر ، وارباب الفكر والرأى ، والساسة واهل العـلم ، يتشاورون فيما يعالج ما رأوا من اسباب النقص وما يسد ابواب العجز ، ويستأصل عوامل التأخر ، ويبحثون ما يجب أن يكون عليه المجتمع الاسلامى من وسائل النهوض والتقدم : كتنفيذ أحكام الشريعـة بينهم ، والتمسك باهداب الفضـيلة فيهم ، ومن تحصيل علم نافع ، وثقافة رفيعة ، واعداد ما يقمع العدو الطامع من قوة واسلحة رهيبة، ومن الاخذ فى وسائل الاقتصاد ، واعـداد مطالب المعيشة من التجـارة والزراعـة والصناعة . وغيرهـا من كل ما يورثهم الاكتفاء الذاتى ، ويغدق على الامم المجاورة من خيراتهم الكثيرة .

من كل ما يرفع شان المسلمين فى جميع نواحى الحياة ، ثم يعود الحجاج الى اوطانهم مزودين بهذه التوجيهات ، توجيهات المؤتمر الاسلامى العام ، وتوصيات رجال الفكر ، وما اتفقت عليـه كلمـة اولى الـرأى والامر ، وينفذون ذلك فى أممهم ما طاوعهم التنفيذ ، فيكسبهم ذلك عزة ويورثهم جاها ، وعلوا فى الكلمة ، ويزيدهم فى نظر الاعداء صـولة ورهبة ، ويكونون بحق أشداء على الكفـار رحماء بينهم ، أذلة على المؤمنين اعزة علـى الكافرين .

هذا الى ما يشاهده الحاج من الاماكـن المقدسة ، والى ما يكون من الحاج فى هذه الاماكن من طواف حول البيت الذى جعلـه الله مثابة للناس وأمنا ، والذى جعل الله

القربة فيه بمئات القربات فى غيره ، ومن سعى بين الصفا والمروة مبتهلا لله وملبيا ومن صلاة فى مقام ابراهيم فى خشوع ، ومن رمى الجمرات فى منى ، ومن اجتماع حاشد فى عرفات ، وفى كل هذه الاماكن يناجى الحاج ربه ، ويرفع اليه حاجته ، ويذكره قدر طاقته شكرا لنعمته ، ولا شك أن هذه الاماكن توحى الى النفس ذكريات وذكريات ، ذكريات تزيد المؤمن ايمانا وتملأ القلب يقينا ، وتضفى على الروح طهرا وصفاء ، كيف لا وهى مهبط الوحى ، ومهد النبوة ، ومبعث رسالة التوحيد والتشريع .

ومع ذلك فهى الآثار الخالدة الموحية بذكريات أبى الانبياء الخليل ابراهيم وزوجه هاجر ، وابنه اسماعيل ، هؤلاء الذين رفعوا البيت ، وأسسوا السكن ، وعمروا الوطن ، وقد لاقوا فى هذا السبيل ما لاقوا من سغب وألم ، وفراق ووحدة ، وجهد وتضحية فى سبيل العقيدة وعمارة البيت ، فخلد الله لذلك ذكراهم فيما شرع من أعمال الحج من السعى والطواف وما الى ذلك ، وجعل ذلك عبادة يتقرب بها الحاج الى ربه ، يرى الحاج كل هذا ويشاهده فيحمله على ذكر الله ، وحمد فضله وشكر نعمته، وقد أجمل الله تعالى كل هذا فى كلمة موجزة اذ يقول « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات » .

هذه طائفة مما تلمسه العلماء فى حكم الحج ، وينبغى ان نفهم ان هذه الحكم الرشيدة التى ذكرت فى الحج ليست هى بذاتها الحكم التى يقصدها الله تعالى من شرعية الحج ، فانها حكم قصدها الله ولم يطلع عليها أحدا ، فينبغى ان يؤدى الحاج حجه الذى أمره الله به غير ناظر الى ما يترتب عليه من حكم دينية كانت او دنيوية، فان هذا لا يضفى على المؤمن روح العبودية الحقة ، وانما عليه ان يقصد بعمله هذا مجرد امتثال امر الله والانتهاء عما نهى الله من غير بحث عن علته او حكمته فانه تعالى لا يسأل عما يفعل وعلينا ان نتقبل امره فى اخلاص وننفذه فى ثقة وايمان ورضا بحكم « ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

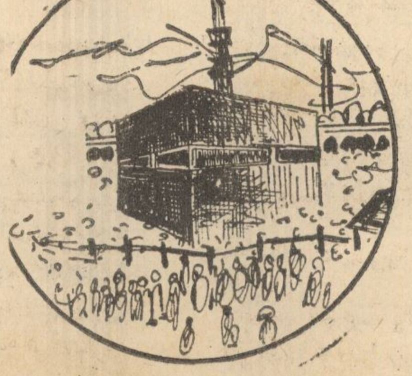

التطور الاقتصادى وكيف يقود إلى الاشتراكية

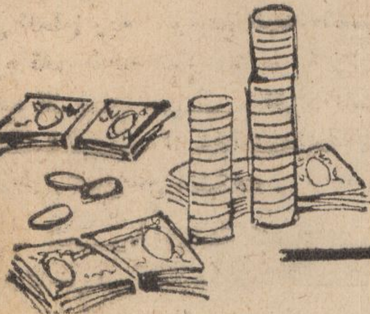

الدكتور أحمد شلبى

موجز ما نشر :

ذكرنا فى المقالات السابقة أن الاقتصاد العالمى مر – قبل أن يصل الى الاشتراكية – بمراحل رئيسية اربعة هى : (١) الشيوعية البدائية . (٢) عهد الرق والاقتصاد العبودى . (٢) النظام الاقطاعى . (٤) الرأسمالية وانتهينا عن الحديث عن المراحل الثلاثة الأولى ، ثم أخذنا نتكلم عن الرأسمالية فأوردنا التعاريف المختلفة لها وذكرنا خصائصها وأنواعها الصناعية والتجارية ، ونواصل اليوم كلامنا عن الرأسمالية :

فلاسفة الفكر الحر أو المذهب الطبيعي :

فى خلال نشاط الرأسمالية ظهرت مجموعة من الفلاسفة الاقتصاديين نشروا آراءهم عن بضعة أمور اقتصادية مهمة ، ومن أشهر هؤلاء كيناى وآدم سميث ، أما كيناى (١٦٩٤ – ١٧٧٤) وهو فى الاصل طبيب فى بلاط لويس الخامس عشر ، فقد بدأت شهرته سنة ١٧٥٦ على اثر نشر مقالتين احداهما عن الفلاحين والثانية عن الحبوب ، ثم نشر كتابه « الجدول الاقتصادى » سنة ١٧٥٨ وقد شبه فيه تداول الثروة داخل الجماعة بحركة الدورة الدموية فى جسم الانسان ، فالثروة تنشأ من الانتاج وتنساب فى الشعب من يد الى اخرى لتعيد ملء الجسم كما يحدث فى حالة الدورة الدموية ، ويرمى مذهب كيناى الى تحقيق السعادة والرفاهية لأفراد الجنس البشرى جميعا دون تفرقة وفق النظام الطبيعى ، وعلى الدولة أن تحمى هذا النظام من الاعتداء عليه، فتمتنع عن التدخل فى حرية العمل وحرية التجارة ، وعليها أن تنشر التعليم بين الأفراد ضمانا لحرية النظام الطبيعى ، واعتبر كيناى والفلاسفة الطبيعيون الزراعة دون التجارة والصناعة هى العمل المنتج الوحيد الذى يغل فائضا بعد تغطية كافة النفقات .

واما آدم سميث (١٧٢٣ – ١٧٩٠) فهو عالم اسكتلندى درس فى جامعة جلاسجو واكسفورد ثم عين محاضرا فى جلاسجو، وفى سنة ١٧٧٦ نشر كتابه « ثروة الأمم » واعتبر به أبا الاقتصاد ، ومن أهم مباحث هذا الكتاب نقتبس بضعة أفكار :

– مصدر الثروة هو المواد الطبيعية ، والعمل بموهبة واخلاص ، والوسيلة الوحيدة لزيادة الانتاج هى تقسيم العمل واستخدام الآلات ، وتقسيم العمل هو

ما يعرف بالتخصص وهو أساس المقايضة التى تعد جزءا من فطرة الانسان .

- الطبقة الزراعية ليست وحدها مصدر الثروة بل تنافسها الطبقة الصناعية ، ثم ان الصانع يقدم للزارع ملابسه وبيته وآلاته ليوفر له الوقت والجهد ليعمل فى الزراعة .

- يلزم ان يعمل جميع أفراد المجتمع ليحققوا لمجتمعهم الرخاء، فحاجات المجتمع تقع على كاهل كل الطبقات .

- اعطاء الحرية الكاملة للحياة الصناعية دون تدخل من الحكومة فى الانتاج او التسويق لتكشف السوق عن المستوى الطبيعى للاثمان والاجور والارباح .

- اطلاق حرية الفرد ليعمل وفق حقوق الانسان المستمدة من طبيعة الانسانية ، ويطلق الفرنسيون على هذا المذهب « اتركه يعمل ، اتركه يمر» وهو مايعرف بالاقتصاد المرسل ، ويقرر سميث ان الانسان حين يعمل على انماء مصلحته فانه غالبا ماينمى مصالح المجتمع بصورة فعالة أكثر مما لو اعتزم ذلك ، اذ يوجد انسجام بين سعى الافراد وراء مصلحتهم المادية، وبين مصلحة المجتمع التى تتمثل فى انتاج اكبر قدر ممكن من السلع ، ومن ثم فلا وجه لتدخل الدولة .

ويقرر جورج سول ان اتجاهات آدم سميث هذه أصبحت الشعارات التى تعلق بها المدافعون عن النشاط الخاص منذ سنة ١٧٧٦ حتى الوقت الحاضر .

- يرى سميث ان الفقراء يتميزون بارتفاع غير عادى فى المواليد يفوق بكثير نسبة الوفيات عندهم ، أما الأغنياء فان رخاءهم يؤدى الى انخفاض نسبة المواليد عندهم ، وهو يعلل ذلك بقوله : « ان الترف فى الجنس اللطيف وان كان يلهب الشهوة الا انه يبدو دائما أنه يضعف قوى التكاثر أو يقضى عليها احيانا بالكلية وقلة النسل عند الأغنياء هى التى تركز الثراء فى ايد قليلة .

ويجىء بعد كيناى وآدم سميث اقتصادى آخر يعتبر حلقة اتصال بين المذهب الفردى والمذهب الاشتراكى ، وذلك هو جون ستيوارت مل (١٨٠٦ - ١٨٧٣) وقد نشر «مل» كتابه « مبادىء الاقتصاد السياسى » وهو فى الثلاثين من عمره ، تحدث فيه عن الريع والاجور والاثمان والضرائب ، ومما جاء فيه قوله : ان المجال الحقيقى للقانون الاقتصادى هو الانتاج لا التوزيع ، اذ كان من غير الممكن تعديل نظام الانتاج لتحكم القوانين الطبيعية الثابتة فيه ، فانه يمكن اصلاح نظام التوزيع عن طريق قوانين غير ثابتة ، ويتحدث «مل» عن ضرورة فرض الضرائب على الريوع وعلى الميراث وتكوين الجمعيات التعاونية من العمال .. فهو اقتصادى انجليزى يؤمن بالتدرج والتفاؤل والواقعية .

ومن المدافعين عن النظام الرأسمالى فى القرن العشرين « كينز » (١٨٥٣ - ١٩٤٦) وهو مؤسس النظرية التى عرفت بأسمه والتى ضمنها كتابه « النظرية العامة فى التشغيل والفائدة والنقود » الذى نشره سنة ١٩٣٦ وقد سادت نظرية كينز فى البطالة والتشغيل وطفت على كل نظرية سواها وسنشرحها عند كلامنا عن البطالة ضمن عيوب الرأسمالية ، والى هذه النظرية يرجع الفضل فى تحقيق التشغيل الكامل للقوة العاملة فى المجتمع ، ويمكن عد كينز حلقة اتصال بين الرأسمالية والاشتراكية فهو لا يرى أن تكون حرية التصرف مطلقة ، بل ان تخضع لنوع من التدخل والتنظيم العام الذى تتولاه الدولة ، وأنكر كينز الحق فى حرية التصرف الذى قال به سميث ، وقال بضرورة التدخل لتحقيق التوازن بين الانتاج وحاجة المجتمع ، ولضمان التشغيل الكامل للعمال ، وقال ان الدولة تستطيع بسياسة الضرائب ان تؤثر تأثيرا فعالا فى مستوى النشاط الاقتصادى وأعلن أن هذا هو السبيل الوحيد لبقاء الرأسمالية .

ذلك تعريف موجز بالفلاسفة الرأسماليين، واشارة سريعة الى ابرز آرائهم ، وسنواصل فى المقال التالى حديثنا عن الرأسمالية حيث سنتكلم عن « الرأسمالية فى الميزان » .

التكافل الإجتماعى فى الإسلام

-٤-

فى محيط العمل والعاملين

الدكتور محمد سلام مدكور

بينا قبل أن التكافل فى الاسلام تناول كل صلات الانسان وبينا مظهره فى كل من محيط الأسرة والعلم والمعرفة والعمل وتحدثنا فى المقال السابق عن مظهر التكافل الاسلامى فى محيط التعامل بينا فيه ان الاسلام يؤثر صالح الجماعة ويدعو لذلك الى بذل النصح والصدق والأمانة فى التعامل وركز على تحقيق التراخي عند التعامل حتى شرع الخيارات حماية للمتعاقد من التزامه ونهى عن الغش وتطفيف الكيل وبخسه واحتكار السلع وغلائها على الناس وحرم الربا لمنافاته للتعاون والتكافل الاسلامى فى دائرة المال ..

المال فى اللغة . ما ملكته عن كل شىء .. يقول ابن الاثير كان المال فى الاصل خاصا بالذهب والفضة ثم أطلق على كل ما يقتنى ويملك من الأعيان ، والفقه الاسلامى ينظر اليه باعتبار انه كل ما يمكن تملكه وادخاره لوقت الحاجة والقانون اتجه أخيرا الى أنه الحق المالى عينيا أو معنويا أو شخصيا .

والمال فى نظر الشريعة الاسلامية ما هو الا وسيلة من الوسائل العامة فى الحياة تتعلق به مصالح الناس ويختص كل منهم فيه بقدر مواهبه ، فالمالك للمال من زاوية النظر الاسلامى ليس حرا طليقا فى موارده ولا فى مصارفه وانما يخضع لتوجيه حكيم وحساب دقيق فى كلا الأمرين الموارد والمصارف

وما كان ذلك كذلك الا لأن حقوق الأفراد فى الفقه الاسلامى منح الهبة وليست حقوقا طبيعية فهى مقيدة فى استعمالها بمراعاة مصلحة الآخرين وعدم الاضرار بالجماعة بحيث اذا تعارضت المصلحة العامة مع المصلحة الخاصة قدمت المصلحة العامة فقد يمنع المرء شرعا من عمل هو فى الأصل مباح وفيه مصلحة له وذلك اذا ترتب عليه الاضرار بالغير .

وقبل ان نتكلم عن الاعتبارات والقيود التى أوجبها الشارع بالنسبة للأموال وتملكها

والتى أوجب فيها الشارع التكافل يهمنا ان نبين أن الملكية الفردية وجدت بوجود الانسان وفى حدود حاجياته الأولية اذ أن مفهومها أولا انها كانت مجرد انتفاع تدعو اليه الحاجة ثم ينتهى بسداده ولم يكن عنصر الحيازه والاختصاص مراعى اذ كانت لا تدفع اليه الحاجة فى بداية الأمر وكان الانسان لا يفكر فى الادخار لانعدام التزاحم فكانت صلة الانسان بها هى الاباحة التى انتهت مع التطور والتزاحم الى أن صارت ملكية بمعنى الاختصاص والحيازة .

فأمر الناس فى الأموال والانتفاع بها كان يقوم على الاباحة الى أن صارت ملكية تقوم على الاستئثار والمنع وان الملكية كانت تطورا اخيرا للاباحة التى كانت لجميع الناس فى مجال الانتفاع فيما سخر لهم فى هذا الكون ولا يزال وضع الملكية بهذا المفهوم ماثلا حتى الآن فى الانتفاع العام بالمال والكلأ والنار وما فى معناها مما جعل الشارع الناس شركاء فيه ينتفعون به على وجه الاستهلاك دون أن يكون لأحد اختصاص فيه أو استئثار به .

ولما وجدت الجماعات الانسانية وأصبح الفرد لا يعيش الا فى مجتمع وجدت الملكية الجماعية أيضا بجانب الملكية الفردية وصارت الملكيتان معا تطغى احداهما على الأخرى تبعا لاختلاف مفاهيم الحياة ومسالك الناس واتجاهاتهم الفكرية .

ولما جاء الاسلام اقر الملكية بنوعيها وأذن فى الملكية الفردية واحترام حقوق المالكين ، وسلط على نظام التملك التعاليم الوجدانية ولم يتركها مرتبطة بأهواء النفس البشرية ونزواتها وانما حماها وحصنها بالتعاليم الحكومية فبسط على رعايتها سلطان الحاكم ورقابته حتى يمكن اجبار من يأبى الانقياد طواعية لباعث الوجدان والضمير أو ينحرف عن الطريق المستقيم

أقر الاسلام الملكية الفردية ونسب المال والدور الى ملاكها وأمر بحماية هذا الحق .. يقول الله - تعالى - « **فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم** » ويقول « **يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل** » ، كما أقر الملكية الجماعية وأفسح مجالها ، وخاصة كما يرى الفقه المالكى الذى يرى أن المعادن فى مناجمها ملك للمسلمين جميعا .. وكما فى ملكية المنافع العامة كالرباطات ودور العبادة والعلاج والطرق العامة ودور التعليم العامة وغيرها مما لايختص به احد وانما يثبت للناس حق فيه ويتعلق بمصالح الجماعة دون أن تثبت عليه ملكية خاصة وهى التى قال عنها عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - « ما من أحد من المسلمين الا وله فى هذا المال حق أعطيه أو منعه ، ومن أراد ان يسأل عن ذلك المال فليأتنى فان الله تبارك وتعالى جعلنى له خازنا وقاسما .

وأساس الملكية بنوعيها فى الاسلام ، هو قول الله تعالى « **خلق لكم ما فى الأرض جميعا** » ، ولا تعارض بين دلالة هذه الآية وبين دلالة قوله تعالى « **ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض** » ، **وقوله** « **وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** » . لأن ملكيته - سبحانه - تقوم على الخلق والتسخير فهى الملكية الأصلية التى لا تتأثر بأية حيازة أو تصرف .

وفى اضافة ملكية المال الى الله ضمان وجدانى لتوجيه المال الى نفع العباد ، وانما اضافته الى البشر فى الآيات الأخرى فلضمان توجيه المالك الى الانتفاع بما يملكه من مال فى الحدود المشروعة .

موارد الملكية فى الاسلام :

أباح الشارع الاسلامى لكل فرد حق التملك بالطرق المشروعة بما يتفق مع ميول الناس مع تقييده بقيود .. والقواعد التى وضعها الشارع حماية لمصالح الجماعة والتى تتفق مع النظام الاسلامى وتضمن تحقق التعاون الكامل بين أفراد المجتمع لايجاد تكافل اجتماعى فى الناحية المالية أيضا وأساس اباحة التملك أن المال بطبيعته قابل للتمليك والتملك الا اذا عرض له ما يخرجه عن طبيعة التعامل ولأن التمليك والتملك هما النتيجة

الطبيعية لاحراز الأموال ، بل الثمرة الأولى لاحرازها وسبب تقومها .

وأول سبب مشروع تثبت به الملكية هو الاستيلاء على المال المباح وهو سبب منشىء للملكية ومن الاسباب ايضا الخلفية وهى ان يحل فى الحقوق شخص محل آخر ، وهى نوعان : الارث والتضمين ومن الأسباب المشروعة التولد من الشىء المملوك وكذا الالتصاق كالأرض التى تتكون من طمى النهر ومن الأسباب أيضا سائر عقود التمليك وكذا التمليك عن طريق الشفعة .

ولم يجعل الشارع أكل أموال الناس بالباطل عن طريق الربا أو الغش أو استغلال النفوذ موردا مشروعا للتملك ، ذلك أن شريعة الاسلام تنبنى على تقدير حقوق الاخوة بين المسلمين بعضهم مع بعض مما يتمثل فى قول النبى - صلى الله عليه وسلم - : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ، كما يصوره قول الله - عز وجل - « انما المؤمنون اخوة » وكما يهتف به قوله - سبحانه - « **وتعاونوا على البر والتقوى** » .

ولما لم يكن شىء من هذه الأشياء التى لم يعتبرها الشارع موردا لتملك المال ولا بابا طيبا من أبواب الرزق فى شريعة الاسلام ، لما لم يكن شىء من ذلك متفقا مع اعتبار تلك الاخوة وتقدير حقوقها ، فقدكان ذلك مصدرا لتحريم هذه الأشياء المحظورة فى المعاملات حتى نجلو للمسلمين وجه تحقيق معانى الاخوة المنشودة ويتمثل بينهم التعاون الاسلامى الذى يؤلف بين قلوبهم ، وهذا مظهر واضح من مظاهر التكافل فى المال الذى تدور حول تصويره فى موارده .

وهكذا نجد الاسلام فى جميع تشريعاته فى المعاملات المالية بين تقريره لبعض جزئياته أو الأمر به والدعوة اليه . وحظر للبعض الآخر .. كلها تدور حول هذا الذى تحاول تقريره وطمانينة النفوس اليه ، فما يتحقق به معنى التكافل ويرتبط به مفهوم التعاون ، فان الاسلام يبيحه تارة ويدعو اليه تارة أخرى .. فمن صور الاباحة البيع المبنى على التراضى التام والقرض الحسن والسلم وتأخير المنافع وما الى ذلك ، ومما يدعو اليه اقالة النادم فى بيعه أو شرائه ، وانظار الموسر اذا اعترضته بعض الظروف التى تحول دون السداد فى موعده وابراء المعسر الذى لاينتظر أن يقدر على الوفاء بما عليه ، وكذلك السماحة فى البيع والشراء والقضاء والاقتضاء وما الى ذلك مما يغرس فى النفوس ودا يجدد فى القلوب ولاء وحبا .

وأما ما كان على خلاف ذلك مما يعنت فى المعاملة أو يضايق أحد المتعاملين فلا يتفق مع تحقيق معانى التكافل والاخاء ، فان الشارع يرفضه ويحذر الناس من مباشرته أو التحويم حوله ، ولهذا فان الله تعالى يقول : « **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** » .. ويشدد النكير على الربا الذى تعظم مفسدته وتشتد خطورته على المتصف به ، فيقول - سبحانه - : « **اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله** » .

وينهى رسول الله عن البخس والسوم على سوم الأخ وتلقى الجلب لاحتكار السلع والغش والغرر وبخس الناس حقهم فى الكيل والوزن وما الى ذلك مما يجلب ربحا ماليا لأحد الطرفين دون وجه حق مما يتنافى مع تحقق التراضى التام الذى هو أساس التعامل المشروع لكسب المال .

وبهذا نكون قد ألقينا ضوءا على نظرة الاسلام للموارد المالية المشروعة مما يتضح به حرص الاسلام على التكافل فى المال من ناحية موارده .

مصارف المال :

والشارع فى الأصل لم يضع حدا للتملك اكتفاء بما فرضه على المالكين لصالح الجماعة من تكاليف والتزامات قابلة للقبض والبسط فتنقبض وتتسع على ضوء حاجات المجتمع وما تتطلبه سعادة الأفراد . فالشارع لم

يطلق للمالك حق التصرف على وجه لا يحد من سلطانه فيه شيء ولا يصد عواه ورغباته قواعد ولا قانون لكنه ملكية محددة بقيود رسمها الله وبينها فى كتابه ووضحتها سنة رسوله اذا التزمها كان آمنا على ملكه وتصرفاته فيه ، وان أخل بها فأسرف وبذر، أوضن وقتر أو طغى وتجبر . أو استخدمه فى طريق غير مشروعة ، أو منع حق الجماعة فيه ، أو أمسك يده عن البر والتعاون والانفاق فى سبيل الله كان عرضة للتحجر عليه أو أخذ المال منه قهرا بقدر الحاجة ، وبقدر الاساءة .

ولذلك فقد نعى الشارع على الموسرين الافتتان بالمال وعدم استخدامه فى وجوه الخير أو الاستعانة به على الدنس والفسق والفجور والاضرار بالغير والتحكم فيهم والتعالى عليهم .

ولما كانت الحقوق كلها ، ومنها حق الملكية منحا الهية كما قلنا ، فانها لا تثبت للشخص الا باثبات الشارع لها وتقريره لأسبابها .. ولذلك قرر الشارع مبدأ المنع من اساءة استعمال الحق ، وعرفت نظرية التعسف فى استعمال الحق قبل أن تعرفها الحضارات القانونية الحديثة بما يقرب من اربعة عشر قرنا ، فمنع احتكار الطعام وما فى معناه مما تعلق به حاجة الناس الدائمة واجاز كما يرى كثير من الفقهاء التحكم فى تسعير السلع التى لا غنى للناس عنها اذا تغالى اربابها فيما يبتغون من أرباح ، ومنع المالك من التصرف فى ماله تصرفا يضر بشريكه أو جاره ، كما منع الموصى فى ماله من أن يضر بوصيته ورثته كما حرم استغلال المال للوصول عند الحاكم وذوى الشأن الى ماليس من حقه .. يقول الله – تعالى – :

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » .

وكما نهى الرسول – صلى الله عليه وسلم – على الأثرياء ذلك ومنعهم منه ، فانه استحثهم على الانفاق على الأهل والأولاد والاقارب المحتاجين وما تتطلبه مصلحة الجماعة . وحض على التصدق والبر والمعونة، وفرض عليهم الزكاة وأوجب الخراج والعشور والخمس والغنائم ، بل أوجب حق الضيافة على ما يرى بعض الفقهاء ، وأوجب على اغنياء القرية أو الجهة أن يقوموا بحاجة فقرائهم اذا لم يكن فى بيت المال ما يسد حاجتهم .

والى لقاء فى مقال آخر نتناول فيه هذه القيود التى وضعها الشارع على ملكية المال بشيء من البيان حيث نتكلم عن الانفاق الواجب ولمن يجب ومدى حث الاسلام على التصدق والبر والمعونة وما أوجبه فى الأموال بأنواعها من زكاة وعشور ونحوها الى غير ذلك من القيود التى أجملناها والتى وضعها الشارع على المالك نفسه من عدم الاكتناز والانفاق دون اسراف ولا تقتير .

قصة سليمان مع ملكة النمل

للأستاذ بهاء الدين القبانى

عندما أفردنا لقصة سليمان مع ملكة النمل هذا الجزء ن بحثنا .. كنا نمنى انفسنا بأننا سنقدم لقراء فاضل من خلال أسفار الملوك والأخبار تحليلا لشخصية سليمان .. وشيئا من المعلومات عن ملكة النمل .. والتى نقبنا عنها فى بطون المراجع الكثيرة .. ولقد كنا جادين فى تلك الامانى .. فما دمنا سنتكلم عن النمل الذى عساه يكون منتشرا فى ثنايا تلك الأسفار .. معلنا جانبا يسيرا من ملك سليمان العريض فلا بد من الاستعداد له على وجه يرضى شغفنا نحن الى البحث .. واستقصاء النقاط الدقاق فيه - كما هو دأبنا - ويرضى أيضا شغف القراء الى تتبعه وعدم الانصراف عنه .. خاصة وأننا لا نبحث كتابا دينيا واحدا .. وانما نستقصى كتابين عبقريين !. منزلين على رسولين عبقريين كذاك !.

ولقد بحثنا فى الاسفار.. وأرجعنا البصر كرتين .. وفى كل مرة نرى فطورا وتشققا .. وضبابا .. ثم لم نعثر على الاطلاق على كلمة « نمل » واحدة ! حتى لقد كدنا نستجدى الاصحاحات والفقرات .. ومع الاسف الشديد خاب مسعانا .. فلم نقرأ عن هذه القصة شيئا فى جميع أرجاء كتب العهد القديم .. مع ما للقصة من الاهمية القصوى فى تبيان مدى ملك سليمان .. ولكن .. بحمد الله لم تلازمنا تلك الخيبة طويلا كما هى تلازم مترجم الاسفار ماضيا وحاضرا ومستقبلا .. وانما طردناها على الفور عندما مثلنا بين يدى سورة النمل فى القرآن العملاق .. وبدأنا نقرأ عنها ونستزيد .. حتى حسبنا أنفسنا مثل شجرة مرت عليها أعوام وهى عطشى وتحاول أن تستنقذ لنفسها ما حرمتها منه الاعوام الطوال من الرى !.

فلقد أورد القرآن القصة التى نحن بصددها .. بعد أن طالعنا اعلان سليمان عن نفسه بعلمه منطق الطير .. وبالطبع كان يثور التساؤل عن ضرب مثال لذلك العلم العجيب الذى أوتيه سليمان عن ربه .. وعلى أية صورة كان يتحادث سليمان مع الطير .. وهل كان يسمع

كلام الطير بحرف وصوت ؟ أم بطريق الالهام كما ذهب الى ذلك بعض المفسرين ؟. وهل لابد من اقتراب مناقير الطيور الى أذنى سليمان حتى يسمع كلامها أم تستطيع أذناه السماع وهو على بعد منها كبير ؟

واذا بالقرآن الكامل يورد المثل الرائع قبل أن تختمر أبعاده فى ذهن القارىء .. ونحن بافتراض عدم قراءتنا لقصة النمل .. ربما يذهب فكرنا الى أن سليمان يخاطب الطيور والنسور اذا وقفت الى جواره وعلى مكان مرتفع فى وضع يجعل مناقيرها أقرب ما يكون الى أذنيه حتى يسمع سليمان صوتها بوضوح ويعرف مطالبها تماما .. ولا نقول تحط النسور على كتفى سليمان .. فسليمان ملك نبى مهاب .. لا يجرؤ الطير على الاقتراب منه احتراما وأجلالا لنبيه وملكه العظيم !. وبما يذهب فكرنا الى هذا .. واذا بالقرآن يذهب الى ما هو أبعد من الفكر البشرى وادق .. فيروى قصة عميقة عجيبة ذات طابع قرآنى خاص فحواها أن سليمان قد تكلم مع النمل .. وما دام سليمان قد تكلم مع النمل وهو هذا المخلوق الدقيق الذى لا يكاد يرى .. فمن باب أولى أنه يعرف لغة الطير على اختلاف ألوانها وطبائعها .

ولنقرأ القصة فى البدء — كما وردت فى القرآن .
« وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون .. حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة : يايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ! فتبسم ضاحكا من قولها !! » (النمل ١٨ — ١٩) ..

اذن .. فلقد بدأت أخطر الساعات فى حياة سليمان .. ويستطيع أن يتقلد مهام منصبه .. ويمكنه أن يمارس اختصاصاته الرائعة منذ الآن .. وبدون تأخير ! وفعلا دعا سليمان كتائب الجند الى عرض عسكرى كبير تأكيدا لتملكه ناصيتهم .. تشترك فيه الفرق المختلفة من الجن والانس والطير !. وبعد اصدار بضعة أوامر الى كل منها بالاستعداد للتحرك .. بدأ سليمان وهو على صهوة جواده العربى الأصيل يسير فى مقدمة هذا الحشد العجيب .. يتجول به فى أنحاء مملكته حتى يستطلع الشعب باكمله سليمان وجنوده .. فيقدر أى مدى كان فضل الله على داود وآله .. وخاصة سليمان الذى فاق آل داود جميعا !! الركب صفوف منتظمة والعدد وفير.. ويسمع لأقدامهم وقع رتيب فى مشية عسكرية جادة .. وسليمان تنم ملامح وجهه وتقاطيعه عن الحزم .. وعن قبضة ناصية الجند بيد حديدية .. فالعمالقة من الجن يسيرون صامتين .. والجند من الانس يتحركون بكل دقة ونظام .. والطير يعقد فوق سليمان سحابة تظلله فى سيره من اشعة الشمس المحرقة .. لا يصطدم طير باقرانه ولا يهتز جناحاه الا بقدر !..

وفجأة .. اذا بسليمان فى صوت كانه الرعد يأمر جميع الجند بالوقوف ثابتين فى أماكنهم .. فوقف الجميع على الفور وكأنهم جذوع الاشجار المغروسة فى الارض .. وكل منهم يتطلع الى الامام فى خط مستقيم .. لا يجرؤ أحدهم على تحويل انسانى عينيه الى ظهر سليمان .. ونحسب أن ميمنة الجيش وميسرته قد استطاعا أن يلمحا بسمة جميلة افترت عنها ملامح وجه سليمان الجادة .. ابتسامة كبرياء هادئة .. لا تخرجه عن جده وحزمه .. سمعوا لها صوتا خافتا مهيبا .. فيا ترى ما الذى أضحك سن سليمان على هذه الصورة الرزينة العاقلة ؟؟

ويمكن الذهاب الى أن سليمان قد أحس بفضول كبار القواد .. وأن عدة أسئلة لابد وانها دارت فى أذهانهم عن سبب ذلك الابتسام الملكى ؟. ولكن لم يجرؤ أحد على استقصاء السبب .. ولعل سليمان نفسه قدر لابتسامته هو قدرها .. فهى ليست بالشىء العادى الذى يمر على الناس مرورا عابرا .. وانما هى فى موضعها الخطير الذى يترتب عليه نتائج خطيرة ايضا .. انها ابتسامة ملك !!. فاراد أن يشفى غليلهم بالاجابة من تلقاء نفسه.. فلقد سمع سليمان صوتا غريبا صادرا من جوانب الارض .. ولما القى بصره الى مصدر الصوت .. رأى عددا ضخما من النمل وهو يواصل عمله والبحث عن رزقه.. وقد وقفت بينهن ملكتهن وهى تصيح باعلى صوتها الى شعبها النملى أن يتحرك بسرعة نحو مساكنه !. ولو ادى الى ترك ما يحملونه من الغذاء فى عرض الطريق !. فان سلامة النمل لها الاعتبار الأول .. أما الغذاء فمن الممكن الحصول عليه بعد ذلك .. ولا يتى لحظة واحدة اذ أن الملك النبى سليمان يتقدم جيشه المترامى الاطراف .. فهى تخشى على رعاياها وعمالها من أقدام الملك سليمان ومن أقدام جيشه .. وبالطبع .. فان الجيش — فى نظر النملة — لن يعير التفاتا الى تجمعات نمل وغيره فيهبط بقدميه على أى رأس يصادفه فى طريقه غير ملق بالا الى تلك الانفس الحية .. فكان أن صرخت فى شعبها لتبعده عن الهلاك .. مما أدخل السرور على قلب سليمان فتبسم ضاحكا !. يقول القرآن : « حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة : يايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون .. فتبسم ضاحكا من قولها ! » (النمل ١٨ — ١٩)

وقبل أن نبحث عن تتمة الاحداث التى جرت بها القصة .. يحق لنا ان نقف قليلا هنا .. لنستبين بعض نقاط هامة :

الأولى : ان النملة قد احست باقتراب الخطر فاصابها الذعر على رعيتها او اقرانها من النمل .. وان انفعالاتها قد هدتها الى أن تدق النواقيس تعلن بها التحذير من ضرر وشيك الوقوع فقد قالت : « يايها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم » .. فما هو المدى الذى يمكن أن تسير فيه طبيعة النمل فى احساسها باقتراب الخطر ؟ وما الطريقة التى تتبعها فى ابلاغ الاقران بانفعالاتها ؟؟..

الثانية : ان النملة حادة البصر وتستطيع أن تكشف من مدى بعيد اذ انها عند بعد مناسب رات سليمان فقالت : « لا يحطمنكم سليمان » .

الثالثة : ان النملة قد عرفت شخصية معينة قادمة فى الركب هى شخصـية سليمان لقولها : « لا يحطمنكم سليمان وجنوده » فكأن النملة لها القدرة على معرفة الاشخاص الادميين باسمائهم وتستطيع التفرقة بين بعضهم وبعض .. ويمكن الذهاب بناء على هذا الاساس أن النمل الموجود فى بيت احدنا يعرف رب الأسرة وزوجه وابناءه وأقرباءهم جميعا فردا فردا.. وباسمائهم ونحسب أن النملة لا تخطىء أسماء الافراد ..

وفى الواقع .. ان كل نقطة من النقاط الثلاث السابقة لا يمكننا أن نمر عليها — وكذلك الباحث المدقق — دون أن نقرأ عنها ما جاء فى أحدث الكتب العلمية التى راقبت النمل وعرفت طبائعه وأجرت التجارب العديدة لاستدراك احواله .

والنمل — على قدر ما تحصلنا عليه من المعلومات — ليست له لغة يتفاهم بها مع جنسه مثل الادميين ولغاتهم والتعبير عنها بطريق اللسان .. وانما يتفاهم بطرق

اخرى لا تقل خطورة عن اطرق اللفات .. ولقد ورد فى كتاب « شخصية الحيوان » : « وان الانسان ليتوقع أن تتخاطب وتتصل الحشرات التى تعيش معيشة اجتماعية كالنحل والنمل - بعضها مع بعض - ولسنا نعرف الا قدرا ضئيلا عن الاتصال بين النمل .. سوى أنها عندما تستفز فانها تنقل انفعالاتها الى رفاقهــا بواسطة تلامس قرون الاستشعار ونحن نعرف أنه فى النمــل الابيض تضرب الجنود براسها فى الجدران الخشبية لمسالـكها وممراتها وبذلك تثير غيرها من النمل » .. فلا تستبعد بناء على ذلك أن تكون النملة قد تخاطبت مع أقرانهــا بطريقــة تلامس قرون الاستشعار التى فهم المراد منها سليمان الملك النبى .. والتى صاغها الله فى هذا الاسلوب القرآنى العربى .. وكأنها تنبه الآخرين الى اقتــراب وقوع الخطر فهى تحثهم على تجنبه بالاسراع الى الانزواء فى بيوتها .. ونحسب أن هذا النمل ضمن الحشرات التى تعيش فى أنفاق من الطين يصنعها فى الطرق .. فسليمان وقتئذ كان يسير بجنوده فى الطريق العام عند حدوث هذه القصة .. ويقول الدكتور عفيفى محمود فى كتــابه « الحشرات والانسان » : بأن هنـاك نملا اسود يسمى « حرامى الحلة » ويعيش هذا النمل اصلا فى الطرق حيث يحفر انفــاقه ويغطى فوهتها بكومة من حبيبات التربة » .. والنمل الذى تخاطب فى حضرة سليمان اما أن يكون من هذا النوع الاسود او من نوع النمل الابيض الذى قال فيه الدكتور عفيفى محمود أيضا فى كتـــابه المشار اليه : « وتعيش مستعمرات النمــل الابيض فى انفاق من الطين تصنعها فى باطن الارض أو داخــل الاخشاب » ..

واذا تناولنا حدة البصر لدى النمل .. نجد ان النمل قد يكون له عيون متعددة الامر الذى يمكن الذهاب معه الى رؤية النملة لسليمان من بعد يصل الى عدة أمتــار.. وعن النمل الابيض يقول الدكتور احمد سالم حسن فى كتابه « الحشرات الاقتصادية فى مصر » : « العيــون موجودة أو غير موجودة والعوينة الوسطى موجودة عادة » .. فقد حذرت النملة اقرانها الذين ينتشرون فى هــذه البقعة من الارض أن يفسحوا الطريق لسليمان وجنوده .. وهى لابد وأنها قد دارت على كل نملة تلامسها بقرون الاستشعار وتنبهها الى أن الخطر قد يحطمهم جميعا .. وأنها قد استنفدت مدة فى عملية التنبيه هذه التى كانت بالطبع قبل اقتراب سليمان وجنــوده .. فكأنها قالت لزميلاتها : « ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون » آخذة فى تكرار هذا النــداء الى الشغالة وغيرهم .. وفى هذه الحــالة لابد وان يكون سليمان منها على بعد لا باس به .. وقد ورد عن مقاتل : « وقد سمع عليه السلام قولها من ثلاثة أميال » .. وجاء فى الالوسى : انه عليه السلام لم يسمع صوتا أصلا .. وانما فهم ما فى نفس النملة الهاما من الله تعالى .. ولا ينسى الشيخ الالوسى رحمه الله ما بلغته النملة من الادب مع سليمان بقولها : « وهم لا يشعرون » فيقول : « فى تقييد الحطم بعدم الشــعور بمكانهم المشعر بانهم لو شعروا بذلك لم يحطموا ما يشعر بغاية ادب النمــلة مع سليمان عليه السلام وجنوده » ..

اما من ناحية قدرة النملة على معرفة شخص بعينه هو سليمان وأن ما حوله من الحشد هم جنود سليمان.. فهو أمر نحسب أن علماء الحشرات قد أجروا عليــه التجارب .. ولم يتوصلوا الى القطع برأى فيه ..

وفى الواقع .. ان اجراء التجارب لاستقصاء هــذه الظاهرة بالذات فى النمل مما لا يفيد كثيرا فى ميدان البحث العلمى .. فاننا نرى أن البشرية لن تجنى ثمرة ما اذا عرفت ان النمل له القدرة على معرفة أسماء الاشخاص .. لانه لا يمكن أن تتم لدينا هذه المعلومات الا اذا نطق النمل بلسان فصيح أو اشارة صريحة وهــذا مستحيل .. ولكن .. ما القول فى النمــلة المذكورة فى هذه الاية والتى عرفت اسم سليمان واشارت على اقرانها بالحذر منه ومن جنوده لئلا يحطمــوهم ؟؟. يقول روح المعانى: « ان علم النملة بان الآتى هو سليمان عليه السلام وجنوده كان عن الهام منه عز وجل » ..

ونذهب نحن الى أن سليمان عندما نصب ملــكا على الجن والانس والطير وآتاه الله معرفة لغاتها جميعا .. لا نستبعد أن يكون سليمان قد بعث الى كل فئة من تلك الفئات فردا من جنسها ينادى فى اسواق كل منها بان سليمان الملك النبى قد تقلد منصبا ضخما واتاح الله له درجات من فضله لم يحظ بمثلها بشر من قبله ولا من بعده .. وانه يعلم منطق الطير ولغاتها جميعا .. وانه نبى الأمة .. كما أنه نبى أيضا للجن والطيــر وما فى حكمه من الحشرات الاخرى .. فكان النمل قد عرف عن هذا الطريق ان ذلك الملك يسمى سليمان .. فلما رات النملة المذكورة فى الآية حشدا ضخما من الجن والانس.. وأن شخصا يتقدمهم على صهوة جواده والطير يحجب اشعة الشمس عن راسه فى سحابة محكمة .. تأكد لدى تلك النملة أنه سليمان بعينه فاحدثت بطريقتها الخاصة ما جعل سليمان يفهم أن النملة قد قصدت الى مثل هذا .. فتبسم ضاحكا لقولها !!

اذن .. فلقد شعر سليمان بالارتياح الضخم من فهمه لغة النملة .. وعرف أن الله تعالى قد وهبه ذخيــرة رائعة .. وما هذه الذخيرة سوى مادة الامتحان من الله لسليمان أيشكر أم يتعالى ويستكبر فى الارض بغير الحق .. ونحسب أن سليمان لم يطلق العنان لنفسه كثيرا فى الاستمرار فى عملية الابتسام المهيب حتى اكتسى بوقاره كاملا وغاضت الابتسامة على شفتيه .. وعادت اشفاهه تغطى أسنانه الناصعة منطبقة عليها .. ونقل بصره بين النملة المتكلمة واقرانها من النمل وهم يسرعون فى ذعر شديد الى انفاقهم تحت الارض وبين السماء .. وكانه يرى خيطا دقيقا بينه وبين السماء .. وبين الســماء والنمل يربطهم جميعا .. فكان لــزاما على سليمان ان يشكر لصانع الفضـ لفضله .. وان يحمد من وهبه من كل شىء كما وهب ابويه من قبل .. فسمعه جنوده يقول: « رب أوزعنى أن أشكر نعمتــك التى أنعمت على وعلى والدى » (النمل ١٩) .. ولكن .. ان تحذير النملة لاهلها وعشيرتها كان لا يمكن أن يمر هكذا دون أن يخظى سليمان منها بعظة وعبرة .. فالنملة خافت على رعيتها فنبهتهم الى الخطر المحدق بهم ولم ترد أن تنجو بمفردها وتتركهم فريسة لعجلات الارجل الثقيلة تنهشهم .. بل وجدت النملة نفسها مسئولة عن اقرانها وكيف ان واجبها يحتم عليها أن تحرص عليهم وتسهر على راحتهم ودفع الضر عنهم !!.. وفعلا .. ان سليمان الذى فهم لغة النملة .. لــن يستعصى عليه ان يفهم ما يرمى اليه كلام النملة وأن يعى ما بين سطور مقالتها .. فرفع الى السماء أكف الضراعة ان يوفقه الله الى حسن الســهر على رعيته هو الآخر وأن يجعله الله بين الصالحين .. فقد قال : « وأن أعمل صالحا ترضــاه !!. وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين » (النمل ١٩) ..

والى العدد القادم .. حيث نلتقى بقصة سليمان مع الهدهد فى احدى روائع القصص القرآنى ان شاء الله .

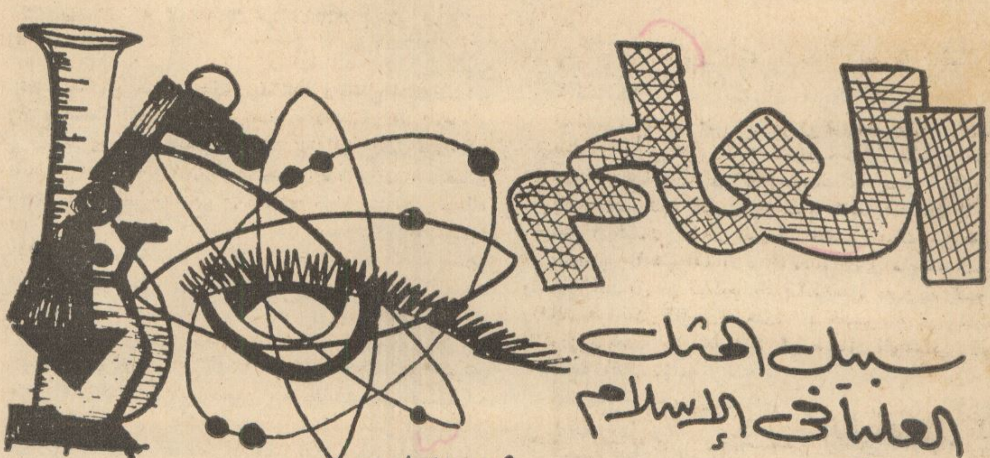

العلم سبيل المثل العليا في الإسلام

بقلم الدكتور حسن فتحي الباب

كان أشد التحديات التى واجهها الاسلام انقسام الناس الى أغنياء وفقراء ، ظالمين ومظلومين ، سادة ومحرومين ، ذلك التحدى الذى حير البشرية طوال تاريخها ، وجابهته الرسالات السماوية ، وتصدى له المصلحون والفلاسفة ورواد الفكر ، وكان الاستنكار والشجب ومحاولات التغيير والاصلاح ، وكانت انتصارات هنا وهناك . بيد أنها كانت انتصارات جزئية لم تلبث على امتداد الزمن أن فقدت بعض قوتها فعاد البغى والبطش والعدوان ينشر ظلاله الكئيبة على المجتمع البشرى ويصارع المبادىء التى دعا اليها الأنبياء والمصلحون .

فلما جاء الاسلام حدد هدفه الأساسى فى نشر الايمان والحق والعدل لسعادة البشرية قاطبة من طريق القضاء على الظلم وقمع الظالمين . وفى سبيل تحقيق هذا الهدف واجه الاسلام الواقع الانسانى المرير ونفذ الى كنهه ، فاستطاع أن يغير هذا الواقع وأن يخلق منه احلامه ومثله العليا وأن يجعلها حقيقة حية لا مجرد تمنيات . لقد قاوم المستغلين وناصر المستضعفين والمعذبين وخلق مجتمع العزة والقوة والحرية والتعاون على انقاض مجتمع الباطل والعبودية .

وكان العلم فى مقدمة الأساليب التى انتهجها الاسلام لحل مشكلة انقسام البشر بغير وجه حق الى أثرياء جائرين وتعساء مقهورين ، وازالة القيم الباطلة وارساء القيم الرشيدة الصالحة لتحقيق عالم أفضل للانسانية . ذلك أن العلم هو الركيزة الأساسية للايمان ، الهادى الى العدالة ، ولا يمكن أن تنفذ أشعة المثل العليا الا من خلال عقول نيرة وأذهان متفتحة قادرة على استيعاب هذه الأشعة . وليس أدل على ذلك من أن أولى الآيات التى انزلها الله عل رسوله الكريم قوله :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

فالقراءة هى البداية الطبيعية المحتومة لكل من يبغى التعلم . فلا غرو أن يقوم الاسلام ـ شريعة ودولة ـ على العلم ، وأن يكون محمد رسول الله هو المعلم الأكبر ، وأن يجعل نشر العلم رسالته ، وأن يكون الأب الرحيم الذى كفل للجميع حق التعليم وجعله فرضا على الدولة ، فاعطى الجميع فرصة متساوية للتنافس على منهله ، لا فرق فى ذلك بين غنى وفقير وبين صعلوك وأمير ، فالكل سواسية فى شرعة الاسلام . والعلم هو الطريق الأساسى لاذابة الفوارق بين الناس ، فطالما أتيحت للفرد فرصة التعلم ثم أتيحت له فرصة العمل فلا مجال للفاقه ولا مكان للاستغلال .

لقد استهل الله تعالى كتابه الخالد بتمجيد العلم وتوالت الآيات فى الحث عليه وفى تكريم أصحابه وفى تبيان الصلة الوشيجة بينه وبين الايمان وهو رأس الفضائل والمثل العليا . يقول الله تعالى :

« انما يخشى الله من عباده العلماء » .

فخشية الله تعالى هى أعلى درجات العبادة لأنها تتضمن اليقين بوجود الله وعلمه بأحوال خلقه والعمل على مقتضى هذا العلم فى التعامل مع الناس بالبر والعدل والرحمة . وأهل خشية الله هم العلماء ، وليس المقصود بهم علماء الشرع خاصة ، بل جميع من آتاهم الله علما فى مجال من المجالات ، فعلمهم هو دليلهم الى الايمان بالله ، لأن الله تعالى أودع فى كل جزء من العالم وفى كل نظر من أنظار العقول دليلا على وجوده وخلقه وتدبيره وعلمه . وعلى قدر احاطة العالم بهذه الحقيقة وانكشافها له تكون خشية من الله وايمانه بشريعته ■

والآية تعبير عن موقف الاسلام من العلم ، باعلان انه دين العلم ، فلا تناقض بين الدين والعلم في الاسلام ، والتقدم والتطور فى العلوم الكونية والانسانية مطلب تستدعيه طبيعة الاسلام لخدمة عقيدته وخدمة المؤمنين به على طريق الحضارة والتقدم .

وفى تكريم العلماء أيضا وجعل منزلتهم فى الكرامة والفضيلة اعلى من سائر الناس بقوله تعالى :

« شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط » .

فقد بدأ الله بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بالعلماء ، والمراد بالقسط العدل . فمن صفات الألوهية ومحامدها التى يشهد بها الله لنفسه ، وتشهد بها الملائكة ، ويشهد بها العلماء ، الوحدانية واقامة العدل بين الناس . فان ذلك مما يدركه العلماء أكثر من غيرهم .

وقال تعالى :

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

ويقول ابن عباس : العلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة .

وقال تعالى :

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

فهذا بيان لكرامة العلماء وأن من لم يشاركهم العلم فليس فى مثل منزلتهم ولو كان من أهل المال والعصبية .

وعن أبى الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهل الله له طريقا الى الجنة . وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع . وان العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا » .

كذلك فقد جاء فى الحديث الشريف

« يبعث الله العباد يوم القيامة ، ثم يميز العلماء فيقول : يا معشر العلماء ، انى لم أضع علمى فيكم لأعذبكم . اذهبوا فقد غفرت لكم »

فالحديث دليل على كرامة العلماء عند الله ، وعلى تقدير الاسلام وعلو نظره للعلم والعلماء بما هو أقوى درجات الحث على طلب العلم بكل أنواعه ، سواء أكان علما دينيا أم كان علما متعلقا بشئون الدنيا التى لا غنى عنها فى كسب المعاش ، وتسخير قوى الكون لرفاهية الانسان وتوسيع خلافته فى الأرض ، فالآيات والأحاديث لم تفرق بين العلوم . يقول الحديث : ان الله اذا بعث العباد يوم القيامة ميز من بينهم العلماء ، فيخاطبهم بانه - سبحانه - لم يضع علمه فيهم ليعذبهم بذنوبهم فى الآخرة ، ثم يعلن مغفرته لهم ، لانه جعل العلم شافعا فيهم ، لأنهم خدموا الناس بعلمهم ، اذا كان علما دينيا أنقذوا به الأرواح من الهلاك ، واذا كان دنيويا أنقذوا به النفوس من الألم والبؤس . وظاهر أن هذا الجزاء للعلماء العاملين بعلمهم دون غيرهم .

واذا تأملنا المثل العليا التى دعا الاسلام الى اعتناقها وجاهد فى سبيل تثبيتها ونشرها تبين لنا أن العلم هو السبيل الذى انتهجه الاسلام لتحقيق هذه الغاية لأنه السبيل القويم الكفيل بذلك . فالاسلام ينادى بالمحبة والاخاء ونبذ التعصب ، ولا يتم ذلك الا بالاقناع الحر ، والاقناع الحر طريقه العلم الذى يفتح النوافذ لكل فكر جديد ويجعل أصحابه مواكبين للتطور المتلاحق فى سبيل وحدة البشرية على أسس من العدالة والمساواة . ونصوص الشريعة الاسلامية السمحة واضحة الدلالة فى افادة هذا المعنى . يكفى فى ذلك أن نشير الى قوله تعالى :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »

والاسلام يحث على الصبر والمقاومة وقوة التحمل ومجاهدة النفس فى سبيل التغلب على العقبات التى يصادفها الأفراد والجماعات وخاصة فى فترات الانتقال التى تتصادم فيها القيم وتتصارع التيارات الفكرية . والعلم هو السلاح القادر على قهر هذه العقبات والانطلاق الى تحقيق الآمال الكبار . فالعالم يمتاز ببعد النظر وسعة الأفق ، ومن ثم فهو يلمح الشمس من وراء الغيوم والنهار من خلال الليل ، فيدرك أن الصبر حق وأن جهاد النفس واجب وأن التضحية هى سبيل الوصول الى الغاية . يقول تعالى :

« والعصر ، ان الانسان لفى خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » .

« واصبر وما صبرك الا بالله » .

« وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » .

« ان الله مع الصابرين » .

ويقول الرسول الكريم فى مجاهدة أهواء النفس :

« رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » .

والاسلام يستهدف خلق القيادات الصالحة القادرة على أداء رسالتها وتحمل مسئوليتها ، والقائد الحق يمتاز عن سواه بالوعى والتبصر والمعرفة والقدرة على فهم الناس والمجتمع والحياة وبث الايمان بالمثل العليا التى تكفل سلامة الوجود فى نور العدالة وحرية الفكر . ولا سبيل الى ادراك هذه المفاهيم الا بالعلم ، فهو الذى يحدد معالم الطريق ويهدى الى السبيل المستقيم .

والاسلام يدعو الى اقامة مجتمع قوى يرهبه أعداؤه ، والمؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف . يقول تعالى :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

ولا سبيل الى القوة الا بالعلم ، فالعلم يكسب الخبرة والدراية ويصقل مواهب الاختراع والكشف ، فتزدهر المعارف والفنون والصناعات وهى دعامة المجتمعات الناهضة وأساس التقدم فى جميع الميادين .

والدين الاسلامى قوة روحية وشريعة لتنظيم الحياة ، ومن ثم فهو يقوم على العلم والمعرفة ومع كل وسائل التقدم المختلفة . فلا عجب أن يجعل الاسلام الناس سواسية . فلا فضل لامرىء على آخر بالجاه أو المال أو العصبية ، وانما بالتقوى . والتقوى سبيلها معرفة الله وهذه المعرفة انما تقوم على العلم ، ولذلك ميز الله العلماء عن سائر الخلق وجعلهم ورثة الأنبياء .

فعالية الوحدة في الإسلام

بقلم الأستاذ

محمد الخضري عبد الحميد

يقول الله تعالى فى كتابه المكنون : « يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ـ الآية » .. ويقول جل وعلا : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .. فلقد خلق الانسان لا ليحيا وحيدا منطويا لا يابه لغيره ولا يعير انتباها لما يجرى خارج نطاقه .. ولكن خلق الانسان اجتماعيا بطبعه ، محبا للاتحاد مع غيره ، تسوقه فى ذلك حوافز فطرته وجبلته .

ولقد كان تنزيل القرآن الكريم على أمة العرب ، دون بقية الامم ، وفى وقت كانت فيه تلك الامة العريقة تتناثر مزقا ، وتتفرق طرائق قددا .. حكمة عليا بالغة من الخالق الأعظم ، أراد بها ـ سبحانه ـ أن ينبثق النور الهادى الى السلم والسلام على يدى النبى (محمد) صلوات الله عليه فى « البيئة الطبيعية » لنمو رسالة كهذى خالدة .

رسالة الاسلام :

كان العرب قبل الاسلام يسيرون فى نهج حياتهم على بداوة فطرية جامحة لا رابط لها ولا ضابط .. ان هو الا قانون الهوى ، قانون ذى الجاه يسرى على من لا جاه له .. وحكم القوى المقتدر ينفذ على من لا قوة ولا قدرة به .. وبين اختلاف البيئات والاهواء ، وتباين المنازل وتفاوت الأقدار ، واختلاج موازين القوى صعودا وهبوطا .. تتسع الشقة لمزيد من التناحر القتال لا يفتر الا ليستجمع طاقات الأهبة والتحفز لاعادة الانتفاض والكر والوثوب ..

فى تلك « البيئة » ظهر الاسلام .. ولحكمة العلى العظيم لم يبدأ دين الحق والدعوة الى الوحدة والاتحاد ، والتعاطف والتواد .. على عاتق رجل جبار ذى حول وطول عظيمين ، هائل الثروة اسطورى الخلقة ، والا ماكان من عظيم الفضل الذى كان ، وقوة الاشراق وروعة الغلبة والشمول وعمق الرسوخ .. وانما هو « الانسان » البسيط ، الخالد فى بساطته ، الذى وصف نفسه أعذب وصف فى التواضع الجم ، فهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول بانه « ابن امرأة اعرابية كانت تاكل القديد » ، و : (انما انا بشر مثلكم .. يوحى الى » .. اى ما من شىء آخر يميزنى عنكم ـ ايها البشر ـ سوى اننى ـ فقط ـ : « يوحى الى » .. ويمعن صلوات الله عليه فى توكيد « بشريته العادية » فيقول : « انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون ، فاذا نسيت فذكرونى » ! .. بل واكثر من ذلك امعانا فى البساطة والتواضع : (انما انا بشر أغضب كما يغضب البشر » ! .. سئلت عائشة رضى الله عنها : ماذا كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البيت ؟ فقالت : (كان بشرا من البشر ، يخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، ويحلب شاته ، ويعمل ما يعمل الرجل فى بيته ، فاذا حضرت الصلاة خرج) ـ رواه البخارى .

على هذا (الانسان) العظيم قدرا وبساطة ، نزلت اعظم الرسالات واخلدها واقواها تاثيرا فى حياة البشر قديما وحديثا والى يوم تقوم الساعة

وبين اولئك الجفاة القساة المتنابذين الذين لجوا فى حياة البداوة المتحررة ، المنطلقة على السجايا الجاهلية الفطرية بما فيها من صلف وطغيان وضلال .. نزل دين الحق داعيا الى الهدى والرشاد والوحدة والى نقض كل ما تواضع غلاة القوم على اقترافه من آثام ، واقامة اسس وشرائع الدين الحنيف ، القويم

السمح النظيف ، فوق ركام تلك الانقاض ! .. وناشر لواء الرسالة العظمى بين قوم ذاك شانهم ، وفى عصر كان ذهبيا بالنسبة لاصنام خرساء قدت من حجر فهى - بالطبع ! - لاتعى ولا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا ك : « اللاة » و « مناة » و « العزى » .. نقـول : كان ناشر الرسالة الخطيرة الكبرى فى « جو » هـذا وصفه وتلك حاله هو هو ذلكم اليتيم الفقير ، الذى يقف وملء قلبه نور الايمان بالواحد الاحد ، فى وجه قريش والعرب قاطبة ! .. وتحار قريش فى أمـره ، وتضيق ذرعـا به وبدعوته ، فتمد له فى حبل المصابرة والمهادنة بأن تشكوه بادىء الأمر الى عمه وولى أمره (أبى طالب) الذى يود أن لو يكفيه ابن أخيـه حروجة المازق التى يقحمه فيها .. فلا يكون جـواب « ابن الاخ » الا الاصرار والتصميم والثبات : « والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن اترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو اهلك دونه .. ما تركته » !

نزل القرآن بالعربية ، لغة العرب ، « وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا - صدق الله العظيم » .. وبذلك حدد - بنزوله عربيا - وظيفة العربية ك : « اداة وحدة » تجمع شمل العرب تخاطبا وفكرا فى لغة واحدة .

ومما يروى السلف الصالح عن : « (مكانة العربية وفعاليتهـا فى وحدة العرب) ما رواه الحـافظ بن عساكر بسنده الى مالك عن الـزهرى عن ابى سـلمة أبى عبد الرحمن قال : « جاء قيس بن مطاطيـة الى حلقة فيها سلمان الفارسى وصـهيب الرومى وبلال الحبشى ، فقال : « هذا الأوس والخزرج قد قامـوا بنصرة هذا الرجل فما بال هذا » ؟ .. وهـو يعنى ب « الرجل » محمدا عليه السـلام ، وأن الأوس والخزرج من قومه العـرب ينصرونه لانه من قومهم .. واذ الأمر كذلك فماذا يدعو الفارس الرومي والحبشى الى نصره ؟ .. فتصدى له معاذ بن جبل رضى الله عنه اخذا بتلابيبه يقوده حتى اتى به محمدا ، فاخبره بما فاه به ، فقام النبى مغضبا يجر رداءه حتى أتى المسجد ثم نودى للصلاة فقال محمد : « يأيها الناس ان الرب واحد ، والأب واحد ، وان الدين واحد ، وليست العـربية باحدكم من اب ولا ام .. وانما هى اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي » . فسـأل معاذ : « فماذا تامرنى بهذا المنافق يارسول الله » ؟ أجاب الرسول : (دعه للنار) . فتركوه .. فـكان (قيس) ذاك من المرتدين فى الردة ، وكان مصـيره القتل » ! .

وليس اوضـح من حديث الرسول هـذا : « فمن تكلم العربية فهو عربى » فى تبيان قدر اللغة العربيـة ، ومكانتها ك « صفة » مميزة من صفات كل « عربى » ..

والاسلام بتعاليمه يحض بالدرجة الاولى على الوحدة والاتحاد .. فيؤكد القرآن دائما الحرص على وحدة الامة جمعاء...جاء فى سورة الانبياء : « ان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .. كما جاء فى سورة « المؤمنون » : « وان هذه أمتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون » ..

وفى الكتاب « المعاهدة » بين المهاجرين والانصار حرص الرسول عند تسطير « بنود » ذلك الميثاق بين أولاء وأولئك فى مجتمعهم الجديد ، على ان يكون « البند » البارز فى المعاهدة ، « وحدة الامة المسلمة من غير تفرقة بينها » .. وليست تشذ بقية البنود والمواد عن روح الوحدة وما ينبع منها من مشاركة واخاء .. فبالوحدة والاتحاد والمشاركة والتعاون قوى الاسلام ولا يزال يقوى ويزداد على مر الدهور وكر العصـور قوة على قوة ، وحيوية الى مافيه من حيوية .. وليس بعد ذلك - وقد أسلف الحديث عن نشاة الاسلام على كاهل « رجل » واحد .. ليس بعد ذلك بعجيب ولا بغريب ان نرى اى شاو عظيم بلغه الاسلام بشرائعه الانسانية السمحة .

فى هذا يكفى أن نقارن بين بزوغ أولى شعاعات هذا النور الذى انبثق سرا ، وبدأ همسـا ، ورددت اولى أصدائه الخافتة جدران دار صغيرة نائية على جبـل الصفا بمكة هى دار « الارقم بن أبى الارقم » .. يكفى أن نقارن بين تلك البداية المتناهية البساطة وبين ماسمق اليه مجد الاسلام على الاثر من سمو وتناه فى الرفعـة والمجد والانتشار .. ولتصوير عظمـة الاسلام ، دين البشرية الاسمى ، الذى ولد على تلك الصورة المصغرة .. نستعير وصفا لقوته بعد ذلك واتساع رقعته ، من كلمات للدكتور جمال الدين الرمادى فى كتابه « الأمن والسلام فى الاسلام - ص ٦/٥ » :

« لقد استطاع الاسلام بجناحين من الامن والسلام أن ينشر فكرته فى شتى الأصقاع ، فدخل الناس فى دين الله أفواجا ، ورفرفت ألوية الاسلام على مشـارق الارض ومغاربها . وامتد الاسلام عبر جبل طارق الى اسبانيا ، ولم تقف جبال البرانس عقبة فى سبيل امتداده فنشر ألويته على جنوب فرنسا وايطاليا وسهول لمبارديا وشتى أرجاء أوروبا ، وتدفقت أمواجه المتتابعة عبر آسـيا فوصلت الى الهند والصين واليابان وروسيا ، وتوغـل الاسلام فى جزر المحيط الهادى وجزر المحيط الهندى ، وعم نور الاسلام البحر الابيض المتوسط فدلف الى جزيرة صقلية ، ومالطة ، وكريت ، وقبرص ، ورودس ، وغيرها من جزر البحر الابيض المتوسط .. كذلك استطـاع الاسلام أن ينشر اشعته النورانية فى العالم الجـديد فوصـل الى أمريكا الشـمالية ، وانتشر فى أمريكا الجنوبية » !!

أى عظمة !. أى قوة !. أى مجد لا يقوم على حـد السيف ، وانما هو ، بمقوماته الروحية والفكرية ، ينسرب الى مجامع القلوب والعقول .. انسراب الماء الرقراق الى أرض عطشى ، وينساب الى القرارات والاعماق بماياتى به من صفاء للنفوس ، وتطهير للارواح والابدان ، وارسـاء للقواعد ، وتمكين لاعدل الاحكام ..

أية أمجاد كهذه مذهلة جبارة ، والدين دين « دعـوة روحية » فما قام قط على غريزة امتلاك ولا حب توسـع واتساع .. والا لكان صانع وساوم .. ولكن لأنه الدين الحق ، فلا مصانعة - من ثم - ولا مهادنة ولا مساومة.. فليست البغية ملكا ولا سلطانا .. وانما هو « نـور وهداية » ينبغى أن تنتشر أو تملأ الأقطار .. أما ما بعد ذلك وما وراءه من «متاع دنيوى» فلا اعتبار له ، ولا هو فى الحسبان ..

روى أن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنفذ كتـابا الى امارة اليمامة مع سليط بن عمرو العامرى ، فلما قرأ أميرها « هوذة بن على » كتاب النبى رد عليه يقول : « ما أحسن ما تدعو اليه وأجمله .. وأنا شاعر قومى وخطيبهم ، والعرب تهابنى ، فاجعـل لى بعض الأمر أتبعك » !.. وهذه كانت مساومة واشتراط لا يقبلهما نبى الهدى الذى لا يبغى بدعوته عرضا زائلا من عروض الدنيا والا لكان حقق ما لم يحقق بطل من أبطال التاريخ كله من ثراء وجبروت .. لا مساومة ! ومن ثم فجـواب

« محمد » باتر حاسم : « لو سألنى قطعة من الارض ما فعلت .. باد وباد ما فى يديه » !

وهكذا جرف نور الاسلام امارة اليمامة كما جرف غيرها وغيرها من الامارات ـ بله الممالك والقارات ـ وحاقت سوءة المساومة « بهوذة » فقضى محروما من نور الهداية .. وكان للاسلام ما كان من عظمة وانتشار

والآن : أين هذا كله من « بداية » لم تك بحال من الاحوال لتتسع وتبلغ هذا المبلغ الهائل من التعميم والشمول ... ومن : ما كان ينتويه بعض أولئك السادرين فى الغى والضلالة من ايقاع بالرسالة وبناشر الرسالة .. حتى كانت فرصتهم الذهبية بعد أن مات أبو طالب ـ عم النبى وولى أمره ـ فانقضوا بأيذاءاتهم ومضايقاتهم ـ وكانت هناك فئة « مخصصة » لذلك منهم ـ على الرسول يريدون أن يطفئوا نور الله ، والله متم نوره ؟!.. لو أن رسالة واهنة العمد ، واهية الاسس ، لكان لهم ماأرادوا، ولكن .. ولكنه الاسلام ، القوة النورانية المبدعة الخلاقة .. قال ابن اسحق : « .. وكان النفر الذين يؤذون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بيته : أبو لهب، والحكم بن العاص بن معبة ، وعقبة بن أبى معيط ، وعدى بن حمراء الثقفى ، وابن الاصداء الهذلى ، وكانوا جيرانه ، لم يسلم منهم احد الا الحكم بن العاص .. وكان أحدهم ـ فيما ذكر لى ـ يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلى ، وكان أحدهم يطرحها فى برمته ـ أى فى قدره الفخارية ـ اذا نصبت له ، حتى اتخذ رسول الله حجرا يستتر به منهم اذا صلى .. فكان اذا طرحوا عليه ذلك الاذى يخرج به على العود ، فيقف به على بابه ثم يقول : « يا بنى عبد مناف ، أى جوار هـذا » ؟ ثم يلقيه فى الطريق .. رواه ابن هشام » .. وكان النبى يعرف ذلك ويعد له أهبته من زاد روحى ، ويدرك مدى ما سوف يناله ـ صلوات الله عليه ـ بعد موت أبى طالب ، فقد قال يوما : «ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب » .

ان الوحدة ديدنها الغلبة ، والتفوق ، وما من أمم أصلح الله أمرها الا وكانت « وحدة التفاهم » وراء غلبتها وتفوقها .. يقول الشاعر العربى :

تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسرا
واذا افترقن تكسرت أفرادا

ولقد أدركت الدول الحديثة أن لا سبيل لها أمام هدف نيل حقوقها ، وانتزاع استقلالها ، والتحرر من اسارات مستعمريها .. الا بالوحدة ، والاتحاد.. وبهما نالت دول حريتها التى ما كانت لتنال شيئا منها لو أنها بقيت على ما كان من حالها فى التفرق والتفكك ..

وفى « الميثاق » الوطنى ، دليل العمل الثورى العربى ، اقرار بقوة الوحدة وفعاليتها .. اذ يقول « الباب التاسع » منه : « .. يكفى أن الامة العربية تملك وحدة اللغة التى تصنع وحدة الفكر .. ويكفى أن الامة العربية تملك وحدة التاريخ التى تصنع الضمير والوجدان .. ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة الأمل التى تصنع وحدة المستقبل والضمير .. »

اجل .. يكفى هذا كله الذى نملكه ـ نحن الامة العربية ـ من وشائج الوحدة وأسبابها لكى نصنع ـ بايدينا المتشابكة ، وهاماتنا المتراصة الشامخة ـ وحدة مستقبلنا ومصيرنا . ومعنا كنوز الاسلام الروحيةوالفكرية « مصابيح البشرية » الوضاءة السرمدية ، تضىء بنورها الباهر معالم الطريق .

البطولة
فى شعر العصر الاسلامى

للأستاذ على الجمبلاطى

من طبيعة الأمم أنها فى فترات نهوضها تلوذ بماضيها ، وتستوحى امجادها السالفة ، وتعيش على نشوة ذكرياتها الغابرة ، وقد قيض للعرب ماض زاهر ، وحضارة راسخة الأصول بوأتهم مكانة مرموقة بين الأمم فى تاريخ الحضارة.

ومن طبيعة الامة العربية أنها تعيش تاريخها ، وتذكر أمجادها ، وتحسها كأنها جزء عضوى من وجودها ويرفد تاريخها القديم تاريخ حركاتها الثورية الشعبية ، وتاريخ نهضتها منذ القرن التاسع عشر لأنها تعتز بهذا التاريخ القومى وتتأثر بسير ابطاله .

ولقد كان للادب وللشعر بوجه خاص اثر فعال فى ربط العرب بماضيهم واحياء غابرهم وهذه ظاهرة طبيعية فى ادب كل امة تجتاز مرحلة البعث ، فان الشعراء ذاكرة أمتهم وضميرها الحى الخلاق ، وقد صاغوا من قرائحهم تماثيل لأبطالها فى قصائدهم وأحلوا أمجادها سويداء قلوبهم حتى صار حبنا لاجدادنا وجدا ، واكبارنا لغابرنا تقديسا .

ولم يكن من الطبيعى لدى أمة تشق طريقها من جديد نحو حياة كريمة أن تغفل تاريخ حقب مديدة حافلة بأروع البطولات ، وأن تبعد فى فترة النهوض تلك الطاقة الكامنة فى تاريخها المجيد ، بل كان لابد لنا أن نبعثها حية ماثلة تعيد الى النفوس اليائسة أو الشاكة ثقتها بنفسها ، وتعمر قلوب الأجيال الصاعدة ايمانا بمستقبلها .

ولعل خير ما يحبب هذه البطولات وذكرياتها الى نفوسنا أن المفاهيم العربية الاولى التى كانت المروءة رائدها ، والشرف مقياسها ، والوفاء والكرم والنجدة والشجاعة أجنحتها ، وما أعقبها بظهور الاسلام من مزايا جديدة كاقامة العدل بين الناس والمساواة بينهم وحماية الضعفاء وتحريرهم من ظلم الأقوياء كلها ما زالت ماثلة حتى اليوم فى الجيل العربى ، أصيلة فى نفسه ، راسخة فى حياته ، وان قول أبى الطيب المتنبى قبل ألف عام :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم

لا تكاد تختلف فى شىء عن قول شوقى فى هذا العصر :

وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

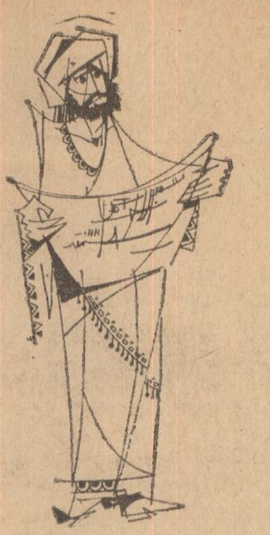

فالعربى باق على اباثه الضيم ، وتعشقه الحرية ، وزوده عن الشرف ، يعتصم بمثله العليا ويقدسها ، وهو بعد ذلك يحيا لها ، ويفنى فى سبيلها .

ولقد خلد شعراؤنا هذه البطولات فى صور رائعة تهز القلوب ، وتعيد ذكريات النضال وتدفع الجيل بعد الجيل الى التغنى بها فتزيدهم حماسة .

ان اول مايعرض من معانى البطولة ان يقصد بها « بطولة الحرب » وما ينطوى فيها من الفروسية والقوة والغلبة ، ولهذا المضمون عند المحدثين صورتان من التعبير :

أولاهما : ما أطلق عليه الباحثون الغربيون اسم «الشعر القصصى» و «شعر الملاحم» وهو ما يجتمع لشاعر نظم قصيدة طويلة يقص فيها ضروب البطولة التى نمثلت فى رجل فرد أو فى عدد من الرجال الابطال ، أو يؤرخ فيها حوادث أمة فى فترة بعينها من تاريخها ، فيصوغ ما انحدر اليه ممن سبقه من أخبار الوقائع ، وصور الحوادث ، ويتسلسل بها فى أسلوب قصصى متتابع والصورة الثانية من صور التعبير عن « بطولة الحرب » هى التى أطلق عليها العرب القدماء اسم « شعر الحماسة » ، وهى هذه القصائد والمقطعات المتفرقة التى ينظمها شعراء متعددون يفخرون فيها بأنفسهم أو بأبطال قبيلتهم وقومهم ، ويشيدون بما ابدوا من ضروب القوة والفروسية ، وما أتيح لهم من أسباب النصر والغلبة ، فيدور قصيدهم حول شتيت من المعانى المتفرقة ، لا ينتظمها أسلوب قصصى متتابع ولا استقصاء لاجزاء الحوادث والوقائع .

أما المعنى الثانى للبطولة فيتسع حتى يشمل « بطولة النفس » فى كل ما يتمثلها به المجتمع الذى يعيش فيه الانسان من مكارم الأخلاق والمثل العليا ، فيصبح البطل مثلا يحتذى فى الصبر على الشدائد وتحمل المشاق ، ونجدة الضعاف ، واغاثة الملهوف ، وبذل ما فى الوسع وفوق ما فى الوسع قرى المضيف ونائلا للسائل ، كما يغدواسوة فى الحكمة ورجاحة العقل ، وسداد الراى والمنطق والحلم عن قدرة ، والوفاء بالعهد والحفاظ على الذمام واباء الضيم والترفع عن الدنايا والتحلى بكل ما يراه مجتمعه فضيلة فى النفس والخلق ، فالبطولة عند العربى فى الجاهلية تجمع بين بطولة الحرب وبطولة النفس .

واذا كان بطل القبيلة هو الذى يدافع عن كيانها ، ويحمى زمارها ، ويحفظ لها وجودها ، ويرفع شانها ، ويشهر بأعدائها ، فان البطل الحقيقى للمجتمع الجاهلى لم يكن بهذه الصفات ، ان البطل الحقيقى الذى ينتظره المجتمع العربى قبيل الاسلام كان يختلف تماما عن بطل القبيلة هذا ، بل كان بعيدا فى صفاته عنه .

انه لم يكن ذلك الذى يحفظ للقبيلة كيانها وينكل بأعدائها ، ويعلى مكانها ، ويشيد بمآثرها ، بل كان ذلك الذى يزيل كيان القبيلة ، ويمحو العصبية القبلية،ويخلق من هذه الكتل المتناحرة ، والقبائل المتنازعة ، وحدة متماسكة تربطها مثل عليا مشتركة وأهداف واحدة ، ثم يرسم لها طريق التقدم والرقى ، البطل الذى يستجيب لحاجات المجتمع ، ويحقق آماله ، ويوجهه الى الطريق الذى يؤدى الى المجد الحقيقى ، وظهر هذا البطل ،ودوت صرخته فى وهاد الجزيرة العربية وبطاحها ، فاذا بهذه الكتل البشرية الجبارة تستيقظ ، وتشعر بصدى هذه الصرخة تتردد فى أعماقها ، واذا بها تستجيب لها رغم ارادتها ، وتلتف حول بطلها كتلة متراصة متينة البنيان ثم تتجه نحو العالم لتقوم بدورها فى بناء الحضارة الانسانية .

لقد جاء البطل ، بل جاء النموذج الاعلى للبطولة ،انه « محمد عليه السلام » كان روح العرب وآمالهم ، جاء ليصلح وضعا لابد أن ينصلح ، وليزيل مساوىء لابد ان تزول ، ويقيم كيانا يجب أن يقام ، فاستطاع بعبقريته أن يفعل كل ذلك فقاد المجتمع من الظلمات الى النور ، وفى هذا البطل العظيم عليه صلوات الله يقول حسان بن ثابت :

امام لهم يهديهم الحق جاهدا
معلم صدق ان يطيعوه يسعدوا
وان ناب امر لم يقوموا بحمله
فمن عنده تيسير ما يتشدد
عزيز عليه ان يجوروا عن الهدى
حريص على ان يستقيموا ويهتدوا
عطوف عليهم لا يثنى جناحه
الى كنف يحنو عليهم ويمهد
رباه وليدا - فاستتم تمامه
على أكرم الخيرات - رب ممجد
تناهت وصاة المسلمين بكفه
فلا العلم محبوس ولا الرأى يفند

وهكذا جاء البطل الجديد لا ليسند النظام القائم وانما جاء ثائرا يريد محو ما هو موجود من ضلال وفساد وخلق مجتمع جديد مستند على مثل عليا جديدة يعيش فيه البشر جميعا اخوانا يعمل كل منهم لخير أخيه ، ولقد نشأ مع نشوء الرسالة المحمدية أدب رفيع نازل فيه جند الله أعداءه ليحطموا الطواغيت ، ولم تلبث أن نشات المعارك وتتابعت بين الهداية والضلال والنور والظلام لمدة ثمانية أعوام انتهت بفتح مكة وانضواء الجزيرة العربية كلها تحت لواء الاسلام ، وبرز فى هذه المعارك كثير من الابطال الذين كانوا سيوفا مصلتة يضرب بها الرسول فى نحور أعدائه ، ودوى الشعر بجانب آيات القرآن الكريم يملأ النفوس ايمانا وآمالا ، والعزائم قوة وفتوة

وحسبنا ان نرى ما كان فى وقعة « بدر الكبرى » من صور الحماسة اللسانية التى تصور بطولاتها الخالدة ، فهذا « عمير بن الحمام » أخو بنى سلمة يسمع الرسول عليه السلام يحض جنوده قائلا : « والذى نفسى بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير

مدبر الا ادخله الله الجنة » فيقول : « عمير » وفى يده تمرات ياكلها « بخ بخ » اما بينى وبين أن ادخل الجنة الا ان يقتلنى هؤلاء ؟ ثم قذف التمرات من يده واخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل وهو يقول

ركضا الى الله بغير زاد
الا التقى وعمل المعاد
والصبر فى الله على الجهاد
وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

ولعل بطولات هذه الموقعة تتمثل فيما قاله شعراء المسلمين حين صدقهم الله وعده فرتلوا أناشيد النصر وعلى راسهم « كعب بن مالك وحسان بن ثابت » ونرى فى شعرهما حماسة من نوع جديد تختلف عن الحماسة الجاهلية القديمة ، فهى ليست مؤسسة مثلها على شريعة الاخذ بالثار ، وانما هى مرتكزة على الجهاد فى سبيل دين قيم يؤثر معتنقوه ما ينتظرهم عند ربهم من جنات النعيم على حياتهم ، وهذا «عبيدة بن الحارث بن المطلب» فى يوم بدر وقد بارز المشركين ومعه « حمزة وعلى » رضى الله عنهما ، وقد أصيبت رجل « عبيدة » فى الموقعة وقطعت فقال :

ستبلغ عنا اهل مكة وقعة
يهب لها من كان عن ذاك نائيا
«بعتبة» اذ ولى و « شيبة » بعده
وما كان فيها بكر « عتبة » راضيا
فان تقطعوا رجلى فانى مسلم
أرجى بها عيشا من الله دانيا
وبعت بها عيشا تعرفت صفوه
وعالجته حتى فقدت الادانيا
فاكرمنى الرحمن من فضل منة
بثوب من الاسلام غطى المساويا
وما كان مكروها لدى قتالهم
غداة دعا الاكفاء من كان داعيا
ولم يبغ اذ سالوا النبى سواءنا
ثلاثتنا حتى حضرنا المناديا
لقيناهم كالاسد نخطر بالقنا
نقاتل فى الرحمن من كان عاصيا
فما برحت أقدامنا من مقامنا
ثلاثتنا حتى أزيروا المنائيا

وشهد المجتمع العربى عددا كبيرا من الابطال الذين نذروا انفسهم لرسالتهم السامية ، وساروا الى الامام بعزم صادم وانه ليضيق هذا المجال عن التحدث بابطال الاسلام المغاوير ، ولكننا نقف برهة عند « أسد الله حمزة بن عبد المطلب » عم النبى صلى الله عليه وسلم لنستمع من « حسان بن ثابت » ما قاله فى بطولته فى موقعة احد :

دع عنك دارا قد عفا رسمها
وابك على «حمزة» ذى النائل
اللابس الخيل اذا أحجمت
كالليث فى غابته الباسل
ابيض فى الذروة من هاشم
لم يمر دون الحق بالباطل
مال شهيدا بين أسيافكم
شلت يدا « وحشى » من قاتل
صلى عليه الله فى جنة
عالية مكرمة الداخل
كنا نرى « حمزة » حرزا لنا
فى كل أمر نابنا نازل
وكان فى الاسلام اذ تدرأ
يكفيك فقد القاعد الخاذل
لا تفرحى « يا هند » واستحلبى
دمعا واذرى عبرة الثاكل
وابكى على « عتبة » اذ قطه
بالسيف تحت الرهج الجائل
اذ خر فى مشيخة منكم
من كل عات قلبه جاهل
أرداهم « حمزة » فى أسرة
يمشون تحت الخلق الفاضل
غداة « جبريل » وزير له
نعم وزير الفارس الحامل

وجدير بنا ونحن بصدد عرض نماذج هذه البطولات أن نذكر ببطولة « جعفر بن أبى طالب » فى غزوة « مؤتة » بعد ان استشهد « زيد بن حارثة القائد الاول للمعركة فاخذ الراية « جعفر » فقاتل بها حتى اذا لم يجد مخلصا رمى بنفسه عن فرس له شقراء ، ثم ضرب قوائمها بالسيف وهى قائمة ، وأخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فاخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها
طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة أنسابها
على اذا لاقيتها ضرابها

وقد اثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء . ولما قتل « جعفر » اخذ الراية « عبد الله بن رواحة » الشاعر المدافع عن المسلمين ، ثم تقدم بها وهو على فرسه وهو يقول :

يا نفس الا تقتلى تموتى
هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت
ان تفعلى فعلهما هديت

يريد ان تفعل فعل « زيد وجعفر » ثم اخذ سيفه ، فتقدم فقاتل حتى استشهد ، وفيهم يقول حسان بن ثابت :

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا
«بمؤتة» منهم ذو الجناحين«جعفر»
و «زيد وعبدالله» حين تتابعوا
جميعا واسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم
الى الموت ميمون النقيبة أزهر

على أن الشعر العربى لم يترك غزوة للرسول عليه السلام ، ولا حربا الا سجلها روحا عارمة فى شعر مضطرم ، وكم حارب الرسول ، وغزا حتى اجتمع العرب على الدين الحنيف ، وحتى خلق منهم أمة متآخية قد غسل الاسلام احقادها الى غير رجعة ، وحمل الدين الجديد الى العرب معتقدات ومفاهيم دينية وخلقية واجتماعية جديدة تغاير المفاهيم الجاهلية ، وسن من الشرائع ما هو كفيل بتنظيم المجتمع العربى ، وانقضى بذلك عصر الوحدات القبلية الضيقة التى كانت تقف حائلا دون احساس العرب بقوميتهم الجامعة ، وقد اتيح لهذه الأمة اخيرا أن تتوحد فى ظل الراية الاسلامية ، ومازال عليه السلام يدعو هذه الدعوة الروحية ، وينفث بها فى قلوب العرب ، حتى انتقل الى الرفيق الاعلى . والى العدد القادم ان شاء الله للحديث عن البطولات فى شعر الفتوحات الاسلامية .

قطوف

الأستاذ على الجندى

الصلاة عرس الموحدين

قال العلائى فى تفسير سورة «العنكبوت» الصلاة عرس الموحدين • فانه تجتمع فيها الوان العبادات ، كما أن العرس تجتمع فيه ألوان الطعام !

●

الريـاء :

قال عمر – رضى الله عنه – : هاجروا ولا تهجروا •

أى لا تتشبهوا بالمهاجرين من غير اخلاص!

ومن قول عبد الملك بن مروان : لا تكلفونا أعمال المهاجرين الأولين ، وأنتم لا تعملون أعمالهم !

●

الربـانى :

جاء فى القرآن الكريم : « كونوا ربانيينَ »

وجاء فى وصف الحسن البصرى للامام على: ربانى هذه الأمة •

وتفسير الربانى : المتاله العـارف بالله – تعالى – •

وهو منسـوب الى الرب : أى الله – عز وجل – فالربانى كقولهم : الهى •

أو ربانى : لفظة سريانية •

ورب كل شىء : مالكه ومستحقه أو صاحبه وجمعه : أرباب وربوب – بضم الراء – •

والرب – باللام – لا يطلق لغيـر اللـه – سبحانه وتعالى – •

●

كل امرىء حسيب نفسه :

قال – تعالى – : « كفى بنفسك اليـوم عليك حسيبا » •

قال الزمخشرى : لم ذكر حسيبا ؟

قلت: لأن الحسيب بمنزلة القاضى والشاهد والأمين ، وهذه الأمور يتولاها الرجال غالبا ، فكأنه قال : كفى بنفسك رجلا حسيبا •

وكان الحسن البصرى – اذا قرأها – قال: يابن آدم ، أنصفك والله من جعلك حسيب نفسك •

حروف المعجم :

ما كان من حروف الهجـاء على حرفينْ • فالعرب تمده وتقصره ، فيقولون :

باء • تاء • ثاء •

ومنهم من يقصره ، فيقول : با • تا • ثا •

ومنهم من ينونه ، فيقول : باً • تاً • ثاً •

وحرف الزاى فيه خمسة أوجه :

من العرب من يمدها ، فيقول : زاء •

ومنهم من يقول : زاى •

ومنهم من يقول : زا بالقصر •

ومنهم من يقول : زاً بالتنوين •

ومنهم من يقول : زى بالتشديد •

عزة امرأة عربية !

قال الأصمعى : اذا أرادوا العز والمنعة قالوا : انه لأمنع من « أم قرفة » .

وأم قرفة هى بنت مالك بن حذيفة بن بدر. وقال غيره : بنت ربيعة بنت بدر .

وانما ضرب المثل بعزتها ومنعتها ، لأن بيتها كان يحرسه خمسون سيفا ! بخمسين فارسا ! كلهم محرم لها !

●

المجالس الكريمة :

قال أبو ادريس الخولانى: المساجد مجالس الكرام .

وقيل للاحنف بن قيس : أى المجالس أطيب ؟

قال : ما سافر فيه البصر ، واتدع فيه البدن .

أى لقى الدعة والسكون .

وقيل للمهلب بن أبى صفرة : ما خير المجالس ؟

قال : ما بعد فيه مدى الطرف ، وكثرت فيه فائدة الجليس .

●

الكذب المباح :

فى الحديث الشريف« ما لى اراكم تتهافتون فى الكذب تهافت الفراش فى النار !

كل الكذب مكتوب ، الا الكذب فى الحرب والكذب فى اصلاح ذات البين، وكذب الرجل على امرأته ليرضيها » .

●

رثاء اخ :

كان متمم بن نويرة كالخنساء فى جودة رثائه لأخيه مالك بن نويرة الذى قتله خالد ابن الوليد ـ رضى الله عنه ـ فى حروب الردة .

ومن قوله :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأنى ومالكا
ـ لطول اجتماع ـ لم نبت ليلة معا

وكان زيد بن الخطاب أخو عمر ـ رضى الله عنهما ـ قتل شهيدا يوم اليمامة !

وكان عمر متوجعا لموته مع صبره واحتسابه حتى كان يقول : انى لأهش لريح الصبا ، لأنها تأتينا من ناحية زيد !

فلقى يوما متمم بن نويرة فقال له : لوددت انى رثيت أخى زيدا بمثلما رثيت به مالكا أخاك !

وفى رواية : لو كنت أقول الشعر كما تقول ، لرثيت أخى كما رثيت أخاك !

فقال متمم : يا أبا حفص ، والله لو علمت أن أخى صار بحيث صار أخوك ما رثيته !

ويروى انه قال : لو أن أخى مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته !

وبهذا احتج من اعتذر لخالد فى قتله !

وقد سر عمر ـ رضى الله عنه ـ لهذا الجواب، فقال: ما عزانى أحد بمثل تعزيتك !

ويذكرون : أن متمما رثى « زيدا » مجاملة لعمر ، ولكن رثاءه كان دون رثائه لأخيه مالك . فقال له عمر : لم ترث زيدا كما رثيت أخاك مالكا !

فقال : لأنه يحركنى لمالك ما لا يحركنى لزيد !

وقد صدق متمم . فهذا معنى قولهم : ليست الثكلى كالنائحة المستأجرة !

وهذا ما يعنون به صدق الأداء «فى النقد»!

●

منزلة السلطان :

مما نسب لعثمان أو لعمر ـ رضى الله عنهما ـ والأصح الأول قوله : ان الله ليزع بالسلطان ما لايزع بالقرآن » .

ومن ذلك قول المهلب لبنيه : اذا وليتم أمور الناس ، فلينوا للمحسن ، واشتدوا على المريب ، فان الناس للسلطان ، أهيب منهم للقرآن !

دلائل الألوهية :

يقول الجاحظ : ان الجبل ليس بأدل على الله – تعالى – من الحصاة !

وليس الطاووس المستحسن بأدل على الله من الخنزير المستقبح !

والماء والثلج – وان اختلفا فى جهة البرودة والسخونة فانهما لم يختلفا فى جهة البرهان والدلالة !

●

سبحان الله قد تكون ذنبا !

قال الفضيل : قد يقول الرجل : سبحان الله وأخشى عليه بذلك النار !

يريد الرجل المستمع لمن يغتاب الناس ، فيقول : سبحان الله ! ليكثر المغتاب من الغيبة ويزيد فيهما ! وهى طريقة خبيثة لبعض الخبثاء !

●

اذا نزل القضاء عمى البصر :

سأل نافع بن الأزرق ابن عباس – رضى الله عنهما – : كيف ان سليمان – عليه السلام – مع ما أعطاه الله من الملك وغيره ، عنى بالهدهد مع صغره ؟

فقال ابن عباس : انه يحتاج الى الماء ، ويقولون : ان الهدهد كانت الأرض له كالزجاج !

فقال ابن الأزرق : قف يا وقاف ! كيف يبصر الهدهد الماء من تحت الأرض ولا يرى الفخ اذا غطى له بقدر أصبع من تراب ؟!

فقال ابن عباس : اذا نزل القضاء عمى البصر وأنشدوا فى ذلك لأبى عمر الزاهد :

اذا أراد الله أمرا بامرىء
وكان ذا عقل ورأى وبصر
وحيلة يفعلها فى دفع ما
يأتى به محتوم أسباب القدر
غطى عليه سمعه وعقله
وسله منه ذهنه سل الشعر
حتى اذا أنفذ فيه حكمه
رد عليه عقله ليعتبر

غفر له بسبب بيت !

●

رؤى الشاعر التهامى المشهور بحسن رثائه للابناء بعد موته ،

فقيل له : ما فعل الله بك ؟

فقال : غفر لى !

فقال : بأى الأعمال ؟

فقال بقولى فى مرثيتى لولدى :

جاورت أعدائى وجاور ربه
شتان بين جواره وجوارى

ورؤى بعض المسرفين على أنفسهم فى حال حسنة بعد الموت ! فسئل بم غفر لك ؟

قال : بسبب قطة رأيتها ترعد زمن الشتاء فى بعض شوارع بغداد ، فرحمتها وجعلتها بين أثوابى !

●

عقوبة متكبر !

قال بعض الصالحين : رأيت فتى مترفا يطوف بالكعبة المشرفة ، وحوله خدم يمنعون الناس من الطواف حتى لا يزاحمه أحد !

ثم مرت سنين فرأيته بجسر الرصافة يسأل الناس !

فسألته : ماذا جرى عليك ؟

فقال : تكبرت فى موضع يتواضع الناس فيه ! فأذلنى فى موضع يتكبر الناس فيه !

●

من « الجنديات »

الحياة للقوى !

هاتوا السلاح وجندوا فتيانكم
فالجند رده للحمى وظهير
لا عيش فى الدنيا لشعب أعزل
يسطو به من شاء وهو حسير
الورد – وهو أخو الخدود لطافة
من شوكه حصن عليه ، وسور
كيف الأمان وفوقنا قمر الدجى
أفضى اليه من الغزاة نذير
الضعف ذنب فى زمان غادر
الناس ذؤبان به ونمور

عقوبة الاعدام !

مالها وما عليها فى الشريعة والقانون

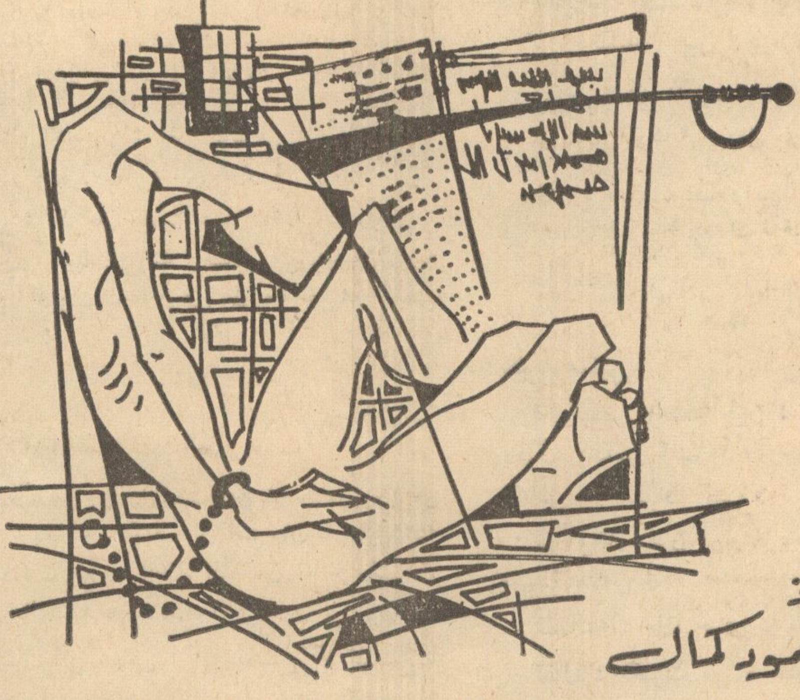

الأستاذ
محمود كمال

فى مقالنا السابق عن هذا الموضوع المنشــور فى العدد الاخير من هذه المجلة الغراء ، تكلمنا عما يمكن ان نسميه « تاريخ العقوبة » ، وقلنا انها بدات ، منذ ان كان الانسان بدائيا ، انتقاما من الاعداء والخصوم ، منفعلة بدوافع من طبيعة الاشياء وطبيعـة الانسان فى تلك الازمان الغابرة السحيقة ، ثم انتهت ، فى عصرنا الحاضر ، عصر الحضارة والمدنية ، والنور الى كونهـا قد اصبحت اصلاحا وتهذيبا .

وقلنا ان نظام السجون فى الدول المتحضرة قد تغير وتشكل حسب تغير وتشكل الاغراض والمقاصد المتوخاة من العقوبة فى ذاتها ، واتينـا على ماكان لدينـا من شواهد على صحة هذا النظر .

ورغم أن النية كانت متجهة الى حصر مقال اليوم فى الكلام على تتمة الحديث ، وهو مايخص عقوبة الاعـدام ما لها وما عليها ، على اختلاف الآراء فى صـــلاحية ابقائها فى التشريعات الوضعية او الغائها ، غير اننا لم نجد بدا من العودة ، فى افتتاح هـــذا المقال ، الى العقوبة بصفة عامة ، وما ينجم عنها من آثار مختلفة ، وذلك بسبب مناســـبة عرضت ، هى انى اطلعت فى جريدة « الاخبار » بتاريخ يوم السبت ١٥ يناير سنة ١٩٦٦ على خبر مفادة ان حكومتنا الرشيدة قررت تشغيل بعض المسجونين فى اصلاح الاراضى الزراعية فى منطقة مديرية التحرير او مايجاورها ، على ان يتقاضى كل مسجون يومية قدرها عشرة قروش ، وعلى ان تحتفظ له مصلحة السجون بما يتجمد من اجر عن هذا العمل طيلة مدة اشتغاله فيه ، الى حين الافراج عنه ، حيث يجده محضرا لديه ، عند خروجه ، يستغله فى فتح باب من ابواب الارتزاق ، فيغنى بهذه الوسيلة عن الالتجـــاء الى احد ، وعن مذلة رجاء اى من خلق الله .. فى لرتكانة وخضوع ، عسى ان يجد له مخرجا مما يعانيه من عوز ، وشدة وضيق ، وناهيك بموقف الناس من سجين ، وخشيتهم من ماضـيه ، فهم ينفـرون منه ، ويهربون ، فلا تمتد اليه يد بمساعدة او معاونة ، ولا ترتفع الى سمعه كلمة عطف ، وحنان ، وغفران عما جنت يداه من قبل ، فاذا ماوجد المال فى يديه بما يغنيه عن هذه المذلة ، لم يال جهدا فى مواصـــلة السعى وراء الرزق الحلال ، وبهذه الطريقة يصلح الله من شـــانه حتى يصير عضوا نافعا لنفسه ، ولا يصيبن المجتمع منه الا الخير ، ويكون هذا العمل من جانب الحكومة قد اثمر اطيب الثمرات للفرد وللمجتمع فى آن واحد .

والامر لايقتصر على الفائدة المادية المتوخاة من المال الذي يجنيه فيجده متوفرا لديه حين الافراج عنه ، بل انه ليتعدى ذلك الى فوائد نفسانية ، بيانها ان الحكومة قد اعدت لهؤلاء المسجونين اماكن صالحة ، ولو الى حد ما ، لاقامتهم فى تلك الجهات ، بدلا من الاماكن الخشنة التي كانوا يعيشون فيها بين جدران السجون • تلك الاماكن التى تشعرهم بقسوة الحياة ، وفقدان آدميتهم ، فضلا عما يلاقونه من غلظة فى المعاملة ، مما يحفظ نفوسهم على المجتمع ويوغر صدورهم ضده •

ليس هذا فحسب ، بل ان المسجون اذ يتنسم ريح الحرية الطلق ، فى هذه الاماكن الواسعة الفضاء ، ويعامل ، فى ذات الوقت • بمثل هذه المعاملة فى شيء من الرفق والاناة ، يتوق بطبيعته الانسانية الى حياة الاستقامة ، لكي يعرف مابقى له من ايام حياته فى هذه الدنيا مستمتعا بعيش كريم شريف ، فتكون تلك الحالة النفسية التى خلقتها الحرية ، فجعلته يتعطش اليها ، ويشعر بشعور الانسانية والكرامة ، حافزا له على الندم على ما ارتكب من ذنوب القت به الى غياهب السجون ، وعاملا قويا ، جازما ، ينفعل به فى دخيلته ، ويعتمل فى نفسه ، فيؤثر فى تفكيره وخيالاته ، ثم لايلبث ان يخلق منه انسانا آخر غير انسان الامس يهفو ، فى اشتياق ويقظة ضمير ، الى اقتلاع بذور الشر والاتجاه نحو الفضيلة والخير ، حتى يكون بذلك اهلا لان يندمج فى المجتمع عضوا نافعا لذاته • ولاولاده ، واهله ، على السواء •

عقوبة الاعدام

ونعود الى صميم موضوع المقال ، من حيث امكان ابقاء هذه العقوبة او الغائها :

اولا : الشريعة الاسلامية :

وكما هو شان الاسلام دائما فانه يعالج مشكلات الحياة من اقوم طريق ، واهدى سبيل ، فيضع العلاج الناجع والنافع لكل مشكلة منها ، ويرسم الخطة المثلى لمقاومة انحرافات الافراد ومساوىء المجتمعات ، ويرجع كل شارد عن شروده ، وكل معوج عن اعوجاجه ، وينصب من نفسه رقيبا على كل شذوذ يتنافى مع الصالح الخاص ، والعام ، او مع الادب الرفيع ، والسلوك الامثل •

« وفى الوقت الذى يفرض فيه •• الرقابة العامة على السلوك ، لايغفل جانب القوة المادية ، واستعمال العنف بالحسم ، والضرب على ايدى العابثين بالقانون ، والخارجين على النظام •• ومن ثم فهو يقرر لكل جريمة عقوبة ليستوفى المجرم جزاءه من ناحية ، ويرتدع امثاله من ناحية اخرى » فهو ، بهذه الكيفية ، يقتص من المجرم لينال جزاءه الحق على ما اقترفت يداه ، ولكى يرى غيره من الناس عاقبة البغى والعدوان فيرعوى ، ويصد عن الانسياق فى تيار الجريمة ، ثم لكى يحمى المجتمع من شرور المجرمين الذين يسيئون اليه ، ويهدمون كيانه ، ويقوضون اركانه •

ولعل ابشع صورة من صور الجريمة هى الصورة المثلة فى القتل وازهاق الروح ، فانها ذات طابع يتسم بالوحشية والتحدى ، اذ يسقط المجرم من حسابه كل القيم الانسانية ، ويفضى ، كذلك ، عن الآثار السيئة غاية السوء التى يعانيها المجتمع من جراء ارتكابه هذه الجريمة •

ولقد شرع الاسلام عقوبة « القصاص » باعدام كل انسان يقتل انسانا آخر عن عمد ، وذلك فى قول الله سبحانه وتعالى « ولكم فى القصاص حياة ياأولى الالباب»

وفى قول الرسول الكريم ، صلوات الله عليه « كتاب الله القصاص » وقد عبر العرب عن المعنى المقصود من الآية الكريمة ، والحديث الشريف ، فى قول مأثور هو ان « القتل انفى للقتل »

كما شرع هذه العقوبة فى جريمة الزنى للمحصن •

وفى جريمة الردة ، وجريمة المحاربة •

وعلى سبيل التعزيز سياسة فى الحالات التى يرى فيها ان الصالح العام يفرضها وقاية للمجتمع ودفعا للفساد من ان يستشرى فيه ، كجرائم التجسس وخلافها •

فالله ، جل شانه ، يقول « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض »

ويقول « النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والانف بالانف ، والاذن بالاذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص »

و « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والانثى بالانثى ، فمن عفى له من اخيه فاتباع بالمعروف ، واداء اليه باحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم •• »

وعقوبة الاعدام التى سنها القرآن ، فيما تقدم من آيات بينات ، عقوبة حتمية ، على ولى الامر تنفيذها ضد المعتدى الاثيم ، متى استوفت اركانها ، واستكملت شروطها ، ولا مفر من هذا القصاص ولن يكون حكم القرآن ، او تكون شريعة الرحمن ، محل جدل ومناقشة ، بل انه حكم باق على الزمان ، لايمسه تعديل ، ولا تغيير ، ولا تبديل •

ومعنى هذا القول انه لايجوز لاحد ان يتناول هذه العقوبة ، كما نزل بها الذكر الحكيم ، من ناحية امكان الغائها فى التشريعات الاسلامية •

وعلى هذا الاعتبار فموضوع هذا المقال قد صار محصورا فى الكلام على هذه العقوبة ، الغاء او ابقاء ، فى القوانين الوضعية فحسب •

القوانين الوضعية :

تمهيد :

وقبل الكلام على عقوبة الاعدام فى القوانين الوضعية من حيث امكان ابقائها او الغائها ، نتساءل عما هو الاساس الذى تبنى عليه هذه القوانين فرض هذه العقوبة فى نصوصها ؟

ان هذا الاساس هو بعينه الاساس الذى يقوم عليه مبدأ فرض العقوبة عامة ، وهو حق السلطة ، اى الحكومة ، فى حماية الافراد ، وحماية المجتمع واستقراره عن طريق مكافحة الجريمة ، سواء مايقع منها على الافراد ، نتيجة مشاكلهم النابعة من الترابط بينهم بعضهم وبعض فى العمل ، والمصالح المتبادلة ، او مايقع منها على المجتمع ، مما يتسبب فى اضطرابه ، واختلال ميزانه ، وعدم توافر الامن والاستقرار لديه •

وفى كلمات اخرى فان هذا الاساس مستمد من مسئولية الحكومة عن اقامة النظام فى بلادها ، وعن سلامة المجتمع استقراره والمحافظة عليه •

فكفالة النظام بحماية الافراد والمجتمع هو هدف العقوبة التى تفرضها تلك القوانين •

وجدير بالملاحظة فان هذا الهدف هو نفسه ماتوخاه الاسلام فى فرض العقوبة عامة ، وفى فرض عقوبة الاعدام ايضا ، كما سبق البيان •

فائدة عقوبة الاعدام :

وبادیء ذی بدء يجب ان تسأل ان كانت عقوبةالاعدام ذاتها ضرورية لمصلحة المجتمع ام غير ضرورية ؟

وذلك السؤال ناشیء عن ان فائدة العقوبة لاتقاس بقسوتها بقدر ماتقاس باثرها الرادع والخوف الذی تبثه فی النفوس ، وان الشدة فی العقوبة غير مستمد من فكرة الانتقام من المجرم بقدر ما هی مستمدة من حاجة المجتمع الى الدفاع عن نفسه ضد الاجرام والمجرمين

ولكی يكون هذا القول مفهوم الدلالة نذكر مثلا من الامثله يوضح المراد منه والمقصود به . ذلك ان قانون سنة ١٧٩١ الصادر فی فرنسا كان فيه « تلطيف فی العقوبات » عامة ، فنشأ عن ذلك ان اصبح المجتمع الفرنسی يعانی اضطرابا واختلالا ، مما ادى بواضعی قانون نابليون الصادر سنة ٨١٠ الى تشديد العقوبات فيه حتى لقد وصل الامر الى جعل عقوبة الاعدام فی جريمة قتل الاب مسبوقة بقطع يد القاتل ، وبسبب هذه الشدة فی العقوبات التی تضمنتها نصوص ذلك القانون والسياسة الرادعة التی اتسمت بها نصوصه ، حصل المجتمع الفرنسی على الاستقرار المنشود .

على انه قد نشأت ، بعد الثورة الفرنسية ، نظريات منها نظرية العدالة المطلقة ، وايضا النظرية القائمة على التوفيق بين الفائدة المطلوبة من العقوبة ، وهی الارهاب والردع وحماية المجتمع ، وبين العدالة المطلقة . « فالعقوبة من حيث تقديرها تخضع لحد اعلى مزدوج : فيجب ان لاتفوق ماهو عادل من جهة ، وما هو مفيد من جهة اخرى ، فلا عقوبة تفوق الحد المعين على اساس اعتبارات عادلة حتى ولو كانت مفيدة ، ولا عقوبة تفوق حد المفيد حتى ولو كانت عادلة » .

وقد تدخلت هذه النظرية فی القانون وترتب عليها تخفيض عام فی العقوبات ، فالغيت عقوبة الاعدام بالنسبة الى الجرائم السياسية ، وترتب على هذا التخفيض زيادة فی عدد الجرائم .

ومن اجل هذا فقد صار واضحا انه ، عندما يلاحظ فی تقرير العقوبة التشديد فيها لامكان الحصول على الفائدة المرجوة منها للمجتمع فانه يتمتع بامن متزايد .

ويمكننا ، بعد هذا الايضاح ، ان نجيب على السؤال الذی قدمناه قبلا ، وهو .. هل عقوبة الاعدام ضرورية لكفالة امن المجتمع وسلامته مما يؤدی الى الاستقرار المطلوب له ام لا ، فنقول بضرورتها لامكان تحقيق ذلك الغرض .

وفی الواقع فان هذا الغرض هو سبب من الاسباب الهامة التی يرتكز عليها اصحاب الرای القائل بابقاء هذه العقوبة وعدم الغائها .

وتوجد اسباب اخرى يبينها اصحاب هذا الرای ، سوف نذكرها مع الاسباب المضادة الداعية الى الالغاء فيما يلی من بيان :

اولا : اسباب الرای القائل بالالغاء

١ ـ ان الجماعة لاتستفيد شيئا من اعدام المجرم ، واليس من الاصلح لها صلاحه بدلا من استئصاله ، ذلك لانه مريض يجب علاجه ومداواته ورده الى الجماعة عضوا صالحا نافعا .

٢ ـ الضرر الناتج عن هذه العقوبة لاحد له ، ولا يتناسب مع الجريمة التی ارتكبها المحكوم عليه .

٣ ـ الاخطاء التی تقع بسبب الحكم بالاعدام ، تسبب اضرارا لايمكن ان تعوض اذ من الجائز ثبوت براءة المحكوم عليه مما كان قد نسب اليه ، وذلك بعد تنفيذ المحكوم عليه .

٤ ـ لم يكن المجتمع هو الذی وهبه الفرد الحياة حتى يصير من حقه سلبها منه باعدامه .

٥ وعقوبة الاعدام ذات صور بشعة ، يتاذى منها الشعور الانسانی ، وتنفرد منه التقاليد الموعية فی البلاد المتمدينة .

ثانيا : الاسباب التی يبديها اصحاب الرای القائل بالابقاء :

١ ـ ان عقوبة الاعدام لاتوقع الا فی الجرائم الخطيرة التی تدل على تاصل روح الاجرام لدی الجانی . وانه عضو فاسد لايصلحه علاج ، بل انه واجب بتره ، لانه لايرجى له صلاح .

واذا كانت هذه العقوبة تسبب اخطاء لايمكن اصلاحها بعد اعدام المحكوم عليه . وظهور براءته . فان هذا نادر الحدوث ، والنادر لا يبنى عليه حكم او رأی سليم . فضلا عن ان هذه الاخطاء تنطبق على عقوبات جسيمة اخرى مثل عقوبة الاشغال الشاقة المؤبدة التی تؤثر ، اسوا تاثير ، فی صحة المحكوم عليه ، وفی نفسيته ، بصورة قد لايمكن تلافی الاضرار الناشئة عنها .

٣ ـ واذا كانت الجماعة لم تمنح المحكومة عليه حق الحياة ، فهی لم تعطه . ايضا حق الحرية ..حتى تسمح لنفسها بسلب حريته ، فكيف اذن . يسوغ لهذه الجماعة . سجن الناس وتقييد حرياتهم ، تنفيذا لعقوبة صادرة عليهم وانه يترتب على القول بان الجماعة لاحق لها فی سلب الحياة ، ولا فی سلب الحرية ، الغاء جميع العقوبات بانواعها

٤ ـ اما كون الضرر الناشیء عن الاعدام لاحد له ، ولا يتناسب مع الجريمة . فهو امر يصدق على العقوبات الاخرى حيث انه من المتعذر تحقيق التناسب الكامل بين الجرائم وما يشرع لها من عقوبات .

٥ ـ ويرد على ان عقوبة الاعدام ذات صورة بشعة ، بان الجريمة المرتكبة ذات صورة بشعة ايضا .فالجزاء اذن ، من جنس العمل واعدام هذا المجرم « فيه حياة للابرياء الذين يسلمون بموته من شره واذاه »

وقد الغت بعض الدول هذه العقوبة من تشريعاتها ، تاثرا بالنظرية القائلة بالالغاء ، ومنها : رومانيا ، سنة ١٨٦٤ ـ والبرتغال ، سنة ١٨٦٧ ، وغيرها كثير . ١٨٧٠ ، وايطاليا ، سنة ١٨٨٩ ، وغيرها كثير .

ومنذ نحو شهر فقط الغيت هذه العقوبة فی انجلترا ايضا .

وتطبق هذه العقوبة فی زمن الحرب ، طبقا للقوانين العسكرية ، حتى فی البلاد التی قررت الغاءها .

وفی ختام هذا البحث نذكر ان احد رجال القانون يقول ان هذه العقوبة « ستزول .. فی اليوم الذی تكفی فيه العقوبة التالية لها ، وفی شعور الرای العام ، والتقاليد للدفاع عن المجتمع »

ونقول له ان هذا لن يحدث فی يوم من الايام لانه يتنافى مع طبيعة الاشياء . وطبيعة الحياة ، وان الشرائع السماوية قد نزلت بهذه العقوبة لانها اعلم بطبيعة البشر .

ولقد استعرض المؤتمر الخامس للمحامين العرب حجة كل من الفريقين ، المؤيد لابقاء العقوبة ، والمعارض لها وقرر فی النهاية الابقاء عليها من حيث المبدأ فی الجرائم العادية ـ وذلك يعنی ان الجرائم فی زمن الحرب لاتحتاج فی تقريرها الى جدل او مناقشة .

ورأی المؤتمر يعزز ، بلا شك ، وجهة نظرنا فی ان طبيعة الاشياء ، وطبيعة البشر ، تحتم الابقاء عليها وعدم الغائها

مع سيدنا عثمان في خلافته

الأستاذ عبد العال السيد شعيب

لما ولى عثمان الخلافة ، وجد أن الأمصار الكبرى للمسلمين هى ما يأتى :

١ – مكة وأميرها نافع بن الحارث الخزاعى .

٢ – الطائف وأميرها سفيان بن عبد الله الثقفى .

٣ – صنعاء وأميرها يعلى بن منيه حليف بنى نوفل ابن عبد مناف .

٤ – الجند وأميرها عبد الله بن أبى ربيعه .

٥ – البحرين وما والاها ، وأميرها عثمان بن أبى العاص الثقفى .

٦ – الكوفة وما يتبعها وأميرها المغيرة بن شعبة الثقفى .

٧ – البصرة وما يتبعها وأميرها أبو موسى عبد الله ابن قيس الأشعرى .

٨ – دمشق وأميرها معاوية بن أبى سفيان الأموى .

٩ – حمص وأميرها عمير بن سعد .

١٠ – مصر وأميرها عمرو بن العاص .

وقد أراد عثمان أن يتعرف على هذه الأمصار أولا بأول ، وأن يتابع كل ما يجرى فيها ، فكتب أن يوافيه العمال فى كل موسم هم ومن يشكوهم ، وكتب الى الناس فى الأمصار أن ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، ولا يذل المؤمن نفسه ، فانى مع الضعيف على القوى ما دام مظلوما ان شاء الله ، هذه الوصية التى صدرت من خليفة المسلمين للرعية ، تدل أبلغ دلالة على حرصه على أن يتفيأ الجميع ظلال العدالة ، وأن يعيشوا أعزة بدينهم وبمبادئهم فلا يذل المؤمن ولا يرضى الدنية لنفسه ، وهو يقصد من هذا التوجيه أن يتعود الأفراد المحافظة على كرامتهم ، والأمة التى تتكون من أفراد أصحاب كرامة وعزة أمة عزيزة الجانب قوية شديدة البأس يخافها الأعداء ويهابها الأصدقاء ، وليست هذه التعاليم خاصة بزمان معين ، ولا بقوم مخصوصين ، انما هى تعاليم للأمة الاسلامية جميعها فى مختلف جهاتهم وعلى اختلاف أزمانهم ، وعزة المؤمن من عزة الله – وصدق الله العظيم فى قوله (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) .

ومن صفات عثمان رضى الله عنه الجود ، وكان يحث عماله على أن يكونوا كرماء سمحاء ، يروى التاريخ الصادق أن عبد الله بن عامر فاتح خراسان وأطراف فارس وسجستان وكرمان قدم المدينة ، فقال له عثمان : صل قرابتك وقومك ، ففرق فى قريش والأنصار عددا كثيرا من الأموال والكسوات ، وأرسل الى على بن أبى طالب بثلاثة آلاف درهم أولا ثم زاده الى عشرين ألف درهم ، وقال فيه على ! هو سيد فتيان قريش غير مدافع .. ومن ذلك أن عامله على الكوفة كتب اليه أن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم ، وغلب أهل الشرف منهم ، والغالب على تلك البلاد روادف ردفت وأعراب لحقت . حتى ما ينظر الى ذى شرف ولا بلاء من نازلتها ولا من نابتتها ، فكتب اليه عثمان : أما بعد ، ففضل أهل السابقة والقدمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد ، وليكن من نزلها بسببهم تبعا لهم ، الا أن يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوا القيام به ، وقام به هؤلاء ، واحفظ لكل منزلته ، واعطهم جميعا بقسطهم من الحق فان المعرفة بالناس ، بها يصاب العدل » .

وهذا البذل معروف لسيدنا عثمان رضى الله عنه قبل أن يكون خليفة للمسلمين ، فقد حدث فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم أن جمع الروم جيشهم للهجوم على بلاد العرب من جهة الشمال ، وكان ذلك

فى عام اشتدت فيه الأزمة المالية عند المسلمين حتى سمى بعام العسرة . فدعا النبى أغنياء المسلمين الى الاشتراك فى تجهيز جيش المسلمين ، فاعلن عثمان بن عفان تبرعه بالف دينار حملها فى ثوبه ووضعها فى حجر الرسول ، والرسول يقلبها بيده وهو يقول : ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم ، اللهم لا تنس هذا اليوم لعثمان ، وكان الرسول يدعو له بقوله « اللهم انى رضيت عن عثمان فارض عنه ، فما يزال يدعو حتى يطلع الفجر » فتنزل الآية الكريمة « الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وهذا تكريم من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان على نبله ومروءته ، فقد انفق فى سبيل الله ، ولا يبتغى من وراء ذلك جزاء من احد ولا شكورا من انسان ، انما المشاركة الوجدانية ، وحب الخير ، ورقة القلب ، وسمو المشاعر ، كل ذلك يحمله على أن يتبرع بجزء كبير من ماله ابتغاء وجه الله ، ولا يتبع نفقته منا ولا أذى ، ولهذا استاهل بشارة الرسول فى قول القرآن الكريم (لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

وهناك حادث آخر يدل على ما لعثمان من قدم راسخة فى المروءة والسخاء ، فقد تعرضت المدينة لمجاعة شديدة ، حتى أصبحت المواد الغذائية بندر الحصول عليها ، وارتفعت الأسعار ارتفاعا فاحشا ، واشتد الغلاء ، فجاءت قافلة يملكها عثمان بن عفان ، تحمل بضائع من بلاد الشام ، فاسرع التجار اليها وتوجهوا الى صاحبها عثمان ، وعرضوا عليه شراءها بأرباح كثيرة عرضوا أن يعطوه ربحا يساوى ثمنها فابى ، فزادوه الى مثلى الثمن ، والى ثلاثة امثاله ، ولكنه يرفض فصاروا يزيدون حتى بلغ ما عرضوه عليه سبعة أمثال الثمن فرفض وقال لهم : انى ساخذ فيها عشرة امثال ثمنها فقال التجار : نحن جميعا تجار المدينة حضرنا اليك وما غاب منا أحد ، فمن الذى عرض عليك ما تقول ؟ فقال لهم عثمان رضى الله عنه : يا جماعة التجار ان الذى سيعطينى عشرة أمثال الثمن هو الله رب العالمين الذى يقول فى كتابه العزيز (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ولهذا فانى أشهدكم بانى تبرعت بحمولة هذه القافلة جميعها لفقراء المدينة) .

ان هذا درس رائع لتجارنا فى مجتمعنا الحاضر ، ومثل أعلا لما يجب أن يكون عليه أصحاب الأموال ، من ايثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، ومن ابتغاء رضوان الله والسعى الى الحصول على رضاه ، فالمال عرض ياتى ويزول ، قد يكثر فى يد الانسان اليوم ، ثم يقل منه فى الغد ، لكن الذى يبقى هو العمل الصالح وطيب المعروف ، وصدق القائل الذى يقول :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

فهو ايثار ، قد ربح رضوان الله ، وحسن ثوابه ، وحصل كذلك على رضا ضميره وابناء أمته ، لانه خرج باختياره الكامل عن جزء من ثروته لعل جائعا هو فى أشد الحاجة الى لقمة من طعام فيشبع ، أو لعل عاريا فى امس الحاجة الى ما يستر الجسد فيكسى ، أو لعل مريضا هو فى أشد الفاقه الى دواء يدفع به داءه ويرد به علته فيجد الدواء ، وبهذا يسود المجتمع المحبة والمودة ، وتتوثق عرا الأخوة بين الجميع ، فيعيش الناس فى امان وطمانينة وسلام ، لا يحقد معدم على غنى ، ولا ينسى صاحب الثروة حق أخيه الفقير ، بل الكل فى حق الحياة سواء ، فالجميع ابناء وطن واحد تظللهم راية الحب والتعاون ويتحقق فيهم قول الرسول الكريم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

ونعود الى عثمان فى خلافته ، فنجده يؤكد الفتح الاسلامى بتجهيز جيوش تكون على أهبة الاستعداد لنشر دين الله ، ورفع راية الاسلام فى سائر جهات الأرض ، وفى سنة ٢٨ هـ فتح معاوية جزيرة قبرص وغزا معه جمع كثير من الصحابة ، منهم عبادة بن الصامت ، ومعه زوجته أم حرم بنت سلمان ، وكان معاوية كثيرا ما يتمنى غزو الروم فى البحر الا أن عمر كان يمنعه من ذلك ، لأنه كان يرى الغزو فيه تغريرا بالمسلمين ، كتب عمر الى عمرو بن العاص : صف لى البحر وراكبه فان نفسى تنازعنى اليه ، فكتب اليه عمرو : انى رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير ، ان ركن خرق القلوب ، وان تحرك أزاغ العقول - يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة ، هم فيه كدود على عود ، ان مال غرق ، وان نجا برق .. فلما قراه عمر كتب الى معاوية ، لا والذى بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا .

فلما كان زمن عثمان أذن له فى ذلك ، وقال له : لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله واعنه ، ففعل ، وسار الى قبرص ، ففتحها صلحا على سبعة آلاف دينار كل سنة ، وحدث أن انتقضت الاسكندرية على حاكم مصر عمرو بن العاص ، وذلك بسبب مكاتبات ملك الروم وتسييره اليهم أحد قواده فى أسطول عظيم فسار اليها عمرو وافتتحها بعد ان هزم الروم هزيمة منكرة وهدم سور الاسكندرية ، واستولى على كثير من مراكب الأسطول .

وسير عمرو عبد الله بن سعد بن ابى سرح الى افريقية ، وهى السواحل الشمالية للقارة من طرابلس الى طنجة ، فسار ابن سعد واستولى على كثير من المدن التى كانت تابعة للروم ، وانتهى أمره معهم بالصلح على أن يدفعوا له الفين وخمسمائة الف دينار ، وفى زمن امارة عبد الله بن سعد ، بلغه مجىء ملك الروم باسطول عظيم فيه ستمائة مركب ، فسار اليه ابن سعد باسطوله وخرج معاوية بنفسه من الشام بأسطوله ، وقد تقابلت هذه المراكب بأسطول قسطنطين ، ودارت بين الفريقين رحا الحرب على سطح البحر ، وكانت وقعة عظيمة سميت ذات الصوارى ؛ وانهزمت فيها مراكب الروم هزيمة منكرة وجرح ملكهم فانهزم بمن نجا من قومه ، واستولى المسلمون على كثير من مراكبهم وبذلك يتبين أن الدولة الإسلامية فى عهد عثمان بن عفان صارت دولة بحرية بما صار اليها من مراكب الروم ، وبما استحدثه معاوية وعبد الله بن سعد من المراكب ، وكانت هذه المراكب ضرورة لازمة للمسلمين فقد أصبحت لهم ثغور اسلامية ، تتعرض كثيرا لاغارة الروم عليها من وقت لآخر ، فاقتضى الأمر وجود قوة بحرية ضاربة ، تستطيع ان ترد كيد المعتدين اذا حاولوا الاعتداء على أحد ثغور المسلمين ، وكلما كانت الدولة قوية كان لها سلطانها وقوتها فى المجتمع الانسانى ، فتكون مرهوبة الجانب ، مسموعة الكلمة ، لا يبرم أمر دونها ، ولا ينتقص أحد من عزتها وكرامتها ، وهذا هو شأن القوة فى كل زمان ومكان ، هو شأن القوة فى الماضى وهو شانهافى الحاضر ، ولهذا كان من صفات الله تعالى أنه صاحب قوة فقال (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وفى الحديث الشريف « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير » ■

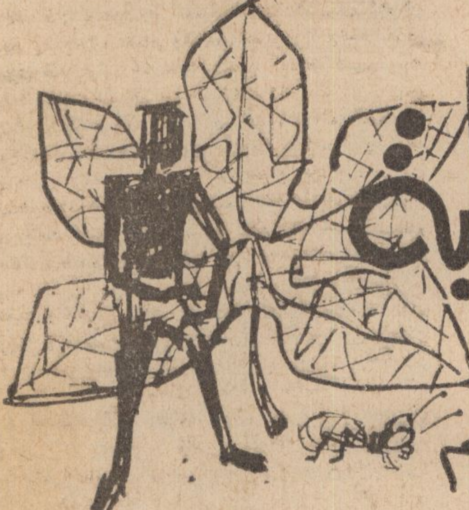

الحياة والنهاية

كما يصورهما القرآن الكريم

الأستاذ اسماعيل كشميرى

« ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض . ربنا ما خلقت هذا باطلا . »

كانت مسألة خلق الكون ونشأة الحياة فى الارض من المسائل التى حار فيها العلماء ولم يصلوا فيها الى حل رغم ما أحرزه العلم من تقدم ، وكانت الآراء التى عرضها العلماء فى هذا السبيل خاصة تلك التى تعالج شئون الكون وثباته وتحركه وانبساطه بعد الانفجار ونشوء الحياة بين الناس على الارض ، وخلق مختلف المخلوقات الاخرى ، وكانت هذه الآراء ـ وما تزال ـ مثار جدل لا ينتهى »

وقد كانت مسألة الخليقة كما صورها الانجيل من أن الله خلق العالم سنة ٤٠٠٤ قبل الميلاد وان الله أتم هذا العمل الكبير فى أيام الاثنين والثلاثاء والاربعاء واستراح يوم الاحد ، كان لهذه الآراء أثرها فى العلماء الغربيين الذين لم يرضوا عن هذه الفكرة . وقد أدت هذه الحالة التى تعرض لها هؤلاء العلماء من رفضهم لفكرة الانجيل أن رفضوا كل فكرة دينية تضمنها أى دين آخر عن الخليقة ، ظنا منهم أن الافكار التى ينطوى عليها أى دين آخر ليست الا شبيهة بالأفكار والمعانى التى تضمنها الانجيل .

ولكن العلماء الذين درسوا آيات الكون كما وردت فى القرآن الكريم يدركون لأول وهلة حركة التضليل التى يسعى اليها هؤلاء العلماء ويتقبلون هذه الآيات وما فيها قبولا يرضاه العلم والعقل والمنطق ، ويستخرجون منها ما ينطبق تمام المطابقة على ما انتهت اليه الابحاث والكشوف العلمية الاخيرة عن خلق السماء والارض وتكوينهما وعن نشوء حياة الانسان على الارض . والواقع أنه كلما تعمق الانسان فى تفهم معانى آيات القرآن الكريم فهم وأدرك فكرة القرآن عن نشوء الحياة وخلق الكون .

يعتقد الرجل المادى ان العالم مكون من مادة لها أبعاد أربعة ظهرت منذ زمان بعيد جدا وستظل كذلك الى أبد الآبدين . وفى اعتقاده انه كلما امتد الفضاء واتسع راحت المادة تتخلق بطريقة ذاتية وظهرت النجوم والسيارات وراحت تتناطح ، يختفى القديم منها بوصوله الى مدار معين من الضوء ويبقى الجديد الخلقة والتكوين . ومثل هذا الرجل يعتقد أيضا ان الانسان خلق وسط هذه العملية التى لا هدف لها ، وظهرت الحياة على هذه الارض ـ ويجوز انها ظهرت على كواكب اخرى أيضا ذات أجواء ومواد تسمح بذلك ، وانما كان هذا الخلق نتيجة حادث ، وجاء عفوا ، وراح الناس ـ او الخلق ـ يتطورون الى أن وصلوا الى الهيئة التى يعيش فيها الانسان على ظهر هذه الارض .

وفى رأى بعض العلماء الغربيين الذين يدرسون الكون ان العالم ـ أو الكون ـ بدأ فى اتساعه دون أن يكون هنالك هدف ما حين انفجرت مادة « يلم » التى تعد أما للذرة منذ ستة آلاف مليون سنة . وراح هؤلاء العلماء يثبتون

بالادلة المادية ان الحياة على الارض لم تظهر الا بعد بضع دقائق من هذا الانفجار الذرى الأصلى العظيم . ويقولون ان درجة الحرارة كانت فى ذاك الوقت شديدة جدا وصلت الى ملايين الدرجات وكان النور هو «الشىء» الذى ساد الكون بأسره . وقد أثر النور على قوة الجذب مما أدى الى اتساع رقعة المادة . وما ان انقضت عدة آلاف من السنين حتى بردت المادة الى درجة ان حل النور فى كل مكان جديد بعد انقشاع الظلام . وهنا لم يكن فى السماء نجوم ولا سيارات ، ولكن ما عتمت هذه الاشياء ان تكونت من بعض ذرات المادة المتماسكة ، وراحت تسبح فى شىء يشبه الدخان . وكان من نتيجة برودة الفضاء نتيجة للاشعاعات الذرية ان انقسمت المجرات الى عدة أجزاء تدور كلها حول مركز خاص بها ، مكونة فيمابينها نجوما وكواكب جديدة تملأ الكون والفضاء .

ولكن هذه النظريات لم تلق قبولا من العلماء الجادين. واذا كانت قد لقيت بعض القبول فقد راح أصحاب النظريات الجديدة يطبقونها على ما جاءت به الاديان - لاسيما الدين المسيحى - عن مسالة الخلق والتكوين. وحين اختلط عليهم الامر خرجوا بنظرية جديدة دلت على فشلهم أو عدم رغبتهم فى الوصول الى الحقيقة ، وهذه النظرية هى نظرية فصل العلم عن الدين .

ولا ادرى لماذا يجهد هؤلاء العلماء انفسهم فى البحث عن هذه المسألة وقد أوردها القرآن الكريم بتمامها وبصورة لا تقبل الجدل ولا تسىء الى عقل الانسان .

يقول القرآن الكريم ان الكون خلق فى ستة أيام ، وان وراء الخليقة هدفا . وكلمة «اليوم» كما وردت فى القرآن ليست محدودة بزمن معين كما نفهمها نحن اهل هذه الارض، فقد تعنى آلاف السنين أو أكثر من ذلك أو أقل . وهذا ظاهر مما جاء فى القرآن نفسه حين يقول : « وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين . لو اردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ، ان كنا فاعلين » ويقول أيضا ، « وهو الذى خلق السموات والارض بالحق ، ويوم يقول كن فيكون » وكذلك يقول : « ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد » . وهناك آيات أخرى كلها تدور حول هذه المسألة .

من هذه الآيات يتبين ان عالم المادة خلق فى دقيقة معلومة ولغرض معين ، وهذا الرأى يقبله العقل ولا يأباه المنطق ، لانه يجب أن يكون هناك هدف من وراء خلق هذا الكون وما فيه .

وخلق الكون فى ستة أيام مسألة وردت فى كثير من الآيات فى القرآن الكريم ، وفى مواطن عديدة . فهو يقول : « ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش » و « وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا » و « الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش » وغير ذلك من الآيات .

ليس هذا وحسب ، بل ان القرآن الكريم يصف الطريقة التى تم فيها خلق السموات والارض والمراحل التى تم فيها ذلك . يقول الله تعالى : « أو لم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى ، افلا يؤمنون » والواقع ان ليس هناك وصف أفضل من هذا الوصف الذى ساقه القرآن عن خلق الكون الامر الذى عمى على أكبر علماء الفلك أو التنجيم أو علماء وظائف الانسان وعلم النبات الذين ظهروا على هذه الارض ساعة نزول القرآن على النبى الكريم.

ويصف لنا القرآن الكريم بدء الخليقة هكذا : « الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور » ثم « استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا أتينا طائعين »

والمرحلة التى مر بها خلق الكون هى ان الله قال : «كن» فكان ، ثم خلق الظلمات والنور ، وعندما ظل الكون كله كالدخان ميز الله سبحانه وتعالى بين السماء والارض، ولكنه تركهما تميدان جنبا الى جنب . ومن الآيات السابقة يتبين ان مركز الارض بدأ فى التكوين فى نفس الساعة التى أرسى فيها أساس العالم المادى . وقد تكون الارض دائرة حول الشمس شأنها فى ذلك شان كثير من الكواكب الاخرى ، ولكن لا يبدو ان الارض كانت متصلة بالشمس وانفصلت عنها كما كان يقول العلماء حتى منتصف القرن العشرين .

ونشوء الكون يصفه القرآن الكريم فى آيات جميلة جدا، ظاهرة واضحة . فهو يقول : « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ، ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها . وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا . ذلك تقدير العزيز العليم » .

ومن هذا يتبين ان تطور خلق السماء والارض تم فى ستة أيام ، مهما كان طول اليوم الذى يعنيه القرآن . والواقع ان « الايام » التى ذكرها القرآن هى أيام أو فترات كونية تختلف فتراتها ومددها . وهى بلا شك ليست الفترة التى نحددها اليوم بأربع وعشرين ساعة .

وهذه المراحل الست هى كما يلى :

المرحلة الاولى وتتضمن مرحلتين كونتيتين « يومين » فرعيتين الاولى منهما المرحلة التى « انفتق » فيها «الرتق» بعد الانفجار الكبير الذى أدى الى نشوء الذرة والى درجة الحرارة العالية مما أدى بدوره الى « ظهور » الظلام الذى أحاط بالكتلة المنيرة ، والى برودة هذا الظلام وامتداده الى الكون كله ، ثم الى خلق الدخان ، والجاذبية التى نجم عنها انفلاق المادة كلها الى مجموعات كبيرة ، ثم انفلاق هذه المجموعات الكبيرة الى مجموعات صغيرة ، هى النجوم والكواكب .

أما المرحلة الفرعية الثانية فهى الفترة التى ظهرت فيها النجوم والاجسام الكونية الاخرى - الكبيرة والصغيرة - بما فيها الارض ، وانفصالها كلها الواحدة عن الاخرى .

أما المرحلة الثانية الكبيرة فتنقسم هى كذلك الى فترات فرعية . وهنا تبرد المجموعات الصغيرة ، بما فيها الارض وتتشكل ما يوصف « بالحما المسنون » والصخور. وما أن بردت الارض حتى سقطت أول قطرات الماء عليها وأذابت هذا « الحما » مما أدى الى ظهور خليات تكونت من الطمى والماء . وهنا أيضا تكونت حياة اولية وظهرت المواد الاولية كالغذاء وغيره . وهنا - حين ظهرت الحياة ونمت وخلقت أنواع المخلوقات من الماء - يقول القرآن

الكريم : « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي . أفلا يؤمنون » .. هنابدأت الحياة في التطور ، وأساسها الماء ، حتى أن العرش استوى على الماء « وكان عرشه على الماء » وهنا أيضا تفاعلت الذرات وخلقت الخلايا المتعددة التي أمرها الله أن تعمل في تجانس ووفاق لتؤدى المهمة التي أراد الله أن يحققها من خلق الكون .

وما أن نشأت الخليقة حتى ظهرت السماوات واستوى الله الى العرش . وقد تم هذا في «المرحلة » الاخيرة . يقول الله عز وجل : « فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا . ذلك تقدير العزيز العليم » .

وفي آخر مرحلة في هذه الفترة نشأت الحيوانات المختلفة بنسب متفاوتة في الفهم وانتشرت في البسيطة ، وخلقت السماء المنخفضة التي زينها الله بالمصابيح — أي بالنجوم — وهي السماء ذات الابعاد الاربعة .

وكانت آخر مرحلة تلك المرحلة التي خلق فيها الانسان على الارض في صورة يشترك فيها بالعمل الخلاق البناء . يقول القرآن الكريم : « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ، وهو بكل شيء عليم » وقال : « الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ، يدبر الامر ، يفصل الآيات ، لعلكم بلقاء ربكم توقنون . »

وهنا — وفي هذه الفترة — تهيأ الجو لظهور الله على الارض ، رغم ان هذه العملية قد بدأت قبل ذلك بزمان طويل . وهنا يصف القرآن هذه العملية بقوله : « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم . واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال اني أعلم ما لا تعلمون » .

والآن لنرى كيف يصف سبحانه وتعالى نشوء الحياة وخلق الانسان على الارض . والقرآن يميز بين مرحلتين ظهر فيهما الانسان على الارض ، الاولى مرحلة الخلق والثانية تصويره بصورة الانسان . يقول سبحانه وتعالى : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين » وقال : « ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ، والجان خلقناه من قبل من نار السموم ، واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون الاابليس أبى أن يكون مع الساجدين » وقال أيضا : « منها (الارض) خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » و « وجعلنا من الماء كل شيء حي » و « ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون » و « والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشي على بطنه ، ومنهم من يمشي على رجليه ، ومنهم من يمشي على أربع ، يخلق الله ما يشاء ، ان الله على كل شيء قدير » و « وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ، وكان ربك قديرا » و « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون » و « الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ، قليلا ما تشكرون » وقال أيضا : « فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا ، انا خلقناهم من طين لازب » و « ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ، والجان خلقناه من قبل من نار السموم » و « انه هو يبدىء ويعيد » و « الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى » و « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » .

من هذه الآيات يتضح ان الحياة — بما فيها الانسان — خلقت من صلصال من حمأ مسنون — أي من طمي أسود وماء . وحدث بعد ذلك ان انقسم الانسان الى نوعين ، ذكر وأنثى ، ثم أحسنت صورة الخلق . وهنا نقف قليلا عند نقطة هامة : وهي ان القرآن لا يذكر فرقا أو تباينا في نظرية النشوء والارتقاء التي يقولها بعض العلماء المعاصرين ، والفرق الوحيد القائم بين نظرية القرآن ونظرية هؤلاءالعلماء هو أن القرآن الكريم سوى بين جميع المخلوقات وخصص الثواب لمن يفعل الخير . أما العلماء فيؤمنون بنظرية بقاء الاصلح والنضال لاجل الحياة . والقرآن يجعل حياة كل المخلوقات حياة مقدسة لها قيمتها واعتبارها .

قد خلق آدم وحواء — وهما أصل البشر — من نفس واحدة « وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة » وسواء كانت هذه النفس حيوانا أو خلقا آخر لا نعرفه فان الانسان تخلق منها وتصور بالصورة التي نفخ الله فيها من روحه .

وهذا يجرنا الى ما وصل اليه العلماء من أن الانسان يرجع في صله الى القرد . والعلماء حين يقولون ذلك لا يستطيعون التدليل على الحلقة المفقودة ، الا وهي الصلة التي كانت تربط بين القرد والانسان ، والواقع أنهم سوف لن يصلوا الى هذه الحلقة المفقودة لان التغيير الذي حدث عند خلق الانسان كان تغييرا مفاجئا وليس تدريجيا .

رأينا من آيات القرآن ان الكون المادي بدأ من«انفتاق» الرتق أي فتح الكتلة المغلقة ، ان صح هذا التعبير . وقد تم ذلك في مراحل متعددة ، ثم بدأت الحياة تدب على الارض ، ونفخ الله — في المرحلة الاخيرة — في صدر الانسان من روحه ، وهنا ، في هذه المرحلة — أي عند خلق الانسان — خلقت السموات السبع واستوى الله على العرش .

أما هذه القصة فانها تصبح غير كاملة وغير محكمة اذا لم نشر الى كيف سينتهي هذا العالم وكيف ستنتهي الحياة في هذا الكون . يقول الله تعالى : « يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب ، كما بدأنا أول خلق نعيده، وعدا علينا انا كنا فاعلين »

على هذا يكون لبداية الكون نهاية ، وكما فرد الله سبحانه وتعالى ابعاد هذا الكون يوم أن خلقه ، فهو سيطويه يوم يريد أن يطويه ، سيطويه كما يطوى الانسان ورقة من الاوراق .

ياله من تشبيه جميل رائع .. ان كلمة « الطي » معناها « طي » الابعاد الاربعة للكون وهو ما يقول به العلماء المعاصرون اليوم .

تاريخ التشريع الإسلامى فى مصر

المدرسة الاولى : طبقة الصحابة

الدكتور حامد حفنى داود

ان الحديث عن تاريخ التشريع الاسلامى فى مصر يتطلب منا دراسة العلوم الدينية فيها ، وهى العلوم التى استقاها الفقهاء من القرآن والسنة والاجماع والقياس ، وعلى اساسها بنوا احكامهم الفقهية . ولن نقف فى هذه الدراسة موقف المشرع او الاصولى او الفقيه المجتهد المستخلص للاحكام الشرعية من مصادرها وانما هو الدراسة الموضوعية البحتة ، وهى الدراسة التى نعنى من ورائها ابراز الملامح الكبرى فى تطور علوم الشريعة ، وبخاصة المتصل منها بالقرآن والحديث وما تشعب منهما . فمن القرآن تشعبت علوم كثيرة ينحصر اهمها فى القراءات ، ورسم المصحف ، والتفسير واسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، وعلم التوحيد ، وعلم اصول الفقه ، واعجاز القرآن ، وما كانت تستدعيه دراسة الاعجاز من دراسة علوم البلاغة وعلوم اللغة بفروعهما . ومن الحديث تشعبت علوم كثيرة ايضا تتلخص فى علم مصطلح الحديث ، وعلم الرواية ، وعلوم دراسة المتن والسند ، وعلم الجرح والتعديل ، وعلم تراجم الرجال وطبقاتهم ، وعلم التاريخ ، وعلم تخريج الاحاديث وشرحها ، ثم ما ترتب على ذلك من علم الفقه بفروعه من عبادات ، ومعاملات وغيرهما . ثم ما كان لهذين المصدرين الضخمين - مجتمعين - من اثر بالغ فى تفريع المذاهب الفقهية الباقية منها والداثرة .

هذه هى العلوم التى سيتطرق اليها بحثنا فى تاريخ التشريع الاسلامى فى مصر ، وهى قوام هذا التشريع ولبه النظرى فى البيئة الدينية فى مصر . ولعل اول ما يعنينا عند دراسة تطور هذه العلوم هو ابراز اثرها فى ظهور المذاهب الفقهية ولا سيما المذاهب الفقهية الباقية فى تاريخ التشريع ، ونعنى به مذاهب الائمة الاربعة فى مصر : مالك والشافعى وابى حنيفة وابن حنبل - مرتبة وفق ظهورها فى هذه البيئة - ثم ما حدث بينها من تغلب مذهب على مذهب ، وانتشار مذهب دون غيره ، او اندثار بعضها كالمذهب الجعفرى الشيعى الذى لم يكتب له البقاء فى مصر ، ثم ما حدث من صراع فكرى بين هذه المذاهب . ونعنى به الصراع المذهبى الخالص الذى لايقصد فيه المتصارعون سوى الوصول الى الحقيقية مجردة عن الاغراض والاهواء ، وانما يعنون به محض الوصول الى الغاية التى ارادها المصلح الاكبر محمد صلى الله عليه وسلم .

فالخلافات المذهبية التى نعنيها خلافات مشروعة خالصة للحق قصد بها المجتهدون من الفقهاء محض الوصول الى مراد الشارع الحكيم استقاء من اقواله وافعاله . ولذلك كانوا جميعا على حق من حيث سلامة القصد وبغية الهدف وارادة الوصول الى لب المقصود من الشرع . وهكذا تكون الخلافات المذهبية فى التشريع الاسلامى خلافات مشروعة مقبولة فى نظر المنهج العلمى الحديث الذى الفناه ووضعناه نصب اعيننا فى كل مبحث من مباحث الفكر البشرى . وعلى عكس ذلك الخلافات السياسية والفلسفية التى تتطاحن فيها غايات المصلحين والفلاسفة من اجل الدفاع عن آرائهم

او بغية تحقيق أغراضهم الشخصية . هذا اذا استثنينا الحالات النادرة التى كان يقصد من ورائها المصلحة العامة قبل كل شيء . وقد آثرت التنبيه الى ذلك حتى لايقع المحدثون من الباحثين فى حومة التشكك التي وقع فيها اسلافهم حين تعرضوا للخلافات المذهبية بين الفقهاء ولم يفهموها على أصولها العلمية .

ودراسة التشريع الاسلامى فى مصر تعتبر من الدراسات البكر التي لم تطرق - من قبل - فى صورتها المنهجية المنظمة . وقد رايت ان اتتبعها من تراجم الاعلام وطبقاتهم فى علوم الشريعة . ومن اجل ذلك عملت جاهدا على استقصاء تراجمهم فى مظانها من كتب الطبقات والتراجم . ورايت - كذلك - ان الدراسة المحصية لابد من ان تسير طولا وعرضا . اعنى بالدراسة الطولية ابراز مراحل التطور فى كل علم من علوم الشريعة قرنا فقرنا ومدرسة فمدرسة . اما الدراسة العرضية فعنيت بها دراسة وجوه الشبه والاختلاف فى تطور هذه العلوم خلال حقبة معينة من الزمن وسميت هذه الحقبة مدرسة .

وقد حدا بي هذا الاتجاه المنهجي الى ان اقسم تاريخ التشريع الاسلامى الى قرون متتابعة تناولتها قرنا قرنا وقسمت كل قرن الى مدرستين ، كل مدرسة اعتبرتها تستغرق خمسين عاما ، لانى اعتبرت هذه المدة كافية لبناء حياة مدرسة فكرية معينة لها خصائصها ومميزاتها ، او هى على الاقل تمثل العمر الفكرى لحياة الدارسين فى حقبة معينة من التاريخ . وسنبدا فى هذه الدراسة بالخمسين سنة الاولى التى تنتهى عام ٥٠ هجرية وسميتها المدرسة الاولى ، ثم اتبعتها بالخمسين الثانية وسميتها المدرسة الثانية وهكذا الى نهاية القرن الرابع الهجرى ، وتراني فى هذه الدراسة احرص كل الحرص على ان اوضح الخطوط البارزة من التشريع الاسلامى فى خلال كل مدرسة من هذه المدارس وان ابين فى نفس الوقت اللون الغالب على كل مدرسة والخصائص الفكرية التى تميزها عما قبلها وما بعدها .

والمدرسة التى نحن بصددها تمثل طبقة الصحابة ، وقد امتدت فى خلافة عمروعثمان وعلى وابنيه الحسن والحسين ، وقد حكم مصر الاسلامية فى هذه الاثناء عمرو بن العاص ، وعبد الله بن ابى سرح ، وعقبة بن عامر الجهنى وسعد بن عبادة الانصارى ، ومحمد بن ابى بكر الصديق ، وعامر بن عقبة ، ومسلمة بن مخلد الانصارى على هذا الترتيب .

فى هذه المدرسة وضع التشريع الاسلامى فى مصر اول لبنة من لبناته ، فقد كان رجالها يمثلون طبقة الصحابة الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعوا اقواله وشاهدوا افعاله وشاركوا فى غزواته . وقد اقاموا حلقات العلم فى جامع الفسطاط . وكان عمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عمرو زعيمى هذه المدرسة وعميديها بلا منازع . وفى الوقت الذى كان فيه عمرو بن العاص وولده عبد الله ابن عمرو يقيمان مجالس العلم فى الفساط - كان عبد الله بن عباس . وعبد الله ابن عمر ، وعبد العزيز بن الزبير ، وعبد الله بن مسعود وابو الدرداء ، وابو ذر الغفارى ، وابوهريرة وحيان بن ابى جبلة ، ودحية الكلبى يقيمون مثل مجالسهم فى العراق والحجاز والشام وغيرها من الدول الاسلامية . وقد روى هؤلاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وباشروا افعاله وسمعوا اقواله . وروى البعض الاخر منهم عن طريق اصحابهم فيما سمعوه من الرسول او راوه . ولذلك كانت اكثر احاديثهم مرفوعة او مرسلة .

وقد بدات هذه المدرسة نشاطها الدينى منذ فتحت مصر صلحا على أيدى عمرو واصحابه فى يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة . وقد شارك فى نشاطها خلق عظيم من الصحابة افردهم بالتاليف ابن عبد الحكم صاحب فتوح مصر واخبارها ، وابو بكر عبد الله بن أيبك صاحب درر التيجان وكنز الدرر ، وابو المحاسن الاتابكى صاحب النجوم الزاهرة ، واحمد بن حسين التركمانى صاحب المنهل الصافى وغيرهم من مؤرخى مصر .

اما الصحابة الذين كانوا دعامة التشريع الاسلامى فى مصر وواضعى اللبنة الاولى فيها فكثيرون . ذكر منهم ابن عبد الحكم : الزبير بن العوام ، وسعد بن ابى وقاص وعمرو بن العاص وكان امير القوم ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وخارجة بن حذافة العدوى ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وقيس بن ابى العاص السهمى ، والمقداد بن الاسود ، وعبد الله بن سعد بن ابى سرح العامرى ونافع بن عبد قيس الفهرى ، وابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابن عبدة وعبد الرحمن وربيعة ابنا شر حبيل بن حسنة ، ووردان مولى عمرو بن العاص وكان حامل لواء عمرو بن العاص رضى الله عنهم .

وهؤلاء هم رءوس الصحابة الذين شاركوا فى فتح مصر وأسهموا فى بناء صرح التشريع فيها . وهناك آخرون منهم أسهموا فى هذا البناء الضخم ولكنهم دخلوا بعد الصحابة الفاتحين فى عهد عمر وعثمان وعلى منهم عمار بن ياسر وخالد بن الوليد .

وشيوخ هذه المدرسة ثقات عدول لانهم من اصحاب رسول الله ، والصحابة كما يقول نقاد الحديث ويحدثنا احمد بن حنبل ويحيى بن معين كلهم ثقات عدول ، هذا فى نظر علماء السنة اما الشيعة فانهم لايرون العدالة شرطا فى كل صحابى ، وان منهم العدل وغير العدل . ومهما يكن من امر هذا الخلاف فان رجال هذه الطبقة يعتبرون فى درجة واحدة من العدالة والحفظ والاجتهاد والعلم بمسائل الاحكام والفقه .

وانا امي ل الى اعتبار عمرو بن العاص وابنه عبدالله ابن عمرو الدعامة الاولى فى التشريع الاسلامى فى مصر كما سبقت الاشارة الى ذلك . اما عمرو بن العاص فقد كانت له عدة احاديث رواها عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه ابناه عبد الله ومحمد ، وابو عثمان النهدى ، وقبيصة بن ذؤيب ، وعلى بن رباح ، وعبد الرحمن بن شماسة ، وآخرون . فعمرو بن العاص احد اساطين التشريع الاسلامى فى مصر وهو امير مصر الاول وفاتحها . روى له علماء الحديث مناقب ومآثر قريبة الشبه مما روى لاعيان الصحابة . فقد روى عن عقبة ابن عامر قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اسلم الناس وآمن عمرو بن العاص » رواه الترمذى . وقال ابن ابى مليكة قال طلحة بن عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عمرو ابن العاص من صالحى قريش » اخرجه الترمذى

وفي الفسطاط بنى مسجده الجامع المشهود باسمه في سنة احدى وعشرين وكان طوله خمسين ذراعا وعرضه ثلاثين .. وأول من زاد في الجامع المذكور مسلمة بن مخلد الانصاري امير مصر في ايام معاوية سنة ثلاث وخمسين دون أن يغير البناء القديم .

كان عمرو بن العاص قائدا ومحدثا وواعظا وخطيبا في هذه البيئة الدينية . روى ابن عبد الحكم عن بحيرة المعافري انه قال : « رحت انا ووالدي الى صلاة الجمعة وذلك آخر الشتاء بعد حميم النصارى بأيام يسيرة ، فاطلنا الركوع اذ اقبل رجال بأيديهم السياط يزجرون الناس فذعرت ، فقلت : ياابت ، من هؤلاء ؟ قال : يابني ، هؤلاء الشرط ، فاقام المؤذنون الصلاة ، فقام عمرو بن العاص على المنبر ، فرايت رجلا ربعة قصد القامة ، وافر الهامة ، ادعج ابلج ، عليه ثياب موشية كان به العقيان باتلق . عليه حلة وعمامة وجبه . فحمد الله واثنى عليه حمدا موجزا وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ووعظ النـــاس وامرهم ونهاهم ، فسمعته يحض على الزكاة وصلة الارحام ويأمر بالاقتصاد وينهى عن الفضول وكثرة العيال وقال في ذلك : يامعشر الناس ، اياكم وخلالا اربعة ، فانها تدعو الى النصب بعد الراحة ، والى الضيق بعد السعة ، والى المذلة بعد العزة ، اياكم وكثرة العيال واخفاض الحال ، وتضييع المال ، والقيل بعد القال . في درك ولا نوال . ثم أنـــه لابد من فراغ يؤول اليه المرء في توديع جسمه والتدبير لشانه ، وتخليته بين نفسه وبين شهواتها ، ومن صار الى ذلك فلياخذ بالقصد والنصيب الاقل ، ولا يضيع المرء في فراغه نصيب العلم من نفسه فيحور من الخير عاطلا ، وعن حلال الله وحرامه غافلا

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص اكثر من والده رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فانه كان يكتب كل ماسمعه من الحـــديث وكانت مذكراته في الحديث تعتبر اول كتاب الف في مصر الاسلامية .

فماذا كان من علوم هذه المدرسة في حياة التشريع الاسلامي في مصر ؟ لاشك ان الصحابة حينمـــا فتحوا البلاد واستوطنوا بها وانتشروا في ربوعهـــا كانـــوا يطبقون مايعرض لهم من امور على ماكانوا يشاهدون من افعال رسول الله ويسمعونه من لســـانه او يقره من افعالهم التي سكت عنها ولم ينههم عنها . فعـــمل الصحابة ذلك في مصر . ومن هنا استنبط الفقهاء في المدارس التالية علم القياس . ثم تشعبت الطرق فيما بعد ، ثم ظهرت المذاهب الاربعة التي كانت تلخيصـــا لهذا التشعب وجمعا لهذه الاحكام . ولما كان المسلمون في ذلك الوقت في شغل شاغل بالفتح العربي وكانوا في غمرة من فتنة عثمان والخلافات التي قامت بين علي ومعاوية حتى ذهبوا في ذلك كل مذهب ـ فان اخبار الرسول الاعظم والملاحم واحاديث السير وقصص الخلفاء والولاة والقواد شغلتهم عن الكثير من دراســـة القرآن والحديث واستنباط مسائل الفقه ولذلك طبعت هـــذه المدرسة بطابع الملاحم والتاريخ والسير .

الاسلام

لاتعرف الانسانيه في تاريخها حدثا هزها وسار بها في معارج التقدم والرقي ، وسما بها نحو تحقيق المثل العليا مثل ظهور الاسلام الذي كان دفعة علوية استطاعت ان تبدل معالم الوجود الانساني في شتى نواحيه تبدلا لايجد فيه المهاجم ثغرة ضعف او انحلال ينفـــذ من خلالها ، ذلك لان الاسلام ثورة وثورة هادفة استطاعت في مدى سنوات قلائل من انبثاقها ان تحول شـــعب الجزيرة العربية من ركوده التاريخي الذي ران عليه طوال العصور الى شعب متحرر متطلع الى حياة افضل استطاع ان يحققها لنفسه والشعوب التي اتصلت به

كان الاسلام ثورة لانه قضى على حياة الركود والجاهلية في مختلف صورها ومسوحها . وارسى قواعد حياة جديدة لم يكن للعالم يومذاك ادراك لها او تصور لوجودها . فعالم عصره وما قبله شهد قيام اكبر امبراطورية في التاريخ وانهيـــارها في الغـــرب وهي الامبراطورية الرومانية التي توفر لها من امكانيات القوى المـــادية ما استطاعت به أن تسيطر على عالم البحر المتوسط في الغالب وبعض اقطار اوربة . لكنها لم تلبث أن انحدرت الى الهاوية لانه لم يكد في تكوينها من القيم الاخلاقية ماتضمنه الاسلام من تعاليم ومثل كريمة . وقد استطاع الاسلام في ابان اشراقه ان يهزم امبراطوريتي فارس والروم ، ونجحت هذه الثورة الاسلامية العالمية في ان تحل ببقاع كانت في نطاق نفـــوذ هاتين الدولتين العظيمتين وان تحرر هذه البقاع من ربقة الوثنية والجهل والظلم ، وأن تهيىء لانسان تلك الايام ـ ومن خلفه ـ انسانيته التي فقدها في ظـــلام الاستبداد القيصري

ثورة

الدكتور حسن حبشى

والكسروى ، وبذلك كانت ثورة الاسلام تحريرا للانسانية المكبلة فى قيودها ، ولقد ادرك ذلك معظم الذين تاتى لهم الاحتكاك به فكان اقبالهم على قبوله مظهرا عمليا واقعيا وذلك لما تبينوه فيه من نواح تقوم على التفكير الحر المتحرر من اغلال العبودية ، كما قال بعضهم :

ما مشكل ان القيود
تكون غل الارجل
ان القيود على العقول
فذاك كل المشكل

أى ان الاسلام دعى الى تنحية غير العقول فانزل العقل مكانته السامية ولم يعد للفردية فى هذا المجتمع الجديد مكان وانهارت صور الجهالة والوثنية من عبادة الاشخاص التى تمثلت فى الامبراطورية الرومانية الغربية فى عبادة الامبراطور وفى الحق الالهى الذى كان يدعيه لانفسهم اكاسرة فارس سخرية بالانسان والانسانية معا .

وليس ادل على هذه الانطلاقة المؤذنة بعصر جديد من ترحيب المسيحيين فى بلاد الشام ومصر بالاسلام باعتباره حركة تحررية هادفة ومن شأن الثورات التحررية ان تجد لها صدى ذا رنين : احدهما مضاد لها تمثله قلة فى المجتمع تحرص على ابقاء الامور على ما هى عليه حفاظا على ما سلبته فى غفلة الزمن من حقوق الآخرين ، واما الصدى الاخر فاستجابة لدعوة التحرر وتعاون طيب ، وعلى هذا الاساس يمكن ان نفسر سر انتشار الدعوة الاسلامية فى سرعة مذهلة فى حياة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وفى عهد خلفائه الراشدين وبين شعوب فارس والشام ومصر وافريقية ثم فى اسبانيا فيما بعد فالعقل الحر الوثاب يلتقى دائما بالثورة الكريمة رغم بعد الشقة الجغرافية فالعقل الحر الوثاب يلتقى دائما بالثورة الكريمة رغم بعد الشقة الجغرافية .

ولقد تضمنت ثورة الاسلام تحررا اقتصاديا فدعى الى استثمار الاموال فيها يجدى « مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) وفى قوله جل شانه « ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فاتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير » ، وتمثلت هذه الدعوة الاقتصادية التى نادى بها الاسلام منذ اربعة عشر قرنا فى ازالة الفوارق المادية الكبرى بين طبقات المجتمع وتقريب الهوة الفاصلة بين افراده فجعل فى اموال المؤمنين والمتقين من عذاب ربهم حقا للسائل والمحروم وليس من شك فى ان هذه الدعوة الكريمة كانت جديدة كل الجدة وستظل جديدة على الدوام فى كل مجتمع اقطاعى فى الشرق والغرب على السواء لان هذا الاقطاع انكار صريح لحقوق الطائفة الكبرى من اهل العصر ، على ان هذه الدعوة الانسانية الجديدة فى عصرنا وفى كل عصر يسوده استغلال الانسان للانسان قد تضمنت الى جانب ذلك ايضا فكرة العمل الصالح المجدى فقيمة المرء فى سعيه وجهده « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم » وبمقدار العمل يكون الجزاء والكسب ، فلا كسب بلا عمل ، ولا يجدى المقصرين ان يقدموا بين يدى تقصيرهم عذرهم « لا تعتذروا اليوم انما تجزون ماكنتم تعملون » فهل ادل بعد ذلك على ان الاسلام ثورة قضت على الكسل والتواكل . فمثل المتكاسل كالحشرة الدنيئة تعيش على دم الآخرين يتمثل فيها الخطر ، بل هى خطر على المجتمع ، وهل يستطيع المجتمع ان يكون مجتمعا حيا ناهضا نابضا بالحياة الكريمة ان توانى بعض افراده عن العمل الذى يعتبر القعود عنه سبة والقيام به حسنة « من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ماكانوا يعملون) وما يجدى هؤلاء المقصرين اى عذر يقدمونه عند تقصيرهم وتواكلهم ، ذلك ان من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ، وهكذا اقام الاسلام المجتمع الناهض المتحرك دائما الى الامام الذى يتسم بالاشتراكية التى تعتبر العمل شرفا ، حدث ان ابا ذر الغفارى الصحابى الاشتراكى تجادل مع سيدنا بلال الحبشى واحد فى الجدل فقال له أبو ذر - ايهاء الى ام بلال - بما يخرجه فلما تناهى ذلك الى سمع الرسول عليه الصلاة والسلام قال لابى ذر .. يا ابا ذر ، ارفع رأسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان تفضله بعمل .

وهكذا نادى الرسول والاسلام منذ اجيال بعيدة بقيمة العمل ، افليس هذا دليلا قاطعا على ان الاسلام ثورة متجددة ؟

من إعجاز القرآن

الإعجاز البياني

الدكتور حفني شرف

واذا اردنا ان ندرس القصص القرآني من الوجهة الوصفية الفينا هناك فرقا كبيرا بين ما اعقبه بالوصفيه هنا وبين مايريده علماء اللغة · فهم يعتبرون الدراسة الوصفية هي تلك التي تتكفل بدراسة ظاهرة معينة من ظواهر اللغة ودراسة شاملة احصائية عن طريق وصف الحاصل والموجود في فترة معينة من الزمن بقطع النظر عن السابق واللاحق ·

اما ما اعنيه انا بدراسة القصص القرآني من الوجهة الوصفية فهو بيان ما عليه القصص في شتى نواحيه الشكلية ، والطريقة التي اتبعت في عرض هذه القصص وبيان موضوعها وسياقها التي وردت فيه ·

والقصص القرآني من الوجهة الوصفيه او الشكليه او طريقة العرض ، وجميعها صحيح تقضينا ان تعرض من ثلاث جوانب :

اولا : ناحية البدء في القصة ·

ثانيا : ناحية الطول والقصر فيها ·

ثالثا : ناحية التكرار الذي هو الطابع العام لاغلب قصص القرآن ·

وساخذ في تفصيل كل ناحية على حدة – من هذه النواحي الثلاث

اولا – بدء القصة

ان حلقات القصص في القرآن الكريم قد خضعت خضوعا بينا للغرض الذي جاء له ، وسيقت من اجله الا وهو الغرض الديني ، ومقدار ما يوصل اليه هذا الغرض من عظة وعبرة واهمية ·

وكان هو الهدف الاصيل من اهداف القرآن الكريم ·

فلا يدع اذا عرض القصص كله بالقدر الذي يكفي لاداء هذا الغرض ، ومن الحلقة التي تتفق معه ولهذا كان بدء القصص على النحو التالي :

هناك قصة تعرض حلقة ميلاد بطلها منذ اللحظة الاولى ، لان في مولده عظة بارزة ، وخذ لذلك مثلا ، من قصة آدم – منذ خلقه – واذا قلنا قصة آدم ، فانما نعني قصة البشرية كلها من المنشأ الى المصير · قصة الانسان من مبدئه الى منتهاه (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة » فالانسان ليس نباتا شيطانيا خرج الى الوجود كيفما اتفق ، بلا قصد من خلقه ولا غاية · وليس هو حلقة من حلقات التطور اوصلتها الحلقة السابقة الى مكانها ، ثم تركتها لحظها في خط التطور العشوائي المتشعبة التي تلعب المصادفة فيه دورها على غير نظام معلوم ، وانما هو من خلق الله عن قصد منه سبحانه وتدبير « اني جاعل في الارض خليفة) وتكمن العبرة بجوار هذا كله في ارادة الله العليا التي جعلت الانسان انسانا ، والذي جعلت لهذا الانسان مهمة معينة – مهمة الخلافة عن الله في الارض – مولد الانسان تحتفل به السماوات وتتجلى العبرة ايضا في خلق الانسان منذ اللحظة الاولى حين تحدد له مهمته في جلاء ووضوح ، فهو مخلوق مميز الوضع من اول لحظة ، متفرد في ظروف وجوده وخلقته لاتغيره من المخلوقات وتستوقفني تلك الآية « اني جاعل في الارض خليفة » فاقراها من جديد ، واذا بي المح فيها ان الانسان منذ مولده مخلوق للارض ، فهو لم يخلق ليبقى في الجنة التي شهدت مولده ، ولم تكن ارادة الله له ان يبقى في هذه الجنة ، ولا ان يكون دوره التنشيط

بين روحها وريحانها ، نقول : اذا كان الامر كذلك فلماذا اتيحت له هذه الفرصة القصيرة ؟ والجواب لا اشك فى انها اتيحت له ليتذوق طعم الجنة ، ويعلم كم فيها من نعيم ، ويعلم كم يستحق هذا النعيم .

ان الجنة بالنسبة له ليست خيالا طائرا ، ولا شوقا مبهما ، ولا امنية حائرة ، وانما هى حقيقة يشهدها بنفسه قبل ان يهبط الى الارض لدوره المقسوم لتظل ذكراها فى نفسه حية نابضة وحنينه اليهـا مشاعر واضحة ، وسعيه للعودة اليها حقيقة واقعة .

ومن هنا كان بدء القصة حاويا للعبرة الجليلة منها ، وهى عبرة لكل بنى آدم الذين يشهدون فى انفسهم ذات التجربة ، والذين يعرفون قصة ابيهم آدم ، فيتوقون للعودة الى الجنة التى خرج منها ابوهم القديم وهم عائدون عائدون بعد ان يؤدوا الدور الذى خلقوا لاجله من الاصل : دور الخلافة عن الله فى الارض ، عائدون بشرط « فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

واذا اخذنا مثلا آخر وهو قصة مولد عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ نجد ان القرآن يعرضها بتفصيل كامل ، ذلك ان مولده هو الآية الكبرى فى حياته ، وحول هذا المولد قام الجدل كله وعنه تفرعت كل قضايا المسيحية قبل الاسلام وبعده .

وقصة مريم فقد نذرت لله وهى فى بطن امها ، وتولى كفالتها زكريا ثم رزقت منذ مولدها رزقا حسنا من عند الله فكانت « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم : انى لك هذا ، قالت : هو من عند الله » ثم تطوى حلقاتها حتى تاتى حلقة ميلاد عيسى عليه السلام وهى الحلقة الهامة الثانية فى حياتها .

وقصة موسى ، لان لمولده فى عهد اضطهاد بنى اسرائيل ، وتذبيح الذكور من اطفالهم ، ونجاته هو من ذلك مع وجوده بين آل فرعون انفسهم ، قيمة خاصة فى بيان رعاية الله له . واعداده اعدادا خاصا للمهمة التى سينهض بها ، ثم تذكر من حياتـه حلقاتها ذات المغزى .

ونجد قصصا اخرى تعرض من حلقة متاخرة نسبيا .

فقصة يوسف ـ عليه السلام ـ تبدا من الحلقة التى كان فيها صبيا ، فمن هذه الحلقة يرى الرؤيا التى تسير حياته جميعها ، وتؤثر فى مستقبله كله ، ثم تسير القصة فى طريقها المرسوم بعد هذه الرؤيا التى حكاها لابيه بوجه طلق ، وصدر رحب ، وثغر باسم ، وامل متطلع ، ولما ادرك يعقوب ان القلوب متباعدة ، والنفوس غير متلاقية ، والاهواء ليست متلائمة ، وايضا ادرك ان هذه الرؤيا اذا اعلنها ابنه اثارت حزازات ، وايقظت عداوات لم يجد بدا من ان يقول له : « يابنى لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا » لم تكن هذه القصة بدعا فى التاريخ ، ولا جديدة على البشرية ، ولا غريبة على الايام والليالى فكيد الاخ لاخيه ، وغدر الانسان بالانسان ، واغراء الشيطان لابن آدم ان يتجاوز حده ، ويخرج عن طوره ، ويتعدى حدود الاعتدال فى سلوكه مع الناس ، وصلته بالمواطنين امور كلها فى جبلته الاولى وطباعه المالوفة .

كذلك نجد نوعا ثالثا من القصص لاتعرض الا فى حلقة متاخرة ، وهى حلقة الرسالة ، كقصة نوح وهود وصالح ، ولوط وشعيب وكثيرين غيرهم ، لماذا ؟ لان الرسالة فى حياة هؤلاء اهم حلقة فيها العظة ، وفيها العبرة (لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد »

تبين مما مضى ان بدء القصة قد يكون من اول حلقة فى ميلاد بطلها ، وقد يكون فى حلقة وسطى ، وقد تكون فى حلقة اخيرة .

ثانيا ـ طول القصة وقصرها

او ناحية الاطناب والايجاز فيها ، وهى من هـذه الوجهة مثلها من ناحية البدء يخضع كل من الطول والقصر فى القصة لما فيها من عظة واهمية ، وبالمثال يتضح المقال .

فهناك من القصص ما طابعه الاطناب كقصة موسى التى تذكر بجميع حوادثها وتفصيلاتها منذ مولده بل قبل مولده الى وقوفه بقومه امام الارض المقدسة حيث كتب عليهم التيه اربعين سنة جزاء وفاقا لان فى كل حلقة من حلقات القصة غرضا دينيا يبرز وله صلة باهداف القرآن . كما ان البيئة التى نزل فيها القـرآن كان فيها عدد كبير من اليهود ، فالاتيان بقصة نبيهم طويلة يجذبهم الى ما يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وهناك قصص متوسطة التفصيل كقصة نوح التى تذكر فيها تفصيلات رسالته ، ودعوته لقومه واستكبارهم عنها ، وحلقة صنع السفينة وحلقة الطوفان وغرق ابنه ودعائه الله ان ينجيه ، وعدم استجابته له لانه ليس من اهله ، ولو كان ابنه لانه عمل غير صالح

وكذا قصة مريم وسليمان وداود .

وهناك قصص موجزة وقصيرة ، وهى التى تعرض عند حلقة الرسالة وحدها ، وهى ما سبق الحديث عنها عند بدء القصة ، وذلك كقصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ، فان هذه جميعها تتضمن الرسالة والحوار مع قومهم ، وتكذيب القوم ثم اهلاكهم بسبب هذا التكذيب ومثل ذلك قصة اسماعيل ويعقوب فى اختصارهمـا النسبى ازاء قصة كل من ابراهيم ويوسف .

وهناك قصص متناهية فى الايجاز كقصة زكريا التى تذكر عند مولد يحيى وعند كفالته لمريم ، وقصة ايوب تذكر عند مس الضر له ثم استغاثته بالله وشفائه ورد اهله اليه ، وقصة يونس وتذكر عند ابتلاع الحوت له ثم نبذه بالعراء ، ورسالته لقومه وايمانهم به .

وهناك من القصص مايشار اليها ، ولا يذكر شىء عنها الا وصفا خاطفا لاصحابها كقصص ادريس والسبع وذى الكفل ، وطائفة اخرى لاتذكرها الا اسماؤهم فى صدد استعراض سجل الانبياء . وهناك قصص تعرض حسبما تبلغ الغاية منها ، وهى الناحية الوعظية البحتة مثل اصحاب الاخدود ، واهل الكهف وابنى آدم ، وصاحب الجنتين ، واصحاب الجنة ، وقصة الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها .

وعلى هذا اتت قصص القرآن العزيز حيث نجد نرى القصة الواحدة التى لاتختلف معانيها كيف تاتى فى صور مختلفة ، وقوالب من الالفاظ متعددة ، حتى لاتكاد تشتبه فى موضعين منه ولا بد ان نجد الفرق بين صورها ظاهرا ، والى هذا المعنى اشار ابن ابى الاصبع المصرى فى قصيدة له قال فيها : « بديع القرآن : ٢٩٠ »

وآيتـه العظمى بلاغة ما به
اتى من كتاب فضله ليس يجحد
تفرد فى عصر البيـان بيـانه
باسلوبه اذ نظمـه متفرد
وفى نظمه بعد الغرابة معجز
محاسـنه لم تنحصر فتعـدد

هدى الناس منه للبديع بديعه
فصاغوا حلى القول منه وولدوا
بمعنى يزين المرء منه كلامه
فيخلو باسماع الورى حين يورد
ويضحى لما ياتى به اى رونق
يعظمه المصغى له ويمجد
وجاء سليما نظمه من معايب
بلا سقطة فيه لمن يتفقد
به قصص تاتيك طورا بسيطة
ليفهمها من بسطها المتبلد
وطورا بايجاز يبث لذى حجى
له زند فهم ثاقب ليس يصلد

والبيتان الاخيران هما اللذان يتصلا بقصص القرآن

التكرار فى قصص القرآن

ان الدارس لقصص القرآن يلمح ظاهرة جديرة بالملاحظة تلكم هى مايتراءى من تكرار بعض القصص فى مواطن مختلفات من سور القرآن الكريم •

ويتقول قصار النظر بان الشيء الذى اريد تاكيده تكرر الحديث عنه لابد ان يكون على حالة نقيض قبل تاكيده ، وهم لهذا ينسبون القصور لبعض آيات القرآن ويعدون القصص القرآنى من المتشابه ، ولما كان هذا موضوعا خطيرا له شانه ، وله كيانه فقد آثرت ان ابسط القول فيه مفصلا له بعض التفصيل •

لعلنا لم ننس ماقلناه فى مقالنا السابق حين بينت كيف استحق قصص القرآن ان يكون سر اعجاز من ناحيته الشكليه والموضوعية •

وهنا نقول : ان ثمة معنى دقيق فى التحدى مايظنه العرب الا وقد بلغوا منه عجبا الا وهو التكرار الذى يجيء فى بعض آيات القرآن ، فتختلف فى طرق الاداء واصل المعنى واحد فى العبارات المختلفة وكالذى يكون فى بعض قصصه - وهو مايهمنا هنا بصفة خاصة - لتوكيد الزجر والوعيد ، وبسط الموعظة ، وتثبيت الحجة ونحوها •

وهو مذهب للعرب معروف ولكنهم لايذهبون اليه فى ضروب عظيمة من خطابهم - بيد ان وروده فى القرآن الكريم مما حقق للعرب عجزهم بالفطرة عن معارضته وانهم يخلون عنه لقوة غريبة فيه لم يكونوا يعرفونها - يقول الطبرى - المتشابه هو ما اشتبهت الالفاظ به من قصصهم عند التكرار فقصة باتقان الالفاظ واختلاف المعانى ، وقصة باختلاف الالفاظ وتفاق المعانى ، وكذلك يقول غيره من شيوخ المفسرين - الا توهما ، ولضعف غريب فى انفسهم لم يعرفوه الا بهذه القوة لان المعنى الواحد يتردد فى اسلوب بصورتين او صور كل منها غير الاخرى وجها او عبارة ، وهم على ذلك عاجزون عن الصورة الواحدة ، ومستمرون على العجز ولا يطيقون ولا ينطقون ، فهذا لعمرك ابلغ فى الاعجاز ، واشد عليهم فى التحدى ، اذ هو دليل على مجاوزتهم مقدار العجز النفسى الذى قد يمكن معه الاستطاعة او تتهيا المعاريض حينا بعد حين الى العجز الفطرى الذى لايتناول فيه المتاول ، ولا يعتذر منه المعتذرون ، ولا يجرى الامر فيه على المسامحة ، وقد خفى هذا المعنى « التكرار » على الملحدة واشباههم ومن لاقوة لهم فى اسرار العربية ، ومقاصد الخطاب ، والتاتى بالسياسة البيانية الى هذه المقاصد ، فزعموا به المزاعم السخيفة ، واحالوه الى النقض والوهن ، وقالوا : ان هذا التكرار ضعف من قوة ، وضيق من سعة ، وهو - اخزاهم الله - كان اروع وابلغ واسرى عند الفصحاء من اهل اللغة والمتصرفين فيها ، ولو اعجزهم ان يجيئوا بمثله ما اعجزهم ان يعيبوه لو كان عيبا •

قال العلماء فى شرح اية « ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل » : رددنا وكررنا من كل معنى كالمثل فى غرابته وحسنه ، او سقنا لهم وجوه العبر والاحكام ، والوعد والوعيد ، والقصص وغير ذلك فالقرآن الكريم لون حديثه للسامعين ليس فى القصص فحسب - تلوينا يمزج بين ايقاظ العقل والضمير معا ثم تابع سوقه متابعة ان افلت المرء منها اولا لم يفلت آخرا وذلك هو تصريف الامثال للناس اى احاطة الانسان بسلسلة من المغريات المنوعة التى لامعدى له من الركون الى احداها ، او قل ان معالجة القلوب المغلقة بمفاتيح شتى لابد ان يستسلم العقل الى واحد منها •

والهدف الاهم من وراء هذا السرد المتكرر ليس بيان الحق فقط بل هو الى جانب ذلك تعميق مجراه فى القلوب تعميقا ينفى ما طبع عليه الانسان من جدل وملل

ذلك هو دفاعنا عن التكرار عموما ، وان وقوعه فى القرآن ليس نقصا كما يتوهمون •

وبقى ان نبين وجه الحق فى مسالة لاتقل اهمية ان لم تزد تلك هى ان التكرار لم يقع فى القرآن تكرارا مطلقا ، وانما التكرار وقف على بعض الحلقات فى القصة ليس فيها كلها ، فورود القصة الواحدة - فى معظم الحالات - مكررة فى مواضع شتى لايتناولها كلها - غالبا - انما هو تكرار لبعض حلقاتها ومعظمه اشارات لموضع العبرة فيها اما جسم القصة كلها فلا يكرر الا نادرا ، ولمناسبات خاصة فى السياق اقتضاها الموقف الذى نزلت فيه، وهذا مايؤكده علماء التفسير عند ذكرهم اسباب النزول لكل قصة على حدة ، وان كانت جميعها متداخلة ، او تمثل مرحلة واحدة

وان الانسان حين يقرا هذه الحلقات المكررة ملاحظا السياق الذى وردت فيه يجدها مناسبة لهذا السياق تماما فى اختيار الحلقة التى تعرض هنا او تعرض هناك وفى طريقة عرضها كذلك •على ان هناك مايشبه ان يكون نظاما مقررا فى عرض الحلقات المكررة من القصة الواحدة •

يتضح حين تقرا بحسب ترتيب نزولها - فمعظم القصص يبدا باشارات مقتضبة ثم تطول هذه الاشارات شيئا فشيئا ، ثم تعرض حلقات كبيرة تكون فى مجموعها جسم القصة - وقد تستمر الاشارات المقتضبة فيما بين عرض هذه الحلقات الكثيرة عند المناسبات - حتى اذا استوفت القصة حلقاتها عادت هذه الاشارات هى كل ما يعرض منها وخذ لذلك مثلا قصة موسى - عليه السلام - فهى اكثر القصص فى القرآن تكرارا اذ انها وردت فى حوالى ثلاثين موضعا ، وهى من هذه الوجهة تعطى فكرة كاملة عن هذا التكرار غير المطلق ، لان فى كل منها جميعا اشارة معينة قد تطول ، وقد تقصر ، وهى فى هذا وذاك متلونة متغيرة فى واحدة عنها فى الاخرى ذلك لان التكرار فيها اغلبه اشارات وعظية الى القصة اقتضاها السياق ، اما الحلقات الاساسية فلم تكرر تقريبا واذا كررت حلقة منها جاءت بشيء جديد مما يتنافى ووجود التكرار فى القرآن الكريم او فى قصصه على وجه الخصوص ونعتقد ان المسالة بعد كل هذا ابين من ان تسبب لبسا ، واسمى من ان تكون مبعث اشتباه ولنتركها الى الحديث عن شيء آخر هو الخلقية الدينية فى قصص القرآن حيث ان بعض ذلك يريد بعضا •

فلينظر الإنسان مم خلق

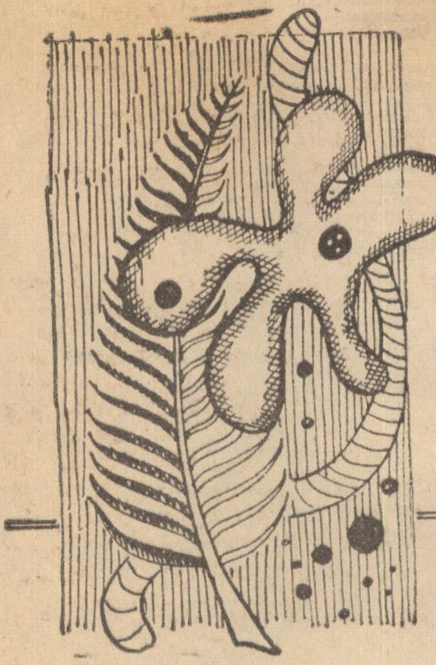

الدكتور عبد الحليم كامل

- ٢ -

حتى اذا تكلمنا عن الأمشاج فى مقال سابق كان لابد لنا ان نتكلم عن المناسل فى هذا المقال حيث تتكون هذه الأمشاج وتعد اعدادا كاملا لتقوم بما خلقت له واعدت ولتؤدى دورها فى الحياة على أحســـن ما يكون الأداء فتساهم فى خلق جيل جديد وفى تكوينها داخل المناسل نظام دقيق فيه قدرة وفيه اعجاز وفيه ما يشير الى قدرته سبحانه وتعالى فى قوله فى سورة لقمان :

(هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونـه بل الظالمون فى ضلال مبين) .

وتمثل المناسل بخصيتين فى الذكر وبمبيضين فى الأنثى .

والخصيتان هما المسئولتان عن تكوين الأمشـاج فى الذكر وهما تستقران عادة داخل كيس متدل رقيق الجدار به غرفتان ويسمى بالصفن . كما يغلف كل خصية داخل كيس الصفن كيس رقيق آخر يتكون من امتداد الغشاء البريتونى مكونا ما يسمى بالقميص المغلف .

واذا ارادنا أن نتـــكلم عن نشأة الخصيتين فاننا نجدهما ينشآن داخل تجويف البطن من نقطة فى ظهر الجنين تحت الكلية مبـاشرة وكذلك الحال فى مبيض الأنثى . فاذا اكتمل نمو الجنين فى الأشهر الأخيرة من الحمل انحدرت هذه الأعضاء الى موضعهما الأصلى فى أسفل الجسم وسبحانه وتعـــالى القائل فى ســـورة الأعراف :

(واذ أخذ ربـــك من بنى ادم من ظهـورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) .

وانه لمن العجيب حقا انه لو بقيت الخصيتان داخل تجويف الجسم ينعمان بدفئه وحرارته ويتمتعان بحمايته وحصانته اذن لاستحال تكوين الحيوانات المنوية فيهما . لذا فانهما ينحدران الى أسفل ويهبطان خارج الجسم حتى يستقر بهما المقام داخـــل كيس الصفن حيث الحرارة أهدأ والجو أنسب وألطف لتكوين الحيوانات المنوية ومن ثم تستطيع الخصية أن تؤدى وظيفتها التى كونت وخلقت من أجلها .

وقد يولد الطفل وخصيتاه فى الداخـــل فيلتبس الأمر على الأهل ويحسبونه أنثى حتى اذا وصـــل هذا الطفل الى مرحلة البلوغ يكتشف الأمر الذى خفى عن الكل وبعملية جراحيـــــة تكشف عن الخصيتين فيظهر الجنس الأصلى ويتغير النوع والاسم بل وتاريخ الحياة . ولقد سمعنا عن الكثير من هذه الحوادث المماثلة .

وللخصية وظيفتان أساسيتان هما انتـاج الأمشاج أو الحيوانات المنوية وافراز الهرمونات الجنسية الذكرية .

وتتكون كل خصية من انيبيبات طويلة ملتوية تتجمع مكونة فصوصا مخروطة الشـكل تتجه قممها نحو أنابيب الصرف . وينتشر بين هذه الانيبيبات نسيج داعم به خلايا بينية أو خلايا ليدج .

وتتكون الحيوانات المنوية داخل هذه الانيبيبات ومن خلايا الطبقة الخارجية المبطنة لها . وكلما نضجت هذه الأمشاج اتجهت نحو اواسط هذه الانيبيبات حتى يكتمل نموها وتصبح حيوانات منوية كاملة . وهنا يحسن بنـا أن نقف وقفة صغيرة لنزيد هذا التكوين ايضاحا .

فمن المعروف أن عدد الكروموسومات فى خلايا أى نوع من أنواع الحيوانات ثابت أبدا فى جميع خــلايا الجسم ويتكون هذا العـــــدد فى أى خلية من ازواج متشابهة وعلى هذا يسمى هذا العدد بالعدد الزوجى والذى يتم تكوينه بعد التلقيح .

ولكي يبقى هذا العدد ثابتا دائما في كل الاجيال المتعاقبة كان لابد أن يختصر هـذا العدد في كل من الحيوانات المنوية والبويضات الى النصف أي يصبح عدد الكروموسومات فرديا في كل منهما حتى اذا تم التلقيح عاد العدد زوجيا مرة أخرى .

والحيوانات المنوية كما قلنا تتكون داخل الانيبيبات المنوية وذلك بتكاثر خلايا امهات المنى الأولى وينتج عن ذلك التكاثر عدد كبير من امهات المنى والتى تمر بمرحلة نمو تصبح بعدها خلايا منوية اولى ثم تنقسم كل خلية منويه اولى الانقسام الاختزالى الاول لتعطى اثنين من الخلايا المنوية الثانية وهذه تنقسم ايضا بدورها الانقسام الاختزالى الثانى لتكون اثنين من الطلائع المنوية يحتوى كل منهما على نصف عدد الكروموسومات ثم تمر كل طليعة منوية وهى خلية عادية بتطورات مختلفة الى أن تصبح حيوانا منويا وكنتيجة لهذا الانقسام تتكون اربعة حيوانات منوية من كل خلية منوية أولى .

ونعود مرة أخرى الى الخصية والى خلايا ليدج بالذات أو الخلايا البينية وهى التى تفرز الهرمون الجنسى الذكرى المسمى بالتستوستيرون .

والخصيتان هما المسئولتان عن استمرار خصائص الذكورة فى أثناء سنى الشباب وأواسط العمر ولو ان الكظرين يقومان بانتاج مقادير ضئيلة من بعض هذه الهرمونات المختصة بخصائص الذكورة المميزة .

ووجود الخصيتين ليس شرطا أساسيا لقيام الرغبة الجنسية فقد يتمكن الذى ازيلت خصيتاه أو الخصى كما يسمونه من المباشرة الجنسية .

والانيبيبات المنوية وخلايا ليدج موجودة فى الخصية منذ الطفولة الا انهما ساكنان ولا نقول خاملان لا يقومان باى نشاط حتى يشرف الانسان على البلوغ عندئذ تسارع الفدة النخامية الامامية فترسل اوامرها ممثلة فى هرمونين جونادوتروفين أولهما هو الهرمون المنتج للامشاج الذى يعمل على نضج الحيوانات المنوية داخل الانيبيبات المنوية وثانيهما هو الهرمون الحافز للخلايا البينية او خلايا ليدج فيجعلها تفرز التستوستيرون الذى يحول الغلام اليافع الى رجل بالغ كما أن هذا الهرمون يوجه نمو العضلات ونضج الهيكل العظمى كما انه يساعد الهرمون المنتج للامشاج على استمرار عملية توليد وتكوين الحيوانات المنوية .

وهكذا يستمر هـذان الهرمونان فى عملهما فتفرز الخلايا البينية التستوستيرون كما تستمر الانيبيبات المنوية فى انتاج الامشاج الذكرية بمعدل ثابت الى حد كبير ثم يبدآن شيئا فشيئا فى التناقص ابتداء من العقد الخامس أو السادس تبعا لصحة وحيوية كل فرد .

أما الغدة النخـامية التى تفرز هذين الهرمونين الجونادوتروفين فهى واحدة من الغدد الصم كما يقولون والتى تخصصت لافراز ما نسميه بالهرمونات التى تنطلق فى مجرى الدم مباشرة دون أن تمر فى قنوات ويوصلها الدم الى كل خلية من خلايا الجسم . وتعتبر هذه الغدة النخامية مركزا للقيادة فهى التى تصدر الأوامر وترسل الرسائل وتبعث بالحوافز وان كانت هى الأخرى يتحكم فيها المخ وبعض وحدات الجهاز العصبى الأخرى وكذلك بعضا من الغدد الصم الأخرى .

وقد ابتدات معرفتنا بهذه الغدة عام ١٩١٥ عندما استأصلها فيليب سميث من بعض الجرذان فوجد أنها ماتت بعد ستين يوما من اجراء العملية ولكنه عندما قام بتشريح هذه الجرذان ليعرف ما اصابها حتى ماتت وجد أن كظرانها وغددها الدرقية وكذلك مناسلها قد أصابها ضمور شديد بالاضافة الى عجز فى مقدرتها الافرازية للهرمونات .

ويظهر نفس العجز فى كثير من الناس الذين أصاب المرض غددهم النخامية وقد افادهم العلاج بخلاصة الغدة النخامية الامامية .

وتستمر الأبحاث ويعمل البحاث ويصلون بعد تجارب كثيرة الى عزل ستـة من الهرمونات من هذه الغدة النخامية منها الهرمون الحافز لقشرة الكظر أو الادرينوكورتيكوتروفين وكـذلك الهرمون المسمى بالثيروتروفين أو بمعنى اخر الهرمون الحافز للغدة الدرقية . وكذلك ثلاث هرمونات أخرى من الجونادوتروفين أى الهرمون الحافز للمناسل . وهذه الهرمونات لها القدرة على حفظ الكظرين والغدة الدرقية والمناسل فى حالة جيدة من النمو والغذاء والعمل .

اما الهرمون السادس فهو هرمون النمو وهو ضرورى لنمو أجسام الثدييات نموا طبيعيا . وليست هـذه هى كل الهرمونات التى تفرزها هذه الغدة بل لعل العلم يكشف لنا عن عدد أكثر ومن أسرارها ما لا نعلم .

واذا كانت هذه الغدة النخامية تختص بخصائص الذكورة المميزة فهناك غدة أخرى هى الغدة الصنوبرية التى لها تأثير عكس ما تحدثه الغدة النخامية اذ اننا لو اتلفناها فى طفل فان الشعر يظهر فى وجهه ويبلغ الحلم وهو لم يتعد بعد السادسة من عمره وربما قبل ذلك .

وهكذا هرمون ينشط وهرون يثبط وتسير لأمور كلها سيرا طبيعيا اذا قام كل بواجبه فى الوقت المناسب وبالقدر المناسب مثلهم فى ذلك مثل أعضاء الاوركسترا الواحد يضربون جميعا نغما واحدا ولحنا واحدا فان شذ احدهم ظهر النشاذ فى اللحن وهكذا يخلق الله ويدبر وينظم وكل شىء عنده بمقدار .

ثم نعود مرة أخرى الى الخصية فنجد انه على احد جانبيها نوجد مجموعة من القنوات تمتد على شكل قلنسوة ضيقة سمى بالبربخ ويقوم هذا البربخ باختزان الحيوانات المنوية وادخال بعض التغيرات الهامة عليها ، ففى البربخ تكتسب الحيوانات المنوية قدرتها على الحركة الذاتية ولولا ذلك لكانت عاجزة عن ان تخترق اعضاء التناسل الداخلية فى الأنثى لتخصب البويضة .

وفى الجزء الأول من البربخ تدفع الحيوانات المنوية بفعل الأهداب الى جسم البربخ ثم الى جزئه الأخير ومنه الى الوعاء الناقل أو قنـاة الصرف . وتنتقل الحيوانات المنويه فى الوعاء الناقل الى أعلى فى منطقة الاربية ثم الى الخلف وراء عنق المثانة البولية حيث يتصل الوعاءان الناقلان بالحويصلتين المنويتين ليكونا القناتين القاذفتين او الدافقتين واللتين تعبران البروستاتة ثم تفرغان محتوياتهما فى قناة مجرى البول .

والبروستاته تشبه القلب فى الشكل وتحيط بعنق مجرى البول عند موضع خروجه من المثانة وتتكون من غدد تفرز مخاطا وتتأثر هذه الغدة والنسيج المحيط بها بالهرمونات فتزداد حجما وعددا عند البلوغ .

وتقوم البروستاته بدور هام فى عملية التناسل فهى التى تعادل حموضة الوسط الذى تنتشر فيه الحيوانات المنوية مما يزيد فى مقدرتها على الحركة ومما يزيد تبعا لذلك فرص الاخصاب . وما ذلك الا لان الاحماض تقتل الحيوانات المنوية والقلويات الخفيفة تنعشها . هذا ولو أن سلامة هذه الغدة ليست بالشىء اللازم لزوما حتميا كما أن عدم افرازها لأية هرمونات يجعل من الممكن الاستغناء عنها .

وتتجمع افرازات البروستاتة فى بضع قنوات تظهر فى مجرى البول على بروز ضيق وافراز البروستاتة مستمر الا أنه ينشط ويزداد أثناء الاتصال الجنسى حيث تدفع افرازاتها دفعا قويا بانقباض أنسجتها العضلية والمرنة الضامة .

وها هى قد تكونت الحيوانات المنوية ولم يبق الا العملية الأخيرة عملية القذف والتى تعتبر فى نفسها معجزة وأى معجزة . وعند الاتصال الجنسى تنشأ سيالات عصبية مثيرة فى حشفة القضيب ثم تنتهى بقذف السائل المنوى الذى سبق وتكون فى سلسلة متتابعة متناسقة فتقوم بعض الغدد المرطبةوهى الغدد المجربولية البصيلية تصب أفرازها الذى يساعد على الايلاج ثم تتلوها افرازات البروستاتة لتكسب السائل المنوى قلويته المناسبة ثم تفرغ الحويصلتان المنويتان افرازهما الذى يضاف الى السائل المقذوف وفى النهاية تنطلق الحيوانات المنوية من الوعائين الناقلين وتمر هذه الافرازات كلها هابطة قناة مجرى البول .

وتتم كل هذه العمليات بانقباض العضلات الملساء المنتشرة فى الغدد والقنوات المختلفة المشتركة فى أداء عملية القذف التى قد تحدث أثناء النوم .

وهكذا يتم تكوين السائل المنوى وهكذا يفرز وهكذا يقذف وسبحانه وتعالى القائل فى سورة الطارق .

« فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر » .

أما فى الأنثى فان أعضاء التناسل تقوم بما تقوم به الأعضاء فى الذكر من حيث انتاج الهرمونات وتكوين الخلايا الجنسية أو البويضات الا انها مزودة بطريق يلتقى فيه الحيوان المنوى بالبويضة ويمتاز هذا الجهاز علاوة على ذلك بانه معد اعدادا كاملا لاستقبال البيضة الملقحة وايوائها وتغذيتها حتى يستكمل الجنين نموه وسبحانه وتعالى القائل فى سورة المرسلات .

(ألم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه فى قرار مكين الى قدر معلوم . فقدرنا فنعم القادرون ، ويل يومئذ للمكذبين) .

وتقع هذه الأعضاء فى الحوض وهو تجويف مقعر يتكون من عظام الوركين والنهاية السفلى للعمود الفقارى وهذه الأعضاء مثبتة فى مكانها تثبيتا لا يقيدها ولكنه يسمح لها بالتمدد من الحوض الى تجويف البطن حين يزداد الحجم ازديادا كبيرا أثناء الحمل .

وهناك مبيضان يقعان على أحد جانبى أعضاء الحوض وهما بيضاويا الشكل وهما يشبهان الخصيتان من حيث التكوين ففيهما نسيج ينتج الأمشاج وهى فى حالة الأنثى البويضات ونسيج آخر يقوم بافراز الهرمونات الجنسية وللغدة النخامية هنا أيضا تأثير كبير على المبايض فالهرمونان الجوتادوتروفيان الحافزان للمبيض هما الهرمون الحافز لحويصلات البويضات والذى يقابل الهرمون المنتج للأمشاج فى الذكر وثانيهما هو الهرمون المصفر الذى يقابل الهرمون الحافز للخلايا البينية فى الذكر .

ويغطى المبيضين فى الجنين طبقة من نسيج طلائى جرثومى وهى التى تغوص الى داخله أثناء نموه الجنينى فتكون ما يسمى بالخلايا الجنسية الأولى أو البويضات الغير ناضجة وبهذا يصبح مبيض الطفلة الوليدة حاويا لنصيبه الكامل من البويضات ويقال أنها تبلغ مئات الالوف ولكن مما يقال أنه لا ينضج من هذا العدد الكبير أثناء سنوات الخصوبة الا نحوا من أربعمائة .

وتمر البويضات بنفس الخطوات التى تمر بها الحيوانات المنوية ليختزل عدد الكروموسومات الى الى النصف وبهذا تصبح البويضة ناضجة ومستعدة للتلقيح .

وترقد البويضات الناضجة فى طبقة من نسيج ضام غنى بالخلايا يختلف عن غيره من الأنسجة الداعمة فى أنه يقع تحت سيطرة الهرمونات الجنسية الانثوية والى هنا تتشابه خصى الذكر بمبايض الأنثى اذ أن كلا منهما يكون خلايا جنسية متخصصة وينتج هرمونات جنسية خاصة هى التى تتحكم فى ظهور خصائص الجنسين .

واذا كانت عملية انتاج الحيوانات المنوية عملية مستمرة الا أن انتاج البويضات محدود وهو يتم بنظام دورى تنظمه دورة الطمث .

وعندما يبدأ طور البلوغ فى حوالى السنة الثالثة عشرة تسرع بعض البويضات فى النضج كل شهر ولكن واحدة منها فقط هى التى تبلغ تمام نضجها ويحدث هذا فى أثناء النصف الأول من دورة الطمث .

وهرمون الغدة النخامية الحافز للحويصلات هو الذى يستحث عملية انتاج البويضات تماما كما يستحث عملية انتاج الحيوانات المنوية فى الذكر .

وفى أثناء نمو البويضة تتكاثر الخلايا الجرثومية المحيطة بها مكونة ما يعرف بحويصلة جراف . وتظل البويضة راقدة فى بروز صغير ناتىء من أحد جوانب جدار الحويصلة بينما يمتلىء بقية التجويف بسائل خاص .

وفى حوالى اليوم الرابع عشر من الدورة الشهرية تزيد الخلايا الحبيبية فجأة انتاجها من الاستروجينات وهى الهرمونات التى تعزى اليها خصائص الأنوثة ثم تحدث بعد ذلك عادة عملية الاباضة . اذ تنفجر الحويصلة من خلال سطح المبيض ويصحب هذا نزف طفيف داخل التجويف المتبقى من الحويصلة . ثم تمضى البويضة بعد ذلك لتدخل فى واحد من بوقى فالوب . وعندئذ يأتى هرمون آخر من هرمونات الغدة النخامية وهو الهرمون المصفر ويحول هذا الهرمون الخلايا الحبيبية التى بالحويصلة الى ما يعرف بالجسم الأصفر والتى بدورها تفرز هرمونا آخر هو البروجستيرون الذى يعد بطانة الرحم ويهيؤها لتصبح نسيجا ملائما لاستقبال البويضة وحضانتها ان قدر لها الاخصاب . أما اذا لم تخصب فان هذا الجسم الأصفر يتحلل ويتلاشى نتيجة لبدء الهرمون الحافز للحويصلات القيام بدورة طمث أخرى جديدة . ويسبب اضمحلال الجسم الأصفر نزف الطمث وكل التغيرات الرحمية .

وعندما توضع البيضة فى احدى قناتى فالوب نجد أن البطانة الطلائية لها أهداب تدفع البويضات نحو الرحم وهذه الاهداب لها اهميتها لأن البيضة لا تستطيع أن تدفع نفسها كما يفعل الحيوان المنوى .

وفى قناة فالوب يتم التلقيح وتتكون البيضة المخصبة وهكذا يبدأ تاريخ انسان جديد أو تبدأ قصة كاملة لانسان جديد وسيكون هذا موضوعا لحديثنا فى المقال التالى باذن الله .

وانى لأختتم حديثى بقوله تعالى فى سورة الجاثية (حم . تنزيل من الله العزيز الحكيم ان فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون) .

صدق الله العظيم

الايمان صانع المعجزات

الأستاذ محمود العرسي

ولقد ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب الامثال لاصحابه والمؤمنين به فى فجر الدعوة ، على قوة اليقين وثبات العقيدة ، رغم الاهوال التى احاطت به من كل جانب ، حتى سرى هذا الايمان الوثيق بالدعوة اليهم ، وسرى مسرى الدم فى عروقهم . ورسخ فى قلوبهم ، فوقفوا الى جوار الرسول الكريم . يذودون عنه اذى الكفار ، ويمنعونه ما استطاعوا من تطاول سفهائهم ، وكيد كبرائهم ويحيطون بتاييدهم ، ويبذلون من دمائهم واموالهم مايؤيد الدعوة . ويرسى من اركانها ، ويثبت دعائمها . وكانوا على رغم قلتهم وضعفهم امام طغيان قريش ، وضعف حيلتهم امام كيد الكائدين الاسلام ، لايبالون ما يصيبهم فى سبيل الله ، وما يلحقهم فى الذود عن بنيه ، مستهينين بالمصائب تتناوشهم من جميع أقطارهم فى سبيل الدعوة التى نهضوا الى تاييدها متخذين من رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة صالحة فى تحمل الالام . والاستهانة بالمصاعب .

ولقد قصصنا عليك ما فعله ابو بكر الصديق رضى الله عنه حين اجتمعت قريش فى الحجر ينتظرون رسول الله . ليسخروا منه ، ويصرفوه عن دعوة ربه ، فلما طلع عليهم الرسول تواثبوا اليه ، واحاطوا به . واخذ رجل منهم بمجمع ردائه يجره اليه ، فقام ابو بكر دونه وهو يبكى اشد البكاء محاولا ان يحتضن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يفديه بنفسه ، ويتلقى من دونه ما يصيبه من اذى ، وهو يصرخ اثناء ذلك ويقول : اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله . واستطاع بعد لأى أن يحول بينهم وبينه ، فما كان منهم الا ان وثبوا على ابى بكر رضى الله عنه فجذبوه بلحيته ، وصدعوا فرق راسه حتى آذوه .

وشبيه بهذا ما روى من ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا يوما ، فقالوا : والله ماسمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فهل من رجل يسمعهم كلام الله ، فنهض عبد الله بن مسعود ، وقال : انا اسمعهم كلام الله ، فقالوا : انا نخشاهم عليك ، انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم ان ارادوه . فقال عبد الله بن مسعود :

دعونى ، فان الله سيمنعنى ، ثم غدا ابن مسعود حتى اتى المقام فى الضحى وقريش فى انديتها ، حتى قام عند المقام ، ثم قال : باسم الله الرحمن الرحيم ، رافعا بها صوته .. ثم قرا ، الرحمن علم القرآن ، واستمر فى قراءة السورة بصوت مرتفع ، تسمعه قريش كلها . فتاملوه ، وجعلوا يقولون : ماذا قال ابن أم عبد ؟ فقال بعضهم انه يتلو بعض ماجاء به محمد فقاموا اليه ، فجعلوا يضربون فى وجهه . وجعل يقرا حتى بلغ من السورة ما شاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف الى اصحابه ، وقد أثروا فى وجهه ، وسال الدم من جراحاته ، فقالوا له : هذا الذى خشينا عليك ، فرد ابن مسعود على اخوانه من المؤمنين بما يدل على قوة ايمانه ، ورسوخ عقيدته ، رغم هذا الاذى فقال : ما كان اعداء الله اهون على منهم الآن ولئن شئتم لاغادينهم بمثلها غدا . فقالوا : لا . حسبك قد اسمعتهم مايكرهون .

ولقد صبت قريش من العذاب الوانا على المستضعفين من المؤمنين ، فعدوا عليهم ، ووثبت كل قبيلة على من فى حيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم . ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكة اذ اشتد الحر وتوقدت هواجره ، ويفتنونهم بذلك عن دينهم فمنهم

من يفتتن من شدة البلاء الذى يصيبه ، ومنهم من يصلب لهم ، ويعصمه الله منهم .

ومن الذين صبروا على العذاب ، ولم يفتنوا فى دينهم بلال بن رباح ، فكان امية بن خلف يخرجه اذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لاتزل هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى . فيقول وهو فى ذلك البلاء : احد ، احد ، وكان يمر به ورقة بن نوفل وهو يعذب بذلك ، ويقول : أحد ، أحد ، فيقول ورقة : احد احد والله يابلال ثم يقبل ورقة على امية بن خلف ، ومن يقوم معه على تعذيب بلال من بنى جمح ، فيقول : احلف بالله لئن قتلتموه على هذا لاتخذن قبره حنانا ومنسكا ، وظل بلال على ذلك حتى مر به يوما ابو بكر رضى الله عنه ، وهم يصنعون ذلك به ، فقال لامية بن خلف : الا تتقى الله فى هذا المسكين ؟ حتى متى ؟ قال امية : انت الذى افسدته ، فانقذه مما ترى فقال ابو بكر : افعل ، عندى غلام اسود اجلد منه ، واقوى على دينك ، اعطيك به قال : قد قبلت ، قال : هو لك ، فاعطاه ابو بكر غلامه ذلك ، واخذ بلالا فاعتقه .

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبابيه وامه اذا حميت الظهيرة ، يعذبونهم برمضاء مكة ، ويلبسونهم ادراع الحديد ، فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : صبرا آل ياسر ان موعدكم الجنة . وكان عمار يقول لرسول الله : لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ ، فيقول له : صبرا ابا اليقظان ، اللهم لاتعذب احدا من آل عمار بالنار . وما زال بنو مخزوم يمعنون فى تعذيب آل ياسر ، حتى استشهدت سمية ام عمار ، فقتلها ابو جهل وهو يمعن فى تعذيبها والتنكيل بها ، وهى تابى الا الاسلام ، حتى لاقت ربها مؤمنة صابرة فكانت بذلك اول شهيدة فى الاسلام ، نالت شرف السبق الى الشهادة ، وضربت بذلك اروع الامثال فى قوة الايمان ، وما تضفيه هذه القوة على صاحبها من جلد وصبر وعزم وتصميم .

ولقد فتن العذاب بعض المعذبين ، فاعطوا بالسنتهم ما سئلوا من كلمة الكفر ، من شدة العذاب وبرح الالم فنزل فيهم قول الله تعالى : « الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان » . ولقد سئل عبد الله بن عباس : اكان المشركون يبلغون من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يعذرون به فى ترك دينهم . قال : نعم ، والله ان كانوا ليضربون احدهم ويجيعونه ويعطشونه ، حتى ما يقدر على ان يستوى جالسا من شدة الضرب الذى نزل به حتى يعطيهم ما سالوه من الفتنة ، فكانوا يقولون له : واللات والعزى الهك من دون الله ! فيقول : نعم ان الجعل ليمر بهم ، فيقولون له : هذا الجعل الهك من دون الله فيقول : نعم ، لافتداء منهم مما يبلغون من جهده .

ولقد وقف الصديق ابو بكر رضى الله عنه فى محنة المستضعفين موقفا يستحق التخليد والتسجيل ، فنهض بعبء انقاذهم ، وشراء حريتهم ، وعتق رقابهم من حر ماله ، ورفع هذا البلاء عنهم فذهب فى التاريخ بهذه المأثرة التى طوق بها اعناقهم ، واضاف بها الى ايمانه صفحة جديدة مشرقة ، سجلها له القرآن الكريم فيما سجله لابى بكر رضى الله عنه من مآثر

ذكر المؤرخون ان ابا بكر اعتق سبع رقاب من هؤلاء المعذبين ، منهم بلال بن رباح الذى اشتراه من امية بن خلف واعتقه كما ذكرنا ، وام عميس ، وكانت لبنى تيم ابن مرة ، اشتراها ابو بكر واعتقها وزنيرة التى اصيب بصرها حين اعتقها ابو بكر ، فقالت قريش : ما اذهب بصرها الا اللات والعزى ، فقالت : كذبوا وبيت الله ، وما تضر اللات والعزى ، وما تنفعان ، فرد الله بصرها . وممن اعتقهم ابو بكر رضى الله عنه النهدية وبنتها ، وكانتا لامراة من بنى عبد الدار فمر بهما ابو بكر وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها ، وقد حملتهما فوق ما يطيقان ، وتقول لهما كلما رفعا صوتيهما بالانين والشكوى : والله لا اعتقكما ابدا ، وتشد عليهما بقسوة فاشتراهما ابو بكر بما قالت ، واعتقهما ، وقال لهما : انتما حرتان ، ارجعا اليها طحينها قالتا : ونفرغ منه يا ابا بكر ثم نرده اليها ؟ قال : ذلك ان شئتما . ومر الصديق رضى الله عنه بجارية بنى مؤمل « وهو حى من بنى عدى بن كعب » وكانت مسلمة ، وكان عمر بن الخطاب يعذبها لتترك الاسلام – وهو يومئذ مشرك – فاخذ يضربها ، حتى اذا مل قال : انى اعتذر اليك ، انى لم اتركك الا ملالة ، فتقول : كذلك فعل الله بك . فابتاعها ابو بكر واعتقها .

كل هذه المآثر الجليلة يذكرها التاريخ بالفخر لذلك الرجل العظيم ، الذى وقف الى جوار رسول الله يدافع عنه ، ويحميه من عدوان قومه ، وينقذ المستضعفين من قسوة العذاب الذى يصب عليهم باذلا ما له فى شراء حريتهم ، وتخليصهم من العذاب ، لايبغى بذلك جاها ولا عرضا من اعراض الدنيا ، ضاربا بذلك اروع الامثال على ان هذا الدين الكريم يظلل بحمايته الاقوياء والضعفاء ، فهم فيه سواء ، لافضل لقوى على ضعيف ، ولا لشريف على وضيع ، ولا لغنى على فقير . ولقد قال له والده ابو قحافة يوما : يابنى انى اراك تعتق رقابا ضعافا فلو انك اذ فعلت ما فعلت اعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك . فرد الصديق رضى الله عنه على أبيه قائلا : يا ابت ، انما اريد بما فعلت وجه الله ، فنزلت فيه الآيات الكريمة :

« فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى » الى قوله تعالى « وما لاحد عنده من نعمة تجزى ، الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ، ولسوف يرضى »

هذا هو الايمان فى اروع صوره واعظم مشاهده !

دراسات فى التاريخ الإسلامى

الفتوح الكبرى فى عهد الفاروق عمر بن الخطاب

• فتح العراق

• معركة القادسية

الدكتور أحمد ابراهيم الشريف

رأينا - فى المقال السابق - كيف انتصر المثنى بن حارثة الشيباني انتصارا تاما على قوات الفرس فى معركة البويب . وبهذا النصر الرائع الذى أحرزه استتب له الأمر فى منطقة الفرات كما استتب من قبل لخالد بن الوليد ، فانتشر المسلمون فى سواد العراق ينالون من رزقه وينعمون بخيراته ، وامتدت غاراتهم على المنطقة كلها بين دجلة والفرات حتى بلغت أرباض المدائن عاصمة الفرس ، لايقف لهم أحد ولا تردهم قـوة .

وأقام المثنى فى « الحيرة » يفكر فى الوسيلة لتعزيز جيشه بعد ما لحق قواته من خسائر فى هذه المعركة الضروس التي تم لها فيها النصر ، ولعله لم يكن يستعجل المدد ، فان الرعب قد استولى على نفوس الفرس بعد تلك الكارثة التى أصيبوا بها يوم البويب، حتى لقد خيل الى المثنى أن لا قيام لهم بعدها ، وأن خلافهم فى المدائن سيشتد على أثرها ، وأنهذا الخلاف قد يؤدى الي ثورة تعم فارس كلها فتوهنها وتزعزع نظامها .

فلندع المثنى يفكر فى موقفه ، ولنتجه نحن بتفكيرنا الى معركة البويب وما لها من دلالات على التاريخ ،فان لهذه الموقعة أكثر من دلالة : - لقد رأينا النصارى العرب من أهل العراق يقفون فى خطوط المسلمين يحاربون الفرس بنفس الحمية والشدة التى يحاربهم بها المسلمون ، ورأينا المثنى بن حارثة يدعو قائدى قبيلتى النمر وتغلب النصرانيين ليباشرا الهجمة الكبرى معه على جيش الفرس فى أثناء القتال ، ويقول لأنس بن هلال النمرى « يا أنس ! انك امرؤ عربي وان لم تكن على ديننا ، فاذا رأيتنى حملت على مهران فاحمل معى » ويقول نفس هذا القول لابن مردى الفهد التغلبى أفلا يقطع ذلك بأن الحرب فى العراق لم تكن حربا دينية (صليبية أو اسلامية) وأن الدين لم يكن هو الذى أثارها ، وانما الذى أثارها هو حرص العرب على أن يتخلص بنو جنسهم من نير الحكم الأجنبى الذى ركبهم قرونا طويلة ، وأن يكون الجنس العربي وحدة سياسية أينما كانت منازله ، أن الأمر واضح لاسبيل الى الجدل فيه ، ونفس هذه الاعتبارات التى أثارت الحرب فى العراق هى التى أثارت الحرب فى الشام . أما الفتح بالسيف لنشر الاسلام - وهى دعوى يقول بها كثيرون ممن يحاولون الطعن فى الاسلام - فلم يدر بخاطر أبى بكر ولا بخاطر عمر ، وان دار بخاطرهما أن تكون الدعوة الى الاسلام حرة لايقف فى سبيلها عائق يصدها بالقوة .

ذلك أن الدعوة الي الاسلام بقوة السلاح لاتتفق ومبادىء الاسلام ولا يقرها القرآن الذى أنزل على رسول الاسلام ، فهو يقول فى نص صريح « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » ، ويرسم للنبى وللمسلمين طريق الدعوة ، فيقول : « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » . وقد تعايش الاسلام فى طوره الاول فى الجزيرة العربية مع الديانات السماوية وأقرها ، بل وضمن لأصحابها حريتهم الدينية بنص صريح فى دستور الدولة الأول « الصحيفة » الذى وضعه النبي حين بدأ يؤسس الدولة الاسلامية فى يثرب علي رأس سنة من هجرته . فقد أقر اليهود على دينهم وضمن لهم حرية اعتقادهم . وكذلك عامل النبى نصارى نجران معاملة كريمة وتحالف معهم وأقرهم على دينهم .وكذلك تاريخ المسلمين شهيد على التعايش السلمى مع أصحاب الديانات الأخرى ، ولا يستطيع مؤرخ مهما كانت نزعته أن يثبت بدليل تاريخى أن المسلمين أجبروا أحدا بالقوة على تغيير دينه ، لايستثني من ذلك الا الوثنيون فهؤلاء لايقبل منهم الا الاسلام أو القتال ، وقد كان هذا موقف الأديان السماوية كلها من الوثنية وأصحابها.

وانما كان دخول الشعوب فى الاسلام بمحض ارادتها ولاعجابها بالمبادىء والمثل التى جاء بها الاسلام ، وبالقدوة الصالحة والمثل الطيب الذى ضربه المسلمون للناس فى معاملاتهم وسلوكهم . فاذا صح لهذا السبب أن نقرن بين انتشار الاسلام باتساع رقعة الفتوح ، فلا صحة اطلاقا لما يقال من أن هذه الفتوح كانت غايتها نشر الاسلام بحد السيف .

هذا بعض ما تدل عليه معركة البويب . وهى تدل كذلك على أن ماكان بين العرب والفرس من خصومة قد بلغ حدا لارجاء معه فى الصلح ولا حتى فى الهدنة . فقد وقعت معركتان كبيرتان تحمل فيهما كل نصيبه من الهزيمة القاسية : كانت معركة الجسر وقد هزم فيها المسلمون هزيمة نكراء ، ثم جاءت بعدها معركة البويب فاذاق فيها العرب خصومهم هزيمة أنكى وأشد مرارة وأمضى مما احق العرب فى يوم الجسر ، بل انها محت تماما آثار الهزيمة العربية وجعلت كلمة العرب هى العليا ، والقت فى نفوس الفرس الرعب وهدت عزيمتهم . ومع ذلك لم يفكر المسلمون فى التسليم ولا فى الصلح اثر غزوة الجسر ، ولم يفكر الفرس في التسليم ولا فى الصلح اثر معركة البويب . فلم يكن بد من أن تتصل الحرب حتى يذعن أحد الفريقين دون قيد أو شرط .

ولم يلبث الفرس حين زال عنهم الروع بعد البويب ان اخذوا يفكرون فيما يوشك ان يصير اليه حالهم اذا ظلوا فى فرقتهم وانقسامهم ، وخيل لاهل فارس أن هؤلاء الغزاة من العرب سيدخلون عليهم عاصمة بلادهم، ويدكون كل حصونهم ، ويخضعون أبناء كسرى وملكه لسلطانهم ، الا ان تكون المعجزة فتتحد كلمتهم وتزول فرقتهم ليواجهوا الغزاة ويجلوهم عن بلادهم ولكن كيف تتحد كلمتهم ورستم والفيزران يتنازعان السلطان ، والامراء والدهاقين منقسمون تؤيد هذا طائفة وتؤيد ذاك طائفة أخرى ، والمنافسة بين الطرفين على أشدها . لذا ذهب أهل فارس اليهما جميعا فحذروهما عاقبة الاختلاف وما يجره على البلاد من وهن وضعف يعرضها للضياع والهلكة « فما بعد بغداد وساباط وتكريت الا المدائن » ثم أنذروهما بقتلهما كليهما قائلين « والله لتجتمعان أو لنبدان بكما قبل أن يشمت بنا شامت » .

وتشاور رسم والفيزران ، فرأيا أن لابد من أن يقوم على الملك رجل من آل كسرى تلتف البلاد حول عرشه ، فاخذوا يبحثون بين نساء كسرى وجواريه عن واحد لعله يكون قد بقى من ذرية كسرى بعد أن قتل شيرى جميع الذكور من ذرية أبيه ، فعرفوا منهن انه لم يبق ذكر من ذرية كسرى الا طفل اخفته أمه عند أخواله ، هو يزدجرد بن شهريار بن كسرى ، فجاءوا به وهو يومئذ فى الحادية والعشرين من عمره ،فجعلوه على عرش اجداده ، واجتمعوا عليه وتباروا فى معونته ، فاطمأنت فارس وأخذت تعد العدة لكي تثأر لشرفها وكرامتها ولترد هؤلاء العرب الى بلادهم ، بل انها لو انتصرت لسوف توطىء الجيوش بلاد العرب نفسها لتشغلهم فى أنفسهم عن التفكير فى غزوها والدنو من أرضها .

وترامت الى المثنى أنباء الفرس وما صار اليه أمرهم ، فزايلته طمأنينته وأيقن أن أهل السواد لن يلبثوا - على عاداتهم - ان ينقضوا على المسلمين اذا سارت جيوش الفرس نحوهم . وقد حدث ما توقع المثنى ، فان يزدجرد قتل جعل رستم بن الفروخزاد القائد الكبير علي حربه ، وأناط به مهمة طرد العرب من العراق ، واحتشد رستم للامر ، وسرعان ما أخذ في اعداد الجيش وتنظيمه ، وبدأت النجدات تترى الي المدائن من كل أقاليم الدولة الفارسية ، والتف النبلاء حول راية ملكهم ، وعادت مدن العراق وقراه الى الثورة والتمرد ، فاضطر المثنى الى الانسحاب كرة أخرى الى تخوم شبه الجزيرة ، فسار فى جنده الى ذى قار ،وهناك جمع ما استطاع من الناس فى عسكر واحد ، وأقام فيه ينتظر مدد الخليفة ، وقد كان كتب اليه ينبئه بما علم من أمر الفرس وبما يتوقع من ثورة وانتفاضة .

وحين وصل كتاب المثنى الي عمر وعرف تجهز العجم بعد أن اجتمع أمرهم واتحدت كلمتهم ، لم يتوان عن مواجهة الحالة الطارئة وتلبية نداء المثنى فاحتشد للامر وقال « والله لاضربن ملوك العجم بملوك العرب ، ثم ننظر كيف تتجلى » . وكتب الى عماله على الكور والقبائل يستحثهم على ارسال النجدات الى المدينة وبالا يبقوا أحدا له تجربة أو نجدة أو فرس أو سلاح الا أوسلوه علي جناح السرعة ، وسرعان ما كان جيش جديد فى طريق التشكيل فى العاصمة . فلما اجتمع له من الجند بضعة آلاف خرج بهم حتى نزل على ماء يدعى « صرار » فعسكر به ، ولا يدرى الناس أيسير بنفسه على رأس هذا الجيش الى العراق ، أم يقيم بالمدينة ويؤمر غيره على الجيش . وساله عثمان بن عفان فى ذلك ، فدعا الناس للصلاة الجامعة ، فلما اجتمعوا سالهم رأيهم فيمن يسير على رأس الجيش الي العراق . قال العامة : سر وسر بنا معك . ودخل عمر فى رأيهم وكره أن يدعهم الا أن يخرجوا من هذا الرأى فى رفق . ثم انه دعى أصحاب المشورة فلما اجتمعوا اليه قال لهم :- احضرونى الرأى فانى حائر . وتشاور القوم وترادوا القول بينهم ، ثم أجمع ملاهم على أن يبعث أمير المؤمنين رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس الجيش ، ويبقي هو بالمدينة يمد هذا الرجل بالجنود ، «فان كان الذى يشتهى من الفتح فذلك مايريد ويريدون والا ندب جندا آخر يغيظ به العدو حتى يجيء نصر الله » ، عند ذلك جمع عمر المسلمين فخطبهم ، وكان مما قال لهم « يحق على المسلمين أن يكونوا وأمرهم شورى بينهم ، وانى انما كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوو الرأى عن الخروج ، فقد رأيت أن أقيم وأن أبعث رجلا » .

ولم يشأ عمر ان يختار وحده قائد هذا الجيش ، فقد سبق أن انفرد وحده باختيار ابيعبيد الثقفى فنكب ونكب الجيش معه فى معركة الجسر ، لذلك سأل عمر أهل المشورة عمن يصلح لقيادة هذا الجيش الذى من المحتمل أن يخوض فى العراق معركة كبيرة حاسمة . وانهم ليستعرضون الاسماء فيما بينهم اذ جاء عمر كتاب من سعد بن أبى وقاص ، وكان على بعض صدقات نجد ، يخبره بانه تخير له ألف فارس ذوى نجدة ورأى .وسمع القوم ما فى الكتاب وعمر يسالهم عمن يؤمره ، عند ذلك استبانوا الموقف فاجابوا « قد وجدت الرجل ! » ، قال : فمن ؟ . قالوا : الأسد فى براثنه ! سعد بن مالك ! » ووافقهم عمر ، وبعث الى سعد فقدم عليه من نجد ، فأمره على حرب العراق .

وكان سعد من أقارب النبى ومن أوائل صحابته والمؤمنين به ، وقد ذاع صيته فى شبابه بانه خير رام وأعظم من ينزع عن قوس ، كما اشتهر بانه أول من رمى سهما فى الاسلام ، وكان فى موقعة احد خير رام عن رسول الله ومن اشجع من ثبت معه حتى قال له النبي يومها

« ارم سعد فداك أبي وأمي » . وكان سعد قصير القامة بدينا ، ذا رأس ضخم وشعر جعد ، وقد عرف بأنه بطل من أبطال الحرب والقراع . وكان قد بلغ الأربعين حين اختير قائدا عاما لجبهة الفرس ، ولم يكن أحد من رؤساء القبائل أو شيوخها أو من قادة المسلمين يستطيع أن يحتج على قيادته ، نظرا لقرابته من رسول الله ولسبقه فى الاسلام وحسن بلائه ، فهو من أصحاب بدر ثم من أبطال أحد وغيرها من المعارك فى عهد الرسول . وفوق ذلك هو من رجال قريش التى أخذت تتحول بسرعة الى منزلة الطبقة الارستقراطية فى الدولة التى بدأت تتوسع حتى تصبح امبراطورية ، لذلك أخذ عمر يحذره من الغرور قائلا « يا سعد . سعد بنى وهيب ! لايغرنك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، فان الله عز وجل لايمحو السىء بالسىء ، ولكنه يمحو السىء بالحسن ! وليس بين الله وبين أحد نسب الا بطاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم فى دين الله سواء ، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة . فانظر الامر الذى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه وعليك بالصبر ! » .

خرج سعد من المدينة قاصدا العراق فى أربعة آلاف من الجند معهم نساؤهم وأبناؤهم . وكانت القوات تقبل بعد خروجه تترى الى المدينة تلبية لنداء عمر ، فكان يبعثها فى أثر سعد لتنضم اليه ، بذلك ازداد جنده عددا وقوة ، وزاد فى قوته أن بعثت اليه شبه الجزيرة بخيرة رجالها من الأبطال والفرسان والشعراء والخطباء والرؤساء وكل ذى مكانة ، فكان خلاصة الجزيرة العربية من الرجال تجمعت الى جيش سعد ، فكانوا كما قال عمر « والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب » . وكان من بين هؤلاء الرجال عمرو بن معدى كرب الزبيدى وطليحة بن خويلد الأسدى ، والأشعث بن قيس الكندى وغيرهم من الزعماء كل على رأس قبيلته . وبلغت القوات عشرين ألفا حين اقترب سعد من العراق . أما قوات المثنى التى انسحبت الى ذى قار بعد معركة البويب وبعد أن تولى يزجرد أمر الفرس ، فكانت ثلاثة آلاف انضم اليهم من القبائل المجاورة خمسة آلاف غيرهم . وكانت القوات التى فصلت من الشام بامرة هاشم بن عتبة بن أبى وقاص ثمانية آلاف . بذلك بلغ الجيش الذى سار من مختلف الانحاء ليشهد القادسية ستة وثلاثين ألفا أو نحوها . وذلك أضخم جيش عبأه المسلمون لغزو العراق منذ سار المثنى الى دلتا النهرين فى عهد أبى بكر .

وقد اكتمل جمع هذه القوات كلها ، خلا القوة المقبلة من الشام ، حين بلغ سعد « شراف » . غير أن المثنى لم يكن بين جنده ، فقد كان جرحه الذى أصيب به يوم الجسر قد نفر عليه فمات ، متوجا بتاج النصر فى البويب المعركة المنتظرة .

راضيا عن نفسه مرضيا عنه من الله والمسلمين . وكان عند وفاته قد استخلف على الجيش بشير بن الخصاصية وكذلك لم يكن المعنى بن حارثة أخو المثنى فى هذه الجنود أيضا ، فقد علم أن قابوس بن قابوس بن المنذر ذهب الى القادسية بأمر الفرس يدعو العرب الى الاشتراك مع جند كسرى فى قتال المسلمين ، وأنه كاتب بنى بكر بن وائل بمثل ماكان النعمان بن المنذر يكاتبهم به لينضموا الى دعوته . ونلاحظ هنا أن فارس تلجأ الى السياسة بأن تحاول احياء أسرة المناذرة العربية لكي تقيم من مملكة الحيرة القديمة حاجزا بينها وبين القوات العربية ، بعد أن هالها الروح القومى الذى ظهر بين صفوف القبائل العربية فى العراق . لكن فارس لم تعد قادرة على اعادة ماكان ، لأنها أفسدت موقفها مع عرب الحيرة من ناحية ولأن الروح العربى وجد له متجها آخر لدى بنى قومه الذين أصبحت دولتهم تشاطر دولة الفرس ، بل هى تغزوا أرضها وتقهرها وتلحق بها أفدح الهزائم ، ثم لايزال لها ما بعدها .

أسرع المعنى من ذى قار الى بنى بكر بن وائل فأفسد على قابوس خطته ، واستبقى قومه بنى بكر على ولائهم للمسلمين ، ثم رجع الى ذى قار فاصطحب سلمى زوجة أخيه المثنى ، وسار بها حتى أدرك سعدا بشراف حين أزمع الرحيل الى القادسية .

ودخلت سلمى مع المعنى على سعد ، فقص عليه نبأ قابوس وبنى بكر بن وائل ، ثم سلم اليه وصية المثنى اليه ، وهى ألا يقاتل عدوه من أهل فارس اذا اجتمع أمرهم وملاهم ، والا يقتحم عليهم عقر دارهم ، وأن يقاتلهم على حدود أرضهم ، على أدنى حجر من أرض العرب ، وأدنى مدر من أرض العجم . فان يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم ، وان تكن الأخرى كانوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم الى أن يرد الله الكرة عليهم . فلما سمع سعد وصية المثنى ترحم عليه وزاد حزنه لموته فقد حرم من معاونة قائد بصير شجاع . وأمر المعنى على عمل أخيه وأوصى بأهل بيته خيرا . ثم خطب سلمى الى نفسها فتزوجها وبنى بها . وكان مثل هذا الزواج بعض عادات العرب تكريما لذكرى العظيم المتوفى واكراما لأرملته حتى تظل فى مثل عزها وكرامتها فى حياة زوجها الأول .

كان سعد قد ضرب خيامه بعد سيره من المدينة عند بئر فى نجد يسمى الثعلبية لتتوافد اليه جموع القبائل المحلية ولتلحق به القوات التي يتابع عمر تسييرها اليه . وبعد ثلاثة أشهر من مقامه بها ، سار الى العذيب ، وفى العذيب لقيه المعنى بوصية أخيه المثنى كما قلنا .

وكان سعد مصمما على ألا يزج بجيشه قبل الأوان فى معركة قد تكون حاسمة ، وظلت القوات والقبائل العاملة تحت امرته موزعة على منطقة فسيحة فى الصحراء أكثر من ثلاثة أشهر . ولما كان الكثيرون منهم يحملون معهم عائلاتهم وقطعان مواشيهم كان حشدهم فى مكان ضيق أمر صعب . يضاف الى ذلك أن تعذر الحصول على العلف لمثل هذا العدد الكبير من الحيوانات جعل من الأفضل ضمان ثلاثة من المرعي الصحراوى الهادىء لتقوية الجياد والابل ، وجعلها قادرة على خوض غمار

ولما كان الوقت شتاء كان الماء متوفرا فى الصحراء للجميع ، وكانت المسافة التى تفصل بين الأطراف الشمالية للمنطقة التى عسكر فيها سعد وبين الفرات تبلغ نحوا من ثمانين ميلا ، وهى صحراوية خالية من الماء تؤلف مواقع « شراف وسلمان وشدهل » قوسا أمامية لها . وهكذا كان من الصعب على الفرس أن يقطعوا هذه المسافة الطويلة فوق جيادهم لمواجهة العرب فى أراضى تدريبهم .

وهكذا توافر الوقت الكافى لسعد لتنظيم جيشه دون أن يخشى أى تدخل من جانب العدو . وبذلك أتيحت له الفرصة الكافية لتدريب جيشه وتنظيمه وتعبئته على نحو يكفل له خوض معركة يستعد لها كل من الطرفين بأحسن ما عنده .

« يتبع »

الترف

في القرآن الكريم

الدكتور القطب محمد طبلية

عمل الاسلام على ايجاد التناسق والتقارب بين افراد المجتمع وطبقاته ، وذلك بمحاربة الفقر والترف معا :

حارب الاسلام الفقر بالحض على العمل ، المصدر الاساسي للكسب والرزق : « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا ، فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » - الآية ١٥ من سورة الملك » - و « أطيب الكسب عمل الرجل بيده » - حديث شريف -

وحاربه بمخاطبة ضمير المسلم وحثه على الانفاق وحسن معاملة العامل الأجير . « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، وماتنفقوا من شئ فان الله به عليم » (٩٢ - آل عمران) . قال المعرور بن سويد « رايت أبا ذر ، رضى الله عنه ، عليه حلة ، وعلى غلامه مثلها ، فسألته عن ذلك فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هم اخوانكم وخولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم . فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم من العمل مايغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم عليه » .

وحاربه بالتشريع والقانون بفرض الزكاة التى تؤخذ ممن تتوفر فيهم شروطها ، لكى تصرف فى الوجوه المبينة فى مواضعها .

وحاربه بتحريم الربا « واحل الله البيع وحرم الربا » (٢٧٥ - البقرة) . وبالنهى عن الاثرة « كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » (٧ - الحشر) وبعدم بخس الناس اشياءهم (٨٥ - الاعراف) .

وسنعود الى تفصيل ذلك باذن الله فى مقالات تالية .

وكما حارب الاسلام الفقر ، حارب كذلك الاسراف والترف . وقد تكلمنا عن الاسراف فى عدد ربيع الثانى ١٣٨٥ من هذه المجلة (ص ٢١٩) - واليوم نتكلم عن « الترف فى القرآن الكريم » .

والترف فى اللغة هو التنعم الزائد المؤدى الى البطر والبغى . وتجب التفرقة بينه وبين الغنى . فهذا الاخير محمود مطلوب وقد وصف الله - جل شأنه - به نفسه فى آيات كثيرة . من ذلك قوله تعالى « وربك الغنى ذو الرحمة » (١٣٣ - الانعام) ، كما أنه من على رسوله صلى الله عليه وسلم بانه وجده عائلا فأغناه . (سورة الضحى) .

وفى دعاء للرسول عليه الصلاة والسلام « اللهم انى أسالك الهدى والتقى والعفاف والغنى »

والترف ضار بالجسم والعقل والاخلاق ، كما انه مهلك للفرد والاسرة والجماعة .

فالمترف مسرف فى الطعام والشراب والملذات . وكفى بهذه - أو بعضها - من هادمات مهلكات !

وهو عبد لشهواته ولنفسه الامارة بالسوء . والويل لمن اتخذه الهه هواه !

وهو كسول طفيلى ثقيل . يستمرئ سهولة العيش ، ويغتال مجهود الغير ، ولا ينطلق الى جهاد ولا بر ولا خير .

والمترفون بليدو الحس ، ضعيفو العقل . وفى قلوبهم مرض . انهم حصب جهنم « لهم قلوب لايفقهون بها ، ولهم اعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالانعام بل هم أضل ، أولئك هم بها ، أولئك كالانعام بل هم أضل ، واولئك هم الغافلون » (١٧٩ - الاعراف) . وهم عباد مادة « يكنزون الذهب والفضة ، ولاينفقونها فى سبيل الله» زين لهم « حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث » (٣٤ التوبة و ١٤ آل عمران) .

وهم جامدون ، يتمسكون بالقديم ويعادون الجديد . « واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » (٧٠ البقرة) .

وهم طلاب متاع وسلطان وأعراض زائلة ، ولو كان ذلك على حساب المبادئ والقيم والمثل العليا .

وقوم هذا شأنهم يجرون الشر لانفسهم وذويهم وبلادهم . « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » (٢٥ - الانفال) . وهذا كله واضح فى تاريخ الافراد والعائلات والدول - وضوحا لا يحتاج الى اظهار .

وفى عهود قريبة مضت عرفت هذه البلاد أنماطا ممن كانوا يسمون أنفسهم « أولاد الذوات والبيوتات » ، منهم من هجر القرية الى المدينة ، جريا وراء الملذات ، وسعيا وراء الرتب والالقاب والمناصب ، فدمروا انفسهم ، وبددوا ثرواتهم ، ونقلوها - بالاستدانة

والربا من الايدى القومية الى المصارف والبلاد الاجنبية. ومنهم من بقى فى القرية يستذل اهلها ، ويستغلهم اسوا استغلال . ومنهم الطفيليون ومحترفو الاجرام .. ومنهم ومنهم ..

وفى التاريخ القديم والحديث ، كان الترف هو السبب الاساسى فى سقوط العروش والدول .

وفى هذا المعنى يقول الدكتور غوستاف لوبون : « ان كل عضو لا يقوم بوظيفته لا يلبث ان يعجز عن القيام بهذه الوظيفة من فوره .. وماكان مزاج الناس النفسى ليشذ عن هذه السنن الفيزيولوجية .

وقد تزول بسرعة قابليات النفس التى اقتضى تكوينها عدة قرون . ولا تلبث الشجاعة وقوة المبادرة والاقدام وروح المخاطرة وغيرها من الصفات الخلقية ان تمحى اذا لم يتح لها ان تمارس » .

« ونحن اذا بحثنا فى الاسباب التى ادت بالتتابع الى انهيار الامم ، وهى التى حفظ التاريخ لنا خبرها كالفرس والرومان وغيرهم ، وجدنا ان العامل الاساسى فى سقوطها هو تغير مزاجها النفسى تغيرا نشأ عن انحطاط اخلاقها ولست ارى امة واحدة زالت بفعل انحطاط ذكائها .

« ووجه الانحلال واحد فى جميع الحضارات الغابرة » فالامة « بعد ان تبلغ تلك الدرجة من الحضارة والقوة ، حيث تطمئن الى انها لا تكون عرضة لهجوم جيرانها ، تبدأ بالتمتع بنعم السلم والترف التى يمن الثراء بها عليها ، فتذبل المزايا الحربية ، وتوجب زيادة الحضارة وحدوث احتياجات جديدة ، وتنمو الأثرة . وابناء الوطن - اذ لا يبقى لهم بذلك من مثل عال غير التمتع السريع بالاموال التى تحصل على عجل - يتركون للدولة أمر ادارة الشئون العامة ، فلا يلبثون ان يفقدوا جميع الصفات التى كانت سبب عظمتها . وهناك يغير على الامة الكثيرة التمدن جيران.. ذوو احتياجات ضعيفة الى الغاية مع مثل عال قوى جدا ، ثم يقيم هؤلاء حضارة جديدة » وعلى هذه الصورة هدمت امبراطوريتا الرومان والفرس مع ماكان لهما من تنظيم هائل . « وليست صفات الذكاء هى التى كانت تعوز الامم المقهودة » وانما كانت تعوزها الاخلاق

وقد صاغ الشاعر العربى هذا المعنى بقوله :

انما الامم الاخلاق مابقيت
فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وذلك كله مصداق لقوله تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ، ومالهم من دونه من وال » (١١ - الرعد) .

هذا ، وقد جاءت مادة الترف فى القرآن الكريم فى ثمانية مواضع ، وهذه هى الايات التى وردت فيها حسب ترتيب السور :

(الايات : ١١٦ - هود ، ١٦ - الاسراء ، ١٣ - الانبياء ، ٣٣و٦٤ - المؤمنون ، ٣٤ - سبأ ، ٢٣ - الزخرف ، ٤٥ - الواقعة) .

آية هود

وردت اية (هود) قرب آخر السورة ، فرقمها - كما تقدم - (١١٦) من عدد الايات البالغ ١٢٣ آية .

وتبدا سورة (هود) - وهى مكية - بقوله تعالى : « الر ، كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير .. » والنذير البشير - هنا - هو الرسول عليه الصلاة والسلام . وبعد آيات مختلفة . وبعد اشارة الى « الذين خسروا أنفسهم .. » والي الذين آمنوا وعملوا الصالحات .. أصحاب الجنة .

يقول الله تعالى : « مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع ، هل يستويان مثلا ، أفلا تذكرون» (٢٤ هود) . بعد ذلك تتوالى الآيات فى قصص الرسل ، فالايات من ٢٥ الى ٤٩ فى قصة نوح عليه السلام ، وهى تبدا بقوله تعالى « ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين ، الا تعبدوا الا الله » وتنتهى بقوله تعالى «تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك، ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ، ان العاقبة للمتقين » .

والآيات من ٥٠ الى ٦٠ فى قصة هود ، والآية ٥٠ هى « والى عاد اخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره . ان أنتم الا مفترون » . والآيتان الاخيرتان فى القصة هما « وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله . واتبعوا امر كل جبار عنيد ، واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ، ويوم القيامة الا ان عادا كفروا ربهم ، الا بعدا لعاد قوم هود » .

والآيات من ٦١ الى ٦٨ فى قصة صالح . وتبدا بقوله تعالى : « والى ثمود اخاهم صالحا .. » وتنتهى بقوله تعالى « كأن لم يغنوا فيها ، الا ان ثمود كفروا ربهم ، الا بعدا لثمود » .

والآيات من ٦٩ الى ٨٣ فى قصتي ابراهيم ولوط ، وتبدا بقوله تعالى : « ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى .. » وتنتهى بقوله تعالى : « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها ، وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ، مسومة عند ربك ، وماهى من الظالمين ببعيد » .

والآيات من ٨٤ الى ٩٥ فى قصة شعيب : وبدايتها « والى مدين اخاهم شعيبا .. » ونهايتها « .. الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود » والآيات من ٩٦ الى ٩٩ فى قصة موسى .

وفى هذه القصص يدعو الرسل اقوامهم الى عبادة الله وحده ، وترك الشرك والعادات السيئة والانحرافات المختلفة ، ويقبل البعض على هذه الدعوات ، ويحاربها الاخرون من المترفين والمستكبرين ومن جاراهم . وينجى الله رسله والذين آمنوا « وكان حقا علينا نصر المؤمنين» (٤٧ - الروم) . أما الكافرون فلهم سوء المصير . « فكلا اخذنا بذنبه . فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الارض ، ومنهم من اغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » (٤٠ - العنكبوت) .

وبعد القصص المتقدمة تاتى الاية المائة كالاتى : « ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد ».

تتلو ذلك آيات فى التعقيب على ما تقدم ثم تتوالى الايات ١١٥ و ١١٦ و ١١٧ ونصها « واصبر فان الله لايضيع أجر المحسنين ، فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ، ينهون عن الفساد فى الارض ، الا قليلا ممن أنجينا منهم ، واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين . وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » .

وفى تفسير هذه الايات جاء فى (البيضاوى) :

فلولا كان = فهلا كان .

اولو بقية = من الراى والعقل ، او اولو الفضل ، او ذوو ابقاء على انفسهم صيانة لها من العذاب .

واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه = ما انعموا فيه من الشهوات ، واهتموا بتحصيل أسبابها ، وأعرضوا عما وراء ذلك .

وكانوا مجرمين = كافرين . كانه اراد أن يبين ماكان السبب لاستئصال الامم السابقة ، وهو فشو الظلم فيهم ، واتباعهم للهوى ، وترك النهى عن المنكرات مع الكفر .

بظلم = بشرك .

واهلها مصلحون = فيما بينهم ، لا يضمون الى شركهم فسادا او تباغيا . وذلك لفرط رحمته ومسامحته فى حقوقه .

وفى معنى ما تقدم جاء فى تفسير المنار « ان العقول السليمة الرشيدة كافية لفهم مافى دعوة الرسل عليهم السلام من الخير والصلاح او لم يمنع من استعمال هدايتها الافتتان بالترف ، والتفنن فى انواعه ، بدلا من القصد والاعتدال وشكر الله المنعم . فالاتراف هو الباعث على الاسراف والفسوق والعصيان والظلم والاجرام . يظهر فى الكبراء والرؤساء ، ويسرى بالتقليد فى الدهماء ، فيكون سبب الهلاك بالاستئصال او فقد الاستقلال » .

« وما كان من شان ربك .. ان يهلك الامم بظلم منه لها .. وانما اهلكهم ، ويهلكهم بظلمهم وافسادهم فيهـا » .

« وفى الاية وجه آخر . وهو انه ليس من سنته تعالى أن يهلك القرى بظلم يقع فيها - مع تفسير الظلم بالشرك - واهلهامصلحون فى أعمالهم الاجتماعية والعمرانية ، واحكامهم المدنية والتاديبية ، فلايبخسون الحقوق كقوم شعيب ، ولا ياتون فى ناديهم المنكر كقوم لوط ، ولا يبطشون بالناس بطش الجبارين كقوم هود ، ولا يذلون لمتكبر جبار يستعبد الضعفاء كقوم فرعون - بل لابد ان يضموا الى الشرك الافساد فى الاعمال والاحكام ، وهو الظلم المدمر للعمران . وفى هذا المعنى القول المشهور المعبر عن تجارب الناس وهو ان الامم تبقى مع الكفر ولا تبقى مع الظلم » .

« ويحتمل ان يراد انه لا يهلكها بظلم قليل من اهلها لانفسهم ، اذا كان الجمهور الاكبر منهم مصلحين فى جل اعمالهم ومعاملاتهم للناس »

آية الاسراء

بعد الايات الاولى من السورة تاتى الايات ١٥و١٦و١٧ هكذا « من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا . واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيهـا ففسقوا فيها فحق عليها القـول فدمرناها تدميرا . وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح .. »

وفى البيضاوى فى تفسير هذه الايات :

واذا اردنا ان نهلك قرية = واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق ، أو دنا وقتـه المقدر .

امرنا مترفيها ففسقوا فيها = امرنا متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم . والفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد فى العصيان . وقيل امرنا اى كثرنا. وقيل ايضا : امرنا اى جعلناهم أمراء . وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم . ولانهم أسرع الى الحماقة، وأقدر على الفجور .

ونكتفى بان نشير هنا الى مايظهر فى الايات من الربط بين الترف والفسق من جهة، وبين هلاك القرى من جهة أخرى .. وهـذه سنة الله فى خلقـه ، تلك السنة المستفادة من قوله تعالى « فحق عليها القول .. الخ» ومن قوله كذلك « وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح » وقد سبق ذكر أمثلة على ذلك فيما كتبناه من سورة (هود) .

آية الانبياء

تبـدأ سورة الانبيـاء بالاشارة الى غفلة الناس واعراضهم رغم اقتراب الحسـاب ، والى انهم اذا اتاهم ذكر محدث من ربهم « استمعوه وهو يلعبون ، لاهيـة قلـوبهم .. » يقولون عن الرسول : « هل هذا الا بشر مثلكم » .. ويقولون عما اتى به « اضغاث احلام ، بل افتراه ، بل هو شاعر .. » ثم يقولون : « فلياتنا باية كما ارسل الاولون » . ثم تاتى الآيات بعد ذلك هكذا : « ما آمنت قبلهم من قرية اهلكنـاها افهم يؤمنون وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمـون . وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وماكانوا خالدين . ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشـاء واهلكنا المسرفين . لقد انزلنا اليكم كتـابا فيه ذكركم افلا تعقلون . وكم قصمنا من قرية كانت ظالمـة وانشانا بعدها قوما آخرين . فلما احسوا باسـنا اذا هم منها يركضون . لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسالون . قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين . فما زالت تلك دعواهم حتى جعلنـاهم حصيدا خامدين » (الايات من ٦ الى ١٥) .

وجاء فى تفسير البيضاوى :

« وارجعوا الى ما اترفتم فيه » من التنعم والتلذذ، والاتراف ابطار النعمة .

« لعلكم تسالون » غدا عن اعمـالكم ، او تعذبون ، فان السؤال من مقدمات العذاب . « قالوا يا ويلنـا انا كنا ظالميـن » لما راوا العـذاب ، ولم يروا وجه النجاة . فلذلك لم ينفعهم .

ويلفت النظر فى الايات الكريمات ، والتى جاء فيها ذكر (الترف) ، انها تتضمن فى نفس المجال الحديث عن رسالات السماء ، وعن القرى الظالمة المسرفة المترفة اللاهية قلـوبها عن ذكر الله ، فاهلـكها الله وجعلها حصيدا .

فلما احسوا باس الله « اذا هم منها يركضون » . ولـكن : كيف الفـرار من الله ؟! والى اين ؟ وكيف الهروب من النتائج وقد اوجدوا الاسباب؟! وكيف يرجى البقاء مع الظلم والفساد ؟ الا انه لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون .

ايتـا (المؤمنون)

تبدأ السورة بقوله تعالى « قد افلح المؤمنون .. » ثم تاتى آيات فى صفاتهم ، ثم آيات فى قدرة الله الذي خلق « الانسان من سلالة من طين .. » وخلق فوقنـا سبع طرائق .. وانزل من السـماء ماء بقـدر .. .. الخ وبعد ذلك تاتى الآيات فى رسالة نوح : « فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم .. » الى ان يقول الله تعالى : « ثم انشانا من بعدهم قرنا آخرين ، فارسلنا فيهم رسولا

منهم أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره • افلا تتقون • وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ، واترفناهم فى الحياة الدنيا ماهذا الا بشر مثلكم ٠٠ » (الآية ٣٣) «٠٠ فأخذتهم الصيحة بالحق » (الآية ٤١) ، ثم انشأ الله « من بعدهم قرونا آخرين » الآية ٤٢) ، ثم ارسل رسله تترا كلما جاء امة رسولها كذبوه ، فاتبعنا بعضهم بعضا ، وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون • ثم ارسلنا موسى واخاه هارون ٠٠ » (الآيتان ٤٤ و٤٥) « وجعلنا ابن مريم وامه آية ٠٠» (الآية ٥٠) • وبعد آيات اخرى يقول الله تعالى « بل قلوبهم فى غمرة من هذا ، ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون • حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجارون « الايتان ٦٣ و ٦٤) •

وفى كتب التفسير :

الملا = الظاهرون البارزون فى القوم •

يتفضل = يصير افضلكم

واترفناهم = نعمناهم فى الدنيا بكثرة المال والولد

وهكذا نرى الآيتين ٣٣و ٦٤ من سورة « المؤمنون » اللتين وردت فيهما الكلمتان « واترفناهم » و «مترفيهم» - نرى انهما جاءا مع آيات فى ذكر الرسل وتكذيبهم • والمكذبون هم المترفون • ومصيرهم هو العذاب • انهم فى غمرة وغفلة من لقاء ربهم •

ونلاحظ فى قوله : « يريد ان يتفضل عليكم ٠٠ » اشارة الى هذه الحرب التقليدية بين المترفين واصحاب الرسالات الجديدة ، بين باطل يجب ان ينتهى وحق غالب • انهم يخدعون أنفسهم وتابعيهم قائلين لهم : ليس الرسل الا بشرا مثلهم ، يبتغون السيادة عليهم بدعوى الرسالة « يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ، ولو كره الكافرون » (٣٢ - التوبة) •

آية سبا

بعد الآيات الثلاث والثلاثين الاولى من سورة سبا ، والتى تتضمن شيئا عن داود وسليمان عليهما السلام ، وشيئا كذلك عن قوم سبا الذين كان لهم فى مسكنهم « آية جنتان عن يمين وشمال » والذين « اعرضوا » فارسل الله « عليهم سيل العرم » • لقد ظلموا انفسهم « فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق »

وبعد آيات فيما يدور بين الذين استضعفوا والذين استكبروا ، وهم جميعا «موقوفون عند ربهم» - يقول الله تعالى « وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون • وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا ومانحن بمعذبين » فهاتان الايتان (٣٤ و ٣٥ من سورة سبا) تتكلمان عن المترفين ، وكيف انهم هم الذين يتصدون لرسالات الرسل بالتكذيب ، معتزين بكثرة المال والولد ومتفاخرين • « وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ، والآخرة عند ربك للمتقين » (٣٥ - الزخرف)

آية الزخرف

يقول الله سبحانه وتعالى فى الآيات من ٥ - الى ٨ من السورة « افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين ، وكم ارسلنا من نبى فى الاولين • وماياتيهم من نبى الا كانوا به يستهزئون • فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين »

ويقول فى الآيات من ٢١ الى ٢٥ « ام آتيناهم كتابا من قبله ، فهم به مستمسكون • بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة ، وانا على آثارهم مهتدون • وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون. قال أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا انا بما ارسلتم به كافرون • فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين » •

ففى الآيات - كما تقدم - اشارة الى « الاولين » الذين ما أرسل الله اليهم من رسول « الا كانوا به يستهزئون » •

ان رسالات السماء ثورات ضد الشرك بالله ، ضد عبادة المادة ، ضد الترف ، ضد التعصب والافتخار بكثرة الاموال والاولاد ، ضد التعالى والتبلد فى الحس، والافساد فى الارض • ضد الامتياز والامتيازات الباطلة •

وطبيعى الا يتعرض للرسل والرسالات الا المترفون ، الذين يقومون - عن جهل - او عن قصد - مستميتين دون ما تركه لهم الاباء والاجداد غير ناظرين الى الاهدى والاحسن •

آية الواقعة

بعد آيات فى : اصحاب الميمنة ، واصحاب المشأمة والسابقين السابقين ، وما اعده الله للمقربين واصحاب اليمين « فى جنات النعيم » • تاتى الآيات « ٤١ » وما بعدها هكذا : « واصحاب الشمال ، ما اصحاب الشمال ، فى سموم وحميم ، وظل من يحموم ، لا بارد ولا كريم • انهم كانوا قبل ذلك مترفين • وكانوا يصرون على الحنث العظيم • وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ٠٠ »

على هذا النحو تاتى آخر آية وردت فيها مادة (الترف) فى القرآن الكريم • فى هذا البيان القرآنى القوى المعجز : « واصحاب الشمال • ما اصحاب الشمال ٠٠! فى سموم وحميم ٠٠ الخ

ولماذا هذا المصير ، والعذاب الاليم ؟!

كفاهم انهم « كانوا قبل ذلك مترفين ٠٠ »

ان هؤلاء الذين اسرفوا فى الاستجابة لكل شهوة ونزوة ، ليس لهم فى الآخرة الا النار ، واى نار ٠٠!

ونلاحظ - بعد العرض المتقدم - ان الكلمات المشتقة من مادة الترف ، الواردة فى القرآن الكريم ، وهى ثمانى كلمات ، أوردناها حسب ترتيبها في سورها فى المصحف الشريف - نلاحظ :

اولا : انها جاءت مرتبطة بسوء العاقبة ، فى الدنيا والآخرة •

ثانيا - انها جاءت - أول ما جاءت - فى سورة (هود) (وهى السورة الحادية عشرة من القرآن الكريم) ، وقد جاءت فى هذه السورة مسبوقة بذكر تفصيلى (نسبيا) لقصص بعض الانبياء مع اقوامهم ، وما حدث لهم •

ثالثا - انها وردت - فيما تلا ذلك - مرتبطة بذكر الرسل والرسالات ، ولكن ليس بمثل التفصيل المتقدم •

رابعا - انها فى الآية الاخيرة (وهى الواردة فى سورة الواقعة التى تحمل رقم ٩٦ بين سور المصحف الشريف) - جاءت كجريمة اولى من الجرائم التى ارتكبها اصحاب النار •

وبعد : فاذا كنا نعوذ بالله من الفقر مرة ، فاننا نعوذ به من الترف الف الف مرة •

شاعرات اسلاميات

الأستاذة
روحية القليني

ان المتتبع لتاريخ المرأة الشاعرة يذكر أول ما يذكر الخنساء فهى شاعرة مخضرمة عاصرت الجاهلية وادركت الاسلام .

والخنساء مشهورة فى تاريخ الادب والشعر بصفة خاصة بالشاعرة التى لا تعرف لونا غير الرثاء بعد فقد أخويها صخر ومعاوية قالت فيهما ما يزيد على سبعين بيتا وليس فيها بيتا فى رثاء أولادها مما أدهش من يؤرخ حياتها كيف لا ترثى أم شاعرة مجيدة أبناءها حين يستشهدون جميعا عن آخرهم ولا تقول الا جملة مشهورة « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم » .

فانا ان تكلمت عن بعض الشاعرات الاسلاميات فانما أتكلم عمن جئن بعد الخنساء وأول من ساذكر شعرهن ليلى الاخيلية فهى شاعرة اسلامية فى العصر الاموى وأكثر شعرها فى الغزل ولكن لها قصائد فى غير هذا اللون كثيرة .

ففى قصيدة لها ترثى عثمان بن عفان رضى الله عنه تقول :

أبعد عثمان ترجو الخير أمته
وكان آمن من يمشى على ساق
خليفة الله أعطاهم وخولهم
ما كان من ذهب وجم وأوراق
فلا تكذب بوعد الله وارهن به
ولا توكل على شىء باشفاق
ولا تقولن لشىء سوف أفعله
قد قدر الله ما كل امرىء لاق

فهى هنا مؤمنة خاضعة لارادته ، وعندها الروح الاسلامية واضحة .

ومما قالت أيضا أنها فى ذات مرة قدمت على الحجاج ابن يوسف وعنده وجوه أصحابه واشرافهم فلما دنت سلمت فقال الحجاج ما أتى بك يا ليلى قالت أخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البر وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله الرفد ثم قالت اتاذن أيها الامير

قال نعم فانشدته :

أحجاج ان الله أعطاك غاية
يقصر عنها من أراد مداها
أحجاج لا يفلل سلاحك انما
المنايا بكف الله حيث تراها
اذا ورد الحجاج أرضا مريضة
تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بها
غلام اذا هز القناة سقاها
سقاها دماء المارقين وعلها
اذا جمحت يوما وخيف اذاها
اذا سمع الحجاج صوت كتيبة
أعد لها قبل النزول قراها

ولما قالت « غلام » قال لها الحجاج لا تقولى غلام بل قولى « همام »

وهذا يدل على مكانتها عند الحجاج ومدى تذوقه لشعرها ونقده له فى بساطة منه وتقبل حسن منها .

ومن الشاعرات الاسلاميات أيضا الشاعرة المتصوفة رابعة العدوية وشعرها معروف نذكر منه

احبك حبين حب الهوى
وحبا لانك أهل لذاكا

فأمـا الذى هو حـب الهوى
فشـغلى بذكرك عمن سـواك
وأمـا الذى انت أهـل لـه
فكشفك لى الحجب حتى أراك
فلا الحمـد فى ذا ولا ذاك لى
ولـكن لك الحمـد فى ذا وذاك

ورابعة لم تقل الا شعرا صوفيا .

ومن الشاعرات الاسلاميات الرقيقـات ميسون بنت بحدل أم يزيد بن معاوية

قالت فى الشوق الى البادية :

لبيت تخفـق الارواح فيـه
احـب الى من قصـر منيـف
ولبس عبـاءة وتقـر عينى
احـب الى من لبس الشـفوف
وأكـل كـسيرة فى كسر بيتى
احـب الى من أكـل الرغيـف
وأصـوات الـرياح بكل فـج
احـب الى من نقـر الدفـوف
خشـونة عيشتى فى البدو أشهى
الى نفسى من العيش الطـريف
فمـا أبغى سـوى وطنى بديلا
وما ابهـاه من وطـن شـريف

أبيات صادقة تدل على مدى تعلق الانسان بوطنه كما أن فيها اعتداد وقوة شخصية فالشاعرة هنا تعتز بوطنها البقعة الصغيرة من الارض البعيدة عن المدنية والحضارة عن كل مكان مهما رحب .

وهنا أقف وقفة طويلة أمام شاعرة نمجدها ونجلهـا شاعرة عزيزة على نفوس المسلمين جميعا هى السـيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت على قبر الرسول عليه السلام :

قد كان بعـدك أنبـاء وهنبثـة
لو كنت شاهدك لم تكثـر الخطب
انا فقدناك فقد الارض وابلهـا
وغاب مذ غبت عنا الوحى والكتب
فليت قبلك كان المـوت صادفنا
لمـا نعيت وحالت دونك الـكتب

وقالت :

مـاذا على من شم تربة أحمـد
ألا يشم مدى الزمـان غواليـا
صبت على مصـائب لو انهـا
صبت على الايام عـدن لياليـا

وقالت :

اغبـر آفاق السـماء وكـورت
شمس النهـار وأظـلم العصران
والارض من بعـد النبى كئيبـة
اسـفا عليـه كثيرة الاحـزان
فليبـكى شرق البـلاد وغربهـا
ولتبـكه حضـر وكل يمـانى
وليبـكه الطـود الاشم وجـوه
والبيـت ذو الاسـتار والاركان
يا خـاتم الرسـل المبارك صنوه
صـلى عليك منـزل القـرآن

ولم أعثر على شعر للسيدة فاطمة غير هـذه الابيات فى الرثاء فهل يا ترى ضـاع شعرها ولم يبق الا هـذه الابيات . أم أنها لم تقل شعرا الا هذا فلقـد هزتها الصدمة هزا فانطقتها شعرا .

وهذه شاعرة أخرى من بيت الرسول قالت فى وقعـة كربلاء بعد مقتل الحسين عليه السلام وهذه الشاعرة هى ابنة عقيل بن أبى طالب

ماذا تقـولون ان قال النبى لكم
ماذا فعلتـم وأنتم آخـر الامم
بعترتى وبأهـلى بعد مفتقـدى
منهم أسارى وقتلى خضبوا بـدم
ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكم
ان تخلفونى بسـوء فى ذوى رحمى

وشاعرة أخرى اسمها عاتكة بنت زيد أخت سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة

قالت ترثى عبدالله بن أبى بكر الصديق وقد قتـل عنها فى الطائف

فلله عينـا ما رأى مثـله فتى
أكـر وأحمى فى الهياج وأصبرا
اذا أشرعت فيـه الاسنة خاضها
الى الموت حتى يترك الرمح أحمرا
وآليت لا تنفـك عينى حزينـة
عليـك ولا ينفك جلدى اغبـرا
مدى الدهر ما غنت حمـامة آيلة
وما طرد الليل الصـباح المنـورا
رزئت بخيـر النـاس بعد نبيهم
وبعد أبى بكـر وما كان قصـرا

وقالت ترثى زوجها عمر بن الخطاب .

منـع الـرقاد فعاد عينى عـود
ممـا تضـمن قلبى المعمـود
يا ليـلة حسبت على نجـومها
فـسهرتها والشـامتون هجـود
قد كـان يسـهرنى حذارك مـرة
فاليـوم حـق لعينى التسـهيد
أبكى أميـر المؤمنيـن ودونه
للـزائرين صـفائح وصـعيد

وقصيدة للسيدة عائشة بنت أبى بكر ترثى فيها أباها أذكر منها بيتين وهذا يدل على أن الجو العربى الاسلامى كان ينطق النساء ويوحى اليهن كما يوحى الى الرجـال بشعر رصين جميل .

قالت :

ان ماء الجفـون ينـزحه الهـم
وتبقى الهمـوم والاحـزان
ليس يأسـو جـوى المرزاء مـاء
سـفحته الشـؤون والاجفـان

ومن طريف ما قرأت لهؤلاء الشاعرات شعرا بسيطـا للشاعرة « الشيماء » واسمها حذافة بنت الحـرث السعدية وهى اخت النبى عليه السلام من الرضاعة كانت تدلل الرسول وهو صغير فتقول له :

يا ربنـا ابق لنـا محمـدا
حتى اراه يافعـا وأمـردا
ثم أراه سـيدا مسـودا
واكبت أعاديه معـا والحسـدا
وأعطـه عـزا يدوم أبـدا

وهكذا تمضى الشاعرة الاسلامية مرتلة الحانها فى شعر رصين قوى وقد لاحظت أن كثيرا من الابيات منسـوب لشاعرات لم نسمع عنهن كثيرا وفى المقال الآتى سـأذكر عن بعض هؤلاء شعرا يترجم عن الجو الاسلامى العبـق آنذاك تنفثه شاعرات اسلاميات مجيدات .

حياة العمري الشهابي

(ابن فضل الله العمري)

مؤلف اكبر موسوعة عربية إسلامية في الجغرافيا والتاريخ والأدب

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي

- ٢١ -

تتمة مضامين وموضوعات الجزء الاول

سجن زين العابدين حين أقدم على يزيد :

وداخل مشهد على مشهد لطيف يعرف بالسجن ، يقال انه سجن به زين العابدين حين أقدم على يزيد . وجواره فى رواية الرواق الشامى ـ شرقى الباب النافذ الى الكاملية ـ مقصورة قد جاور بها جماعة من الفقراء ، وتعرف بالحلبية ، وبها خزانة كتب وقف . وفى كل من ذلك امام يؤتم به ، ومؤذن يقيم الصلاة ويبلغ ١٩٦-١٩٧

العمارات والمدارس التى انضمت اليه :

وفى هذا المسجد زيادات فى شماله اتسع بها فناؤه ، وتفسحت أرجاؤه . منها الزاوية الحلبية المذكورة فى أول حده الشمالى من الشرق . ثم التربة الكاملية ، ولها مسجد له امام ومؤذن . والكلاسة ، وبها امامان ومؤذنان . وفى شامها ، الأشرفية والمدرسة العزيزية ينفذ اليهما ، ولكل منهما امام ومؤذن . وجوار المدرسة العزيزية التربة الصلاحية من غربها . هذا الى عدة أئمة تقوم فيها احتسابا ١٩٧

فرشه بالمرمر وعمده وعضائده بالرخام المذهب :

وقد فرش المسجد بالمرمر (ومقطعه من جبل المزة) وعمد قائمه بالرخام الملون والمنقوش المذهب ... ...

فساقى الماء :

وكذلك عملت عضائده وذهبت قواعده عمده ورؤوسها . وأجرى الماء فى صحن عقدت عليه قبة فى صحنه ، وفى صحن فى ركن النسر من داخل الرواق ، وفى جميع مشاهده وزياداته ، وفى ميضاة اتخذت أسفل المنارة الشرقية منه . هذا الى ما فى حضرة باب البريد والزيادة وتحت الساعات من مياه جارية ، واسواق قائمة ، وسرج تتقد ليلا كالانجم ، وبيوت ذات مناظر تملأ عين الناظر المتوسم ١٩٧

عود الى وصف القبة :

فاما القبة فما لا يجول مثلها فى ظن ، ولا يدور فى فكر . قد تعلق رفرفها بالغمام عابثا ، وحلق طائرها الى اخويه النسرين يبغى ان يكون لهما ثالثا . قد بنيت على قناطر ، ممتدة على قناطر ، بعقود محكمة ، وقطع صخور منظمة ، الى سقوف مذهبة ، ومحاسن موجزة مسهبة ...

طول هلال القبة :

وعلى رأس القبة هلال عال فى أنبوبة ، طول الرمح . قد غلفت هى
وكل الأسطحة بالرصاص . وحكمت ميازيبه ، وجمع فيه من كل
حسن غريبة ١٩٧-١٩٨

وصف ساعة المسجد :

قال أبو محمد بن زبر القاضى : سمى باب الساعات لأنه عمل هناك
« بنكام » (وهى الساعة المائية التى وصفها ابن جبير الاندلسى فى
رحلته) الساعات ، يعلم بها كل ساعة تمضى ، عليها عصافير من نحاس
وحية من نحاس وغراب من نحاس . فاذا تمت الساعة خرجت الحية ،
وصفرت العصافير ، وصاح الغراب ، وسقطت حصاة فى الطست ... ١٩٨
(يلاحظ من وصف هذه الساعة أنها من أروع وأبدع وأدق ما عمله
الفنان العربى العبقرى من آيات الفنون الجميلة الرائعة ، والصناعات
العربية الفنية الدقيقة مما يشهد له بالنبوغ والذكاء النادر) :

طسمت الجامع قبل حريقه . حريق الجامع سنة ٤٦١ وسببه وصف العماد الكاتب
لهذا الحريق . أبيات فى وصف ذلك الحريق . الفوارات التى به
وتواريخ انشائها وسقوط عمدها وما فوقها ١٩٨-٢٠٠

عمل الشاذروان بعد سنة ٦١٠ هجرية . وصف الذهبى لقصعة الفوارة الكبرى
وما بنى عوضا عنها بعد حريق سنة ٦٨١ هجرية . حريق سنة ٧٤٠
هجرية وتجديد المنارة على أجل مثال . مقامة الصفدى فى وصف
الحريق سنة ٧٤٠ هجرية ٢٠٠-٢٠١

وصف ابن غانم لهذا الحريق . وصف ابن فضل الله العمرى لعمارة هذا المسجد
بالناس دائما . أوقافه ومرتباته ٢٠٢-٢٠٣

مقام ابراهيم الخليل :

مقام ابراهيم الخليل بقرية برزة بالغوطة . روى عن ابن عباس (رضى
الله عنه) قال : ولد ابراهيم بغوطة دمشق فى قرية يقال لها برزة
بجبل قاسيون ٢٠٣

استيلاء ابراهيم الخليل على هذا الجبل وانقاذه لوطا وأهله من ملك نبط :

عن حسان بن عطية قال : أغار ملك نبط هذا الجبل على لوط فسباه
وأهله . فأقبل ابراهيم فى طلبه فى عدة أهل بدر : ثلثمائة وثلاثة
عشر . فالتقى هو وملك الجبل فى صحراء يعفور . فعبى ابراهيم
ميمنة وميسرة وقلبا . وكان أول من عبى الحرب هكذا . فالتقوا .
فهزمه ابراهيم واستنقذ لوطا وأهله ، فأتى هذا الموضع الذى ببرزة ،
فصلى فيه .

وقال أحمد بن صالح : أدركت الشيوخ بدمشق وهم يفضلون مسجد
ابراهيم عليه السلام ببرزة ويقصدونه ويصلون فيه . ويذكرون أن
الدعاء فيه مجاب . وهو موضع عظيم شريف ويذكرون ذلك عن شيوخهم
ويقولون : ان الشق الذى فى الجبل خارجا عن المسجد هو الموضع
الذى اختبأ فيه ابراهيم من النمروذ صاحب دمشق .

وعن على (رضى الله عنه) قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
وسأله رجل عن الآثارات بدمشق فقال : لها جبل يقال له قاسيون
فيه قتل ابن آدم أخاه ، وفى شرقيه ولد ابراهيم ، وفيه آوى الله عيسى
ابن مريم وأمه من اليهود . وما من عبد أتى معقل روح الله فاغتسل
وصلى فيه ودعا ، الا لم يرد خائبا . وهو جبل كلمة الله .

قال ابن فضل الله العمرى : « والحديث طويل : وهو موضوع ، وانما
ذكرته لئلا يغتر به » ٢٠٣-٢٠٥

مغارة الدم وفضلها ، خصوصا فى الاستسقاء :

قال أبو زرعة الدمشقى : سألت أبا مسهر عن مغارة الدم ، فقال :
مغارة الدم موضع الحمرة ، موضع الحوائج ، يعنى بذلك الدعاء فيها

والصلاة . وقال مكحول : أنه صعد مع عمر بن عبد العزيز الى موضع الدم يسأل الله ان يسقينا ، فسقانا . وقال ايضا : وخرج معاوية والمسلمون الى موضع الدم يستسقون ، فلم يبرحوا حتى سالت الأودية . قال سعيد بن عبد العزيز : صعدنا فى خلافة هشام الى موضع قتل ابن ادم نسأل الله أن يسقينا . فأتى مطر ، فاقمنا فى الغار الذى تحته ثلاثة أيام .

وقال هشام بن عمار : صعدت مع أبى وجماعة ـ نسأل الله سقيا ـ الى موضع قتل ابن ادم اخاه . فارسل الله علينا مطرا غزيرا ، حتى أقمنا فى المغار ، فدعونا الله فارتفع عنا ، وقد رويت الارض وقال الوليد بن مسلم : سمعت ابن عياش يقول : « كان أهل دمشق اذا احتبس عنهم القطر أو غلا سعرهم أو جار عليهم سلطان أو كانت لأحدهم حاجة . صعدوا الى موضع ابن آدم المقتول . فيسألون الله ، فيعطيهم ما سألوا » .

وقال هشام بن عمار : وسمعت من يذكر عن كعب قال : اختبأ الياس من ملك قومه فى الغار الذى تحت الدم عشر سنين ، حتى أهلك الله الملك وولى غيره . فأتاه الياس فعرض عليه الاسلام . فأسلم واسلم من قومه خلق ، سوى عشرة آلاف منهم . فأمر بهم فقتلهم عن اخرهم ٢٠٥-٢٠٦

مقام عيسى (عليه السلام) بالربوة :

روى عن حسان بن عطية أن ملكا من بنى اسرائيل حضره الموت ، وأوصى بالملك لرجل حتى يدرك ابنه . وكانوا يؤملون ان يدرك ابنه فيملكوه . قال : فمات فجزعوا عليه . فلما خرجوا بجنازته ... ...

معجزتان لعيسى (عليه السلام) :

وفيهم عيسى بن مريم ، دنا من أمه فقال : أرايت ان أنا أحييت لك ابنك ، أتؤمنين بى وتتبعينى ؟ قالت : نعم . فدعا الله . فجعلت أكفانه تتحلل عنه ، حتى استوى جالسا . فقالوا : هذا عمل ابن الساحرة . وطلبوه حتى انتهى الى شعب النيرب . فاعتصم منهم بقلعة على صخرة متعالية . فأتاه ابليس فقال : « جئتك وما أعتذر اليك من شيء . هذا أنت لم تنافسهم فى دنياهم ولا شبر من الارض ، صنعوا بك ما صنعوا . فلو ألقيت نفسك من هذا المكان ، فتلقاك روح القدس فيذهب بك الى ربك فتستريح منهم ؟ » فقال : « يا غوى ، الطويل الغواية ! انى واجد فيما علمنى ربى ، عز وجل ، أنى لا أجرب ربى حتى أعلم أراض عنى أم ساخط علي » فاقبلت أم الغلام ، فقالت : يا معشر بنى اسرائيل ! كنتم تشقون ثيابكم جزعا عليه . فلما احياه الله لكم أردتم قتله .. قالوا : فما تأمرين به ؟ قالت : ايتوه فآمنوا به . فاتوه . فقالوا : خصلة بيننا وبينك ! ان أنت فعلتها ، اتبعناك . قال : وما هى ؟ قالوا : تحيى لنا عزيرا . قال : دلونى على قبره . فنزل عيسى معهم حتى انتهوا به الى قبره . قال : فتوضا وصلى ركعتين ودعا . فجعل قبره يتفرج عنه التراب . فخرج قد ابيض نصف رأسه ولحيته وهو يقول : هذا فعلك يا ابن مريم ! قال : لم اصنع بك . هذا فعل قومك . زعموا أنهم لا يؤمنون لى ولا يتبعون حتى احييك لهم . وهذا فى هدى قومك يسير . قال فاقبل عليهم يعظهم ويامرهم باتباعه . فقال له قومه عهدناك وانت اسود الراس واللحية ! فما لنصف رأسك ولحيتك قد ابيض ! قال : سمعت الصيحة ، فظننت انها دعوة الداعية ، حتى أدركنى ملك . قال : انما هى دعوة ابن مريم فانتهى الشيب الى ما ترى ٢٠٦-٢٠٧

اختلاف المفسرين فى موضع الربوة

واختلف المفسرون فى تعيين موضعها .

وروى مرفوعا عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين » . قال : تدرون اين هى ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : هى بالشام بارض يقال لها الغوطة ؟ مدينة يقال لها دمشق ، هى خير مدائن الشام .

وروى عن ابن عباس قال : الربوة انهــار دمشق وكذا قال سعيد بن المسيب ويزيد بن شجرة ، وقال كعب : امر الله تعالى عيسى بن مريم وامه أن يسكنا دمشق ، وهى ارم ذات العماد .

وقال الحسن فى تفسير الآية : هى ارض ذات أشجار وانهار . يعنى انهار دمشق .

وعن الوليد بن مسلم عن بعض مشيخته ان بنى اسرائيل همت بعيسى فامره الله أن ينطلق الى دمشق . وقال الحسن : ذات قرار ومعين ؛ ذات معيشـــة تقوتهم وتحملهم ، وماء جار . قال : هى الربوة ، هى دمشــق . وقيــل : ان الربوة فى القرآن هى الرملــة . روى مرفوعا عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وزاد فيه . ولا تزال طائفة من امتى على الحق ، ظاهرين على من ناواهم ، حتى يأتى أمر الله وهم كذلك . قلنا يا رسول الله ، واين هم ؟ قال : باكناف بيت المقدس . وروى عبـد الرزاق فى تفسـيره عن أبى هريرة قال : هى الرملة من فلسطين . ويروى عن قتادة : هى بيت المقدس . وقال زيد بن اسلم : هى الاسكندرية وقال وهب : هى مصر (المقصود هنا المدينة المعروفة قديما بالفسطاط) .

ويروى عن جابر الجعفى عن ابى جعفر : وآويناهما الى ربوة ، قال : الكوفة ، والمعين الفرات .

وقيل غير ذلك . والراجح عند الأكثرين انها ربوة دمشق ٢٠٧–٢٠٨

انتقاد ابن فضل الله العمرى على هذه الأقوال :

وهذه الأقوال واهية ، وانما ذكرناها للتعجب ، اقتداء بالحافظ ابى القاسم بن عساكر ، رحمه الله !

بناء مسجد الكهف بقاسيون سنة ٣٧٠ هـ ورؤيا غريبة فى ذلك

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخ دمشق : ذكر أبو الفرج محمد بن عبد الله ابن المعلم أنه ابتدأ ببنـاء الكهف سنة سبعين وثلثمـائة . قال : وبالله ربى اعتصم من الـكذب ، وأسأله أن ينطق بالصدق لسانى . رأيت جبريل عليه السلام فى النوم . فقال لى : ان الله يامرك أن تبنى مسجدا يصلى فيه ويذكر اسمه ، وهو هذا . فقلت : واين هذا الموضع ؟ فسار الى هذا الموضع الذى سميته أنا : كهف جبريل . وقلت : انى لى بذلك ؟ قال : ان الله سيوفق لك من يعينك عليه ٢٠٨–٢٠٩

***

أما تتمة المضامين والموضوعات الخاصة بالآثار العربية الاسلامية فى الجمهورية العربية المتحدة وغيرها من الجمهوريات العربيـة الأخرى والدول العربية التى ذكرها المقر الشهابى « ابن فضل الله العمرى » فى الجزء الأول من موسوعته الخطيرة « مسالك الأبصار » وقد انفرد بها دون غيره من المؤرخين الثقات . فسيأتى ذكرها فى المقال الآتى – ان شاء الله تعالى – وبه – جل شـانه – العون والتوفيق (وما توفيقى الا بالله) .

« للترجمة بقيــة »

إتمام صوم الفاطميين ثلاثون يوما على الدوام

فضيلة الأستاذ محمد حسن الأعظمي

مقالة غريبة

للفاطميين فى صوم رمضان انظمة خاصة وعقائد تغاير ما عليه جمهور المسلمين من تحديد وقت الصوم والفطر وتعيين أول رمضان وليلة عيد الفطر برؤية الهلال بينما للفاطميين راى ننقل تلخيصه، ولمن اراد المزيد ان يلتمس التفاصيل الكافية من كتاب « نظام الصوم عند الفاطميين » المطبوع فى كراتشى بالمكتبة الأعظمية .

قال المؤيد الشيرازى فى المجلس الثانى والاربعين من المجالس المؤيدية - ص ٧٢ (مخطوطة دار الكتب الاعظمية) : « زعم الزاعمون أن شهر رمضان يتم تارة وينقص أخرى وأن صيامه مبنى على رؤية الهلال ، واحتجوا بقول النبى - صلى الله عليه وسلم - « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا ثلاثين » • وهذا القول فيه عدة وجوه ، نحن نذكرها ونقيم الأدلة على كون شهر رمضان كاملا ابدا ، لا يعتريه النقص بحال من الأحوال ، ونبدأ بالرد على من يحتج بالخبر « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » فنقول لكم أنكم معترفون بكون مقتضى هذا الخبر ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أراد التوجه فى بعض الغزوات فى القرب من شهر رمضان ، فاجتمع اليه اصحابه فقالوا يارسول الله « كنا نصوم بصومك ونفطر بافطارك ، فكيف حالنا فى غيبتك ؟ » فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » فقد دل الخبر على وجوب الصوم بصوم الرسول - صلى الله عليه وسلم - اذا كان حاضرا أو من يقوم مقامه اذا كان غائبا ، ووجوب الفطر بافطاره ، وأن الصوم على رؤية الهلال من قضايا الضرورة فى حين عدم قيام الرسول والامام الذى يقوم مقامه فاذا كان الرسول حاضرا والامام حاضرا كان قانون الفرض ان يصام بصومه ، ويفطر بافطاره كما قال القوم للنبى - صلى الله عليه وسلم - « كنا نصوم بصومك ونفطر بافطارك » .

واما قول من قال ان النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يصوم برؤية الهلال فنرى فيه ثلاثة اوجه ، وجهان شرعيان ووجه عقلى ؛ فأما احد الوجهين فمعلوم أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يقول وهو صادق « أن الروح الأمين جبريل - عليه السلام - يغشاه بكرة وعشيا بالوحى والقرآن الكريم • ومن كان جبريل - عليه السلام - يأتيه بكرة وعشيا بأخبار السماء فلا حاجة به الى أن يقلب وجهه فيها يطلب الهلال ، وعنده من يأتيه بالخبر اليقين ، ولو برز الى السماء يطلب هلالا لكان تعليلا لقوله أنه يهبط عليه جبرئيل - عليه السلام - ، وكان يقال هلا سألته عن ذلك ، فغنوت به عن الطلب • والوجه الاخر انه مأثور عنه - صلى الله عليه وسلم - فى الاخبار أنه قال « أنا بطرقات السماء أعرف منكم بطرقات الأرض » فلو أنه بعد هذا القول شوهد يطلب هلالا ، لقيل له فأين قولك بالامس انك بطرقات السماء اعرف منا بطرقات الارض

أما الوجه العقلي فمعلوم أن النبى - صلى الله عليه وسلم - منزه ان يخفى عليه حال الاختلاف فى مطالع الأهلة ومرائيها ، ما لا يكاد يخفى على منجم ، وان أوضاع الأرض ايضا مختلفة ، فمنها مرتفع يقضى بان يكون رؤية الهلال اسرع مثل رؤوس الجبال وما يجرى مجراها ومنها ما يقضى بان تكون الرؤيه فيها ابطا ، واذا كان معلوما من حاله - صلى الله عليه وسلم - أن ذلك مما لا يخفى عليه ، فلو خفى عليه لاحتاج الامر الى نظر وحاشاه عن النقائص ، فكيف يوجب العقل مع معرفته باختلاف المرائي أن يفرض فريضة الصوم ، المتعلقة بفريضة الحج على الناس كافة على بينة واحدة وهو يعلم انها لاتصح لان قوما يرون فى ليلة ما وقوما لا يرون ، ثم لا يصح أن يوما واحدا يكون من شعبان حيث لا يرى ، ومن رمضان حيث يرى أو رمضان حيث لا يرى وشوال حيث يرى وهذا مما لا يشك فيه عاقل .

وسوى هذا فقد قال الله سبحانه فى محكم كتابه « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » والذين من قبلكم المراد بهم النصارى وصيامهم غير متعلق بالرؤية بل بالحساب . ثم قال الله سبحانه تاكيدا « أياما معدودات » والايام المعدودات هى التى لاتزال معدودة لا يحتاج فيها الى رؤية ولا نظر ، فلو كان يحتمل أن يكون شهر رمضان تارة ثلاثين وتارة تسعة وعشرين ، لما قال اياما معدودات قطعا ، وهى مثل قول القائل هذا حساب محسوب وهذه دراهم معدودة .

وقول آخر لما كان موضوع السنة أن يكون ستة أشهر كاملة ، وستة أشهر ناقصة ، وجب أن يكون أصلها وبناؤها موضوعا على الكمال دون النقصان ، فالشهر الأول الذى هو المحرم كامل ، والصفر ناقص ، وربيع الأول كامل ، وربيع الاخر ناقص ، وجمادى الاولى كامل ، وجمادى الاخرى ناقص ، ورجب كامل ، وشعبان ناقص ، وشهر رمضان كامل . قال النبى - صلى الله عليه وسلم - « ما تم شعبان ولا نقص رمضان » والدليل على نقص شعبان ليلة النصف منه ولا نصف لرجب ولا لشهر رمضان ، وذلك ان ليلة النصف من شعبان ليلة الخامس عشر منه وهذه الليلة ليلة النصف بالحقيقة ، لكون اربعة عشر قدامها وأربعة عشر خلفها ، وهى فى النصف ، ولا يكاد يصح ذلك فى شهر رمضان لأنه ان جعلت ليلة الخامس عشر منه النصف لم يصح ، فقد بقى فى الشهر ستة عشر يوما ، وان جعلت ليلة السادس عشر لم يصح ، فليس السادس عشر نصف الثلاثين ، ومما يدل على كمال شهر رمضان أيضا أمر الكفارات علي من افطر يوما متعمدا ، وهو ان يصوم شهرين متتابعين توبة من الله ، وهو مثلا شهر رمضان ستين يوما ، فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ، ولو كان يحتمل ان يكون شهر رمضان تسعة وعشرين يوما لاحتمل ان الكفارة أطعام ستين مسكينا أو ثمانية وخمسين مسكينا

التقويم الفاطمى :

طبقا للتقويم الفاطمى تقرر ان نصف الكرة الارضية الذى يستوطنها العالم الاسلامى كلها يمكن ان يتحدد صوم رمضان ببداية ونهاية واحدة لا يختلف فيهما قطر عن قطر أو بلد عن بلد ، ومنذ نشأة المذهب الفاطمى نرى جميع المنتمين اليه يصومون فى يوم معين ، ويفطرون فى يوم محدد شأنهم فى المدينة كشأنهم فى القرية وفى كل مكان . وحين تختلف الاقطار الاسلامية على تعيين اليوم الاول من رمضان أو شوال فان الفاطميين يصومون ويفطرون طبقا لنظامهم المقرر لتقويمهم المعروف ويسمى هذا التقويم فى عرفهم بالتقويم المصرى . لان بداية العمل به كان بمصر فى عهد الخلفاء الفاطميين . ويمكن ترويج التقويم الهلالى من هذا النظام بدون احتياج الى التقويم الافرنجى .

ولعل من الضرورى أن يعقد المسلمون مؤتمرا للتفكير فيما اذا كان من الممكن توحيد يومى الصوم والفطر . ومن أراد ايضاحا فوق ذلك فليرجع الى مؤلفى « نظام الصوم عند الفاطميين » نشرته المكتبة الأعظمية بكراتشى

ومن أدلة الفاطميين سؤال الصحابة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقولهم اننا كنا نصوم بصومك ونفطر بافطارك ، فلو كانوا يصومون برؤية الهلال قبل هذا ما كان لسؤالهم اى موضع لأنهم بطبيعتهم قد تعودوا الصوم برؤية الهلال وما جدوى السؤال حينئذ

وقد قال احمد حميدالدين الكرمانى داعى دعاةالخليفة الحاكم بامر الله الفاطمى فى كتابه « الرسالة اللازمة فى شهر رمضان المعظم وحينه » تأييدا لهذه النظرية فقال : ان الله اوجب على عباده فى نص كتابه الصوم بقوله تعالى : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات » وقال النبى - صلى الله عليه وسلم - شعبان شهرى ورمضان شهر الله وصومه فرض ، وقال الأئمة : صوم رمضان فريضة علي كل مسلم . ولما فرض الله صوم شهر رمضان على عباده لم يتركهم النبى - صلى الله عليه وسلم - فى العمى عن معرفة وقته وحينه ، كما لم يتركهم فى الجهالة بمعرفة غيره من الفرائض عن اعداد الصلاة وأوقاتها حين فرضها وكمية الزكاة فى أعيان الاشياء حين اوجبها ، فقال « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » وهذه الرواية لايكاد يقع فيها خلاف بين الفرق من المسلمين وهى عماد أهل الظاهر فى احتجاجهم ، فنقول ان الله خلق الأشياء كلها أزواجا ليكون المتفرد بالوحدانية هو فلا يشاركه فيها شيء ، فقال سبحانه وتعالى : سبحان الذى خلق الازواج كلها الاية ، وقال تعالى « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » ولما كان ذلك كذلك ورأينا الاشياء كلها أزواجا وأشكالا كالجوهر والعرض والسماء والارض والبر والبحر والسهل والجبل والليل والنهار والخير والشر والجسد والروح والظاهروالباطن والدنيا والاخرة والذكر والانثى وغير ذلك ما يطول ذكره . ورأينا النبى - صلى الله عليه وسلم - جعل أساس شريعته وقاعدتها على الزوجية حيث قرن الأوامر والفرائض بأقرانها دلالة على ما قلناه من تجريد توحيد الله تعالى مثل الصلاة التى قرنها بالزكاة والاذان الذى قرنه بالاقامة والحج الذى قرنه بالعمرة والصفا الذى قرنه بالمروة والفريضة التى قرنها بالسنة والركوع الذى قرنه بالسجود ، والشهادة بان لا اله الا الله التي قرنها بالشهادة أن محمدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأشباه ذلك ما يطول ذكره . قلنا : ان الرؤية أيضا رؤيتان ايضا رؤيتان احدهما مقرونة بالاخرى رؤية طبيعية ورؤية نفسانية ، فالرؤية الطبيعية ما يكون بالعين وهى التى تدرك الالوان من بياض وسواد وحمرة وصفرة وغيرها ، وللاشكال من تدوير وتثليث وتربيع وتخميس وغير ذلك ، والاحتجاج على ذلك مستغنى عنه لوقوعه تحت الحس ، والرؤية النفسانية مايكون من جهة العلم والقلب والنفس وهى تدرك ما لا تدركه الرؤية الطبيعية من الاسماء التى تغيب الاسباب عن ادراكها اياها . قال الله تعالى « ماكذب الفؤاد ما رأى » وقال: ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » وقد علمنا أن النبى - صلى الله عليه وسلم - لم يكن فى زمان أصحاب الفيل فيراهم . وانما المراد به رؤية النفس التى تكون من جهة الفؤاد والعلم . وقال ايضا فى المثل «فلان اعمى القلب » بمعنى انه بليد متاخر عن معرفة الاشياء ورؤيتها على غيبتها . فلما صح بما أوردناه أن الرؤية رؤيتان كالاشياء كلها فيها تنقسم اليه من حالين ووجهين ليخلص توحيد الله تعالى فلا يشاركه فى الوحدانية شيء قلنا لما كانت الرؤية الطبيعية التى هى من جهة العينين لا تدرك من الاشياء الا ماكان جسمانيا واقعا تحت الحد

والزمان مثل الالوان والاشكال ، وكانت الرؤية النفسانية التي هي من جهة الفؤاد والعلم دركة لما لا تدركه الرؤية الطبيعية ، وما تعجز عن ادراكه مما تغيب عن الابصار جميعا كان منه القضية بان الرؤية النفسانية التي تكون من جهة الفؤاد والعلم أجل من الرؤية الطبيعية التي تكون من جهة العين والبصر ، وألطف ادراكا ، اذ كان فعلها في معرفة الاشياء وادراكها على حقائقها لا كالبصر، فان انسانا لو اخذ من غدير ماء قطرة حكمت الرؤية النفسانية بان كمية ذلك الماء قد انتقصت بقدر القطرة ورأت في ذلك رؤية صحيحة وكان ذلك النقصان للحس من جهة العين والبصر غير واقـــع . ولما كانت الرؤية النفسانية أدق وألطف ادراكا كان الاخذ في اداء فـرائض الله تعالى بها الزم من الاخذ بغيرها وأولى فان الاقتصار على غير الافضل مع وجود الافضل من قضايا الجهـل لا من قضية العقل . وهو الذي يلزم بالحقيقة ، أعني الاخذ بالادق والافضل الذي هو رؤية العـلم والنفس ، ثم أن انسانا لو عرف بقلبه ورأى أن وقت صلاة من الصلوات قد أتاه ولم يسمع صوت الاذان لكانت الصلاة لازمة له ، كما أن المتسحر للصوم لو رأى بقلبه وعلم ان الفجر قد طلع وبصره ممنوع عن رؤيته لحائل قد حال ، لـكان الامساك عن الطعـام لازما له ، وان كان بصره لم يره ، واذا كان ذلك كذلك فقد لزوم الصوم للمتسحر والامساك عن الطعام بعلمه أن الفجر قد طلع وان كان بصره ممنوعا عن رؤيته لمانع منع ، وكذلك نقول ان دخول الصوم لازم مع حصول المعرفة بأن علة الصوم التي هي مفارقة القمر النير الاعظم عند اجتماعهما قد حصلت ولو كان البصر ممنوعا عن رؤيته بحال من الاحوال من ضوء أو غيم أو غبار أو جبل ، اذ من المتعالم أن العلة اذا حصلت وجب بوجودها معلولها فلا يتقدم أحدهما على الآخر الا بالمرتبة فاذا أصل الدعوة « الفاطمية » في دخولهم الصوم بحـكم الرؤية النفسانية التي لا يكاديقع فيها خطـــا على بيان ومعرفة .

ثم نقول للمخالفين من أين أوجبتـــم أن الرؤية رؤية البصر من دون رؤية الفؤاد ، وقد قامت الدلائل على أن الرؤية على وجهين ، فان قلتم ان الانسان لا يعلم شيئا الا بعد وقوع بصره عليه وانه اذا بصره قام له حكم رؤية العلم به ، قلنـــا ان احتجاجهم ذلك لا يصح من جهات أحدها أننا ان قلنا لكم هل رايتم الله يلزمكم على هذا الاصل ان تقولوا لا ، فنقول فلم اقررتم به ؟ وقد اوجبتم أن الانسان لا يعلم شيئا الا بعد وقوع بصره عليه ولم يقع بصركم عليه تعالى وتـكبر فيلزمكم ان ترجعوا عن القول بالبصر الى حديث العلم فتقولوا علمنا وصح عندنا بالبراهين فاقررنا به وهو قولنا واصلنا .

وثانيهما امر العالم في حدثه ، لو سالناكم عنه للزمكم أن تحكموا على حدثه بحكم رؤية العلم والبرهان لا بحكم البصر وهو قولنا .

وثالثها انا نقول ما تقولون في رجل افطر ولم ير الهلال ببصره لحائل حال ، وقد انقضى ثلاثون يوما من شـــهر رمضان ، هل كان افطاره حقا ام لا ؟ فان قلتم حقا قلنـا كيف ولم ينظر الهلال ؟ واصل مذهبكم ان الصوم والافطار لا يجوز الا بعد رؤية الهلال بالبصر ؟ فيلزمكم ان تقولوا انا علمنا أن الهلال بعد ثلاثين يوما يرى وانما الحائل حال عن رؤيته فلنـــا لقد تركتم حكم رؤية البصر ورجعتم الى حديث رؤية العلم ضرورة وهو قولنا . وان قلتم لم يكن الافطار حقا لزمكم ما لزمكم ... ثم ان رؤية البصر قد يقع من جهتها الخطا في رؤية الاشياء على حقائقها من اعراضها فيرى الكبير صغيرا ، والصغير كبيرا والدقيق غليظا وربما لا يرى الا من قريب أو لا يرى الا من بعيـد ولا تكاد رؤية العلم تخطىء فيما تحيط به ، والاخذ بما لا يخطىء في قضاء الفرائض عند أولي الالباب أحق من الاخذ بما يخطىء .

ثم أن قول النبي - صلى الله عليه وسلم - صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » في الظاهر لا يخلو من وجهين ، أما أنه - صلى الله عليه وسلم - أراد بقوله ذلك ان يكون صوم الامة من وقت رؤية الهلال عيانا كقول المخالفين . أو يرى الهلال عيانا والامة صائمة كقولنا . فان كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أراد أن يكون صوم الامة من وقت رؤية الهلال بالبصر فما معنى قوله «صوموا لرؤيته» وما السبب في اقتصاره - صلى الله عليه وسلم - من جميع وجوه الاعراب مع افتخاره وقوله « أنا أفصـح العرب ولا فخر » على اللام دون الحروف الآخر التي هي تستعمل في الاعراب ؟ وهل كان استعمال النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا اللام في هذا الموضع بقـوله « لرؤيته » من دونها الا لان تكون الامة صائمة عند رؤية الهلال بالبصر وذلك أن المضي في اللام المستعمل والمراد فيه أن يكون الفعل متقدما على المفعول له مثل ما يقـال لجماعة أصلحوا الشيء الفلاني لمجيء فلان بمعنى ان يكون الشيء مصـلحا وقت مجيئـه . ومثـل ما يقـال اعملوا للآخرة بمعنى أن تقدموا العمل قبل حين الآخرة . فمعلوم أن في الآخرة لا عمل ، فاذا بهذه الشواهد قد صح أن حرف اللام لم تستعمل الا لان يكون القوم صائمين عند رؤية الهلال عيانا ، وان كان مرادالنبي - صلى الله عليه وسلم - أن يرى الهلال والأمة صائمة فهو ما قلناه واثبتنا البرهان عليه .

فاذا قال قائل : اذا كان الامر على ما ذكرته وكان الصوم يلزم بالرؤية النفسانية بما أوردته فما معنى قول النبي - صلى الله عليه وسلم - « فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما» وهل ذلك الا ايجاب رؤية العين قلنا اننا وان كنا قد اثبتنا رؤية نفسانية بما اتينا به من الشواهد وانهـا اعرف واحرى في الاخذ بها في اداء الفرائض فما دفعنا حكم رؤية العين لان هاتين الرؤيتين اصلان في اداء الفرائض ، أحدهما افضل من الاخرى ، والافضل للخـاص الذين يتقدمون بعلمهم على غيرهم ، وهم اولوا العلم ، والحال بين الرؤيتين مثل وقتي الصلاة اللذين اولهما افضل من الآخر ، ومثل الامور كلها ، فانها امران خفي وظاهر ، فالخفي لايعرفه الا الخواص الفضلاء والظاهر يعرفه الخاص والعام جميعا ، ويلزم الخـواص القيام بلوازم ما قد علموه كما يلزم العام القيام باللـوازم مما قد عرفوه ، واذا كان ذلك كذلك فما ننكر أن يكون العالم بفضل علمه يلزمه الصوم بالرؤية النفسانية الخفية

وقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » . لايكاد يصح عند الاعتبار ان مراده فيه رؤية العين . وذلك ان الصوم برؤية البصر مع ارتفاع الموانع من سحاب وغيره لا يكاد تكون ايامه ابدا ثلاثين يوما ، فقد تكون تسعة وعشرين يوما ، واذا كان ذلك كذلك فلايجوز ان يكون النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحمل امته فى امر من اوامر الله على قاعدة قد يحدث فيها شك فتكون علة الزيادة فى فريضة او نقص منها وتصير امته فى ادائها فى عشواء ، ولا ان يأمر امته بصوم يوم زائد فى شهر رمضان من الشهور الناقصة بحدوث غيم ، لو لم يكن لكان يعلم أن ذلك اليوم يحرم الصوم فيه والافطار ، لأن الصوم عبادة لله ، وهو من الدين والعباد مأمورون بالاخلاص فيه بقول الله تعالى : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » والاخلاص من غير الشك والشبهة ، واذا كان الاخلاص غير الشك والشبهة ، وكان الشك والشبهة قد اخلتها بهذه القاعدة فنقول ان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يدع احدا من الناس فى عبادة الله تعالى الى الشك والشبهة فاقتصاره من ايام الشهر على الاكمل والأتم من دون الانقص والاقل مع جواز كون ايام الشهر ان يكون ناقصا بموجب الرؤية بالبصر ووقوع الشك فيه لم يكن الا الدلالة على رؤية النفس التى لاتزيد اعدادها ولا تنقص ، والحث على الأخذ بما دعا الله تعالى اليه باكمال العدة بقوله « ولتكملوا العدة » .

سنوات الكبيسة : ويعتقد الفاطميون ان بعض السنوات الهجرية يزاد فيها يوم من شهر ذى الحجة كما يجرى ذلك فى السنوات الميلادية حيث يزاد يوم على شهر فبراير ويسمونها « سنة كبيسة » ، ويجرى ذلك فى احدى عشرة سنة من كل ثلاثين عاما وهى : السنة الثانية ، والخامسة ، والثامنة ، والعاشرة ، والثالثة عشر ، والسادسة عشر ، والتاسعة عشر ، والواحد والعشرون ، والرابعة والعشرون ، والسابعة والعشرون ، والتاسعة والعشرون . وهى مذكورة فى هذه الأشعار :

ثلاثون السنون الدهر تلقى
لهجرة احمد الزاكى المغارس
فثانية ، وخامسة جميعا
وثامنة وعاشرة الكبائس
كذاك ثلاث عشر ثم ست
وتسع فى القيس لكل فائس
وحادية ورابعة وسبع
وتسع بعد عشرين الكبائس

الجدول الجاهز لسنى الكبيسة من ١٣٨٢ هـ الى ١٤٧٩ هـ :

١٣٨٢ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٨ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٢ ، ١٤١٥ ، ١٤١٨ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٧ ، ١٤٣٩ ، ١٤٤٢ ، ١٤٤٥ ، ١٤٤٨ ، ١٤٥٠ ، ١٤٥٣ ، ١٤٥٦ ، ١٤٥٩ ، ١٤٦١ ، ١٤٦٤ ، ١٦٧ ، ١٤٧٩ .

واذا اردت لأى سنة من السنوات ان تعرفها كبيسة هى ام بسيطة ، فاقسم عدد تلك السنة على ثلاثين وبالعدد الباقى بعد القسمة تتبين حقيقة السنة .

فلو كان الباقى من هذه الاعداد ٢ ـ ٥ ـ ٨ ـ ١٠ ـ ١٣ ـ ١٦ ـ ١٩ ـ ٢١ ـ ٢٤ ـ ٢٧ ـ ٢٩ فتكون كبيسة والا لا .

ملحوظة : حساب الكبيسه منسوب الى الامام جعفر الصادق .

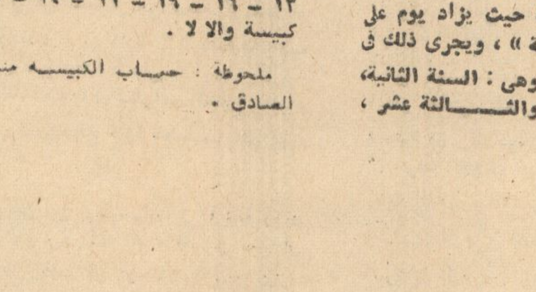

الجندية

فى مصر الإسلامية فى العصر الأيوبى والمملوكى والعثمانى

دكتورة سعاد ماهر

يعد صلاح الدين الايوبى من كبار الابطال الذين لهم ذكر خالد فى تاريخ الاسلام ، فقد اقترن اسمه بالحروب الصليبية وباسترداد فلسطين وبيت المقدس من الفرنجة الذين اغتصبوا تلك البقاع العزيزة على كل عربى ، حينا من الزمن . وقد كان هذا البطل معقد آمال المسلمين فى عصره ، اذ راوا فيه القائد الملهم القدير على استرداد وطنهم السليب من يد اعدائهم .

وقد رأى بثاقب فكره ان يوحد القوى العربية حتى يستطيع ان يتفرغ لتحقيق الهدف الذى وضعه نصب عينيه الا وهو تخليص الوطن العربى الكبير من المستعمر الأجنبى الدخيل فعمل جاهدا على توحيد مصر وسوريا وشمال العراق تحت رايته ، واقبل بهذا الوطن الموحد على العدو فشتت جموعه وحطم قواه ، بعد أن أعد العدةوأجرى تحصين البلاد .

فقد وجه صلاح الدين عناية خاصة لتحصين المدن وحشد الجيوش ، فعمل على ضم عواصم مصر الاسلامية الاربع ، الفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة بعضها الى بعض ، وذلك ببناء سور حولها جميعا بلغ طوله نحو (٢٥) كيلومترا ومتوسط عرضه نحو ثلاثة أمتار وارتفاعه بين تسعة وعشرة أمتار ، وقد تخلل السور المراقب والابراج فى جهات مختلفة . كما أنشا قلعة على ربوة منفصلة من جبل المقطم لتكون مقرا للحكومة ، وموقعا حربيا يمكنه من الاشراف على حاضرة دولته وصد غارات المغيرين عليها .

اما جيش صلاح الدين فقد كان يتكون من عدة فرق مختلفة الأجناس والأوطان وخاصة تلك التى تمت الوحدة بينها تحت رايته ، الا وهى العراق وسوريا ومصر الا انه كان يعتمد بصفة خاصة على بنى جلدته من الاكراد ، فاتخذ منهم جيشا ظل عدة الدولة الأيوبية . ولما تولى الصالح نجم الدين ملك الدولة الأيوبية اشترى عددا كبيرا من المماليك كان معظمهم من الجنس التركى ، وقد رأى أن يجعل لهم مبنى خاصا ، فأنشأ قلعة بجزيرة الروضة ، يتوسطها مسجد ويتخلل سورها ستون برجا ، وزود القلعة بالكثير من أنواع السلاح والآلات الحربية . ولما تم بناء القلعة انتقل اليها الملك الصالح نجم الدين أيوب بحريمه وأهله ، وجعل فيها دارا للملك وأسكن فيها مماليكه الذين عرفوا منذ ذلك الحين باسم المماليك البحرية . وقد ظلت قلعة الروضة عامرة بالمماليك حتى زالت الدولة الأيوبية ، وتولى السلطان المملوكى عز الدين ايبك سلطنة مصر ، فامر بهدمها ونقل جميع من بها الى قلعة الجبل .

كذلك عنى سلاطين دولة المماليك عناية خاصة باعداد جيش قوى ، فاستكثروا من شراء المماليك لمحاربة الصليبيين واتمام رسالة صلاح الدين الايوبى والقضاء على القوات المغولية النازحة من الشرق الاقصى .

على اننا اذا القينا نظرة فاحصة الى هؤلاء الرقيق الذين بدأ باقتنائهم ملوك الدولة الأيوبية ، والذين استطاعوا ان يتربعوا على كرسى السلطنة بعد زوال الأيوبيين ، وجدنا انهم ربوا تربية دينية وعسكرية على أحدث النظم المتبعة فى العصر الحديث . فقد كان يعين لكل طائفة منهم فقيه يعلمهم بعض العلوم الدينية كالقرآن ومبادىء احكام الدين فى العادات وغيرها هذا الى جانب العلوم المدنية كاللغة والحساب وما اليها وتستمر هذه الدراسة حتى سن البلوغ ثم يتدربون بعد ذلك على الأعمال الحربية حتى اذا ما أتموا تدريبهم الحقوا بجيش السلطان .

شكل (١) يبين أنواع السيوف

(أ) القليج (ب) الياتاغان (جـ) شمشير

اما أسلحة الجندى المصرى فكانت السيف باشكاله وانواعه المختلفة ومنها السيف المستقيم فقد ترك سلاطين المماليك المصريين مجموعة رائعة من السيوف نهبها العثمانيون عند استيلائهم على مصر ، فيذكر ابن اياس فى تاريخه الكبير « انه لما غادر السلطان سليم مصر اخذ معه الف جمل محملة بالذهب والفضة علاوة على تحف السلاح والنحاس المكفت والصينى وغير ذلك ، هذا بالاضافة الى من نقلهم من الصناع المهرة ورجال الفن من مصر الى القسطنطينية ، وفى مقدمتهم جماعة من صناع الزردخانة وعلى راسهم عبد الباسط بن تقى الدين ناظر الزردخانة وولده زين » . على ان الكثير من هذه السيوف معروض اليوم فى متحف طوب قابوسراى بالقسطنطينية ، ومن اهمها سيوف مستقيمة ذات حد واحد او حدين ، للسلطان الغورى والسلطان طومان باى والأمير الدوادار آبباى ، وسيف نقش عليه اسم صانعه (على بن محمد المصرى) . وسيوف أخرى مستقيمة النصل تنتهى بطرف ملتو ، نجد صورا لها فى مخطوط الأغانى لأبى الفرج الاصفهانى من القرن الثالث عشر الميلادى . أما سيوف القرن الرابع عشر الميلادى ، فتمثل فترة انتقال من السيف المستقيم الى السيف

وكان الجيش فى العصر المملوكى يتكون من فئتين رئيسيتين الأولى وتتكون من المماليك السلطانية ، وهم اعظم الأجناد شانا وارفعهم قدرا ، وكانت تؤمر منهم الأمراء . أما الفئة الثانية فهم جنود الحلقة ، وكان يتولى امر كل اربعين جنديا منهم رئيس ، ولا عمل لهم الا اذا خرجوا للحروب .

وكان للجندى فى العصر المملوكى زى خاص به يرتديه ، فقد كان يلبس قباء أبيض ضيق الاكمام من القطن البعلبكى وفى عصر الاحسان تكون الأقبية حمراء او زرقاء ، ويشد على وسطه بندا (حزاما) من القطن وعلى راسه يضع غطاء أصفر بغير عمامة .

اما فى القرن الخامس عشر فقد اصبح الجيش المصرى يتكون من ثلاث طوائف ، الاولى جنود نظامية تنفق عليهم الدولة ، والطائفة الثانية مماليك السلطان وتنفق عليهم الخاصة السلطانية ، وهم حرس السلطان . اما الطائفة الثالثة فهم مماليك الامراء وينفق عليهم أمراؤهم ، وهم فى الحقيقة حرس الأمراء واعوانهم فى الحوادث والشدائد . وكان نظام الجيش المملوكى فى الحروب يشكل على هيئة مربعات يقف الفرسان فى وسطها ثم يدور القتال بغير نظام ، ولذلك كان من السهل القضاء عليهم رغم شجاعتهم وحسن تدريبهم وشدة حماسهم .

شكل (٢) يبين ترس من العصر المملوكى

شكل (٣) يبين درع من العصر المملوكى

القليل الانحناء الذى يعرف باسم (القليج واليتاغان) ، مثل سيف الأمير الأشرف السيفى أزبك فقد نقش على وجهى النصل اسمه ثم (رنكه) شارته ، وقليج السلطان قايتباى فى القرن الخامس عشر ، والسلطان الغورى وكذا طومان باى فى أوائل القرن السادس عشر .

وأما فى القرن السادس عشر فقد أصبح السيف المقوس وهو الطراز السائد بين السيوف وهو الذى يطلق على شمشير . كما استخدم الجندى المملوكى الرمح ، وخاصة الفرسان ولكنهم لم يكونوا يأمنون له خوف انكساره . وكانت أسنة الرماح مختلفة متعددة الأشكال منها المشعب والعريض والرفيع والمعوج والمستوى والموج وغير ذلك . ومن أسلحتهم كذلك النشاب والقوس التى كانوا يستخدمونها فى صيد الغزلان وكذا فى الحرب والطعان ، وبرعوا فى استعمال هذا النوع من السلاح الى درجة تفوق حد الخيال حتى يقال أنه لو أراد أحدهم أن يرمى احدى عينى الغزال دون العين الأخرى لرماها ولذا عرف مهرة الرمى باسم (رماة الحدق) . وقد تفنن المسلمون فى العصور الوسطى فى اصطناع القوس المركب وهو عبارة عن انبوبة من الحديد او الخشب فيها شق يوضع السهم فيه ويقذف قذفا شديدا ، كما تقذف الرصاصة بالبندقية » وفى هذه الحالة تكون الاسهم قصيرة .

أما أسلحة الوقاية ، فهى الترس والدرع ، وكانت التروس متعددة الأشكال تبعا للاغراض التى تستعمل فيها ، فمنها الترس المقتب المنحنى الأطراف لاتقاء السيف والنشاب والحجارة ولكن لا يتقى به الرمح لأنه متى طعن ثبت الرمح فيه ، ومنها الترس المستطيل يتقى به النشاب لأن طوله يقى الفارس ويستر رأسه . كما تعددت المواد التى يتخذ منها الدرع فمنها الحديدية والفولاذية والكتانية ، وتعرف الدروع الكتانية باسم (دلاص) نسبة لشهرة مدينة دلاص ببنى سويف بزراعة الكتان . ويتكون الدرع من عدة أجزاء ، فالذى يقى الصدر منها يعرف باسم الجوشن ، وما يغطى الرأس بالخوذة والمغفرة والبيضة ، ومنها أجزاء للساعدين والساقين والكفين .

كذلك استعمل الجيش آلات حربية كبيرة مثل المجانيق والزحافات والقطاطيع والدبابات ذوات العجل . وقد عرف المصريون القدماء الدبابة ، كما استخدمها الآشوريون واليونان والرومان والفرس فالمسلمون ، وهى عبارة عن قلعة سائرة تتخذ من الخشب الثخين المتلزز وتغلف باللبود أو الجلود المنقوعة فى الخل لدفع النار وتركب على عجل ، وتجر ، وقد يجعلونها برجا من خشب بمثل هذا التدبير ويدفعها الرجال فتندفع على بكر ويصعد الرجال فى أعلاها ويستعلون على السور وينزلون فوقه .

ولما استولى العثمانيون على مصر سنة ١٥١٧ م قسموا السلطة فيها على أربع هيئات حتى لا تنفرد احداها بالحكم وتفكر فى الاستقلال عن الباب العالى فى القسطنطينية . فالباشا ومعاونوه يمثلون السلطان العثمانى ويحكمون الولاية ويشرفون على ادارتها ، ثم الديوان ويتكون من رؤساء الحامية ومن الكتخدا والدفتردار وأمير الحج الذين يعاونون الباشا فى ادارة البلاد كما يحولون دون اساءة استعماله لسلطته . أما الهيئة الثالثة فهى المماليك والصناجق والكشاف ، فقد رأت الدولة العثمانية الاستفادة من خبرة المماليك فى ادارة شئون البلاد ، ومن درايتهم بعادات البلاد وحكمها. والهيئة الرابعة هى الحامية العثمانية والاوجاقات السبعة وبمعنى آخر الجيش .

وكان الجيش المصرى فى العصر العثمانى يتكون من عناصر مختلفة ، فقد كان يضم اخلاطا من العسكر من المماليك والعثمانيين والعرب والشوام والمغاربة ثم اخذ عنصر المماليك يقوى تدريجيا على حساب العنصر العثمانى . وكان الجيش ينقسم الى سبعة أقسام يسمى كل قسم أوجاق ، ويبلغ عدد حامية كل أوجاق ما بين ١٢ ألف و ١٥ ألف جندى ، ويرأس كل أوجاق آغا أى رئيس ، وكتخدا وباش اختيار (أى رئيس القدماء فيه) ، وجماعة الاختيارية والجوربجية (أى الضباط) وكاتب يمثل الأوجاق فى ديوان الروزنامة لكى يساعده فى صرف مرتبات الأوجاق . وتعرف الفرقة الأولى باسم أوجاق متفوقة وكانت مهمتها المحافظة على الحصون والقلاع الساحلية مثل طابية الاسكندرية ورشيد والبرلس ودمياط والعريش والطور ، وكذا حصون الثغور مثل قلعة اسوان وابريم . كما تشرف هذه الفرقة أيضا على المواصلات الداخلية ، ونقل البضائع بين القاهرة والصعيد والسويس ويتولى هذا العمل قافلة باشى (أى رئيس القافلة) ، كذلك يعنى أوجاق المتفرقة بجمع البارود اللازم لشئون الدفاع عن مصر . والفرقة الثانية اسمها أوجاق جادشان كان عملها تحصيل الأموال الأميرية من الملتزمين وتوريدها الى خزينة الروزنامة ، كما كانت تقوم بمهمة الاشراف على شئون الغلال ومن بين رجالها يختار المحتسب ، وكانت مهمته الاشراف على الأسواق وضبط الموازين والمكاييل وضبط الأمن والآداب العامة .

والفرق الثلاث الاخرى ، أوجاق كوكللويان وأوجاق تفنكجيان وأوجاق الجراكسة ، فكانت من الفرسان ومهمتها الاشراف على الباشا وعلى حكام الاقاليم . أما الفرقة السادسة فهى أوجاق مستحفظان وهم الانكشارية وكانوا أقوى الأوجاقات وأكثرها عددا ومهمتهم مساعدة الباشا فى تنفيذ أوامر السلطان ، كما كانت لهم رقابة عليه . والفرقة الأخيرة أوجاق عزبان وكان لها عدة اختصاصات منها الاشراف على الترسانات ومنهم بحارة ثغر الاسكندرية والسويس كذلك كانت لهم اختصاصات بوليسية فتتألف منهم مراكز بوليس القاهرة .

وقد أثبت هذا الجيش جدارة وامتيازا ، فلم تتعرض مصر طوال الحكم العثمانى حتى قدوم الحملة الفرنسية ، أى قرابة ثلاثة قرون من سنة ١٥١٧ م حتى سنة ١٧٩٨ م ، لاى اعتداء خارجى ، بل انه كثيرا ما شارك فى حروب الدولة العثمانية فى أوروبا ، فى الحروب الطويلة مع النمسا وأدرنة وسالونيكا وبلغراد وفى الحروب الروسية . كما استطاع جيش مصر ان ينتزع جزيرة كريت من أيدى البنادقة سنة ١٦٦٩ م

القاهرة المعزية

الأستاذ محمد وصفى

ﻫ قاهرة المعز فانها
بلد تخصص بالمسرة والهنا
او ما ترى فى كل قطرة منبة
من جانبيها فهى مجتمع المنى

ولى المعز لدين الله الخلافة الفاطمية فى شمال افريقية بعد وفاة والده الخليفة المنصور فى شوال سنة ٣٤١هـ ، وكان فى الرابعة والعشرين من عمره . وكان المعز لدين الله ملكا مثقفا وحاكما نشيطا استعان بوزيره وقائد جيوشه جوهر الصقلى على نشر الأمن والطمأنينة فى أنحاء مملكته ، وذلك تمهيدا لغزو مصر وهو غرضه الاسمى الذى انفق فى سبيل تحقيقه أربعة وعشرين مليونا من الدينارات ، وقضى سنتين فى حفر الآبار وبناء النزل على طول الطريق الى الاسكندرية .

فقد اصبحت مصر نتيجة للاضطرابات الداخلية والمجاعات التى سببها انخفاض النيل وانتشار وباء الطاعون فى العصر الاخشيدى مطمعا للغزاة . وقد وقف المعز على حالة مصر من رجل لاجىء اسمه يعقوب بن كلس وهو يهودى أسلم وظل وقتا طويلا مقربا من كافور الاخشيدى ثم أصبح من ألمع الوزراء فى عهد الخلافة الفاطمية الاولى فى مصر .

خرج جوهر الصقلى قائد الخليفة المعز من القيروان فى ١٤ ربيع الاول سنة ٣٥٨ هـ – ٥ فبراير ٩٦٩م ، على رأس جيش مكون من مائة الف مقاتل مزودين بأوفر الذخائر وأحسن العدد ، فوصل الى الجيزة فى ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ – ٦ يولية سنة ٩٦٩ م ، وعبر النهر وهزم الجيش المصرى الذى اعترضه على الضفة الاخرى من النهر فسلمت المدينة ودخل الجيش الفاطمى الفسطاط منتصرا وعسكر فى سهل رملى واسع شمالها يحف به المقطم من الشرق والخليج من الغرب « والخليج هو قناة تترك النيل شمال الفسطاط وتمر بمدينة عين شمس وتصل الى البحر الاحمر عند السويس » . وكان هذا السهل خلوا من المبانى الا بعضها التابع لحدائق كافور ودير قبطى يعرف باسم دار القدم الذى كان فى البقعة التى يشغلها الآن مسجد الأقمر وقلعة صغيرة اسمها قصر الشوك . ويقول ابن عبد الظاهر ان هذا القصر كان منزلا لبنى غدرة قبل بناء القاهرة يعرف بقصر الشوك ويطلق عليه العامة قصر الشوق ولا يزال هذا الاسم يطلق على هذا الحى .

وفى نفس الليلة التى دخل فيها جوهر مصر « وكانت مصر تطلق على الفسطاط والعسكروالقطائع » وضع أساس مدينة القاهرة فى ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ ، وقد وصف لنا على مبارك باشا فى كتابه الخطط التوفيقية مدينة القاهرة فى أوائل عهد الفاطميين اذ يقول « شكل مدينة القاهرة فى أيام القائد جوهر كان مربعا تقريبا ، ضلعه الف ومئتا متر ، ومساحة الارض فيه ثلاثمائة واربعون فدانا ، منها نحو سبعين فدانا بنى بها القصر الكبير ، وخمسة وثلاثون فدانا للبستان الكافورى، ومثلها للميادين فيكون الباقى مائتى متر ، هو الذى توزع على الفرق العسكرية فى نحو عشرين حارة . وكان سور المدينة الغربى بعيدا عن الخليج بنحو ثلاثين مترا » .

ويقال ان سبب بناء القاهرة واحاطتها بسور ضخم هو لاتقاء هجوم القرامطة وتنسب القرامطة الى حمدان بن اشعث المعروف بقرمط، وهى طائفة من الشيعة تعتقد فى امامة محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق . فقد ذكر المقريزى أن جوهر أراد « أن تصير حصنا فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر ليقاتلهم من دونها » . ويقال كذلك انه اراد درء ما عسى أن يقوم به العباسيون من محاولة لاسترداد مصر . وقد أنشد ابن هانىء قصيدة أولها :

يقول بنو العباس هل فتحت مصر
فقل لبنى العباس قد قضى الامر

على ان هناك امرا آخر ضاعف مخاوف جوهر من ناحية الروم الذين عاودوا نشاطهم ويكيلون الضربات للعباسيين ويحتلون بعض مدنهم . كذلك اتخذ جوهر من القاهرة ملجا يأوى اليه المغاربة ، ولكى يسهل لهم اقامة شعائرهم

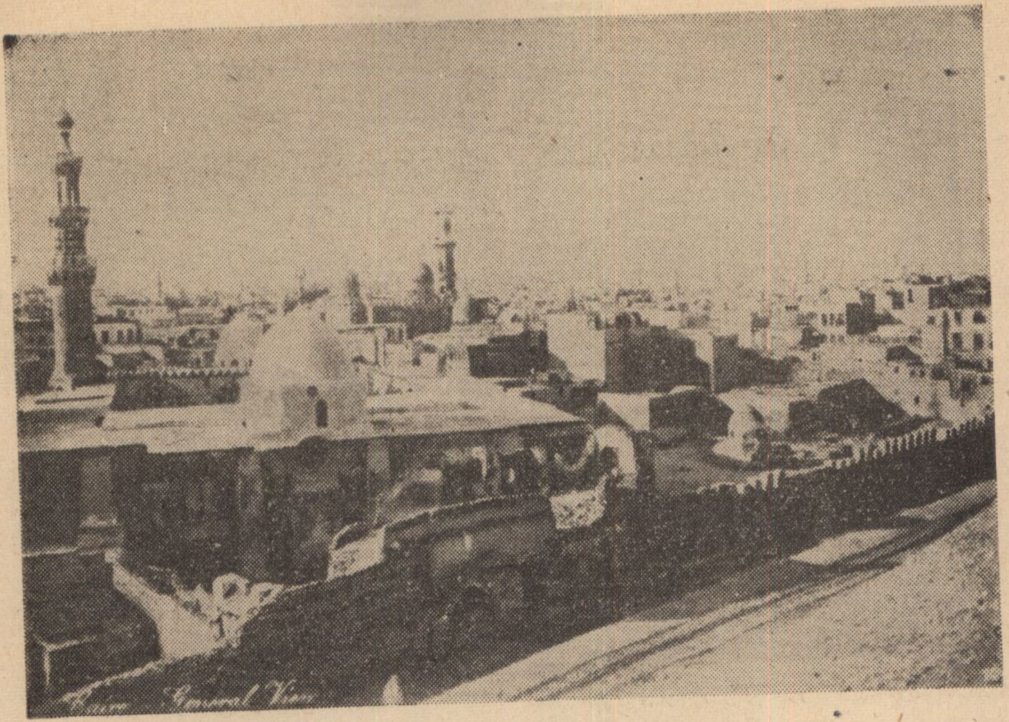

منظر عام للقاهرة

الدينية من غير أن يتعرض لهم السنيون بسوء ، أى أن جوهرا اتخذ من مدينة القاهرة حاضرة لولايته ومعقلا يصد عنه خطر المهاجمين ومركزا لنشر عقائد مذهبهم الشيعى الاسماعيلى .

أما عن أساس التسمية وقد سماها جوهر القاهرة ، فكانت قبل ذلك تسمى المنصورية ، ويظهر أن جوهرا سماها القاهرة تحقيقا لرغبة المعز حين شيعه لفتح مصر وقال له «انك ستبنى مدينة تقهر الدنيا تسمى القاهرة». وكذلك سميت القاهرة لانها تقهر من شذ عنها وبها مقر الخلافة ويمكن من بها من قهر الأمم .

ويذكر ابن دقماق ان المعز بنى قصورا مجتمعة « وقال ابن عبد الظاهر فى الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة ، ان القائد جوهر لما نزل فى مناخه موضع القاهرة ، فبات تلك الليلة المصريون فلما أصبحوا حضروا لهنائه فوجدوه قد حفر أساس القصور بالليل وكان فى الاساس زورات غير معتدلة ، فلما شاهد جوهر ذلك لم يعجبه ثم قال قد حفر فى ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه على حاله » . ويستطرد ابن دقماق فيقول عن الغرض الذى بنى من اجله جوهر القصر « لما استولى جوهر على الديار المصرية بنى لسيده القاهرة والقصور ليكون هو واصحابه واجناده بمعزل عن العامة وعلى هذه العادة كانت ملوك عبد المؤمن ، فعلوا ذلك فى مراكش وتلمسان وغيرهما » . من هنا نتبين أن جوهرا بنى مدينة القاهرة لتكون عاصمة للفاطميين فى مصر وبنى فى داخلها قصورا للخليفة ومن معه ثم أقام مسجد الأزهر لنشر الدعوة الشيعية وأحاطها بسور ضخم من اللبن تمييزا لهاعن عواصم مصر الاسلامية السابقة . ولله در القائل :

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها
من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم شأنه
أضحى يدل على عظيم الشأن

ويقول المقريزى « وكان داخل سور القاهرة قصران وجامع. ويقال لاحد القصرين، القصرالكبير الشرقى ويسكنه الخليفة ومحل حرمه وموضع جلوسه لدخول العساكرواهل الدولة وفيه الدواوين وبيت المالوخزائن السلاح.والقصر الآخر تجاه هذا القصر ويعرف بالقصر الغربى ويذهب اليه الخليفة فى أيام النيل للنزهة على الخليج ولانه يطل على البساتين » . ويقال لمجموع القصرين القصور الزاهرة ، ويقال للجامع جامع القاهرة والجامع الأزهر . وكان بين القصرين فضاء متسع يقف فيه عشرة آلاف من العساكر ما بين فارس وراجل ، ويقال له بين القصرين ، ويقول المقريزى « ولم تزل القاهرة دار خلافة ومنزل ملك ومعقل قتال لاينزلها الا الخليفة وعساكره وخواصه الذين يشرفهم بقربه فقط »

اما عن سور القاهرة فقد بنى من اللبن الكبيرالحجم ، اذ كان طول اللبنة ذراعا وعرضها ثلثى ذراع ، كما كان الحائط سميكا بحيث يسمح بمرور فارسين متجاورين ، ومما يجدر ملاحظته أن سمك حوائط قصر الخليفة بالمهدية أول عاصمة للفاطميين فى شمال افريقية فى نفس سمك حوائط القاهرة كما يقول ياقوت ، والسبب فى ذلك واضح اذ أنه يمكن المدافعين عن الحائط من الانتقال من مكان الى مكان آخر فى حالة الخطر والطوارىء .

وكجزء من مشروع جوهر الدفاعى أمر بحفر خندق عظيم عمقه عشرة ذراعات وعرضه عشرة ذراعات يمتد من المقطم الى منية الاسبغ ، وقد بدىء بحفره فى شعبان

منظر من الداخل للازهر الشريف

سنة ٣٦٠ هـ - يونية سنة ٩٧١م ، وانتهى منه عقب ذلك بقليل .

ويذكر التاريخ ان القرامطة غزوا المدينة مرتين بعد ذلك المرة الاولى فى أول ربيع الاول سنة ٣٦١ هـ - ديسمبر سنة ٩٧١م ، والمرة الثانية فى سنة ٣٦٣ هـ - ٩٧٤ م .

ويقول المؤرخ « دى غويه » ان علم الفلك لعب دورا هاما فى الشرق فى العصور الوسطى وخاصة عند الفاطميين ، ويعزز هذا الرأى بأن الذى دفع المعز لدين الله على التفكير فى غزو مصر هو اقتران الاجرام السماوية « المشترى وزحل » فى برج الحمل فى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٦٧ م . كما يقول ان كتبا فى الفلك سرقت من عبيد الله « المهدى فيما بعد » أثناء فراره الى افريقية بالقرب من بلدة الطاحونة ، وقد استرد الخليفة القائم هذه الكتب أثناء حملته الفاشلة على مصر ، ويقال انه وجد فيها نبوءة تقول « ان ملك العرب فى المغرب سينتهى فى القرن الثالث من الهجرة » . ثم يستطرد فيقول « ان هذه النبوءة ترتبط باقتران المشترى وزحل فى برج الحمل الذى كان منتظرا فى سنة ٢٩٦ هـ - ٩٠٨م وهى السنة التى شهدت انتهاء ملك الأغالبة وابتداء حكم الفاطميين فى القيروان » .

ومن المعروف ان الفاطميين كانوا يتوقعون عهدا جديدا هو عهد الايمان الخالص يبدا بحالة الكون فى سنة ٣١٦ هـ - ٩٢٨ م ، وبما أن اسرة الفاطميين تولت الحكم من سنة ٢٩٦ هـ - ٩٠٨ م يرجح دى غويه : ان المعز - وهو رجل متعمق فى علم الفلك ، اقتران مماثل فى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٦٧م - عمد الى البدء فى هذه السنة فى تجهيز حملته على مصر .

وفى عهد القائد جوهر عندما عزم على بناء القاهرة جمع علماء الفلك وطلب منهم أن يختاروا لحظة سعيدة لبناء المدينة حتى تبقى الأسرة الفاطمية ابد الدهر مالكة لها ، فاقيمت على طول الخنادق التى أعدت لبناء الاساس عمد تصلها حبال تعلقت بها أجراس حتى اذا ما حانت اللحظة المناسبة أعطى العلماء الاشارة ببدء البناء فى وقت واحد ، وأمروا العمال بالوقوف الى جانب الخنادق مستعدين للبدء فى البناء وأعدت الأحجار والملاط حتى تكون فى متناول ايديهم عندما تعطى الاشارة ، ولكن قبل ان تحين اللحظة هبط غراب على الحبال فدقت الأجراس فبدأ العمال العمل ظنا منهم أن هذه هى الاشارة المتفق عليها ، وفى هذه اللحظة كان الكوكب مارس هو الواضح فى السماء ، وكان يسمى قاهر الفلك .

وقصة الفلكيين واضحة ومقبولة لدرجة أن الكتاب الذين تكلموا عن بناء القاهرة لم يشكوا فى صحتها وفاتهم أن قصة تشبه هذه ذكرها المسعودى عند كلامه عن بناء الاسكندرية اذ يقول « ان العمال وقفوا بامر الاسكندر الى جوار الخطوط التى تحدد الاسس وان الاسكندر اقام عمدا تحمل حبلا يتصل بخيمته وقد علقت اجراس بهذا الحبل وانتظر الاسكندر يوما سعيدا يبدأ فيه العمل ، ولكن لسوء الحظ اصيب فى هذا اليوم بصداع ونام ، ولكن تصادف ان وقف غراب على الحبل فدقت الاجراس وبدأ العمل وعندما استيقظ الاسكندر قال لقد اردت شيئا ولكن أراد الله غيره »

ومن هذا يظهر ان قصة المقريزى كانت معروفة قبل بناء القاهرة ، وهذا يلقى ضوءا جديدا على الموضوع ، ولم يعد فى الامكان قبول قصة المقريزى على علاتها ، بل انه من الواجب فى رأيى أن نعتبرها أسطورة . بيد ان هذا لا ينفى مطلقا أن العرب كافة كانوا يهتمون بعلم الفلك فى حياتهم ايما اهتمام .

المغزى الديني والاجتماعي للحج

تحقيق من إعداد : مصطفى زاهر
يوسف الرويني

« واذ بوانا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام »

صدق الله العظيم

فى الاشهر الحرم المباركة يلبى المسلمون دعوة الله الى حج بيته الحرام فهذا البيت دعامة الاسلام فمن خرج نديم هذا البيت من حاج او معتمر كان مضمونا على الله أن قبضه أن يدخله الجنة وأن رده الى أهله رده بأجر وغنيمة .

وللحج الى جانبه الروحى الخلقى جانب اجتماعى وسياسى فى غاية الخطورة وذلك أنه مؤتمر للمسلمين الذين دعاهم الله الى عقده فى دورات سنوية منتظمة ، وكلنا يعلم أهمية المؤتمرات فى توجيه الحياة العامة ، وبدورها الخطير الذى تقوم به فى المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية وغيرها من المجالات ، فعندما بوا الله لابراهيم مكان البيت أمره بتطهيره واعداده لاستقبال الوافدين اليه وبتوجيه الدعوة العامة للناس ليأتوه رجالا وعلى كل ضامر من كل فج عميق .

وجاء الاسلام فجعل هذا المؤتمر فرضا محتوما على الناس اجمعين يقوم بأدائه منهم من توفرت عنده الامكانيات التى تختلف فى بعض مظاهرها باختلاف الازمنة والظروف .

فقال تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)

وحذر اشد التحذير من التخلف عن الحضور فقال « ومن كفر فان الله غنى عن العالمين »

ولقد بين الله الغرض من عقد هذا المؤتمر واوجزه فى هذه الكلمة العامة الجامعة « ليشهدوا منافع لهم » وهى منافع لاتقف عند حد ، ولا تقتصر على اى لون فهى منافع فردية وجماعية ، مادية وادبية ، دينية ودنيوية . روحية وخلقية ، فكرية وسياسية ، اقتصادية واجتماعية فى ظل من التعاون والتضامن الذى يسوده الاخلاص والانسجام وان نعمل جادين على محو عوامل الفرقة ونوازع الشر من اجل اقامة مجتمع اسلامى ايجابى يعمل على استعادة مكانته التى خصها الله به وهو انه خير امة اخرجت للناس .

فيأيها الوافدون الى ساحة الرحمن المندوبون لحضور هذا المؤتمر العام الناطقون باسم ملايين المسلمين ، تذكروا دائما ان الصهيونية العالمية لم تغير اسلوبها التقليدى الذى املاه عليهم افتراؤهم انهم شعب الله المختار ، وان غيرهم من الشعوب اميون لا يعترف لهم بحق « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل »

لقد استباحوا فى سبيل اقامة دولة لهم فى قلب العروبة طرد الاهلين وتشريد الملايين ليتخذوا من فلسطين العزيزة وكرا يضربون منه الدين والعروبة فى كل اتجاه . ونحن الملايين العديدة تجرى فى عروقنا دماء العروبة الحارة بما فيها من نخوة وعزة واباء وشمم ويقود زمامنا دين يقرر أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، ويدعونا الى تحقيق هذه العزة بالتسلح والاستعداد بكل

عوامل القوة المادية والمعنوية لترهب عدو الله وعدو الانسانية ونخلص وطننا العـزيز من رجس الاجنبى الدخيل .

وتعالى معى ايهـا القـارىء الكريم نستعرض سويا مناسك الحج : فالحج هو قصـد البيت الحرام بمكة لتادية فروض الحج ومناسـكه ، من الطواف بالكعبة وذكر الله ، والتهليل والتلبية والتكبير ، وذبح القرابين والتصدق على الفقـراء والمساكين تقربا الى الله جل شانه .

⊙ اركان الحج التى لا يصح بدونها :

هى الاحرام والطواف والسعى والوقوف بعرفه والحلق بعده على قول :

⊙ البيت الحرام هو الكعبة الشريفة والحرم مفتوح ليلا ونهارا يقصده الحجيج فى كل لحظـة من البيت والصفا والمروة هما موضعان بجوار المسجد الحرام .

⊙ عرفـه واد واسع على نحو عشرين الف متر من المسجد الحرام .

متى فرض الحج ؟

قد فرضه الله فى السنة الخامسة من الهجرة ، على ما صححه الشافعية واوجبه على المسلم البالغ العاقل الحر القادر المستطيع من الناحيتين المالية والصحية ، واشـهر الحج هى شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذى الحجة لا رفث ولا جماع ولاتقبيل ولا فسوق ولا معاصى وخير الزاد مايتقى به سؤال الناس

الحج اشـهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وماتفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى، واتقون ياأولى الالباب .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال :

سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول :

من حج لله فلم يرفث ولم يفسـق رجع كيوم ولدته امه .

وقال سبحانه :

« واتموا الحج والعمرة لله »

وقال وهو اصدق القائلين :

« ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما . ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » .

وفى حجة الوداع انزل الله على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو واقف بعـرفة يوم الجمعة قولـه تعـالى :

« اليـوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » فبالحج تتم اركان الاسلام ويكمل الدين .

مايحرم فى اثناء الحج :

قد خص الله اوقـات الحج وامكنته بالاحترام فحرم فى اثنـائه لبس الملابس المخيطة كما حرم صيد البر الذى يؤكل أما صيد البحر فحلال .

عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

خمس من الـدواب كلهـن فاسق يقتلن فى الحرم ، الغراب ، والحداة والعقرب ، والفارة والكلب العقور .

ومعنى فاسق هنا مؤذ ومفسد ولهذه العلة يقتـل كل مؤذ من ضبع وسبع وحية وبرغوث وبق .

ايها الحاج الكريم :

اذا أردت تفصيلا لما اجملناه وما لم يتسع له المجال من ذكر فى هـذا التحقيق من : فى شروط وجـوب الحج ، والانفاق فى الحج ، والحج عن الوالدين أو عن الغير ، وحج الصبى والمـرأة والاستشارة والاستخارة وكيفية الاحرام ، ودعاء الاشواط السبعة، ووصف مسجد الرسول ، والمزارات بالمدينة المنورة ، وقصة الفـداء وآيات الدعاء ومايلزمك من مهمات وتعليمـات صحية وتعيينات والشئون المالية وغير ذلك كثير مما يروق لك معرفته وتشتاق اليه نفسك وينير لك طريقك ويوضح لك المعالم فى الرحلة المقدسة فى ضيافة الرحمن فاهم مرجع فى ذلك هو كتاب « مناسك الحج » للفريق عبد الرحمن محمد امين والمقـدم صلاح الدين محمد عطيـة الـذى أصدره المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ففيه خير زاد للحجيج خاصة والمسلمين عامة لما بذل فيه من جهد .

اخى الحاج راينـا لزاما علينـا ان نقدم لك فكرة واضحة تنير لك الطريق وتحدد السلوك الاسلامى الذى يجب ان يتسم به الحاج قبل سفره وبعد عودته فضلا عن التعرض لما اشيع على السنة العامة من تناول لفظ الحاج بمعنى او باخر وقـد اشركنـا معنا فى توضيح هذه الاسئلة التى وجهناها الى السادة :

١ ـ فضيلة الشيخ السيد عبد الرحمن الباز

٢ ـ الدكتور عبد الحليم كامل

٣ ـ الاستاذ احمد شمس الدين الحامى

٤ ـ الدكتور محمد سلام مدكور

وقد تفضـل فضيلة الشيخ السيد عبد الرحمن الباز مشكورا بالاجابة على السؤال التالى :

س ـ هل هناك سـلوك خاص . او درجة خاصة من السلوك الاسـلامى الذى يجب ان يتسم به الحاج او يصل اليه حتى يفكر فى الشروع فى الحج ؟!

فنقول الجواب . وبالله التوفيق

جـ ـ يستحسن لمن فكر فى الحج وعزم عليه أن يعمل جاهـدا على ما يحقق أمله من القبول وحسن الرضا من الله المنعم المتفضل الـذى أنعم عليه بنعمـة القـدرة والتوفيق . فيبدأ بما هو حسـن وجميـل من الصفات والاداب فيتوب الى الله توبة نصوحا من جميع الذنوب مع العزم على عدم العـودة اليهـا والندم على فعلها . ورد الحقـوق لاربابها ـ ان استطاع ـ أو يستسمحهم فيها . وأن يسترضى اهله واقاربه ومعارفه . وعليه

ان يتحرى المال الحلال فيجعلـه لرحلتـه هذه المباركة لاداء فريضة الحج • بحيث لا يخالطه مال حرام او تشوبه شبهة ليكون ادعى الى قبول حجـه • وان يترك لمن يعولهم مايكفيهم من النفقة حتى يعود اليهـم • وان ينـوى بسفره الحـج والعمـرة خالصا لله لا لرياء ولا سمعة ولا ابتغاء عرض الدنيا • وان يمد يد المساعدة لمن يكون معه فى سفره من رفقـة صـالحين - على قدر استطاعته - وان يترك الشقاق والجدل والمعاصى فى هذه الرحلة وبعدها حتى يكون بعدها احسن مما كان قبلها.. وان يصلى ركعتيـن تطوعا عند ارادة سفره وخروجه من منزله وليعدكل مايحتاج اليه فىسفره منمال ودواء وغيره وانيخرج منمنزله منغير ضجه أواعلانبالموسيقى والاغانى والزغاريد ذهابا وايابا • كما يفعـل بعض الجهلاء • حتى لا يجارى اهل البدع والضلال وان يخرج على وضوء وأن يدعو بدعاء السفر « اللهم اصـحبنى فى سـفرى واخلفنى فى اهـلى • اللهم انى اعوذ بك من وعثـاء السفر • وسوء المنقلب وكآبة المنظر فى الاهل والولد • اللهم انى أعوذ بك أن أضل أو أضل .. أو ازل .. أو أزل .. أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو اجهل ! ويجهل على • آمنت بالله .. واعتصمت بالله .. واستعنت بالله .. وتوكلت على الله • ولا حول ولا قوة الا بالله • وعليـه أن يكثـر من الذكر وتلاوة القـرآن ان كان يحسـن القراءة • وأن يقول عند ركوب القطار - أو السفينة أو الطائرة - « بسم الله الرحمن الرحيم • سبحان الذى سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ».. وعليه أن يتزود من التقوى فانهـا السبب الاقـوى • وتزودوا فان خير الزاد التقوى • وذلك باداء الفرائض • والتحلى بالاداب الشرعية • والتخلى عن الـرذائل حتى يفوز بالقبول والرضوان الاكبر • فمن لزم الاداب دخل الرحاب • ومن ترك الاداب أغلق فى وجهه الباب •

جعلنا الله جميعا ممن سلك طريق المصطفى - صلى الله عليـه وسلم - وتحلى بآدابه وفتح بصائرنا لاقتفاء آثار الصالحين من العلمـاء العاملين وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

ثم توجهنا الى الدكتور عبد الحليم كامل بهذا السؤال ماهو السلوك الاسلامى الـذى يجب أن يتسم به الحاج بعد أدائه فريضة الحج ؟

فاجاب سيادته :

حتى اذا انتهى الحاج من أداء مناسك الحج وتاهب للرجوع الى وطنه واهله وهو اشد مايكون صفاء ونقاء. كيف لا وقـد امتلأ قلبـه بالنـور والايمـان واذا به أشـد ما يكـون شـوقا للعـودة الى بيت الله الحرام واكثر ما يكون حنينا لزيارة قبر رسوله الكريم • ثم يخلو الى نفسهيحدثها ويستوحى من حديثه معها ماانطبع فيها من سلوك وعظاتفيعود بذاكرته وتعود معه الى ذلك اليوم الذى ترك فيه الاهل والولد ميمما شطر المسجد الحرام فاذا به يحرم مع من احرم وبذلك تضيع الفروق الظاهرة بينهم كمقدمة لذوبان الفروق الاجتماعية والنفسية بينهم فيتواضع المتكبر ويخشع المغتر بنفسـه والمعتز بماله ومركزه فان الله لا يحب كل مختال فخور كيف لا وهم يتاهبون للقاء رب الارباب وخالق الكائنات فترتفع اصواتهم بالتلبيـة والدعاء قائلين لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك • وانما هم فى ذلك يستجيبون لنداء من الله ودعوة منه حين يقول « واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على ما رزقهـم من بهيمـة الانعام فكلـوا منها واطعموا البائس الفقير »

ثم يذكر كيف طاف حول الكعبة الشريفة مع من طاف وهو يدعو ويستغفر ويلبى ويكبر وهو مع غيـره من المسلمين من كل بقـاع الارض حفاة حـاسرى الرؤس عليهم بملابس الاحرام البيضـاء فهم اشبه ما يكونون بالملائكة المقربون وهم يحفـون ويطوفون حول العرش ، فالبيت بيت الله والملك ملك الله والعباد عباد الله نذروا له صوما عن الرفث والفسوق والجدال والعصيان.

وكل مسـلم من هؤلاء هوفى نفسه طاقة وقوة وفى الطواف تتآلف كل هذه القـوى والطاقات ممثلة القوة الاسلامية الكبرى وقوة العقيدة وقوة الايمان عندما ترتفع أصواتهم الى عنان السماء قائلين الله أكبر الله أكبر • وهكذا يخرج الحاج من أنانية فردية وسلبية دينية الى مجتمع اسلامى يندمج فيه والى ايجابية دينية ما أحوج العالم الاسلامى اليها .

حتى اذا انتهى من طوافه وصلى فى مقام ابراهيم عليه السلام ركعتين وشرب بعدها من ماء زمزم شربة راجيا الا يظمـا بعدها ابدا • ثم توجـه بعد ذلك ليسعى بين الصفا والمروة ويذهب به الفـكر ويسرح به الخيال ويقوده الى ابراهيم عليه السلام عندما ترك السيدة هاجر وابنها اسماعيل بجوار البيت الحرام قائلا « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »

ويستجيب الله ذلك الدعاء ، لانه صادر من قلب عامر بالتقوى والايمان وهـكذا تكون الاستجابة لامر الله والاتكال على الله والثقة والايمان بالله • ثم يظما الصغير وتسعى هاجر بين الصفا والمروة مستغيثة بالله شاكية اليـه ويوحى الله الى ذلك الصغير أن اضرب بقدمك الارض فينبثق الماء وينشرح صدر الام وتروى ظماها وظمأ الصغير •

ويقـول الامام الغزالى أن الانسان عندما يسعى بين الصفا والمروة فليتذكر تردده بين كفتى الميزان فى يوم القيامة فهو بين كفـة عـامرة بالحسنات وكفة أخرى تثقلها السيئات وهو بين الكفتين يردد قوله تعالى « فاما من ثقلت موازينـه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فامه هاوية ماأدراك ماهية نار حاميـة » •

ثم يتـذكر الوقفة الـكبرى بعرفات وازدحام الخلق وارتفاع الاصوات واختـلاف اللغـات بمايحدث يوم القيامة وعندما يقـول الانسان اين المفر فترتفع الايدى مبتهلة الى الله سبحانه وتعالى وتمتد الاعناق وتشخص الابصار الى السماء متطلعة الى الرحمـة من رب الارض والسماء • ففى عرفة المؤتمـر الاكبر للمسلمين الآتيـن من مشـارق الارض ومغاربها يتدارسون ويتداولون ويعبدون ويصلون ويشكرون الله على نعمة الاسلام •

حتى اذا انتهى من عرفات وذكر الله عند المشعر الحرام ثم تذكر بعـد ذلك رمى الجمـار فيها اظهـار للطاعة والعبودية والتشبه بابراهيم عليه السلام حيث اعترضه ابليس اللعين فرماه بالحجارة

حتى اذا انتهت مراسم الحج وذهب الحاج الى المدينة وهى التى اختارها الله تعالى لنبيه وجعل اليها هجرته وجعلها داره التى شرح فيـــها فرائض ربه عز وجـــل وسننه وجاهد عدوه وظهر بها دينه ٠

وكل هذه المراسم وغيرها وقـــد انطبعت فى نفســـه واصبحت جزاء من حياته توحى اليه بما يجب أن يتسم به بعد ان تماشى فى الجماعة وعبد الله مع الجماعة وطاف مع الجمـــاعة وسعى مع المسلمين وبات فى منى مـــع مختلف الاجناس والشعوب ووقف بعرفات مع كل حجاج بيت الله الحـــرام لا فرق بين هذا وذاك الكل عند الله سواء لا يختلف الا بمقدار ما تختلف به أعمالهم ٠

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا قبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ٠

وهكذا بعد ان يؤدى الحاج كل تلك السنن والفرائض وقد خرج من فردية سلبية الى جماعيـــة ايجابية كيف لا والقبلة واحدة والرب واحد فمشاكل العالم الاسلامى كله هى مشـــاكله ومتـــاعب العالم الاسلامى كله هى متاعبه اذا فلا يصح أن يوصـــد من خلفه الباب ويعيش فى انانية وسلبية مهلكة له وللجماعة الاسلامية ٠

فلقد تعلم فى الحج انه عضـــو واحد فى ذلك الوطن الاسلامى الكبير عليه واجبات ان اداها واحســـن الاداء كان مثله كمثـــل الخليـــة الحية فى جسم الكائن الحى التى تؤدى واجبها فتحسنه فلا يشـــكو صاحبها مرضا ولا علة ٠ وبقدر ما تتكاتف هـــذه الخلايا وتتآزر وبقدر ما يعمل كل فرد مسلم ما يجب عليه من عمل نحو وطنه ونحو ربه ونحو اخيـــه المسلم يحس باحساسه فيفرح لفرحه ويتألم لالمه يواسيه ان شـــكا ويعوده اذا مرض ويعينـــه اذا ضعف ويعيـــده الى الصواب ان اخطـــا ويدفع عنه اعتداء المعتدين ويرد عنه كيد الكائدين ٠ عندئذ فقط نكون حقا خير امة اخرجت للناس ٠

فاذا اتسم الحاج بهذا بالاضافة الى ايجابية اسلاميه قـــوية كان النصر حليفـــا للمسلمين والمستقبل لهـــم باذن الله ٠

وقد تفضل الاستاذ احمد شمس الـــدين المحـــامى مشكورا بالاجـــابة على السؤال التالى لما يسمى الناس انفسهم بلقب « الحاج » ؟!

هـــــذا السؤال كثير ما تردد على السنة الكثير ممن يهتمون بشئون الدين فهل لقب « الحاج » يمكن أن يصاحب اسم كل من حج بيت الله وهل هو لقب بالمعنى الصحيح أم هى بدعة ابتدعها الناس ؟! والجواب عـــلى ذلك ان الحج فريضة على كل مسلم عاقل قادر مستطيع اداء هذا الفرض ٠ لقـــوله سبحانه وتعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » ٠ والحج هو الركن الخامس من أركان الاسلام وهو آخر الفروض التى فرضها الله تعالى لقوله تعالى « ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقـــام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفـــر فان الله غنى عن العالمين » ٠

والحج فريضة على الفور لكل من استطاع القيام باداء نسكه على تفصيل ما ورد بالقـــرآن والسنة والاستطاعة هنـــا يستلزم توافر المـــال الحلال الذى يكفى نفقات الحج ونفقات من يعولهم الحاج والصحة وعدم المديونية والاستطاعة الجسمانية والعقلية وهذا ما ذهب اليـــه المالكية وفى المذاهب الاخرى انه فرض على التراخى اى يمكن لكل مسلم أن يؤديه فى اى وقت شـــــاء برغم الاستطاعة ٠

وتفسر الآيات الـــكريمة أسباب فرض الحج والغرض منه ومايعود على الحاج من المنافع لقوله تعالى « واذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميـــق ليشهدوا منـــافع لهم ويـــذكروا اسم الله فى ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعـــام فكلوا منها واطعمـــوا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق »

وفريضة الحج لها وقت معين للاداء كفريضة الصوم فى شهر رمضان المعظم وزكاة الفـــطر قبل ايام عيد الفطر المبارك وكذلك فان الحج يتم فى زمان ومكان محـــددين وبمناسك محددة ولايتم الحج الا بهذه الاركان والشروط ويقول سبحانه وتعالى فى محكم كتـــابه « الحج اشـــهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فســـوق ولا جدال فى الحـــج وماتفعـــلوا من خير يعلمـــه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولى الالباب »

واشهر الحج هى شوال والقعده والحجة ٠ الوقوف بعرفة وهو اهم اركان الحج الذى لايتم الا به هو اليوم التاسع من شهر ذى الحجة فيجب على الحاج ان يقضى على جبـــل عرفات شـــطرا من نهار وليل اليوم التاسع من ذى الحجة ٠ لقوله تعـــالى « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عنـــد المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم » ٠

والحج مرة واحدة تكفى فهى اداء للفـــرض ومابعـــد الحجة الاولى فهو تطـــوع لقوله تعالى « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « ايهـــا الناس قد فرض الله عليـــكم الحج فحجوا » فقال رجل اكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى كررها ثلاثا فقال الرســـول عليه الصـــلاة والســـلام لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » وعن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حينما سأله الاقرع بن حابس رضى الله عنه وأرضاه يا رسول الحج فى كل سنة أو مره واحدة ؟! فقال عليه الصلاة والسلام « مرة واحدة فمن أراد فهو تطوع »

ومن مجمل ماتقدم أن الحج فرض على كل مسلم استطاع اليه سبيلا وهو فرض يؤديه المسلم لله تعالى عن ايمان ويقين والله ســـبحانه وتعالى يجزى الحاج خيرا عـــلى هذا الفرض ٠

ويقول الرسول الكريم صـــلوات الله وسلامه عليه « من جاء حاجا يريد وجه الله تعالى فقد غفر له » وعنه

عليه الصلاة والسلام « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته امه »

ونعود للرد على السؤال ان من اتى فرضا من فروض الله فلا يحق له ان يتباهى بهذا الفرض فلا يجوز لمن يصلى ان يسمى نفسه « المصلى »

ولايجوز للصائم ان يعلن عن نفسه بلقب الصائم ومن ثم فلا يجوز لمن ادى فريضة الحج ان يلقب نفسه بالحاج فان اداء الفرض لا يحتاج الى دعاية او اشارة . والملاحظ عامة ان السذج وضعاف العقول هم الذين يفخرون بحجهم فيضفون على اسمائهم لقب الحاج وهذا ليس فى الدين من شىء بل هى بدعة ابتدعها ضعاف العقول للتفاخر وهو مالا يتفق وتعاليم الدين الحنيف والله الموفق لما يحبه ويرضاه .

وقد تفضل الدكتور محمد سلام مدكور بالاجابة على هذا السؤال مختصرا :

تعارف الناس على ان يخاطبوا من يؤدى فريضة الحج بلقب حاج - حتى سارع بعض ضعاف الايمان الى اداء الفريضة ليكسبوا هذا اللقب .

فماذا ترى سيادتكم سببا لوجود هذا اللقب ، ومن من الصحابة او التابعين خوطب به ، وكيف نعمل على التحرر منه ، لتكون الفريضة خالصة لله .

فاجاب سيادته بقوله :

١ - ليس هذا امر متعارف عليه وانما ينتحله بعض الانتهازيين الذين لم يدخل الايمان فى قلوبهم .

٢ - لم يعرف فى تاريخ الصحابة او التابعين او الائمة عن لقب الحاج ..

٣ - الحج فريضة شانها شان الصلاة والصوم والزكاة فهل يقال للشخص بالمصلى او الصائم ؟!

٤ - قد يكون سبب افراد الحج بهذا ان يكون فيه مجهودا بدنيا وبدلا ماليا وتضحيات وانه يفرض مرة فى العمر ، ويكون على سبيل تشجيع الغير .

٥ - ليس هناك طريقا خاصا يسلكه الحاج ليتخلص من هذا .. ولكن الذى يجب ان يتخلص من هذا هم الناس الذين يخاطبونه به - حتى اشتهر بهذا -

اما الشخص نفسه فان الاصل فيه ان يؤدى الحج على انه عبادة واجبة ينبغى عليه ان يؤديها .

ايها الوافدون الى ساحة الرحمن المتحررون من عوامل الضغط والترهيب والترغيب .

عليكم ان تضعوا نصب اعينكم ان التجمعات التى تحقق رغبات شخصية لفرد او بضعة افراد استطاعوا ان يخدعوا الاخرين او يقسروهم على الانتظام فيها كما يضع الاستعمار واذنابه للمتاجرة بالدين واتخاذ تعاليمه استارا يخفى وراءها نواياه الاستعمارية ليفكك شمل الوحدة العربية الاسلامية التى هى امل كل مسلم حر ابى يتوق الى تحقيق مجد اسلافه مترسما هداهم عاملا بتعاليمهم المتحررة من كل ضغط وارهاب .

عليك يا اخى ..

ان تدعو الى هذا الامل العربى الاسلامى الكبير فى المجتمع الاسلامى الكبير بكل ما اتاك الله من قوة وعزم وايمان .

ومن ثم يتقرر ان رابطة التجمع الانسانى انما هى العقيدة لا الجنس ولا الطبقية ولا المصالح الاقتصادية او السياسية .

وهو ماشار اليه الرئيس جمال عبدالناصر فى ميثاق العمل عندما قال .

واذا كان شعبنا يؤمن بوحدة عربية ، فهو يؤمن بتجمع من اجل السلام يضم جهود الذين ترتبط مصالحه به ويؤمن برباط روحى وثيق يشده الى العالم الاسلامى ويؤمن بانتمائه الى الامم المتحدة وبولائه بميثاقها الذى استخلصته آلام الشعوب من محنة حربين عالميتين تخللتهما فترة من الهدنة المسلحة .

انكم ايها الحجيج على قلب رجل واحد تتضرعون الى رب واحد وتتجهون الى بيت واحد فلتعودوا وانتم قلب واحد وامل واحد وعزم اكيد على عمل ايجابى تعتز به الجماعة الاسلامية والله اكبر والله يؤيد بنصره عباده المخلصين انه قوى عزيز .

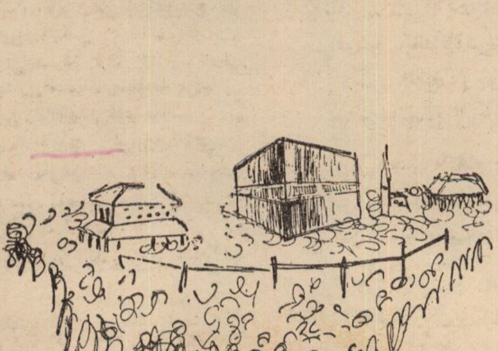

مختارات من شعر
ابن عربي
في التصوف

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

مناسك الحج

اكتفى هذه المرة لمناسبة موسم الحج بقصيدة واحدة فى مناسك الحج ومشاعره لابن عربى ، وهى قصيدة تحتاج الى شرح وجهد لما تحوى من معلومات كثيرة فى اشارات قليلة ، غير انى أوجز فى شرحها وأيسر من صعبها بتقريب الاشارات جهد الطاقة وبالله التوفيق .

ولعله من حسن الحظ أن تجرى فى هذا الاختيار المناسبة والقرابة بينه وبين مقالى المقدم فى هذا العدد من المجلة بعنوان « أسرار الموسم » فيتعاون المقال والمختار على التبيين والايضاح .

والحج خامس الفرائض وتتمة القواعد كما بينه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حديث البناء : بنى الاسلام على خمس . شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا .

وتترتب الفرائض والقواعد بهذا الحديث متتابعة ترتبا اجباريا لا يسبق فيه فرض فرضا ولا تتقدم قاعدة قاعدة . وقد بسطت شرح ذلك فى مقالى « القاعدة الرابعة » فى عدد رمضان الماضى من مجلتنا هذه الزهراء .

ثم انى قسمت هذه القصيدة المختارة الى أجزاء وكل جزء من ثلاثة ابيات شارحا فيه ما سردته أبياته من مشاعر الحج ومناسكه ، فيما عدا الجزء الاخير الذى يتالف من ثمانية أبيات فيهن ما يشعر به ابن عربى وما يجب ان يشعر به كل من أدى الحج مبرورا وطاف للوداع شاكرا مشكورا ، بعد أن يكون قد انكب على الفرائض مقبلا وانعطف على العبادة مخلصا ثم ختمهن بخامس الاركان فادى رغبة الطائف وبلغ مكان العارف .

والقصيدة جامعة لمناسك الحج فى غير ترتيب . وقد اشار فيها ابن عربى الى المناسك والمشاعر اشارات خاطفة فى الالفاظ جامعة فى المعانى شان ذلك الفن الذى اشتهرت به الصوفية وبالغ فيه ابن عربى فكان بين المتصوفة فى الاداء كأبى تمام بين الشعراء .

وقد أنشدها ابن عربى فى حجته وتحدث فيها عن أداء الاعمال الظاهرة عند زيارة أماكنها البارزة لكل الناس ولو أن النادر منهم يدرك أسرارها ويشاهد أنوارها .

وقديما فرق ابن المقفع وابن ابى العوجاء بين الحجاج فرأيا أكثر الناس يرتمون على المظاهر ويكتفون بالظاهر ولم ينج فى نظرهما سوى رجل واحد من الحجيج كله هو جعفر بن محمد الذى كان يتخشع ويتفكر ويفهم ويتدبر . ومن قبلهما لم يرض عبد الله بن عمر عن أعرابى يطوف متخبطا مضطربا لا يعرف الاوائل من الاواخر ولا الاسرار من المظاهر فقال « يطوف بالبيت من يدين به » ويبتدىء ابن عربى قصيدته فيقول :

أقول وروح القدس ينفث فى نفسى
بأن وجود الحق فى العدد الخمس

أيا كعبة الاشهاد يا حرم الانس
أيا زمزم الآمال زم على النفس

سرى البيت نحو البيت يبغى وصاله
وطهر بالتحقيق من دنس اللبس

يقول ابن عربى ان الملك ينفث فى روحه ويلهمه أن اكتمال الحقيقة كائن فى سر الخمسة من العدد وهو كذلك عند الصوفية لهشان وسر ، بل ان كثيرا من الاعداد تحوى كذلك معانى وأسرارا وقد اخترعوها من الاعداد التى تدور عليها الاحكام والمقادير فى القرآن .

وحسبك أن تعرف من قدر الخمسة أن مواقيت الصلاة كانت خمسة وان الحج كان خامس الاركان فى قواعد

الاسلام بل انه ليلتقى فيه سر الجسد بسر الروح فحواس الانسان الظاهرة والتى تصل منها المشاهدات خمس ، ومثل الله سبحانه نوره على القلوب فى خمس هن المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة والزيت .

ولقاء الملك للناس عند المحققين أنواع :

فاذا لقى الملك انسانا عيانا وعلى هيئة بشرية كاملة الحسن أو على هيئة غير بشرية رهيبة الجلال أو كان صوتا « كسلسلة على صفوان » يفهم القلب حروفها كان الرائى نبيا أو رسولا .

واذا القى الملك فى روح عبد الهاما دون أن يظهر له عيانا كان هذا العبد وليا . والشيعة يرون أن أئمتهم لقيتهم الملائكة واوحت اليهم دون ظهور وعيان وهو وان كان فرق ما بين الامام والنبى عندهم فانهم يلتقون فيه مع الصوفية .

ومهما يكن فان التعبير عن العلم بانه نكت فى القلوب كلام ليس به من باس ، وهو أشبه بكلام علماء النفس عن مواقع دقات المعلومات وانشائها أغوارا فى مخ الانسان . وما من شك فى أن هناك استعدادا وقبولا فى بعض الناس أكثر من بعض ، لادراك العلم وتلقى المعانى .

هذا وقد رجع ابن عربى فى البيت الثانى الى التعريع فكأنه صار مطلعا ثانيا لقصيدته وان كان مقول القول فى البيت الاول . وقد أضاف فيه الكعبة للاشهاد الذين هم الحجاج أشهاد الحقيقة أو أراد بهم القلوب المقرة بقدس البيت أو أراد بهم الملائكة الطائفين حول الكعبة ، وكل أولئك يأنسون عند الكعبة بالقرب من الله وان كان لا يحل فى مكان وانما هى صورة بشرية لصورة ملائكية .

ثم ينادى زمزم التى أفاضت الرى لهاجر وابنها اسماعيل حين جف ريقهما من العطش ، وكما كانت رمزا لافاضة الحياة على الجدوب فان ابن عربى يرجوها أن تفيض الاسرار والانوار على النفوس والقلوب « وماء زمزم لما شرب له » .

والبيت الذى سرى هو القلب ، وقد سرى نحو البيت الحرام ، وقد سمى القلب بيتا وسمى كعبة لان العواطف والخواطر والارواح العلوية تدور حوله وتحف به كما يدور هو حول الكعبة ويحيط بها .

ومع أن الاجسام هى التى ترى طائفة حول الكعبة فان الحق أن القلوب هى التى تطوف ومن انصرف قلبه فلا طواف له ، وقد عبر ابن عربى عن الطواف بالسرى ليدل على أنه لا يطوف بالبصر فى ضياء النهار ولكنه يطوف بالبصيرة فى نور الهداية. وخطر الاسراء انه لايكون الا ليلا حين تجتمع الخواطر على الصفاء فى غيبة الحواس ذات التشتيت ، كما انه اشارة الى الحظ السعيد والخطر الكبير اذ لم يسر الا نبى أو رسول

ثم يقول :

فيا حسرتى يوما ببطن محسر
وقد دلنى الوادى على سقر الرجس

تجرعت بالجرعاء كأس ندامة
على مشهد قد كان منى بالامس

وما خفت بالخيف ارتحالى وانما
أخاف على ذى النفس من ظلمة الرمس

وبطن محسر تسن به السرعة للرجال أما المرأة فلا تزعج ، ويقال ان فيل أبرهة تعثر فى هذا الوادى وتحطم فأوقع أصحابه فى الحسرة لكلاله وأعيائه ، ولعل ابن عربى يشير به الى الوهدة التى يتردى فيها المجترىء على المعصية والمقتحم بائمه فى النار .

أما الجرعاء فيشير بها الى النوم والتمرغ فى الراحة والتهاون بعد أن أيقنت النفوس أن الطريق الى الله وعرة صعبة تحتاج الى العزائم المشدودة والشدائد المخوضة . ولابد للنفوس الراغبة من تجرع الغصص لمايصيبها من الفوت والخسار .

وأما الارتحال فيكون عند الافاضة من عرفات . ويشير به ابن عربى الى مفارقة النفوس لظلمة الطبيعة والفرار من طمسها كما تطمس القبور اجساد الموتى . ومناسبة الاشارة ان الارتحال من عرفات يكون بعد الغروب وذلك حين تبتدىء الظلمات فى غزو النور ، فبين هذا الظاهر وذلك الباطن اقرب مناسبة وأوثق قربى .

ثم يقول :

لمزدلف الحجاج أزلفت ناقتى
لأنعم بالزلفى وألحق بالجنس

جمعت بجمع بين غيبى وشاهدى
بوترين لم أشهد به رتبة النفس

خلعت الامانى بعد ماكنت فى منى
وطوقتها فانظره بالطرد والعكس

ومزدلفة من عرفات كلها موقف وقد أسرع ابن عربى بناقته اليها لتقربه من عرفات فيلحق ببنى جنسه حتى يشاركهم فى التلبية والدعاء وتصيبه معهم الرحمة والقبول .

ولا تظن أنها ناقة مثل النياق ولكنها الهمة التى أسرعت به الى المنسك المقدس لينعم بالقرب الذى اختص به الخلصاء من بنى آدم وحواء .

أما جمع فهو مكان قربة لجمعه الاجساد والنفوس فى ليلة قصيرة يحدث بعدها الافتراق ، ولا يدرى أحد مرتبته فى هذه القربى .

وأشار ابن عربى بالوتر الى عبادة المساء والقيام عليها، أو أشار بالوتر الى الاقرار بالتوحيد وهو من قوله عليه الصلاة والسلام « ان الله وتر يحب الوتر فأوتروا ياأهل القرآن » .

وقد خلع ابن عربى ــ وكل حاج مخلص ــ أمانى الدنيا وتمنى الجنة امتثالا لما أشار اليه ابن عباس فى أن منى سميت كذلك لتمنى آدم الجنة عندها حينما أخرج من الجنة ، أو سميت كذلك لما يمنى من الدماء ويراق اقتداء بما كشف لابراهيم من الامر بذبح ولده ثم فدائه بالكبش فى هذا المكان .

ثم يقول :

ففى الجمرات الغر فى رونق الضحى
حصبت عدو النفس فارتد فى نكس

ركنت الى الركن اليمانى لأن فى
استلام اليمانى اليمن فى جنة القدس

صفيت على حكم الصفا عن حقيقتى

فما أنا من عرب فصاح ولا فرس

قد غلب ابن عربى ما يرمى فى الصحونين على ما رمى بعد فجر اليوم الاول من أيام التشريق ، وقد جعل الجمرات غرا بيضاء لانها ترمى فى بياض النهار ثم ترمى الشيطان فى وجهه فكأنها هى ذاتها النور يصدع الظلمات.

ثم أراد بالحصى حصى الخذف فى الظاهر أما الباطن فقد أراد به الخواطر النفسانية التى ترجم خواطر الرجس، وعلى ذلك فان المحصب موضع العقبات التى تحول بين المحب والحبيب .

ثم نوه ابن عربى بالركن اليمانى لبقائه فى موضع بناء ابراهيم فكأنه مقام عند الصوفية لانه لم يتحول ، ولان هم الصالحين تتعلق به وكأنما صارت به قوة ملكية تخالطه وتنوه بأمره ، ولمس اليد والصدر وبسط الذراعين عليه اشارة للتمتع الخالد والتنعم الباقى .

وحين سعى بين الصفا والمروة صفت له بالفناء عن ذاتها فلم يستطع أن يتحدث بلسانه كما يتحدث البشر بل ترك لقلبه أن يندفع ويهرول ويلبى ويخفق دون أن يميز أحد جنسه أو يعلم هو نفسه .

ثم قال :

اقمت أناجى بالمقام مهيمنـا

تعالى عن التحديد بالفصل والجنس

فشاهدته فى بيعة الحجر الذى

نسود من نكث العهود لذى اللمس

وبالحجر حجرت الوجود وكونه

على فلا يغدو الزمان ولا يمسى

وقد ناجى الله عند مقام ابراهيم مع اجلال الله عن التحديد بالجنس والنوع والمكان والزمان . أما استلام الحجر فهو اشارة للمبايعة الالهية ظهرت فى حركة جسدية بعالم التمثيل . وقد أخذ ابن عربى معنى المبايعة فى استلام الحجر من قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر يمين الله فمن شاء صافحه بها » واليمين هنا - كما يقول الشريف الرضى - مقام الطاعة التى يتقرب بها الى الله سبحانه على طريق المجاز والاتساع .

ويرى ابن عربى وصف الحجر بالسواد لم يكن من اسوداد لونه ولكن من انقباضه وانزوائه من كثرة الناكثين لعهودهم بعد استلامه ومعاهدة الله عنده فلم يخلصوا فى اداء الفريضة ولم ينزعوا بعدها عن الذنوب .

والحجر - بكسر الحاء وسكون الجيم - حطيم مكة وقد اتخذه ابن عربى اشارة الى تصوره الوجود المخلوق معدوما - وهو رأى صوفى سبق أن أشرنا اليه مرارا - والمعدوم لا عبرة للزمان عنده فلا تمتاز فيه غدوة من روحة ولا صباح من مساء .

ثم قال :

فلما قضيت الحج أعلنت منشدا

بسيرى بين الجهر للذات والهمس

سفينة احساسى ركبت فلم تزل

تسيرها أرواح أفكاره الخرس

فلما عدت بحر الوجود وعاينت

بسيف النهى من جل عن رتبة الانس

دعانى به عبدى فلبيت طائعا

تأمل فهذا القطف فوق جنى الغرس

فعاينت موجودا بلا عين مبصر

وسرح عينى فانطلقت من الحبس

فكنت كموسى حين قال لربه

اريد أرى ذاتا تعالت عن الحس

فدك الجبال الراسيات جلاله

واصعق موسى فاختفى العرش فى الكرسى

وكنت كخفاش أراد تمتعا

بشمس الضحى فانهد من لمحة الشمس

لقد ارتحل ابن عربى بانتهاء الحج عن حال الشهادة الذى كان فيه مع الناس الى مقام المشاهدة وفيه كمال العروج الى الله ، وكانت الكعبة عالم شهادة اذ يشهدها الكافة فصارت مرقاة الى العالم العقلى ، ولولا ذلك لتعذر الرقى واستحال العروج .

وقضى ابن عربى حجا مبرورا لا بمعنى أنه لم يرفث فيه ولم يفسق بل لانه فنى فيه عن ذاته وانتهى منه بالتوجه الى الذات المقدسة حين تتجلى على كل من أدى حجه مبرورا .

وقد تمثل ابن عربى التجلى وتصوره فى عالم الشهادة ببلوغ القمر منزلة البدر ليلة الرابع عشر من ذى الحجة وهى نهاية أيام التشريق . أما تجلى الخالق فليست له صورة تشهدها العين ولكنه احساس من القلب بالقرب من الله . وقد ذاق ابن عربى ذلك فسار منشدا باسم الله بين الجهر والهمس كما أمر سبحانه فى آداب الصلاة.

وكان فى سيره هذا يسوق سفينة احساسه برياح من افكاره من حيث لا يعلو لهذه الافكار الدافعة صورة كما يحدث من الريح فى الشراع ، ولكن الاثر يظهر فى الامرين من المسير والحركات

وحين عبرت سفينته بحر الوجود ومضطرب موجه وبلغت الشاطىء الامين عاينت الامن والسكينة ، وكانت المعاينة بالقلب وهى أوسع مدى لأن رؤية العين ليست الا حبسا عند حد ووقوفا عند مدى .

ومع ذلك فلم يظفر ابن عربى بصفة من رآه وكيف يراه وموسى الكليم خر صعقا حين تجلى ربه للجبل ؟ وأين هو من موسى !

ولعل المراد من اختفاء العرش فى الكرسى - فى تعبير ابن عربى - اختفاء الحياة المشهودة فى ضوء الوجود الحق اذ من معانى العرش عند ابن عربى « الحياة » أما الكرسى فمعناه التجلى والقهر .

ولم يكن لابن عربى ولا أعلى منه فى درجات الولاية أن يطمع فى الرؤية اذ هو محجوب من أول الطريق كالخفاش الذى يطمع أن يرى الشمس فى الضحى مع عجزه أن يفتح عينيه فى لمحة الضوء الخافت ، على أن ذلك لا يحجب الشمس ولا ينكر وجودها ، وليس حجاب النور الا من ضعف البصر كما أن حجاب المشاهدة من كثافة أجساد البشر .

أنات روح

الشاعر عبدالله شمس الدين

يا نفْسُ : لاح مشيبى   يا نفْسُ : بالله توبى
ما ذا تريدين منى   وقد رأَيْتِ شحوبى
يا نفْسُ : ولَّى شبابى   وما هجرت ذنوبى
وعن قريبٍ سنلْقى   خلَّاقنا . . . عن قريبِ

* * *

أَتيْتُ للأَرضِ وحدى   على جناح الغيوب
وسوْف أَرْحَلُ عنها   وحدى كطيْف غَريبِ

وسوفَ تُشرقُ شمس على ضفاف غروبى
ومِنْ جَدِيد سأَحيا حياةَ شاد طروب

* * *

لبسْتُ ثوْبَ ترابى مُحَمَّلًا بالصِّعَابِ
عليْهِ أَقدارُ شتى من قَسْوَة واضطرابِ
الأَربعون اللَّواتى مضيْن باسم الشبابِ
كُنَّ كسوْط عذاب علىَّ أَو كالحِرَاب

* * *

لولا حنان الهٰى ما عشْتُ عمرى أعيه
العُسْرُ فى اليُسْرِ سارٍ فى كلِّ ما يقتضيه
كم خدَّرَ اللُّطْفُ حِسِّى فى كلِّ أَمْرٍ كريه
حتى رضيتُ بثوْبى ولم أَزَلْ أَرتديه

بسم الله الرحمن الرحيم

"آلم - ذلك الكتاب لاريب فيه"

الشاعر محمود جبر

سَلْ كُلَّ مَن نَظَمَ البَيَانَ جُمانا
سَلْ «قُسَّ» ساعدة وسَلْ (سَحْبَانا)

وسَل الْوَلِيدَ مُعانِدًا ومُكابرًا
ماذا دَهَاهُ فَلم يُحِرْ تبيانَا

ما كان هذا مِن حَديث يُفْتَرَى
كلَّا ولا شعرًا سَمَا أوزانا

هو مُغْدِقٌ هو مُثْمِرٌ هو مُعْجِزٌ
سُبْحَانَ مَنْ قد أنزلَ الفُرْقَانَ !

* * *

هو كَوثَرُ الفِردوسِ سَالَ بأَرضنا
فأَحالها بعد القفارِ جنانا

هو نسْمَةُ الفَجْرِ الرقيق لذاكرٍ
تخِذ التلاوةَ أكؤسًا ودنانا

هو نغمةٌ قُدسيَّةٌ يَشْدُو بها
هَيْمَانُ حَرَّك شجوه هيمانا

هو طِبٌّ أَسقام الوجود جميعها
قد طهَّر الأَرواح والأَبدان

لا بل وطِبٌّ خواطر ومشاعرٍ
السَابِقُ السبَّاقُ ليس يُدانى

* * *

يتساءلون ... أأنت مُعجِزَةُ الورى
لِمَ لا تُثِيرُ بعصرنا الأذهانا !

أَذْهانَ أَهل الغرب أَصبح شغْلُها ... أَىُّ القنابل يُحدِثُ الطوفانا ! !
ويُزيلُ هذا الكوكب الأَرضى مِن ... فلك الوجود . . . ويَمْحَقُ الانسانا

* * *

يا مُعجزَ العلماءِ والحكماءِ والفصحاءِ ... فُقْتَ النيّرات مكانا
المسلمون هنا رأوك تمائمًا ... وغدوتَ فى حلقاتهم ألحانا
والعالمون هنا رأوك بلاغة ... ورأوك إعرابا جرى وبيانا
والمحسنون الظَنَّ كنتَ جدالهم ... وجدالهم يستوجب الغفرانا
عكفوا على الآيات كيف تنزَّلت ... ومتى وأين .. وحيثما تلقانا
أَمّا الكنوزُ الخالداتُ ببحره ... تحوى الجمان .. وتنثر العقيانا
أَمّا المعانى الرائعاتُ بآيه ... مُتجَددَاتٍ تُخْرِس الأَزمانا
أَمّا الجهادُ وما حوى من حكمةٍ ... والبَذلُ مهما عزَّ عندك شانا
أَمّا القِصَاصُ وحكمةُ الاسلام فى ... بَتْرِ المُسِىء إذا غوى أَو خانا
كُلُّ الذى قدسقتهُ لك لم يَعُدْ ... يَلقَى من الداعى له . . . آذانا

* * *

وَقفُوا بشاطئ بحرك اللُّجِىِّ لا ... يَتزَحزحون .. فأَصبَحوا عُميانا
لو أَنَّهم نزلوا لِلُجَّة فيضكم ... لرأَوا حِسانا وابتغوا إحسانا

وَلَو أنَّ قرآنا سَيُحيِي مَيِّتًا ويُسَيِّرُ الجَبَلَ الأَشَمَّ عِيانا
لرأيتمو قرآنكم يَهدِى لما أَسمعْتكم أن تحسنوا الايمانا

* * *

يا أُمّة الاسلام إن صَلاتَنا صلة لنعرف رَبَّنا الرحمنَ
يا أُمة الاسلام إن صيامنا نهْجُ لِيُلْفِتنا إلى تَقْوانا
يا أمة الاسلام إنَّ زكاتنا جُعِلت لتمحو بيننا الحرمان
يا أُمّة الاسلام إن حجيجنا لنكون صَفًّا ضِدَّ من عادانا
يا أُمّة الاسلام إنَّ سلامنا هو نُصْرَةُ الاسلامِ فى دنيانا
هذا هو الاسلام دين محمدٍ « ومحمدٌ » بانى الكمالِ بنانا
أَنا يا كتاب الله خادمُ ذكركم أَنا شاعر قد أُحسنُ الأَوزانا
قد جئتُ أحنى الهامَ فى ساحاتكم وأَسوق شعرى للرضا قربانا
أَنا فى رياضِك عابدٌ مُتبَتِّلٌ ظمآنٌ .. فامنح ريَّك الظمآنا
أَنا فى رحابك خاشِعٌ بل خاضِعٌ أَرجو نداك تعطُّفًا وحنانا
أَنا يا حِمَى الرحمن يوم لقائه بك أَستجير . . فَكُنْ هناك حمانا
قد كنتَ أَخلاق النبى وزاده وأَمانه .. فكن الغَداةَ أَمانا
وكن الأَنيس لنا فظلك وارف يلقى لديه الواجفُ اطمئنانا
وكن النصير « لناصرٍ » وليعرب وامحق بسيف النصر من عادانا

يا فتية الإسلام

الشاعر محمود ابو الفتوح رضوان

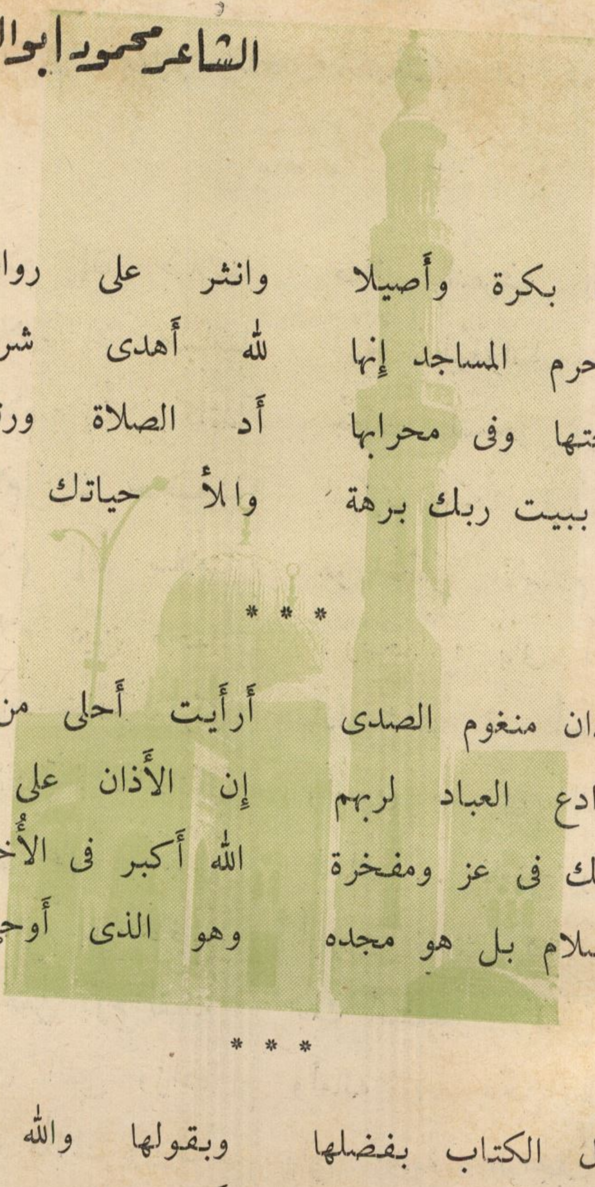

طف بالمساجد بكرة وأصيلا   وانشر على روادها إكليلا
واهرع إلى حرم المساجد إنها   لله أهدى شرعة وسبيلا
فى ظل ساحتها وفى محرابها   أد الصلاة ورتل الترتيلا
وامكث هناك ببيت ربك برهة   والأ حياتك دائما تبتيلا

* * *

يا قارئ الآذان منغوم الصدى   أرأيت أحلى من هداه بديلا
قم ناده وادع العباد لربهم   إن الأذان على الصلاة دليلا
واجهر بصوتك فى عز ومفخرة   الله أكبر فى الأخرى وفى الأولى
هو عزة الإسلام بل هو مجده   وهو الذى أوحى به جبريلا

* * *

يا أمة نزل الكتاب بفضلها   وبقولها والله أصدق قيلا
باق على طول السنين وماله   أبدا على مر الزمان أفولا

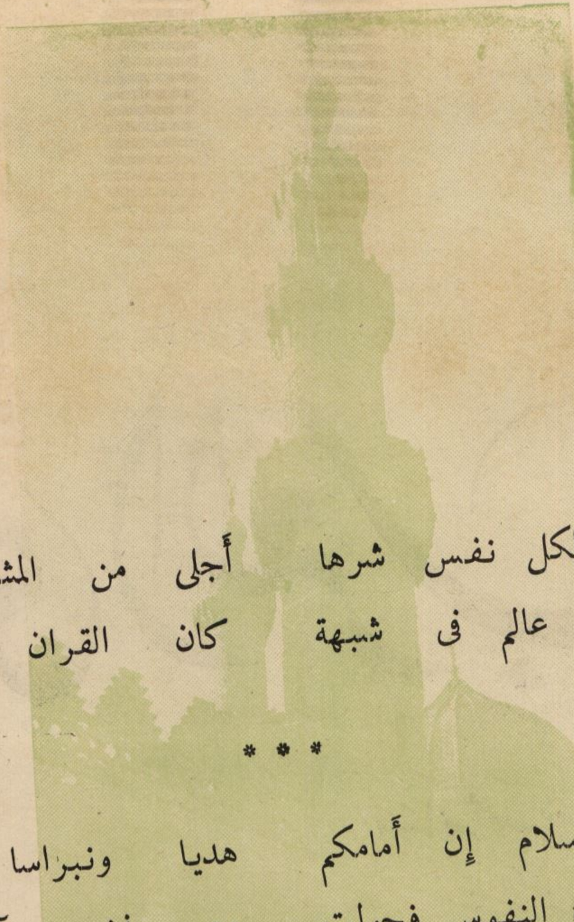

نور أبان لكل نفس شرها   أجلى من المشكاة والقنديلا
وإذا تخبط عالم فى شبهة   كان القران أمامه تذليلا

* * *

يا فتية الإسلام إن أمامكم   هديا ونبراسا أعز رسولا
وحى وقد جاء النفوس فحولت   من مذنب آثامه تحويلا
كونوا كما قد كان أجداد لكم   نبذوا الخلاف وأنكروا التأويلا
كانوا أسودا فى الجهاد وفى الوغى   لم يرهبوا بطشا ولا تهويلا

* * *

يا منكرا للبعث حسبك لاتكن   متكبرا ومعاندا ضليلا
قد قال ربك قولة : أزلية   لا تحتمل زعما ولا تأويلا
البعث حق والحساب حقيقة   والكافرون .. مآتما .. وعويلا
يفنى الوجود ووجه ربك قائم   سلم أمورك واتخذه وكيلا

يابنى العربِ

الشاعر محمد هارون الحلو

ارفعوا أيديكمْ عن عدنِ ... واستعدّوا لِلقاءِ المحَنِ
أذَّنَ الله بِنَصْرِ الوطنِ ... ارْفَعُوا أيديكم عن عَدَنِ
ليس الاستعمارُ بالمؤتمنِ ... طالما أشْعَلَ نار الفِتَنِ
ومضى ينْفُثُ روح الوهَنِ ... قد وعَيْنا الدَّرسَ عَبْرَ الزَّمن
أنَّ الاستقلالَ غالى الثَّمَنِ ... ارْفعُوا أيديكم عن عَدَن
الخلِيجُ اليوم حِصْنُ العرَبِ ... فى حِمى لَيْثٍ قوىٍّ أغْلبِ
وشباب أوْمضُوا كالشُّهبِ ... بهروا الدُّنْيا بفتْح عَجَبِ

كيف لا يرحَل ذاك الأَجْنبي　　إنَّهُ ينْفثُ سُمَّ العقربِ
وهو مجنونٌ بجمع السَّلَبِ　　كلما أَغراهُ ومْض الذَّهب
روَّعَ الدنيا بذاكَ اللَّهَبِ　　سوف نسقيه كؤوس العَطَب
يا بنى العُرْبِ ، ويا أَسْدَ العرين　　قد خبرتُم نبأَ المستعمرين
وعرفتُم أَنَّهم شَعْبٌ لَعين　　بِهوَى الخِسَّةِ والغدرِ يدين
انهَضُوا منهم ، وشُدُّوا باليمين　　نكِّسوا أَعلامهم فوقَ الجبين
وإلى البحر اقْذفوا كلَّ طعين　　وادفعوا اللُّجَّةَ تهوى بالسّفين
كلما دوَّى نشيد الثائرين　　جاءَ نصر الله ، والفتحُ المبين

صوت من الأزل

قصة العدد للأستاذ حسين الطوخي

○ تنفس المسلمون الصعداء واستبشروا خيرا بعد وفاة « يزيد بن عبد الملك » وتولية اخيه « هشام بن عبد الملك » خلافة المسلمين فى اخريات شهر شعبان من العام الخامس بعد المائة للهجرة ..

وما من امر تتاذى منه المشاعر وتنفر منه القلوب ، مثل امر خليفة تنعقد على هامته الآمال ، فاذا به يجهر بمعصية الله وينقاد لشيطان الشهوات،ينزلق الى مهاوى النزوات مستخفا بدينه ،وهو من قبل ومن بعد خير دين انزل للناس ليخرجهم من الظلمات الى النور .

ولو قدر لبنى امية ان تطول ايام الخليفة « عمر بن عبد العزيز » ويمتد به الاجل ، لتبدل الحال غير الحال ولتغير وجه التاريخ وسار المسلمون قدما باوسع الخطى ليسودوا على العالمين .

لكن هذا الخليفة الزاهد الذى يعد بحق افضل واعف خلفاء بنى امية ، استاثرت به رحمة الله بعد عامين ونصف عام من خلافته التى مضى ايامها يقضى بالحق ، ويحكم بالعدل ، ويعلى كلمة الدين ، وينصف الضعيف من القوى ، والفقير من الغنى ، ولا تاخذه فى الحق لومة لائم ..

وياتى من بعد « عمر » خليفة على نقيضه يعمد الى كل صالح فعله فيعيده الى ماكان عليه ، ولا يرعى حرمة دينه ، ولا يعمل بسنة نبيه ، ثم يقبل على الشراب وصحبة الندمان ، وقتل اوقاته فى معاشرة القيان .

نعم .. فقد عرف عن « يزيد بن عبد الملك » النقيصة تلو النقيصة حتى غصت قلوب المسلمين بالمرارة ، واصطخبت نفوسهم بالحنق على ولاة يامرون الناس بالمعروف وينسون انفسهم ، ومن ثم اصبح المسلمون وامسوا يرتقبون بزوغ فجر جديد .

ويوم ان مات «يزيد » وتولى الخلافة من بعده اخوه « هشام » احست القلوب ان الخليفة الجديد لابد صانع شيئا يبدد به ظلام من سبقه ، فقد عرف قبل خلافته بعفة ضميره ولسانه وفعاله ولم يشهر عنه اتيان معصية او ارتكاب امر نهى عنه الدين الحنيف

بويع لهشام بالخلافة وسنه لم تتجاوز العشرين ربيعا ، يملك معها سلطانا على ملك عريض يمتد شرقا حتى يجاوز بلاد السند ويتاخم حدود الصين ، وينفسح غربا حتى يلامس شطآن اسبانيا .

شباب وملك وسلطان وبيت مال يتزايد مايرد الى خزائنه على كر الايام والاعوام ، طالما كلمة الاسلام وشوكة المسلمين مشحوذة ابدا ، ومن خلفها اشداء الرجال الذين لم يلوثهم عرض الدنيا وزيفها الزائل .

على ان هشاما فى الحق ، لم يفتنه ما وجد عليه الخلافة من ابهة الجاه وعلو السلطان ، ولم تجرفه مفاتن الدنيا وزينتها الى ذلك المنزلق الوعر الذى تردى فيه الكثير من قادة الشعوب وائمة الناس بل عمد منذ اليوم الاول لخلافته الى راب الصدع فى كيان الدولة الفتية ، واخذ يولى عنايته شئون الاسلام والمسلمين فى كل بقعة ينطق فيها لسان عربى ويؤذن فى سمائها بذكر الله .

منذ اول يوم فى خلافته ، بدا يولى من خلصائه على الولايات والثغور من حسنت سيرته وعفت نفسه ويداه عن اقتناص ما ليس له ، كما بادر بتنحية كل من اساء الى الدين ، والى الناس ، وحاسبهم اعسر حساب على اخطائهم ، وصادر اموالهم واملاكهم وما جمعوه من كسب حرام ، ولم يكن يقبل فى الحق والمحاسبة شفاعة قريب او كبير .

لكن ايام « هشام » لم تكن كلها هدوءا ورغدا بل كان أعداء الامبراطورية الاسلامية يتربصون بها الدوائر وينقضون على أطرافها البعيدة كلما احسوا تراخيا فى صفوف المسلمين ، او ان عين الخليفة فى دمشق قد فارقتها اليقظة على هذا الدين الجديد .

وبقدر ما عنى « هشام » بضبط الاحوال الداخلية فى ربوع الامصار القريبة والبعيدة على السواء ، بقدر ما كان يقظا شديد اليقظة لتحركات الروم فى الشمال وتدابير الاتراك والفرس فى الشرق ، فكان مجلس الحرب ينعقد كل يوم فى قصر الخلافة بدمشق ليتدارس مع أعوانه وقواده ، ثم يبعث بعد ذلك بخيرة قادة الجيوش وأشدهم باسا لرد عدوان الروم فى أرمينية وقونية وثغور الامبراطورية المنبثة على شواطىء البحار ولقد أبلى من هؤلاء القادة أحسن البلاء ، مسلمة بن عبد الملك أخو الخليفة ، ومروان بن محمد ، وعبد الله بن عقبة فكسروا عدوان الروم والترك واقتحموا عليهم الحصون والقلاع والقنوهم فى فنون الحرب دروسا سجلها التاريخ بالفخار للعرب فى صفحاته الباقية الى اليوم

كانت الشواتى والصوائف دائبة التحرك والتجوال فى أيام هشام ، تجوس اطراف الامبراطورية فى الشرق والغرب والشمال فى احسن عدة وادق نظام ووفرة فى الرجال والعتاد وأدوات الحرب لدك القلاع والحصون مما كفل ردع المعتدين وتأديبهم ، حتى دانت اغلب الدول المتاخمة لبلاد المسلمين ، فليس مثل القوة الوفيرة المتساندة سلاح تصان به هيبة الامم والحكام والملوك .

كما كانت الاساطيل البحرية التى يملكها المسلمون فى تلك الآونة معباة بكل شديد وفتاك من السلاح والعتاد وأمهر رجال البحر مما كان ينشر الرعب فى بحر الروم والبحر الابيض وفى غيرهما بفضل امير البحر العربى المظفر « عبد الرحمن بن معاوية » الذى دانت لهيبته ثغور الاعداء فأعلنت طاعتها للدولة الاسلامية الصاعدة .

على ان كلمة المسلمين لم تسد فى تلك الآونة البعيدة اعتباطا او مصادفة او بفعل معجزة من القدر ، وانما جاءت هذه السيادة لان خليفة المسلمين كان يحسن اختيار الرجل الصالح الكفء للمكان . والمنصب المناسب ، وكان يدقق فيمن يعهد اليه بجلائل الاعمال بعد ان يثق بكفاءته وخشية الله فيما يسر او يعلن .

نعم .. كان « هشام بن عبد الملك » يضع فى المقام الاول من عنايته واهتمامه ، صالح الاسلام وصوالح المسلمين وشئون ذلك الملك العريض الذى اصبح ذات يوم فوجد نفسه امينا عليه وموكلا بصونه والحفاظ عليه من كل عبث او يزول مثلما زال من قبل ملك وملوك ، وبادت دول وحضارات بسبب بغى الولاة والحكام وانزلاقهم الى منحدر وعر من شهوات النفوس واهواء القلوب .

لم يكن « هشام » يعمد الى تولية هذا العامل تلك الامارة لانه يمت اليه بصلة نسب او قرابة او مصادقة ولم يكن يعزل ذلك الوالى لان الوشاة وقالة السوء سعوا اليه ينفثون السم فى سيرته بهتانا وزورا ، بل كان يتحقق بنفسه من صدق كل شائعة او كذبها ، وما يأتى به البريد من الولايات والامصار ، حتى اذا استوثق من صدق الاتهام وجديته ، بادر الى عزل واليه ومحاكمته بالحق فى غير رفق او هوادة ، حتى انه عزل اخاه « مسلمة بن عبد الملك » عن ولاية ارمينية لما

تيقن من تراخيه فى محاربة الترك ودفعهم عن بــلاد المسلمين ٠

والحق ان التاريخ والمؤرخين قد انتصفوا لهشام بن عبد الملك حين ذكروا انخلافته التى دامت قرابة عشرين عاما ، كانت خلافة رشيدة ارتكزت على دعامات رصينة من فضائل الاسلام واصالة الخلق العربى رغــم ما اكتنفت حكم بنى امية من عصبيات وميل الى الانتقام ممن كان يخالفهم فى الراى وفى اسلوب الحكم ٠

ومثلما انتصف التاريخ والمؤرخون لهشام بن عبد الملك انتصفوا بوجه عام الخلافة بنى امية التى كانت اصيلة فى مضمونها ، وعربية خالصة فى اطارهــا واهدافها ، وكاد ان يكون مذهبها السياسى الواضح : العرب للعرب ٠٠ وبالعرب ٠

آن لهشام ان تهدا انفاسه اللاهثة بعد ســنوات عصيبة ظل خلالها يسوس امور الخلافة فى الداخــل وفى الخارج بما يصون للاسلام هيبته وعلو قدره ، ويرعى معاش المسلمين وصوالحهم فى الامصار القريبة والبعيدة على السواء ، وتمنى المسلمون فى اقطار الارض لو تطول ايام خلافته الرشيدة ليظلوا ناعمين خلالها بالامان والرغد والعيش الرخى ٠

وتمضى الايام بهشام وهو فى قصر الخلافة فى دمشق يقضى نهاره وجزءا من الليل يستطلع اخبار الولايات والثغور ، وينظر فى شكاوى الناس وما يرد اليه من بريد الامصار ، وما يطلب انفاقه من بيت مال المسلمين

حتى كان ذلك اليوم من العام العشرين بعد المائة الاولى للهجرة ٠

احب الخليفة ان يتخفف من اعبــاء الحــكم اياما يقضيها فى الخلاء بعيدا عن مقر الحكم وتبعاته الثقيلة وترويحا عن النفس ، فامر حاشيته وخدمه وغلمانه بحمل مايلزم من المتاع والحوائج وادوات الصــيد والاقامة والطعام وتزجية الفراغ

وفى اطراف دمشق حيث البساتين النضرة وخمائل الورود والاشجار المطرزة بالازاهير من كل لون وشكل حطت قافلة الخليفة فى فضاء ظليل يجرى فيه غدير ماء عذب كانه الفضة الذائبة ٠

انتحى « هشام » مكانا ريثما يفرغ الخدم من اعداد الفساطيط وتنسيق الخيــام والحوائج ، فراى بقعــة الارض مكسوة بالعشب الاخضر فبدت كانها بساط من المخمل ، ثم ارسل ناظريه يستجلى قسمات الطبيعــة الرائعة ، فابصر زرقة السماء تمتد فى الافق الى غير نهاية ، وثمة سحب بيضاء تتجمع الى جانب بعضــها البعض كانها تتعانق وتتبادل القبلات حينا ، او تتباعد متمهلة حينا آخر ٠

وانبهر « هشام » للمنظر الفاتن ، ثم اخذ يبتسم وظل محدقا فى صفحة السماء وغاب عن ذهنه وهو يتصور تلك القوة الخارقة التى اقامت تلك القبــة الزرقاء بلا عمد ٠٠

ثم هبت من حوله نسمات رطبة منداة بارج الياسمين والزنبق وانفاس الزهر العطرة اسكرت حواسه وبعثت فى اوصاله دغدغة عذبة اخذت تسرى كالسحر فى كــل كيانه ، فتهيا له انه فى روضة من جنات الخلد وان صوتا من الآخرة يناديه ٠٠

وذكر ربه وخالقه ٠٠ رب السماء والارض وما بينهما ثم انتبه الى نفسه وعاد اليها ، وطوح ناظريه من حوله فلمح غدير الماء القريب وقام اليه وتوضا من مائه دون ان يدعو احدا من خدمه ، واخذ يصلى لربه صلاة الشكر على نعمائه ،فهو المحمود على سرائه وضرائه

وقضى « هشام » اياما حلوة واوقاتا هنيئة مع سماره وخلصائه واهل بيته ،وفى الليل ينعقد مجلسه حيث يجتمع العلماء والشعراء والمحدثون ، وكل من يطوى بين جنبيه فضلا من علم وطلاوة من حديث ٠

امتد السماط ذات ليلة مقمرة خارج خيام الخليفة ، واخذ الخدم والغلمان يهيئون المكان بعد ان طاب للخليفة ان يدعو حاشيته ومحبيه لمشاركته طعام العشاء فى تلك الليلة الرائقة ثم يسمرون بعد ذلك ماطاب لهم السمر حتى وقت السحر ٠

واحب الخليفة ان يحرك شهية القوم الى صــنوف الحديث مثلما تحركت للطعام والفاكهة والوان الحلوى التى يجيد صنعها اهل الشام ودمشق ، فلم يلبث ان قال لجلسائه وضيوفه :

ـ من يسمعنا حديثا نافعا عن دار الفناء ودار البقاء ويجود فى ذلك ، فله الف دينار يقبضها معجلة فى المجلس ٠

سكت القوم واخذ كل من فى المجلس ينظر فيما بين يديه ويعمل فكره فى احسن ما يقال على ملا من الجمع الفاضل ، وتقدم شاعر وراء آخر يلقى بين يدى الخليفة احسن ما حضر حتى فرغوا من القاء قصائدهم دون ان يحظى واحد منهم باهتمام امير المؤمنين ٠٠

واخذ هشــام يتفرس فى وجوه ضيوفه فلمح بينهـم « خالد بن صفوان بن الاهتم » يخرج راسه من ناحية السماط ، فنظر اليه طويلا كانما يستنطقه ، ثم اشار اليه ليقترب منه ، فبارح « خالد » مكانه بينما جميع من فى المجلس يتطلع اليه ويتوجس ان يتحــدث الى الخليفة بما يعكر عليه صفوه ٠

وبدا خالد حديثه بقــوله : اتم الله عليك يا امير المؤمنين نعمه ، وجعل ما قلدك من هذا الامر رشدا وعاقبة مايؤول اليه حمدا ، واخلصه لك بالتقى ، وكثره لك بالنماء ، ولا كدر عليك منه ما صفا ، ولا خالط سروره بالردى ، فلقد اصبحت للمؤمنين ثقة ومستراحا اليك يقصدون فى مظالمهم ، ويفزعون فى امورهم وما اجد شيئا يا امير المؤمنين هو ابلغ فى قضاء حقك وتوقير مجلســـك وما من الله جل وعز على به من مجالستك ، من ان اذكرك نعــم الله عليك ، وانبهك لشكرها ، وما اجد فى ذلك شيئا هو ابلغ من حديث من ســلف قبلك من الملوك ، فان اذن امير المؤمنين اخبرته به ٠

وسكت خالد لحظة ريثما ياذن الخليفة بتتمة الحديث بينما سكت الجميع دفعة كان على رءوسهم الطير ، ثم اعتدل فى جلسته بعد ان تهيات حواسه لسماع «خالد» الذى عرف بشجاعة رايه وزهده فى زخرف الدنيــا وزينتها وقال :

ـ هات يا ابن الاهتم ولا تبق شيئا فلنا فيما تقول عظة وعبرة لمن سياتى بعدنا ٠

استأنف « ابن الاهتم » حديثه قائلا :

– قلت يا أمير المؤمنين ان ملكا من الملوك قبلك خرج فى عام مثل عامك هذا الى الخورنق والسدير فى عام قد أخذت فيه الارض زينتها على اختلاف ألوان نبتها فى ربيع مونق ، فهو فى أحسن منظر وأجمل مختبر بصعيد كأن ترابه قطع الكافور ، وقد كان أعطى فتاء السن مع الكثرة والغلبة والقهر ، فنظر فأبعد النظر ثم قال لجلسائه : لمن مثل هذا ؟ هل رأيتم مثل ما أنا فيه ؟ وهل أعطى احد مثل ما أعطيت ؟ فتقدم اليه رجل حكيم من بقايا حملة الحجـة والمضى على أدب الحـق ومنهاجه وقال للملك : أيها الملك ، أنك سألت عن أمر أتأذن فى الجواب عنه ؟

قال الملك للحكيم : نعم هات جوابك . قال الحكيم : أرأيت هذا الذى أنت فيه ، أشىء لم تزل فيه ، أم شىء صار اليك ميراثا وهو زائل عنك وصائر الى غيرك كما صار اليك ؟ قال الملك : انما هو ميراث زائـل عنى وصائر الى غيرى . قال الحكيم : فلا أراك الاعجبت بشىء يسير تكون فيه قليلا وتغيب عنه طويلا ، وتكون غدا بحسابه مرتهنا . قال الملك : ويحك ! فأين المهرب وأين المطلب ؟ قال الحكيم : أما أن تقيم فى ملكك تعمل فيه بطاعة الله ربك على ما ساءك وسرك وأما أن تضع تاجك وتلبس أمساحك ، وتعبد ربك حتى يأتيك أجلك . قال الملك : اذا كان السحر فاقرع على بابى فانى مختار أحد الرأيين ، فان اخترت ما أنا فيه كنت أنت وزيرا لايعصى ، وان أخترت فلوات الارض وقفر البلاد كنت رفيقا لا يخالف . ثم أن الحكيم قرع على الملك بابه عند السحر فاذا هو قد خلع تاجه ، ولبس أمساحه وتهيأ للسياحة ، فلزم الاثنـان الجبل حتى أتاهما الاجل .

ولما أن فرغ « ابن الاهتم » من قص حكاية الملك ، نظر الى الخليفة كما نظر اليه جميع من فى المجلس ، فاذا به يبكى حتى اخضلت لحيته وابتلت عمامته وأخذ يمسح دموعه فى كمه .

ولم يكتف « ابن الاهتم » بما رآه من « هشام » بل اندفع يقول شعرا لعدى بن يزيد :

أيها الشامت المعير بالدهـ
ـر أأنت المبرأ المـوفور
أم لديك العهد الوثيق من الايا
م بل أنت جاهل مغـرور
أين كسرى كسرى الملوك أنو شر
وان أم أيـن قبـله سـابور
وبنـو الاصـفر الكرام ملوك الر
وم لم يبق منهم مذكور
لم يهبه ريب المنون فباد المـ
ـلك عنـه فبابـه مهجـور
وتذكر رب الخورنق اذ أشـ
ـرف يوما وللهـدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يمـ
ـلك والبحر معرضا والسدير
فأرعوى قلبه فقـال وما غبـ
ـطة حى الى الممـات يصير
ثم بعـد الفـلاح والملـك والامـ
ـة وارتهمـ هنـاك القبـور
ثم صـاروا كأنهم ورق جف
فألوت به الصـبا والدبور

الجم الذهول المجلس ، وانسابت من المآقى دموع ساخنة ، وأحس الحضور أنهم لايستمعون الى صوت شاعر ، وانما هو صوت من الآخرة جرى به لسان « ابن الاهتم » يذكرهم بالمصير المحتوم

ثم تسلل « ابن الاهتم » من المجلس وانتحى بعيدا ، فأقبلت عليه الموالى ورجال الحاشية وقالوا : ما أردت الى أمير المؤمنين ! أفسدت والله عليه لذته ونغصت مأدبته . قال ابن الاهتم : اليكم عنى ، قد عاهدت الله الا أخلو بملك الا ذكرته الله عز وجل .

وفى الصباح ، بعد أن صحا الخليفة من نومه ، أمر خدمه وغلمانه بنزع فساطيطه وحزم أمتعته والعودة الى دمشق ، حيث لزم قصره ولم يبرحه حتى وافاه أجله فى اليوم السادس من شهر ربيع الاول لعـام ١٢٥ للهجرة .

باب الرياضة

إعداد: ناصيف سليم

السلوك القويم .. طريق البطولة

الالاف ، بل الملايين اصبحت تستهويهم رياضة كرة القدم ، من لم يلعب أصبح مشجعا يتردد على الملاعب ويحفظ برامج المباريات ومواعيدها ، ومواقف الفرق عن ظهر قلب ، ومن لم يعرف الطريق الى الملعب بعد ، عرف الكرة عن طريق الشاشة الصغيرة ، وحفظ اسماء النجوم من اللاعبين وأصبح مشاركا فى كل حديث عن الكرة ، ومصير فرق الكرة .

هذا جميل ، وتلك هواية ، محببة الى النفس ،اذا منحت الانسان وقتا سعيدا ، بعيدا عن العصبية ، والاستفزاز ، وضياع المصلحة الخاصة أو العامة .

ومن أجل هذا الاهتمام بالكرة ولاعبى الكرة . أردت فى هذا اللقاء مع قراء المنبر أن أكشف عن جوانب كثيرة فى مجال الكرة تخفى على محبى الكرة ومشجعيها .

فمما لا شك فيه أن احدا من هؤلاء المتعلقين باللعبة ونجومها لم تتح له فرصة الاختلاط باللاعبين ولاحضور أوقات استراحة بين شوطى المباراة عندما يجتمع المدرب أو الادارى باللاعبين لحفز هممهم أو توبيخهم على تقصير فى الشوط الاول ، ولم يحظ متفرج بحضور اجتماع هام لفريق قبل مباراة هامة .

ومن أجل ذلك أريد أن أقول :

ان هناك أكثر من درس ، وأكثر من سر ، فى مثل هذه الاجتماعات ، ولها مغزى عميق وبعيد ، استخلصته فى كثير من هذه المواقف .

لقد لاحظت أن مديرى الفرق ، والمسئولين بالاندية انقلبوا الى وعاظ للاعبيهم ، كلهم يتحدثون اليهم فى موضوع واحد : هو التحذير من الانحراف ، والسخط على كل لاعب تردى الى الهاوية ، أو راح اسير شهواته .

آفة الرياضة الان - كما اجمع خبراؤها - تتركز فى ضعف اللياقة البدنية لدى عدد كبير من اللاعبين ، ولقد ثبت أن لاعبنا فى أى نوع من أنواع الرياضة لا ينقصه الفن ، ولا حساسية اللعبة ولا أصولها ، ولا مهاراتها ، بقدر ما تنقصه اللياقة البدنية ، أى القدرة على اكمال المباريات بنفس القوة التى بدأها بها ، اما لانه مفرط فى صحته ، أو لأنه لم يتدرب التدريب البدنى الشاق الذى يكسبه قوة العضلات ومرونتها ، وعمق النفس وطوله ، وسرعة فى الجرى أو قدرة على القفز ، او اداء الحركات بسهولة ويسر دون ان يعرض نفسه للاصابة .

افكار مستوردة

* وقد شاعت فى الوسط الرياضى ، وبين اللاعبين بالذات ، أفكار سوداء مستوردة أو متوارثة ، من الجيل الرياضى السابق نتيجة اختلاطه بالشباب الاجنبى فى مناسبات رياضية كثيرة أدت الى ضعف اللياقة بصفة عامة .. من هذه الافكار اختلاق فلسفة للانحراف ، أفكار تدخل على الشباب من جهة الصحة البدنية ، تدفعه الى الفسق ، ومنهم من يقول - وبئس مايقول - ان الشباب غير المتزوج قد يدفعه كبت شهوته الى افساد صحته ، وضعف بنيته ، وهذا يؤثر على أعصابه وقد يذهب بقوته وشبابه ، ولابد اذن من هذا الانحراف وهذه الفئة المضللة التى تحدث الشباب أحيانا باسم العلم ، انما يصدق فيهم قوله تعالى :

« وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا »

ومما يؤسف له ان هذا الرأى قد وافق أمزجة بعض الناس ، ورضيت به حماقة بعض الشباب ، نتيجة فورة الطيش واندفاع الغرور .

ولو أنهم علموا أن العفة تكسب الشباب قوة ومنعة ، وتمكنه من زيادة الانتاج فى كل مجال ، لماأقدموا على عمل كان من آفاتنا الرياضية ، وعانينا منه الكثير

لأن الواقع الملموس أن الشاب الماجن ضعيف الجسم عليل ، ضعيف الارادة كليل ، وكم رأينا من أبناء القرية وممن يعملون فى الحقول بالذات شبابا متين التركيب ، صلد العود ، موفور الصحة ، مع قلة الغذاء وبساطة العيش وما هذا الا لانه شباب مستقيم ، نهج الطريق السليم وحفظ دينه وعرضه وصحته ، فكان سعيدا ، ولو وجه هذا الشباب وجهة رياضية سليمة منذ الصغر لكان لنا من أبناء القرية أبطال تفخر بهم العروبة فى كل مجال .

هل علمتم بعد ذلك لماذا أصبح مديرو الكرة ، ومشرفو اللعبات المختلفة وعاظا قبل المباريات الهامة ، وهل أدركتم السر فى أننا نسمع بين الحين والاخر ، أن قرارا قد صدر باقامة اللاعبين فى معسكر ، يمتنع فيه خروجهم ، أو اتصالهم باى أحد . انه من أجل صيانة اللاعب ، ورعايته بالقهر والقوة ،مادام لم يرع نفسه بوازع من ضميره .

درس من القرآن

وثقوا أن شبابنا لو اهتدى بهدى القرآن ، ما قصر فى مجال الرياضة بحال ، لو أن كل لاعب اقتدى بالرسل

والصالحين ، لعاش كما عاشوا جميعا فى عصمة وطهارة وشرف وقوة .

وهذا يوسف عليه‌السلام « وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه ، وغلقت الابواب وقالت هيت لك . قال‌معاذ الله انه ربى احسن مثواى انه لا يفلح الظالمون » .

فتولاه الله بالحفظ وصانه .

« كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ..

وهددته امراة العزيز بالسجن ان لم يجبها الى‌طلبها ففضل السجن مع المجرمين على الوقوع فى معصية .

« قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ، قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى‌اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين»

ان الدين لم يترك شيئا ينفع الناس الا أمرهم به ، ولا شيئا يضرهم الا حذرهم منه ونهاهم عنه ، لأن الله تعالى يريد لعباده الخير ، ويحب لهم الفوز ، فلماذا ياخذ شبابنا ، والرياضيون منهم بالذات ، بأفكارمحطمة هدامة ، ولا يأخذون بهذه المبادىء التى تعصمهم من الزلل ، وتجنبهم الفاحشة .

وما من شك فى أن النفس تسول لصاحبها الوقوع فى الخطأ احيانا ، ولكن أين مجاهدة النفس وضبطها ، ومقاومة الشهوات ومغالبة الهوى .. ان علم‌النفس‌يوصى بتربية الارادة وتقويتها ، والرياضة تهدف أيضا الى ذلك : تربى فى النفس روح المثابرة ، والتغلب على الأهواء .. فكيف اذن يقع الرياضيون فى مثل هذا الخطأ ، مما يجعل المشرفين يسهرون على رقابتهم ، ويتتبعون خطواتهم وكلهم يقظة وانتباه .

وهذه ليست وسيلة ايجابية للحصول على نتائج مشرفة للامة فى مجال الرياضة ، بل الاجدى من ذلك كله ان نعود الشباب منذ الصغر على التحلى بالفضائل التى تجعلهم لا يستجيبون لكل رغبة تهواها نفوسهم ، حتى لا تضعف هذه النفوس عن المقاومة مستقبلا .

لقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من‌احدى الغزوات فقال : رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ، قالوا وما الجهاد الاكبر يا رسول الله ؟ قال: جهاد النفس .

ورحم الله الامام البوصيرى اذ يقول :

وخالف النفس والشيطان واعصهما
وان هما محضاك النصح فاتهم !

العالم يأخذ منا

ومن عجب اننا حين نقصد مقارنة بين فريق عربى وفريق اجنبى ، نجد الفارق من النواحى المختلفة فى شىء واحد : هو اللياقة البدنية . عندهم فى منتهى‌القوة .. وعند لاعبينا فى منتهى الضعف .

قد يقول قائل :

ان حياة الطفولة عندنا تصاب بامراض متوطنة تبعا للبيئة التى يعيش فيها الطفل ، وهذا يؤثر فى النمو ، والاستعداد الطبيعى لممارسة الرياضة لأن تكوين الجسم يكون غالبا غير مكتمل .

وأنا اوافق على هذا فى بعض الشباب ، دون البعض الاخر .. ولكن ، ألم نسمع ونقرأ كيف حرمت الاتحادات الرياضية‌والاندية فى‌الخارج على‌لاعبيها ما‌احلته مجتمعاتهم من فسق وفجور ، وكل ما من شأنه ان ينهك قواهم أو يضعف صحتهم ، ان لم يكن بالأمر والضغط ، فبوازع من ضمير اللاعب احيانا ، اذا كان محترفا ، وارتبط مستقبله برياضة ما يزاولها .

ان هذا هو الفارق بين لاعبنا ولاعبهم ، وهو فارق كبير وشاسع ، أكسب اللاعب الاجنبى لياقة فذة تمكنه من اداء المباريات فى كل وقت وكل جو وظرف فى قوة تامة . وجعل لاعبنا يلهث كلما دخل تجربة جديدة، الا اذا حبسناه فى معسكر ، وشددنا عليه الرقابة ، ووقف المسئول عنه واعظا يحذره من الانحراف ، ويجنبه طريقه وان كان يقوى له هذا : من أجل نصر يحققه ، لا من أجل عمل للاخرة يسعده .

آفة اخرى !

والآفة الاخرى فى الرياضة ، هى‌التى ساعدت‌اللاعبين على الانحراف ، انها الطفرة فى حياتهم ، اللاعب يكون شبلا ، لا يتقاضى عن التدريب الواحد أكثر من عشرة قروش كبدل انتقال ، فاذا ما دفعوا به الى الصفوف الاولى عند نضجه ، ولعب مباراة للفريق الأول ،وامتلات الصفحات الرياضية باخباره وصوره ، وحياته وطرائفه تحول هذا اللاعب الى انسان آخر ، يختلف عن ذلك الشبل ألذى كان يفرح ويمرح بالقروش المعدودة .

انه أصبح لاعبا يتقاضى أكثر من ٤٠ جنيها شهريا فجاة ، وهو لما يزل تلميذا فى الاعدادى أو الثانوى ، والمبلغ المذكور بالنسبة له شىء كبير جدا ، له عليه سلطان يجعله يتخطى الحدود التى قيد بها ، ينطبق‌عليه فى الحال قوله تعالى :

« ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى »

ولا تراه بعد الان ذلك اللاعب الخجول المتواضع بل أصبح له شأن آخر ، مادام له جمهور ومعجبون يتغنون باسمه ، ويدخلون به فى منافسات ومناقشات حامية بينهم ، لذلك هو يتغير وتطغى عليه تصرفات لا تتفق وخلق الرياضة ، وما ذلك الا انه أصبح لاعبا ينال مكافأة عن كل هدف يسجله ، أو مباراة يشارك فى كسبها ، ويمتلىء قلبه بالغرور ، وهو بعد لم يصل‌لسن العشرين .

« ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض » .

لذلك كان واجبا على الاندية أن تعامل لاعبيها برفق وان تأخذ منهم أولا ، ولا تعطيهم الا فى السن التى‌تمكنهم من الحرص على مستقبلهم ، حتى يترفعوا عن سفساف الأمور ، ويعيشوا حياة جادة ، وتأخذ منهم الدولة ،بقدر ما توليهم به من عناية وتقدير واهتمام .

وبعد فهذه جوانب خفية عن اللاعبين ، يعانى منها قادة الرياضة ، حين يعملون على تنشئة جيل جديد ، مؤمن بعروبته ، وتقاليده ، ومبادئه ، أردت الحديث‌عنها حتى تكون على بينة من امر أبنائنا ، فنجنبهم كل شر ونبعدهم عن كل طريق قد يؤدى الى فساد .. والله الموفق .

أضواء على المسلمين في العالم

الإسلام والمسلمون في اليونان

إعداد : رياض خليفة

أخي القارىء

مع المسلمين في اليونان سنعيش هذا الشهر وان شاء الله سنحاول التعرف على أحوالهم وكيف امتد النور الاسلامى الى هذه البقاع .

واليونان من اعرق شعوب العالم حضاره ومدنيه وهو أيضا من الشعوب التى تدين باخوة وصداقة عميقة الجذور لشعب مصر منذ حقب طويلة والثقافة اليونانية عاشت سنين طويلة جنبا الى جنب مع الثقافة العربية تساهم كل منهما في تنوير العالم وتطويره وتضيف الى مفاهيمه الوانا جديدة من المعايير والقيم فكان لذلك أثره البعيد في عالمنا المعاصر .

من تاريخ المسلمين في اليونان .

خضعت اليونان عدة قرون للسياده العثمانية . وفى أثنائها انتقل اليها جالية كبيرة من الاتراك . استوطنوا مدنها ومن هؤلاء كانت نواة المسلمين فى اليونان وقد ظل هؤلاء يقومون بدور وطنى واقتصادى هام في البلاد الى أن نشبت الحرب اليونانية للحصول على الاستقلال فى النصف الأول من القرن التاسع عشر .

فضعف أمرهم ،كما هاجر في أعقاب الحرب اليونانية التركية التى نشبت عام ١٩٢٢ عدد كبير من اليونان الذين كانوا في الاستانة وفي مدن آسيا الصغرى وهكذا تضاءل عدد المسلمين في اليونان ولاسيما بعد ما تبادلت الدولتان تركيا واليونان بعض أقسام السكان وغادرت أفواج عديدة من المسلمين أحياء كاملة على أن المسلمين اليوم في اليونان يبلغ تعدادهم أكثر من ١٥٠ الف مسلم وأكثرهم يعملون بالزراعة ويسكنون في مقاطعة تراقيا الغربية وعاصمتها كوموتيني هذا والحكومة اليونانية تسمح بنشر الدعوة الاسلامية وتشجع الحركات الثقافية وتبنى على حسابها المدارس الاسلامية وفي عام ١٩٥٩ نشرت ترجمة يونانية للقرآن الكريم وشعب اليونان من أعرق شعوب العالم فمنذ عصور بعيدة والعالم يذكر الحضارة اليونانية ويذكر فلاسفتهم وأثر علمائهم في تنمية التراث الحضارى والعقلى لدى شعوب العالم .

وشعب اليونان من الصق الشعوب بالجمهورية العربية المتحدة ونحن تربطنا بهم أقوى الصلات منذ أقدم العصور ولا تجد هجرة من اليونان الي دولة اخرى أكثر من تلك الهجرة التى للجمهورية العربية المتحدة واذا تفحصت الاجانب عندنا في مصر فلا تجد الكثرة الغالبة الا لليونان وهم يشبهون الى حد كبير أبناء الاسكندرية في سحنتهم وملابسهم الوطنية واذا سرت في اثينا عاصمة اليونان فلا تحس بفارق كبير بينها وبين اى مكان في مصر ويدرس عندنا في الأزهر عدد لا بأس به من أبناء المسلمين اليونانين وهم يجتهدون في تحصيل دروسهم حتى يكونوا نواة صالحة لتنشئة جيل من المسلمين في اليونان يفهمون دينهم حق الفهم ويعملون على نشره وتوثيق عراه .

والمسلمون في اليونان يبنون المساجد وتشجعهم الحكومة على ذلك وتمدهم بالمعونة والاموال ولكن معظم من يحفظون القرآن في اليونان يقرأونه دون أن يفهموا معناه ومغزاه وبعضهم يظن أن الاسلام في المسجد وفي الاسم وفي دفتر تقييد المواليد وفي عملية الختان ونحو ذلك ولذلك كان لابد من ارسال البعوث الدينية الى دول البلقان لتعليم المسلمين هناك تعاليم الاسلام الصحيحة وليفقهوهم في الدين .

وقد ساعدت القوافل التجارية على نشر الاسلام في أوربا الي جانب الفتوحات الكبيرة التى اقدم عليها العرب لا رغبة في سفك الدماء وانما من أجل تامين جانبهم وصيانة دولتهم ، وعملا على نشر العقيدة الاسلامية والمجاهدة في سبيل الله .. ولذلك نشأت واحات اسلامية في أوربا بجهود أفراد من السياح والتجار والمسلمين والوعاظ والزهاد .

وزائر المناطق الشمالية في اليونان اليوم يلاحظ وجود عدد كبير من المساجد والاضرحة والمآذن الاسلامية التى تركها المسلمون ، وقد تحول بعض تلك المساجد الى متاحف للاثار والفنون وقد زال بعضها بعد استخدامها في أغراض شتى .

ســـعادة محمد الحـافظ مفتى المسلمين فى كوموتينى باليـــونان يحيط به جمع من الوجوه

وكما ذكرت ـ قبلا ـ يعيش غالبية السكان المسلمين الذين بقوا فى اليونان فى تراقيا الغربية . وقد شيدوا مساكن عند الحدود التركية اليونانية ثم تجنسوا بالجنسية اليونانيـة والى جانب هؤلاء يقيم بعض (البـوماك) البلغار المسلمين وبعض الالبانيين والجراكسة .

وليس هناك فى اليونان تنظيم اسلامى ديني يشرف على أحوال المسلمين ويرعى شئونهم ولـكنهم يديرون شئون أنفسهم بأنفسهم .

وفى كل قـرية أغلب سكانها من المسلمين الاتراك مدرسة ابتدائية يتعلم فيها الاطفال حتى السابعة .

وهناك معهد دينى واحد يتلقى فيه الطلاب قواعـد الدين وعلومه ولـكن العدد الذى يتخرج فيـه ضئيل لايفي بحاجة المسلمين هنـاك ويلاحظ أيضا أن نسـبة الأمية قد انخفضت بين المسلمين اليونانيين ويغلب على المسلمين احتراف الزراعة حيث يزرعون الحنطة والاذرة والكروم .

ويوجد فى كوموتينى عاصمة تراقيا الغربية ١٠ آلاف مسلم من بين سكانها الذين هم حوالى ٢٠ الفا كمـا يوجد هناك ١٦ مسجدا وبعض الزوايا الصغيرة .

وفى أزكيـدبى يوجد ١٢ مسـجـدا وزاويتان وفى دده أنماج (الكسندرا بوليس) مسجدان كما هو الحال فى سوفلى وثومينكون بينما نجد أكثر من ذلك فى جالنى أوراق ومثلها فى شاهين .

ويكاد يوجد فى كل قرية مسجد وحمام . وكان في اليونان الى ما قبل نشوب الحرب العـالمية الثانيـة صحيفة اسلامية (مدافعت اسلام) (الدفاع) كانت تطبع فى كوموتينى ولـكنها أغلقت ولم تصـدر صـحيفة أخرى بعدها .

ومنذ قديم عرف المسلمون الشعوب السلافية وكانوا يسمونهم باسم الصقـالبة . وقـد اعتنق كثير منهم الاسلام ولا سيما بعد أن استولى العرب على السـاحل الشرقى للبحـر الادرياتيكى فى مقاطعـة دالمسـيا فى يوغسلافيا الحالية .

وقد كان بعض هؤلاء الصقالبـة يفدون الى البـلاد العربية منذ العصور الاسلامية الاولى للتزود بالثقـافة العربية والتعـرف على الدين الاسلامى ويقـول ياقوت الحموى فى كتابه « معجم البلدان : وجدت بمدينة حلب طائفة كبيرة يقال لهم البشقاردية شقر الشعور والوجوه جدا . يتفقهون علي مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه .

فسألت رجلا منهم استعقلته عن بلادهم وحالهم فقال: اما بلادنا فمن وراء القسطنطينيـة فى مملـكة أمة من الافرنج يقال لهم الهنكر ونحن مسلمون ولساننا لسان الافرنج وزينا زيهم ونخـدم معهم فى الجنـدية فسألته عن سبب اسلامهم مع كونهم فى وسط بلاد الكفر فقال سمعت جماعة من أسلافنا يتحدثون أنه قدم الى بلادنا منذ دهر طويل سبعة نفر من المسلمين من بلاد بلغـار وسكنوا بيننا وتلطفوا فى تعريفنا مانحن عليه من الضلال وأرشدونا الى الصواب من دين الاسلام .. فهدانا الله والحمد لله فاسلمنا جميعا .

وشرح الله صـدورنا للايمان ونحن نقدم الى هـذه البلاد ونتفقه فاذا رجعنا الى بلادنا أكرمنا أهلها وولونا أمور دينهم . فسـألته لم تحلقون لحاكم كمـا يفعل الافرنج فقال يحلقها منـا المتجددون ويلبسون لبسـة السلاح مثل الافرنج أما غيرهم فلا .

فقلت فكم مسافة ما بيننا وبين بلادكم فقال من هنا الى القسطنطينية نحو شهر ونصفه من القسطنطينيـة الى بلادنا نحو ذلك » .

وهكذا انتشر الاسلام فى أوربا الجنوبية الشرقيـة غير أن بعض الملوك ظلوا يحاربون الاسـلام مثل الملك كارول الاول روبرت (١٣١٠م – ١٣٤٢م) الذى أصدر قانونا يمنع فيـه الصيام أو تنـاول الطعام علي غير الطريقة المسيحية ويعاقب كل من يمتنع عن أكل لحم الخنزير أو يتوضأ للصلاة . وأغرى من يبلغ عن أحـد المسلمين بتمليكه جزءا مـن أموال المسلم . واذا قام أحد بزيارة مسلم أو دعا مسلما ليضايفه فعلى كليهما أن ياكلا لحم الخنزير وهكذا اضطهد المسلمون فى هذه البقـــاع .

ولكن المسلمين لم يلبثوا أن تحرروا من هـذا النير بموت هـذا الملك وظلوا بين مد وجزر سنوات طويلة حتى العصر الحديث الذى أخذت تعاليم الاسلام تنفذ فيه الى القلوب ويصل شعاع الدين فيه الى كل بقعة عرفها العمران وكثرة الهجـرة الى الدين الاسـلامى من سائر الاديان ، بعد أن عرف أنه الدين الحق وأن الشخص فيه بمنجاة من النار ما دام يعتقد فى قرارة نفسه بأن الله واحد لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله .

وبعـد

فهذه لمحات الي تاريخ الاسلام والمسلمين فى اليونان نرجو معها أن يزداد الاسـلام عزة وقوة حتى يغمر كل شبر فى أرجاء الارض من أجل أن تـكون كلمة الله هى العليـا وكلمة الذين كفروا السفلى . والله متم نوره ولو كره المشركون . وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا والى لقاء جديد .

السوق السوداء
فى نظر الإسلام

تحقيق من اعداد :

الرفاعى السيد الباز
طه محمد رمضان

ان الجشع الذى اعمى القلوب ولم يترك للايمان منفذا اليها انحرف بطائفة من تجارنا وصناعنا الى هاوية لا يعلم الا الله مداها .

وتركهم يتخبطون فى ظلمات البعد عن دينهم والجهل به .

فهم برغم المسابح التى تصاحبهم غلف القلوب لم ياخذوا الدين من كتاب الله ولا من سنة نبيه

تحلوا بقشور زائفة يدلسون بها على الناس وياكلون اقواتهم - وتركوا الدين السمح الذى قال نبيه « من غشنا فليس منا » .

فاليهم .. الى كل تجارنا وكل صناعنا نسوق هذا الحديث الذى دار بين مجلة منبر الاسلام وبين لفيف من قادة الفكر فى هذا البلد

فقد توجهنا الى جامعة الازهر التى واجهت التحديات بصراحة وجابهتها بايمان منذ اقدم العصور وتناقشنا مع الدكتور طه الديناوى عميد كلية القانون والشريعة ، وهكذادار الحديث بيننا .

فضيلة العميد : التجار الذين يحتكرون اقوات الناس ومتطلباتهم ويرفعون اسعارها ويبيعونها فى السوق السوداء يعتبرون بالنسبة للقانون خارجين عليه .. فما رأى الدين فيهم ، وبماذا يعاملهم ؟

فاجابنا بعد لحظات من التفكير العميق .. السابح بين حنايا المجتمع الذى نعيش فيه وحنايا مجتمع مسلم قديم رسم معالم حضارة رفيعة وثبت دعائمها بصراحة وايمان : « رغب الشارع الحكيم فى التجارة وامتدح القائمين بها اذا نصحوا وصدقوا » .

قال عليه الصلاة والسلام « التاجر الامين الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء »

وانما رغب الشارع فى التجارة وامتدح القائمين بها اذا كانت الأمانة صفتهم والصدق طريقهم فجعلهم مع النبيين والصديقين والشهداء ، لأن حاجة الانسان تتعلق بها فى يد صاحبه غالبا .. وصاحبه قد لايبذله له ، ففى تشريع البيع والشراء وسيلة الى بلوغ مراده من غير حرج .

اذن فالتاجر وسيلة الى خدمة اجتماعية لا غنى للمجتمع عنها فواجبه حينئذ ان يكون أمينا صدوقا مظهرا لما عنده من اقوات الناس مقتصدا فيما يبتغيه من ربح يستعين به على قضاء حوائجه وحوائج من يعولهم.

لا أن يكون خائنا كذابا محتكرا لأقوات الشعب مستغلا حاجاتهم اليه . يزيد فى السعر ما شاءت له غريزة حب المال التى لا تقف عند حد . بذلك يكون قد ادى ما عليه نحو دينه ووطنه ومجتمعه الذى يعيش فيه . ويبارك الله له فى عمله وماله .

قال صلى الله عليه وسلم البيعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما فى بيعهما واذا كتما وكذبا نزعت بركة بيعهما

أما التاجر الذى اعماه حب المال - فلا يبالى من اين اكتسبه ويتفنن فى طرق الحصول عليه باحتكار اقوات الناس وما يحتاجون اليه ليزيد فى سعره ما شاء له شرهه وجشعه مستغلا حاجات الناس وضروراتهم اليه فهو عضو فاسد فى المجتمع يجب على الحاكم ان ينزل به من العقاب ما يراه رادعا له ولامثاله من جلد وحبس وتجريد من المال الذى جمعه من طريق آثم غير مشروع « ان الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن »

ولو ان هذا التاجر المسكين علم ما توعده به اللهتعالى من عذاب فى الاخرة وبلاء فى الدنيا يصيبه فى نفسوماله لما اقدم على ذلك ولسارع الى معاملة الناس بما يحب ان يعامله به . قال صلى الله عليه وسلم من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله ان يقعده بعظم من النار يوم القيامة .

« أى يقعده فى مكان عظيم من النار » .

وعن عمر رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس : فانظر أيها التاجر مكانك ان كنت مؤديا ما وجب عليك بصدق وأمانة غير مستغل ولا محتكر لأقوات الناس . ومكانك ان كنت مقصرا فى ذلك خائنا كذابا مستغلا محتكرا واختر لنفسك ما به سعادتك وسعادة أمتك .

وما ان فرغنا من سؤالنا التالى

الدين قد حارب قطاع الطرق لأنهم يضرون الناس ويقفون عقبة أمام مصالحهم ومعايشهم .

فهل يعتبر تجار السوق السوداء والغشاشون منهم قطاع طرق .

الا وسيادته يعقب قائلا :

قطاع الطريق هم الذين يعتمدون فى أخذهم أموال الناس واستيلائهم عليها على قوتهم وشكيمتهم فاعتبروا بذلك محاربين لله ورسوله وكان جزاؤهم الأمر بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف فى قوله سبحانه وتعالى « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم »

ومعنى الآية كما قال المفسرون . انما جزاء الذين يحاربون أولياء الله ورسوله « وهم المسلمون » أن يقتلوا اذا قتلوا فقط أو يصلبوا اذا أخذوا المال مع القتل أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف اذا أخذوا المال ولم يقتلوا أو ينفوا من الأرض اذا أخافوا الناس ولم يقتلوا ولم يأخذوا المال .

والتجار المستغلون المحتكرون ليسوا من قبيل قطاع الطريق الذين ورد حكمهم فى الآية الكريمة لأنهم لا يعتمدون فيما يفعلون على قوة وغلبة وانما سبيلهم الى ذلك احتكار الأموال واستغلال أرباب الحاجات فى الخفاء .

وعقابهم متروك لما يراه الحاكم زاجرا ورادعا لهم كما تقدم فى السؤال الأول .

ولكن يا فضيلة العميد يدور فى خلدنا الاستفسار

هل وجد فى عهد الخلفاء الراشدين والحكام الصالحين أمثال هؤلاء التجار . نحب أن نعرف كيف كان يتصرف مع أمثال هؤلاء الفاسدين من التجار والصناع .

وكان رده :

كل زمان لا يخلو من الجشعين المستغلين أمثال هؤلاء التجار وكان الحكام يضربون على أيديهم بما يردهم الى الطريق السوى ومن ذلك ما ثبت أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يمر فى الأسواق ومعه الدرة يضرب بها من يخالف السعر المعتاد ومن يغش فى الميزان والمكيال .

فضيلة العميد : هل يعتبر تجار السوق السوداء والغشاشون ممن يعاملون الناس بعد اسرارهم على الكسب الغير المشروع مسلمين .

وهنا يقول سيادته :

الانسان مادام يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأن ما جاء به حق فهو مسلم وأن فرط فى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات . وعلى هذا فهؤلاء التجار الذين يستغلون الناس ماداموا مقرين بالشهادتين مصدقين بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهم مسلمون وحديث :

« من غشنا فليس منا » .

ليس معناه أنه خارج من ديننا وانما معناه أنه مائل عن طريقنا وسنتنا .

ثم وجهنا لفضيلته السؤال التالى :

ما حكم صلاتهم وعبادتهم بعد اصرارهم على نهب أموال الناس وظلمهم . عن طريق السوق السوداء ؟

فقال سيادته :

الصلاة وكل عبادة مادامت مستوفية لأركانها وشروطها فهى صحيحة مسقطة للواجب المطالب به المكلف وتقصيره فى امتثال المأمورات الأخرى واجتناب المنهيات لا يخرج صلاته وعبادته عن الصحة .

نعم للعبادة أثر يظهر على الجوارح الظاهرة والباطنة: فاذا لم يظهر هذا الأثر على بعض الناس مثل تجار السوق السوداء . كان ذلك دليلا على أن فى عبادتهم تقصيرا . وأمرهم الى الله تعالى يتولى حسابهم وجزاؤهم

فقلنا لسيادته :

عرفنا الآن يا فضيلة العميد رأى الدين فى تجار السوق السوداء . فما حكم الجمهور الذى يتعامل معهم فيشجعهم بذلك على احتراف السوق السوداء .

فرد والابتسامة العريضة تشرق من فمه :

هؤلاء التجار الذين احترفوا السوق السوداء مرتكبون لمنكر عظيم وجرم كبير كما تقدم .

وواجب كل انسان أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وعلى هذا فالذى يتعامل مع هؤلاء التجار المستغلين المحتكرين بقصد تشجيعهم فهو مقر للمنكر مفرط فى دينه خائن لوطنه مستحق للعقاب الذى استحقه هؤلاء التجار .

ولما سلط لنا سيادة الدكتور طه الديناوى ذلك الشعاع الهادى من دين الله على جمهور السوق السوداء ودعناه شاكرين واتجهنا الى كلية أصول الدين نلتمس أشعة أخرى من حملة مشعل النور فقابلنا هناك

الدكتور موسى شاهين لاشين مدرس التفسير والحديث بالكلية .

وكان رده عن سؤالنا الاول :

ان الاسلام حرص كل الحرص على العدل والاحسان فى المعاملة . فقال تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » ورفع أسعار المبيع واستغلال الحاجة اليه وحجبه عن المحتاجين حتى تشتد الحاجة اليه ليس من العدل فى المعاملة وليس من الاحسان فى شىء بل هو من الظلم الذى حرمه الله تعالى بقوله صلى الله عليه وسلم « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » واذا كان القرآن الكريم قد وعد المطففين بواد فى جهنم فقال جل شأنه « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون الا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين » اذا كان الله قد جعل هذا الوعيد الشديد لمن يأخذ شيئا يسيرا لا يستحقه بوسيلة الخداع أفلا يكون أولى بهذا الوعيد وأشهر منه من يأخذ بغير حق الشىء الكثير بدافع الحاجة ، والاضرار ان هؤلاء المحتكرون عميت أبصارهم عن سوق الآخرة بسبب انغماسهم فى سوق الدنيا وظنوا أنهم بذلك تربوا أموالهم وتتحسن أحوالهم وما دروا أن الله من ورائهم وأن هذه الزيادة التى حصلوا عليها رغم أنف صاحبها انما هى قطعة من نار جهنم شأنها شأن الزيادة فى القرض أى شأن الربا تماما لأن كلا الامرين أخذ للزيادة برضا الطرفين بدافع الحاجة والشدة .

ولما وصل الى هذا الحد . بادرناه بسؤالنا التالى :

ولكن ما حكم الجمهور الذى يتعامل معهم فيشجعهم بذلك على المضى فى طريق السوق السوداء واحترافها .

فأجاب على الفور فضيلته :

اذا كنت قد عقدت وجها لشبه كبير بين تجار السوق السوداء وبين المقرض بالربا فانى أجد شبها كذلك بين المشترى من السوق السوداء وبين المقترض بالربا فكلاهما معين على الاثم والعدوان وكلاهما شريك فى الجريمة ولم يجعل الله الضيق والشدة عذرا فى قبول مالا يقبله الشرع .

ان جريمة السوق السوداء كجريمة الربا لا تقوم على طرف واحد فالمشترى طرف لا تتحقق الجريمة بغير فعله واختياره فهو جانب ايجابى وشريك فعلى .

واذا اعتبرنا التاجر المحتكر المستغل مفسدا فى الأرض اعتبرنا المتعاملين معه مشجعين لفساده مهيئين له طريق الشر مستحقين للمحق معه والهلاك فى صحبته .

واذا كان صلى الله عليه وسلم قد أوعد الساكتين على الشر بالهلاك . وأوعد الذين لا يضربون على يد المفسد بنفس الوبال الذى يلحقه . اذا كان الرسول قد أوعد السلبيين بهذا الوعيد فى حديث خرق السفينة فمابالنا بوعيد من يسر طريق الشر وساعد عليه .

سيادة الدكتور : هل من نصيحة للجمهور بوصفك مدرسا لكلام الله وكلام رسوله : فقال :

ان رجال الشرطة وجهاز الدولة يحاربونهم بما حاربهم به عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث كان يضربهم بالدرة ويخرج بضاعتهم للبيع بالسعر المعقول قهرا عنهم .

فنصيحتى لهؤلاء المستغلين ان كانوا مؤمنين باليوم الاخر ان يستمعوا لقوله صلى الله عليه وسلم «من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به» ولقول على كرم الله وجهه حينما كان يدور فى سوق الكوفة .

يا معشر التجار خذوا الحق تسلموا لاتردوا قليل الربح فتحرموا كثيره .

وأنهى فضيلته الحديث معنا بقوله . شفى الله الامة من هذا المرض الخطير .

وفى كلية اللغة العربية النافذة المطلة على العالم العربى قديمه وحديثه فى جاهليته واسلامه . المشرفة على تقاليده وعاداته عن طريق الشعر والحكمة تقابلنا مع الدكتور عبد الحسيب طه وكيل الكلية فقال : بعد أن تجاذبنا معه أطراف الحديث عن السوق السوداء «انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم»

حددت هذه الآية الكريمة عقاب قطاع الطرق والمفسدين فى الأرض ولا شك أن الذى يتجر فى السوق السوداء مفسد فى الأرض محارب لله ورسوله متحكم فى أقوات الشعب أنانى لا يحب غير نفسه فجزاؤه أن يقتل أو يصلب أو تقطع يده ورجله من خلاف .

أو يخرج من هذا الوطن الذى كفر بنعمته فينفى كما ينفى المجرمون ويحرم من تكريم الوطن له أو المشاركة فيه كانسان له حق الحياة الانسانية .

وكان معنا فى نفس الحجرة الدكتور أحمد حسن كحيل فوجهنا له السؤال التالى : التجار الذين يحتكرون أقوات الناس ومتطلباتهم الضرورية وغير الضرورية ويختزنونها ويرفعون أسعارها ويبيعونها فى السوق السوداء يعتبرون بالنسبة للقانون خارجين عليه ، والدين فى أى موضع وضعهم وبماذا يعاملهم .

فأجابنا بقوله : الدين حذر من الاحتكار ونهى عنه لأن فيه ايذاء للناس واضرارا بهم وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم «ولا يحتكر الا خاطىء» وقال صلوات الله عليه :

« من احتكر طعاما اربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه » .

وورد عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » والجالب هو الذى يشترى الطعام ويجلبه الى بلده فيبيعه للناس فهو مرزوق لانه نفع الناس فبارك الله له فى ماله . والمحتكر الذى يشترى الطعام فيحبسه عن الناس ليرتفع سعره فيضلو الناس .

ورأى علماء المسلمين فى المحتكر الذى يمتنع عن بيع ما احتكره أنه آثم وعلى القاضى أن يجبره على بيع مازاد عن قوته وقوت عياله .

وكذلك اذا أبى أن يبيعه للناس الا بسعر فاحش يشق عليهم . يأمره القاضى أن يبيعه بسعر معتدل الربح فان امتنع فى الحالين عن البيع انتزع منه ماله وبيع بسعر معتدل أ.هـ .

اما الدكتور احمد أبو طالب فقد كان رأيه هو أن التعامل مع هؤلاء التجار الذين يستبيحون لأنفسهم احتكار السلع واخفائها حتى يشتد الطلب عليها فيبيعونها بما يشاءون من اثمان مرهقة كالتعامل مع اى مجرم وقد نهانا الله تعالى أن نركن الى الذين ظلموا فقد قال جل من قائل « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار » بل الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يكون حربا عليهم يكشف أستارهم ويعلم الناس قاطبة بحقيقة ماهم فيه من ظلم واستبداد ولا يتهاون فى صغيرة أو كبيرة معهم واذا احتاج الامر الى تبليغ ولاة الامور عنهم لينالوا جزاء سيئات مافعلوا فانه لو تاخرنا عن التبليغ كنا متهاونين فيما هو واجب علينا من النهى عن المنكر فنستحق بذلك اللعنة من الله والناس أجمعين ويكون مثلنا كمثل بنى اسرائيل الذين لعنوا على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون .

وانى أعتقد أن جرم هؤلاء المستغلين الذين يحتكرون أقوات الشعب ويبيعونها بأثمان باهظة أشد من جرم المرابين الذين أذن الله بحربهم وأشد من جرم قطاع الطرق الذين جعل الله جزاءهم أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض . ذلك أن ضرر هؤلاء لاحق بأفراد معدودين وأما ضرر هؤلاء الجشعين فقل أن تسلم منه أسرة . أو يسلم منه فرد ولا عذر لانسان كائن من كان أن يركن اليهم ويتعامل معهم فان تقويم هؤلاء والتفادى من شرهم انما يكون باتحاد الكلمة والاجماع على مقاطعتهم وعدم التعامل معهم بذلك تبور تجارتهم وتكسد بضاعتهم ويصبح المجتمع فى أمان من شرورهم هدى الله عباده لما فيه الخير والاسعاد .

والى هنا انتهت جولتنا وغادرنا جامعة الازهر الداعية الى الهدى والنور مستقبلين المجتمع الذى نتمنى له أن يرى وأن يسمع .

من مشكلات الأسرة

إعداد: عبد الرحمن الشرمبني

من المشكلات الظاهرة فى الاسرة .. مشكلة عدم التسوية بين الاخوة ..

صحيح أن الاسلام لايطلب التسوية المطلقة .. ولكن ذلك بشرط أن نتقى الله ونعدل بين اولادنا .. فعملية العدل مرتبطة بالتقوى وجعلها اساسا يخاطب به المجتمع المسلم لامكان العدل .. ومن هنا ايضا نجد متنفسا تحترم فيه الطبيعة البشرية نفسها حين يكون هناك ظروف تغاير مابين الاخوة بعضهم وبعض فياخذ هذا فرصة اكثر من ذاك ..

ومشكلة اخرى هى عدم الاستقرار على القيم فى المجتمع .. فالشباب يصدر منه تصرف يقره الوالد مرة ثم لايقره أخرى .. او يصدر منه تصرف يقره الوالد ولا تقره الام وبالعكس .. فتكون النتيجة هى عدم استقرار القيم وعدم التعارف عليها ..

ماهى اذن الابعاد الصحيحة لذلك وما راى الدين فيها ؟

يجيب عن ذلك :

١ ـ فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى

٢ ـ الاستاذ الدكتور عبد العزيز كامل

فضيلة الشيخ محمد المدنى

ـ ان مسالة التسوية بين الاولاد تعتبر من الواجبات الطبيعية .. لان نسبة الاولاد الى ابيهم هم منه نسبة واحدة ليس فيها انقسام .. فالطبيعة تقضى بمراعاة هذه النسبة الواحدة بعدم تفضيل بعض الاولاد على بعض .. ذلك لان الحيدة عن ذلك توجد فى نفوس بعضهم الكثير من الالم والكثير من الاسف وتعين على ايجاد الجفوة بين الولد وابويه من جانب وبين الولد واخوته من جانب آخر . ولذلك نرى الاسلام يقف من هذه المسالة موقفا حاسما ورائعا فى نفس الوقت .. فمثلا ورد فى السنة عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : « وعدنى ابى بعض ماله وكنت صغيرا ، فقالت له امى عمرة بنت رواحة لا ارضى حتى تشهد رسول الله عليه الصلاة والسلام على هذه العطية .. فذهب بشير الى رسول الله وقال له يارسول الله لقد وهبت ابنى بعض مالى وابت امه الا ان اشهدك على ذلك .. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : الك اولاد غيره .. قال نعم .. قال اكلهم اعطيتهم مثلما اعطيت هذا الولد .. قال لا .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا لا يصلح . انى لا اشهد على جور .. اتقوا الله واعدلوا فى اولادكم . اشهد على هذا غيرى ..

عبارات كل عبارة منها تعد امرا صريحا عما يعصف بكيان الاسرة من حيث الثقة والمحبة .. فالنبى صلى الله عليه وسلم نبه الى ان هذا لايصلح من حيث الطبيعية ومن حيث قانون الاجتماع فنبه بذلك عن الهمة الباعثة على الظلم بعدم التسوية .. فقال له ان هذا لايصلح اى لايصلح عليه بناء الاسرة ولا يمكن ان يستقر عليه بناء المجتمع .. ثم قال له انى لا اشهد على جور فاعتبره الرسول صلى الله عليه وسلم جورا اى ظلما .. وقال له اشهد على هذا غيرى .. وهنا يسأل بعض الناس لماذا قال الرسول اشهد على هذا غيرى .. كأنه يرى انه لايشهد هو واباح الشهادة لغيره .. ولكنهم ردوا على هذا بان ذلك من اسلوب التهديد على حد قوله تعالى « اعملوا ما شئتم » او على حد «فان شهدوا فلا تشهد معهم » يعنى ان هذا ليس من شانه ان يشهد عليه رسول الله ولا احد من المؤمنين ، فمن شهد على مثل هذا الجور فهو ظالم لنفسه فى هذه الشهادة .. وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمتنع عن الشهادة اذا كان هذا حقا .. لان الله سبحانه وتعالى يقول « ولا تكتموا الشهادة » ومن يكتمها فانه آثم قلبه » فكان من الممكن أن يتحملها رسول الله .. وبعد ذلك هناك .. اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم .. أيسركم أن يكون نسب البر سواء .. .. قالوا نعم نحب ان يكون فى البر والتعلق بحبه سواء .. قال اذن فاعدل بينهم وامره بان يرد هذه العطية

ولقد كان المؤمنون يسيرون فيما مضى على هذا الدافع .. ومما يروى فى ذلك ان سعد بن عبادة وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزع ماله على اولاده قبل أن يموت .. وتصادف أن ولد له ولد بعد موته .. وعند ولادته ذهب عمر بن الخطاب الى ابى بكر الصديق وقال له .. ياخليفة رسول الله انى لم انم فى هذه الليلة حزنا على هذا الولد الذى ولد بعد ان وزع أبوه ماله على اخوته .. فقال له ابو بكر وانا والله ياعمر لم انم فى هذه الليلة من اجل هذا الولد .. اهتز عمر وابوبكر لهذا الوليد .. وكلم احدهما الآخر .. وقال هيا نذهب الى قيس بن سعد بن عبادة

.. وكان اكبر اولاد الرجل واحد من خصه نصيب من مال ابيه .. وذهبا اليه وكلماه فى شان اخيه الصغير فقال لهما .. اما والله لا انقض شيئا قد امضاه ابى .. ولكن اشهدكم على ان نصيبى الذى كتبه لى ابى هو لاخى الوليد . وتنازل عن نصيبه فجمع بين امرين عظيمين احترام مافعله ابوه .. وتنازله عن نصيبه من اجل اخيه ..

وقصة اخرى .. هى ان ابا بكر الصديق نفسه كان قد وهب للسيدة عائشة هبة من نخل خيبر وكانت نصيبه فى الجهاد .. ولما دنا اجله اخذ عائشة وقال لها يابنيتى انى كنت قد وهبتك هذا النخل وانى اخشى ان اكون آثرتك به على اخوتك فانت لم تحتذيه فرديه .. فقالت يا ابتاه .. والله لو كان نخل خيبر كله ذهبا ما اخذته ولارددته ..

وهنا يقول بعض العلماء .. هل يمكن ان يطبق هذا على كل حالة من الحالات .. هل يمكن ان يستثنى بعض الحالات للضرورات .. كان يكون اب مثلا له ولد عاجز عن الكسب .. او كثير الاولاد وليس له عمل يسد به حاجة أولاده ، فهل يجوز له ان يميزه لهذا الاعتبار الانسانى ؟ .. نعم يجوز للوالد ان يميز الاعمى ومن به عاهة تعجزه عن الكسب وكل هذا من الاعتبارات المشروعة .. وكذلك يجوز المنع بالنسبة للسفهاء والمبذرين على شرط ان يكون ذلك في اضيق الحدود محافظة على المبدا العام وهو التسوية بين الاولاد .. وقالوا انه لا باس على شرط الرجوع الى بقية الاولاد فيشاورهم فى ذلك ويعرفهم الملحظ الذى لحظه فيما اراده ان يميز احد الاخوة فى ذلك حتى لايقع موقع الرفض وموقع الايلام منهم .

الدكتور عبد العزيز كامل :

ـ لكل مشكلة من المشاكل مظهرها الذى لابد انه نلم به حينما نبدا علاجها ..

واول ما يتبادر الى الذهن من سؤال هو فى موضوع عدم الاستقرار بالنسبة لقيم الشباب ومن الذى يحكم على هذه القيم بانها مستقرة او غير مستقرة ؟.. هل هو الاب .. هل هو الشاب ام المجتمع نفسه ؟... فاذا كان هناك تصرف معين وسئل عنه الاب ثم سئل عنه الابن فتضارب كل مع الآخر فى الحكم على قيمة هذا التصرف .. لابد اذن من مقياس يتخذ لهذه النواحى ..

يمكن جدا ان تكون التصرفات متغيرة .. ولكن الشيء الواجب هو ان تكون القيمة التى تنبع من التصرفات هى القيمة الثابتة

نحاول توضيح هذه القضية .. يمكن جدا ان تكون التصرفات التى تبدو متناقضة فى حياة البيت ترجع لاسباب ثقافية او لاسباب دينية . الاب متدين ويلتزم بمبادىء دينه .. الابن ليس لديه هذا الالتزام الدقيق .. فيحدث الخلاف لا فى مبدا التمسك بالدين نفسه ولكن فى نظرة كل منهما الى الدين وهذه النظرة قد تكون متساوية .

كذلك قد تحدث هذه بين الاب والام من ناحية اخرى وتنعكس على الاولاد .. ولا شك ان الحل هنا فى هذه المشكلة هو توضيح القيم الدينية التى ينبغى ان تكون عندنا محل التزام . وما مدى المرونة التى يجب ان تتوفر فى هذه القيم حتى نطبقها على انفسنا ؟

هذه الناحية لكى تتضح لابد من تفاهم بشانها بين الاب والام والاولاد .. ولهذا فان تثبيت القيم ينبغى ان يكون راجعا الى التفاهم بين الاسرة ولتكن هذه الاسرة بمثابة برلمان صغير تطرح فيه المسائل التى يراد الوصول بها الى الحلول .. والتى يكون طرحها على الاولاد بمثابة تدريب لهم على تحمل المسئولية واكتشاف هذه القيم بانفسهم عن طريق المناقشة .. وليكن فى الاب نفسه سعة الافق وسعة الصدر ورحابته التى تجعل الابناء فى هذه الحالة يلتزمون بهذه النواحى عن عقيدة واقتناع بحيث لايكون الالتزام عن خوف وخشية فتربى فى الابناء النفاق بدلا من تنمية الشخصية وطاعة الاباء .

ونذكر فى هذه المناسبة قصة حفظها لنا تراثنا الاسلامى عن رجل تاجر لبن كان يخلط اللبن بالماء فى عهد عمر بن الخطاب .. فجاءت ابنته الصغرى قالت له يا ابى هذا حرام .. الم تعلم ان امير المؤمنين قد نهى عن هذا .. فقال لها واين امير المؤمنين هنا ؟ فقالت له اذا كان امير المؤمنين لايرانا فان رب امير المؤمنين يرانا . فكانت هذه اليقظة النفسية التى انبعثت فى البيت من احد افراده جعلت الاب يستيقظ ويرجع عن مخالفة ضميره بفضل احد افراد بيته .

هنا يكون البيت قد انتهى الى قيمة معينة .. قد تكون كامنة فى النفس .. لكن المهم ان يتعاون الجميع الى تحويل هذه القيمة من حالة الكمون الى حالة الحركة

ولاشك اننا شعب متدين .. وقيمه اساسا موجودة فى نفسه .. قد تكون كامنة وقد تكون متحركة .. مهمة المربى فى هذه الحالة ان يوقظ هذه القيم فى النفس لكى تتحول الى افعال ونواحى عملية فى الحياة .

جانب آخر من النواحى التى تبدو انها مضطربة فى فى الاسرة .. تصرف اقتصادى معين .. الولد يطلب من ابيه مبلغا من المال فيعطيه له .. ثم يعود فيطلب المبلغ مرة اخرى فلا يعطيه له الوالد ولا يفسر هذا .. فاذا سئل الوالد اجاب ان مجتمعنا قائم على الادخار ولا ينبغى ان نصرف كل مافى ايدينا ولذا فيجب ان نعود انفسنا على ذلك مادام المجتمع قد تغير ..

وهنا نسال الوالد ما الذى يمنعك ان تقنع ابنك بهذا الذى اقتنعت به حتى يرتد حيز هذه الناحية على ابنك بعد ان تجعل من ذلك عرضا لقضية هى التى تشغل بال المجتمع كله فى هذه الايام وكيف نستطيع ان نحول ما يتعلق منها بالاسرة الى اسلوب حياة . عندئذ سيحاول الابن نفسه ان يطور من تصرفاته فلا يرى فى التطور شيئا من عدم الاستقرار . وانما يرى عدم الاستقرار مظهرا من مظاهر الحيوية والقوة فى الاسرة وليس مظهرا من مظاهر اضطرابها .. فحينما تتغير نظرته الى هذا التصرف فيرى انه نابع من قيمة ثابتة وليس مظهرا من مظاهر التغير فى حياتها .

فالتغير اذن قد يكون محمودا اذا كان الى خير .. وعدم الاستقرار قد يكون تطورا الى اعنف .. كما انه قد يكون نوعا من اهتزاز الشخصية فى حياة الاسرة كلها .

ونصح الاباء للابناء شيء دعانا اليه الله فى كتابه العزيز « واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه » .. الاب مع ابنه .. لم يقل لابنائه او الجمهور اكثر .. كان هذه الايات خصصت لحديث بين اب وولد واحد شرح له فيها القضية من اول الايمان بالله الى ان علمه كيف يمشى فى الشارع .

طريقة نموذجية ولا شك فى تثبيت القيم فى جو الاسرة .

ماذا تعرف عن العالم الإسلامي دوله وشعوبه؟

المملكة المغربية

الدكتورة
عنايات الطحاوي

المغرب اسم أطلقه العرب على شمال غرب أفريقيا . ولقد كان جغرافيو العرب على حق حينما أطلقوا على هذا الاقليم اسم « جزيرة المغرب » فهى تسمية دقيقة لأقليم يحيط به البحر من الشمال والمحيط من الغرب والصحراء من الجنوب والشرق . واذا كان مفهوم هذا الاسم عند كتاب العرب يشمل شمال غرب أفريقية . بما فيه طرابلس وبرقة فانه أصبح فيما بعد يقتصر على تونس والجزائر والمملكة المغربية . وبذلك تكون ليبيا همزة الوصل بين المغرب العربى الى غربها والمشرق العربى فى شرقها . واحتفظت المملكة المغربية باسمها الحالى بدلا من (مراكش) .

وتقع المملكة المغربية فى أقصى شمال غرب افريقية بين خطى عرض ٢٨ ، ٣٦ شمالا وتطل بساحل طويل على المحيط الاطلسى فى غربها « ١٠٠٠ كم » وبساحل يبلغ طوله حوالى ٤٥٠ كم على البحر المتوسط . وتحد فى الشرق بالجزائر التى تمتد فى جنوبها أيضا أما فى الجنوب الغربى فتوجد الصحراء الاسبانية « ريودورو »

وتتضافر عوامل كثيرة على جعلها صلة وصل طبيعية بين أفريقيا وأوروبا فمن ناحية قربها من أوربا لايفصل البرين الافريقى والاوربى سوى مضيق جبل طارق الذى يبلغ اتساعه تسعة أميال فقط أما من ناحية أفريقيا فان الصلات التاريخية والثقافية والدينية والاقتصادية تجمعها ببلدان المغرب العربى الكبير وكذلك ببلدان المشرق العربى .

ويعتبر المغرب بلادا ذات حضارة أصيلة عريقة فى القدم ولكنه فى نفس الوقت بلاد حديثة وأمة شابة فأكثر من نصف سكانه لاتزيد أعمارهم على عشرين عاما .

ويصل عدد السكان حسب احصاء سنة ١٩٦٠ « ٩ر١١ » مليون نسمة منهم ٤ر٣ مليون نسمة يعيشون فى المدن ، ٢ر٨ مليون نسمة يعيشون فى الريف . هذا فضلا عن وجود بعض الأجانب يقدر عددهم بحوالى ٤٠٠ ألف نسمة ، ٢٠٠ ألف من اليهود ويتناقص عدد اليهود باستمرار فقد أعطى أحدث تقدير

عددهم سنة ١٩٦٤ انهم حوالى ١٠٠ الف نسمة ٠

الظاهرات الطبيعية فى المملكة المغربية

أولا : السطح ٠

يتخلل المغرب مرتفعات تمثل جزءا كبيرا من أرضها وهذه المرتفعات تمتد من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى وتجرى الأنهار اما نحو الشمال لتصب فى البحر المتوسط أو نحو الغرب لتصب فى المحيط الأطلسى ٠ كما توجد السهول الساحلية الممتدة بحذاء شاطىء الأطلسى ٠

ويمكن تقسيم مظاهر السطح الى الاقسام الآتية :

١ ـ **أطلس العليا :** وهو أعظم السلاسل الالتوائية الافريقية وتعلو على ثلاثة آلاف متر وتمتد كحائط شرقى مدينة مراكش وطولها حوالى ٧٠٠ كم وعرضها ٦٠ كم وتتصل بها كتلة جبلية على شكل هضبة متسعة يبلغ ارتفاعها ٢٠٠٠ م ٠ وتوجد منطقة سهلة تفصل المنحدرات الغربية لجبال أطلس العليا عن المحيط وهذه المنطقة هى سهل « سوس » وهى منطقة شبه صحراوية ٠ وتوجد قمم بركانية عالية تصل الى ٥٠٠٠ متر ارتفاعا وتنتشر الثلوج عليها طول الشتاء كما توجد بعض الممرات الجبلية

٢ ـ **أطلس الوسطى :** وهى هضبة محدبة ذات قاعدة أركية وفى شرقها صخور جيرية وتسيطر هذه الهضبة على الطرق الرئيسية بين المغرب والجزائر وهى خط تقسيم المياه التى تنحدر شمالا حيث يجرى نهر ملوية نحو البحر المتوسط ونهر سيبو ونهر أم الربيع نحو المحيط الاطلنطى ٠

٣ ـ **هضبة مراكش أو المزيتا :** وهى تمتد من مرتفعات أطلس الوسطى والعليا حتى شواطىء الاطلنطى بين موجادو والرباط

٤ ـ **حوض نهر سيبو وممر تازا :** وتقع هذه المنطقة بين الهضبة المراكشية ومنطقة الريف ونظرا لان ممر تازا يمثل اضيق نقطة بين جبال أطلس الريف وأطلس الوسطى اعتبر ممرا هاما للوصل بين الشرق والغرب وهو الطريق الوحيد بين قلب المغرب الاقتصادى بمدنه الهامة وبين المناطق المزدحمة فى مناطق التل الجزائرى فى شرقه وارتفاع ممر تازا ٧٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر واتساعه ثلاثة كيلو مترات

٥ ـ أطلس الريف : وهى عبارة عن مجموعة من السلاسل الالتوائية وفيها كتل عالية وهى منفصلة عن بعضها وتمتد من رأس بسكادور الى سبته وتمتاز بوعورة مسالكها وقد تمكن العرب والبربر من مقاومة الاسبان فيها وسهلت هذه الشواطىء غير الملائمة مع تعقد التضاريس من الاشتغال بالقرصنة والاحتماء بالجبال ٠

وتوجد بعض الكثبان الرملية التى تسد المنافذ الى البحر كما توجد بعض المرتفعات البركانية ويميل السطح الى الاستواء نحو الشاطىء

ثانيا ـ المناخ

يتأثر مناخ المغرب بالموقع الذى يمتد من عرض ٢٨ الى ٣٦ درجة شمالا كما يتأثر بالارتفاع وبمجاورته للمسطحات المائية ٠ أما تأثير البحر المتوسط فمحدود بعكس تأثير المحيط الاطلنطى فعظيم صيفا وشتاء ٠ والارتفاع العظيم يساعد على تكثف بخار الماء فالرياح التى تهب من المحيط والمحملة بالابخرة تسقط الأمطار بدرجة كبيرة من الغزارة وتتوغل الرياح عبر الممرات الجبلية وكلما ابتعدنا عن البحر قل تأثيره وظهر تأثير الارتفاع ٠ هذا والمدى الحرارى على السواحل ضئيل وتأثير نسيم البحر الملطف صيفا يظهر على السواحل ٠ كذلك يؤثر تيار كنارى البارد على سواحل الاطلنطى ويتراوح المدى الحرارى على السواحل بين ٧ ، ١٠ درجة مئوية بينما يصل هذا المدى فى الداخل الى ٢٠ درجة مئوية وتصل درجة الحرارة أحيانا الى ٣٠ درجة مئوية صيفا فى كثير من الجهات السهلية والداخلية فيما عدا الجنوبية التى تشتد حرارتها ٠ أما فى الشتاء فتتراوح درجة الحرارة بين ١٥ ، ٢٠ درجة مئوية ٠ أما فى المرتفعات فتنخفض عن ذلك وتصل الى اقل من عشر درجات مئوية ٠

ويظهر أثر الرياح الغربية شتاء بمطرها ودفئها كذلك يظهر اثر الرياح الشمالية التجارية بجفافها وتلطيفها للحرارة على أن

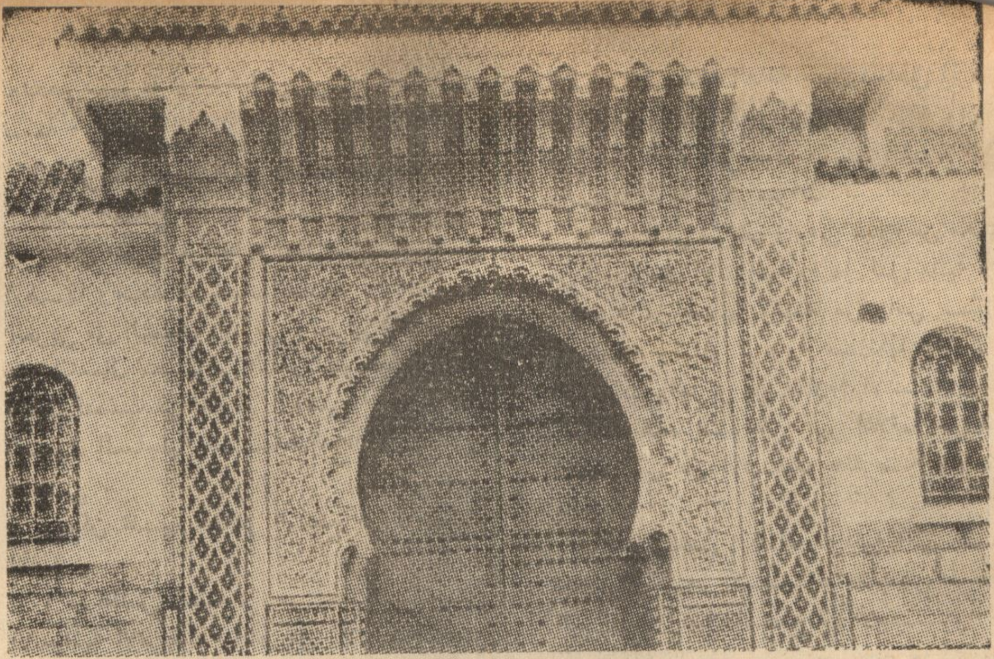

أحد مداخل المسجد المحمدى بمكناس

الأعاصير الشتوية هى التى تميز الحالة المناخية .

والمطر فى الجنوب أقل منه فى الشمال وفى الغرب وعلى الشواطىء أغزر منه فى الداخل باستثناء المرتفعات التى تمتاز بأمطارها الغزيرة . فالمنطقة جنوب الدار البيضاء مطرها السنوى من ٢٠٠ – ٤٠٠ ملليمتر . أما أطلس العليا فمطرها ٦٠٠ ملليمتر والمنطقة الساحلية عند طنجة والدارالبيضاء مطرها من ٤٠٠–٦٠٠ ملليمتر . والمناطق الواقعة خلف الجبال مطرها قليل لأنها واقعة فى ظل المطر وأمطار شرق المغرب عامة أقل من غربها ويمتد فصل المطر فى المغرب من نوفمبر الى مايو وهى غير منتظمة فى كميتها ولا فى مواعيدها . وينتشر الثلج على المرتفعات العالية كما تكثر العواصف الثلجية ويبلغ سمك الجليد أحيانا على القمم العالية حوالى مترين .

ويمكن تقسيم المغرب الى الاقسام المناخية الآتية :

ا – مناخ المناطق المرتفعة فى جبال اطلس الريف وأطلس الوسطى والعليا وتمتاز بغزارة أمطارها وانخفاض حرارتها وتراكم ثلوجها شتاء

ب – اقليم الساحل الغربى : غزير المطر شتا. جاف لطيف الحرارة صيفا

جـ – الأقاليم المنخفضة فى الداخل والواقعة فى ظل المطر . قليلة الأمطار

د – اقليم الصحراء : ويقع الى أقصى الجنوب والجنوب الشرقى وهو نادر المطر والمدى الحرارى كبير

ثالثا – النبات :

تتنوع النباتات تنوعا كبيرا فتوجد النباتات الألبية على المرتفعات العالية وخاصة أطلس العليا حيث النعناع والخزامى . أما على المجارى المائية فينمو الصفصاف والطرفاء والآس . وفى الهضاب توجد الأعشاب وخاصة فى الشرق بالقرب من الحدود الجزائرية . ويكثر نبات الحلفا فى الجهات الجافة التى هى اكثر انخفاضا من نطاق الغابات . أما الغابات فتوجد أشجارها على ارتفاعات مختلفة فشجر الأرز على ارتفاع بين ١٥٠٠ ، ٢٠٠٠ متر حيث يغطى الجليد الأرض لفترة من السنة وأهم مناطقه فى مرتفعات الريف وجبال أطلس العليا وهى أشجار معمرة وقد اختفى جزء كبير من غابات البلوط نتيجة للاستغلال السىء اذ قطعت أخشابها للحريق وعمل الفحم النباتى . وتتكاثف الغابات على منحدرات الجبال الدائمة الخضرة التى يمتاز بها اقليم البحر المتوسط وأهم أشجارها الفلين والزان وشجيرات الموالح والتين . أما أشجار الصنوبر والسرو

الأبرية فهى واسعة الانتشار على المرتفعات العالية ٠

هذا وتنتشر الحلفا فى مناطق متسعة وهذا النبات ينمو فى مساحة تبلغ حوالى خمسة ملايين فدان كما تغطى الأشجار ما يقرب من ثمانية ملايين من الأفدنة ٠ وينمو النخيل حيث المياه الباطنية فى الواحات ٠

أما المناطق الجنوبية الغربية فتغطيها مساحات واسعة من الرمال وهى فقيرة مجدبة ٠

رابعا : لمحة على الاقتصاد المغربى

يمتاز الاقتصاد المغربى بظاهرتين هامتين

أولاهما - اقتصاد تقليدى ويشغل ثلثى السكان ولا يسهم الا بحوالى الثلث فى الدخل الوطنى وهذا الاقتصاد يقوم أساسا على ماتدره الأراضى الريفية الواسعة من انتاج ضئيل على مساحات متجزئة الى قطع صغيرة

وثانيتهما - اقتصاد حديث أساسه بعض الصناعات واستخراج المعادن وصناعات البناء والنقل كما يرتكز على الزراعة الحديثة ٠

ويعتبر المغرب قبل كل شىء بلدا زراعيا فموارد الأغلبية العظمى من سكانه مرتبطة بالانتاج الزراعى ذلك الانتاج الذى يستهدف أولا ارضاء الحاجات الغذائية للسكان وثانيا تطوير الصناعة الناشئة بتزويدها بالمواد الأولية الضرورية ٠ ويقدر عدد السكان فى الوقت الحاضر بحوالى ١٢ مليون نسمة موزعين على مساحة قدرها ٤١ مليونا من الهكتارات ويعيش حوالى ٩ مليون نسمة على الزراعه سواء بكيفية مباشرة كملاك ومستثمرين أو بكيفية غير مباشرة كتجار وصناع فى الميدان الزراعى ٠

والآن نبدا بالزراعة وأهميتها فى الاقتصاد المغربى ٠

تتوزع أراضى المغرب باعتبار العوامل الطبيعية كالطقس والتربة والماء كما يلى

الأراضى المزروعة ٠٠٠ر٧٥٠ر٤ هكتار

الحدائق والبساتين وأراضى الكروم ٠٠٠ر٥٨٠ هكتار

أراضى البور ٠٠٠ر٥٠٠ر٢ هكتار

الغابات ٠٠٠ر٣٢٥ر٥ هكتار

منطقة الحلفا ٠٠٠ر٨٠٠ر٢ هكتار

المراعى ٠٠٠ر٨٠٠ر٧ هكتار

صحارى ومناطق غير منتجة ٠٠٠ر٤٠٠ر١٧ هكتار ٠

وتوجد الزراعة فى السهول وفى أوديه الأنهار التى تعظم أهميتها فى أشهر الصيف لجفافها ٠ والجهات الجنوبية والشرقية أشد المناطق حاجة الى وسائل الرى ٠ وفى الواحات حيث التربة فقيرة نوعا وحيث الاعتماد على مياه الرى يزرع الشعير والنخيل والزيتون ٠

وأهم مايلفت النظر فى أوضاع القطاع الزراعى ظاهرة توزيع ملكية الارض الزراعية

١ - فالأوربيون ومعظمهم من الفرنسيين يملكون حوالى ٢٥ ٪ من مساحة الأرض المزروعة « التى تبلغ حوالى ١٠ مليون فدان » وتقع مزارعهم فى السهول الغربية الخصبة المطلة على المحيط الاطلنطى ٠ وقد استحوذوا عليها بطرق متعددة وشقوا فيها الترع وانشأوا السدود والخزانات بالرغم من وفرة الأمطار ٠ وتنتج المزارع الأوربية ٨٠ ٪ من انتاج المغرب من الطباق ، ٧٥ ٪ من انتاج الكروم ، ٨٥ ٪ من انتاج الموالح وبذلك فهى تسيطر على الاقتصاد الوطنى بوجه عام فى بعض نواحيه ٠

٢ - الظاهرة الثانية فى توزيع ملكية الأراضى هو أن أقل من عشر الملاك يملكون أكثر من نصف مساحة الأرض الزراعية ٠ وأفراد هذه الطبقة من كبار الملاك ويعتمدون على العامل الأجير والكثير من ضياعهم تصل مساحتها الى آلاف الهكتارات ٠

وهناك طائفة صغار الفلاحين ويمثلون نحو ٣٠ ٪ ولكنهم يملكون أقل من نصف مساحة الأرض الزراعية وهؤلاء يفلحون أرضهم بأنفسهم أو بمساعدة أسراتهم فى أغلب الأحوال ٠

أما العمال الزراعيون فيشكلون حوالى ٦٠ ٪ من أهل الريف ٠

فيما عدا ما تقدم فان الزراعة فى المغرب تعتمد معظمها على المطر وهذا العامل غير مستقر أما الاراضى التى تعتمد على الرى فمساحتها ضئيلة للغاية تقدر بحوالى ٠٠٠ر٥٩ هكتار أغلبها فى المزارع المملوكة للأوربيين ٠ ولهذا تعانى البلاد كثيرا اذا قل المطر ٠ كذلك نجد أن معظم المزارع الوطنية تستخدم الوسائل

التقليدية البدائية فى الزراعة فيقل انتاجها وتقتصر زراعتها على الحبوب لسد حاجة الاستهلاك المحلى .. أما المزارع الاوربية فتستخدم جميع وسائل الزراعة الحديثة من تطبيق الدورة الزراعية واستخدام المخصبات الكيماوية والاهتمام بوسائل الرى وانتاجهم يمتاز بزراعة المحاصيل النقدية والزراعة الكثيفة .

وأهم الغلات الزراعية القمح والشعير والذرة وهناك أيضا الكتان والطباق كما تكثر زراعة الخضر على السواحل الممتدة بين أغادير والدار البيضاء .

أما الأشجار المثمرة « محاصيل الحدائق » فمساحتها حوالى ١٫٥ مليون فدان وفيها أشجار الزيتون والتين واللوز والنخيل وأغلب الانتاج للاستهلاك المحلى .

أما الأشجار المثمرة لأغراض التسويق والتصدير فأهمها الموالح والكروم وتتركز أساسا فى مزارع الأوربيين . وقد توسعت البلاد فى السنوات الحديثة فى زراعة الموالح التى تبلغ صادراتها ما يقرب من ١٠ ٪ من مجموع الصادرات المغربية وينتج المغرب عدا هذا الخوخ والبرقوق والمشمش .

وهناك أيضا الأشجار غير المثمرة وتشمل البلوط والصنوبر والسرو واليوكالبتوس والفلين والطلح الذى تستخرج منه أنواع من الزيوت تستخدم فى أغراض الدباغة - كذلك يوجد الدوم .

ومما يجدر ذكره أن المملكة المغربية أخذت تتخلص منذ سنة ١٩٦٣ م من بعض الملاك الأجانب وتم فى هذا العام مغربة حوالى نصف مليون فدان ضمت للملاك الوطنيين .

كذلك تعمل الحكومة عن طريق مشروع السنوات الخمس « ١٩٦٠ - ١٩٦٤ م » على القضاء تدريجيا على الأسلوب التقليدى فى الزراعة وذلك بتقديم الارشادات الفنية وتقديم المساعدات وتطبيق نظام الدورة الزراعية واستخدام المخصبات الكيماوية والاهتمام بزراعة المحاصيل النقدية المعدة للتصدير حتى تتوافر للبلاد الحصيلة الكافية من العملات الأجنبية اللازمة لمشروعات التنمية وتوفير الرخاء للشعب المغربى .

الانتاج الحيوانى

يعتبر الرعى وتربية الحيوان من الحرف الأساسية . وتوجد الأغنام والماعز فى جميع أنحاء البلاد ولكنها تعد رأس المال الوحيد فى الهضبة العالية والجبال .

الا أن كل توسع فى مساحة الاراضى الزراعية بالسفوح الدنيا يتم على حساب المساحات التى تشغلها المراعى مما يؤدى الى ازدحام السفوح العليا . ولعلاج هذه الظاهرة لابد من التوسع فى زراعة العلف الأخضر مما يحمى الحيوان من الهلاك فى سنوات الجفاف ، كما يجعل مورد اللحم مضمونا فى السنوات العادية .

وتتكون الثروة الحيوانية من ١٢ مليون رأس من الأغنام ، ٧ مليون رأس من الماعز ، ٣ مليون رأس من الماشية ، ٩٠ ألف من الخيل، ٢٠٠ ألف من الجمال أما الحمير والبغال فيبلغ عددها معا حوالى مليون . وهذه الحيوانات فضلا عن مساعدتها للفلاح فى الحقل فهى ثروة غذائية . كما أن الصناعات الحيوانية يصدر منها مايقرب قيمته من ٦ مليار فرنك سنويا

الثروة السمكية :

لما كانت المملكة المغربية تمتاز بطول سواحلها على كل من البحر المتوسط والمحيط الاطلنطى فانها تمتاز بثروتها السمكية الفنية . واصبح صيد الأسماك من الحرف الهامة التى يحترفها الأهالى . ويقدر الانتاج السنوى بحوالى ١٠٠ ألف طن وتصدر منه مقادير كبيرة بعد حفظها وتعليبها

وأهم مراكز الصيد أغادير وسافى والدار البيضاء .

الثروة المعدنية :

تحتل الثروة المعدنية المرتبة الثانية بعد الثروة الزراعية والنباتية ويعتبر التعدين القطاع الذى بلغ درجة عالية من حيث استخدام المعدات الآلية من أجل الانتاج الكبير لأغراض التصدير .

وأهم المعادن الفوسفات وهو من النوع الجيد ويعتبر المغرب ثانى دولة فى العالم فى انتاج الفوسفات . كذلك تنتج المملكة المغربية حوالى ١٠ ٪ من الانتاج العالمى من الكوبالت ، ٥ ٪ من انتاج الرصاص . كذلك يوجد الفحم فى

دار عماله الدار البيضاء التى كانت مقرا لاجتماعات مؤتمر القمة العربى الثالث ولجلسات مجلس الجامعة العربية

شرق البلاد والمنجنيز فى جنوب جبال أطلس والحديد فى سوس • كذلك اكتشف البترول بالمغرب فى سنة ١٩١٨ م فى حقل العين الحمراء • ويوجد عدد من حقول البترول ولكن انتاجها محدود وغير تجارى وفى سنة ١٩٦١ اكتشف حقل سيدى سالم على مقربة من مدينة مراكش •

وتقوم باستغلال البترول الشركة الشريفية التى تسهم الحكومة بنسبة النصف من رأسمالها • وبلغ انتاج المغرب ٩١٢ر٥٠٠ برميلا فى سنة ١٩٦٢ م وتدير الشركة معملا للتكرير فى سيدى قاسم وآخر فى المحمدية •

ومن المشروعات الجديدة انشاء مصنع بالاشتراك مع شركة شل فى ميناء سافى لانتاج فوسفات النوشادر بطاقة سنوية قدرها ١٠٠ ألف طن على أن يستخدم فيه الغاز الطبيعى والفوسفات •

الصناعة :

توجد صناعات وطنية يصنعها المغاربة باليد كالسجاد والأقمشة والجلود وأدوات الزينة والأغطية والصوانى والأباريق والأدوات الفخارية والحلى المصنوعة من الفضة ولها أسواق فى أوربا وأمريكا •

كذلك توجد صناعات حديثة تتركز فى المدن الكبرى كالدار البيضاء وأهمها الصناعات الغذائية كحفظ اللحوم والأسماك وصناعة الخضر والفاكهة والزيوت وطحن الدقيق • وتشغل صناعات النسيج والصناعات الجلدية المرتبة الثانية بعد الصناعات الغذائية •

وقد حدث خلال السنوات الحديثة تطور فى ميدان الصناعة فتجد التوسع فى عمل السماد تمشيا مع سياسة التنمية الزراعية • كذلك عمل مواد البناء وخاصة الأسمنت والطوب والجبس نظرا للنشاط العمرانى فى البلاد •

التجارة الخارجية :

تتعامل المملكة المغربية بنسبة كبيرة مع فرنسا والبلاد التابعة لها • فيقدر أن ثلاثة أخماس الصادرات وثلاثة أرباع الواردات مع فرنسا ودول الاتحاد الفرنسى •

وأهم الصادرات الفوسفات والحبوب « الشعير » والأسماك المحفوظة والخضر والمنجنيز والرصاص •

أما الواردات فاهمها المواد الاستهلاكية وبخاصة المنسوجات والسكر ثم المشتقات البترولية والجرارات الزراعية وسيارات الركوب •

المواصلات والمدن الهامة :

نظرا لاتساع أرجاء المغرب وكثرة مواردها فانها تحتاج الى تحسين كبير فى سبيل المواصلات بها فالطريق الممهدة تبلغ حوالى ٤٠ ألف كم والمرصوفة عشرة آلاف كيلومتر • أما السكك الحديدية فيبلغ طولها ١٧٦٠ كيلومتر ويمتد معظمها بازاء الساحل وتتفرع منها خطوط الى المدن الهامة بالداخل فيوجد خط من طنجة الى مدينة الهدية على مصب نهر سيبو ومنها الى الرباط ويتفرع خط الى الداخل الى مدينة تازا ويستمر الى تلمسان فى غرب الجزائر ومن الرباط الى الدار البيضاء الى مدينة مراكش •

هذا والمدن الرئيسية هى الرباط « ٢٢٥ الف نسمة » وهى العاصمة ثم مراكش « ٢٤٢ الف نسمة » ، فاس « ٢١٦ ألف نسمة » وطنجة « ١٤٦ الف نسمة » ، ومكناس « ١٧٧ الف نسمة » ، والدار البيضاء «٩٦٠ ألف نسمة» وهذه المدن هى أهم المراكز الثقافية بالمغرب

خامسا : سكان المملكة المغربية :

يقدر عدد سكان مملكة المغرب فى الوقت الحاضر بحوالى ١٢ مليون نسمة ويتركز ثلثا السكان على الجبل الذى يواجه المحيط الاطلنطى ويستقبل قدرا وفيرا من المطر ولذلك قامت القرى على جوانبه كما ازدحم السكان فى الوديان الخصبة وأهمها وادى سوس حيث تبلغ كثافة السكان ٣٠ فى كل كيلو متر مربع• وأشد الجهات ازدحاما بالسكان على الاطلاق السهل الساحلى •

ويبلغ عدد الأوربيين حوالى ٣٧٠٫٠٠٠ نسمة أغلبهم فى المدن ويمثل الفرنسيون ٨٤ ٪ من مجموع الأوربيين يليهم الاسبان ثم الطليان • ويمثل معظم الأوربيون عنصر الشبان فأعمار الأغلبية تقل عن أربعين عاما •

وكان عدد الأوربيين كبيرا قبل عام ١٩٥٦ م اى قبل عهد الاستقلال ، ولكن بعد استقلال المغرب أخذ عدد الأجانب يقل بحوالى ١٠٠٫٠٠٠ نسمة وذلك بسبب رحيل عدد كبير من الفرنسيين الى بلادهم •

كذلك توجد جالية يهودية بالمملكة المغربية يتركز معظمها فى المدن الكبرى ففى الدار البيضاء نجد حوالى ٢٠٠٫٠٠٠ يهودى وفى مراكش ٧٧٫٠٠٠ هذا بخلاف ٥٠٫٠٠٠ يوجدون فى فاس ومكناس والرباط وغيرها •

واللغة العربية هى لغة جميع السكان فيما عدا الأقليات اللغوية الأوربية • ومع حوالى ٣٧ ٪ من السكان يتكلمون البربرية الا ان أغلب هؤلاء يتكلم اللغة العربية ايضا • ويقبل السكان على اللغة العربية اقبالا شديدا وخاصة فى السنوات الاخيرة لحركة التحرر السياسى العربى من سيطرة الاستعمار الاوربى •

وقد شملت عملية التعريب النشيطة كل الاقاليم فى المدن والسهول والهضاب والصحارى •

سادسا : انتشار الاسلام فى المغرب العربى :

دخل الاسلام القاره الافريقيه عبر سيناء بصحبة الجيش العربى الذى فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص عام ٢٠ هـ الموافق ٦٤٠ ميلادية • وبعد أن تم الاستيلاء على الاسكندرية وقضى قضاء تاما على القوات الرومانية أصبحت مصر القاعدة العسكرية التى انطلقت منها الفتوح الى برقة وليبيا وتونس والجزائر ومراكش •

ولقد قاوم البربر وهم غالبيه سكان شمال أفريقية العرب الفاتحين مدة طويلة واشتبك الجانبان فى معارك كثيرة من أهمها « سبيطله » عام ٦٥٠ م ثم توغل عقبة بن نافع على راس جيوشه وفيما بين سنتى ٧٠١ ، ٧٠٨ ميلادية انتهت مقاومة البربر أمام الجيش العربى بقيادة الحسن بن النعمان وألحق المغرب سياسيا بدولة الخلفاء الشرقية « الأمويين والعباسيين » وتولى موسى بن نصير زمام المغرب •

وفى سنة ٧١١ م حشد جيش عربى بربرى بقيادة طارق بن زياد واجتاز مضيق جبل طارق وتوغل فى الأندلس • وفى سنوات قلائل ضمت اسبانيا الى الدولة العربية الكبرى • ومنذ ذلك الحين أصبح المغرب القاعدة الأمامية لنشر العروبة والاسلام فى غربى أفريقيا وفى الأجزاء الجنوبية من الصحارى الكبرى •

وكان نفوذ البربر ليس مقصورا على الأقاليم التى تساحل البحر المتوسط بل كان لتجارهم الفضل فى تعريف الاسلام الى القبائل الزنجية التى تقطن الصحراء والى مراكز تجارتهم الموجودة فى السهول التى تلى تخوم الصحراء • كذلك عنى موسى بن نصير باختيار العلماء والفقهاء من العرب ليفسروا للبربر آيات القرآن ويعلموهم ما فرضه الدين الجديد من واجبات •

ولا يمكن القول بأن دخول البربر فى الاسلام كان سريعا ، بل كان عمل قرون عديدة ولم ترسخ قدم الاسلام بينهم الا بعد أن اتخذ شكل حركة قومية وأصبح مرتبطا بتولى البربر الحكم •

وكان ينطوى ظهور المرابطين فى القرن الحادى عشر الميلادى على حركة قومية عظيمة جذبت عددا كبيرا من قبائل البربر نحو الاندماج فى الأمة الاسلامية •

ويجدر بنا هنا أن نقرر حقيقه تاريخيه وهى أن بعض المؤرخين بالغوا فى وصف الدور الذى اضطلع به المرابطون فى نشر الاسلام من شمال افريقية الى السودان الغربى والصحراء الكبرى وفات هؤلاء أن الاسلام تسرب فى هدوء بصحبة تجار قوافل الصحراء من الشمال الى الجنوب قبل أيام حركة المرابطين أثناء القرنين التاسع والعاشر وكان هؤلاء التجار يمنحون كامل الحرية فى مزاولة تجارتهم وتأدية واجباتهم الدينية بل والدعوة الى دينهم أيضا فى حرية مطلقة ومما يؤيد هذا وجود مدن اسلامية وأحياء يسكنها المسلمون فى المدن الوثنية • والواقع أن المرابطين عملوا على الاسراع فى انتشار الدين الاسلامى •

سابعا : التاريخ السياسى للمملكة المغربية واستقلالها :

ليست النار التى اندلعت منذ سنوات فى شمال أفريقيا وفى مراكش وتونس والجزائر فى سبيل التحرر بالشىء الجديد الغريب وانما هى حلقة من سلسلة طويلة من أعمال الكفاح الدائب فى سبيل الحرية • هذا الكفاح الذى بداه المغرب منذ اليوم الاول للاحتلال • فهو لم يعترف يوما بهذا الاستعمار ولم يقبله ولم يصبر عليه • وانما ظل خلال هذه السنوات الطويلة منذ أكثر من قرن وربع قرن يكافح الغاصب •

لقد وقع مئات القتلى فى مراكش بمناسبة خلع سلطان مراكش الشرعى سيدى محمد بن يوسف وحشدت فرنسا نحو ربع مليون جندى مؤيدا بالدبابات والطائرات لمحاربة هذا الشعب الأعزل المكافح الذى عاون فرنسا فى الحرب العالمية الماضية عندما خرت على ركبتيها صاغرة ذليلة أمام الاحتلال الألمانى •

وقد نسيت فرنسا دولة الثورة الفرنسية والتى كان شعارها الحرية والاخاء والمساواة تسيت كل هذه المبادىء وكفرت بها ولم تقدر أنه ليس من الممكن أن يعيش شعب فى النصف الثانى من القرن العشرين دون أن يكون حرا

ويمتد كفاح مراكش منذ سنة ١٩١٢ م يوم أرغمت فرنسا وجيوشها المحتلة سلطان البلاد على توقيع معاهدة لم تنفذ على جورها سنوات طويلة عانى أثناءها الشعب المغربى أقسى ماعاناه شعب حرم استقلاله • وفى خلال هذه السنوات الطويلة عملت فرنسا على هدم الوحدة المراكشية والعامة • كما عمدت فرنسا منذ اليوم الأول على فرض نظام لايمكن أن يتيح الا الصدام بينها وبين الوطنيين فقد وضعت يدها على كل شيء • واستولت على أموال الأوقاف الضخمة وممتلكاتها الكبيرة وأخذت تستغلها فى سبيل تنمية الثروة الفرنسية •

كذلك خلقت فرنسا فى المغرب سياسة عنصرية فقسمت البلاد الى مناطق صغيرة ضربت حول كل منها سياجا من الحراب وأصبح المراكشى لايملك حق التنقل فى بلاده الا بجواز سفر •

وكان الشعب المراكشى يقاوم المستعمر بكل ما يملك من قوة ولكن فرنسا حاصرته وبدأ رصاصها يحصد الشعب حصدا وقاست مراكش الباسلة فترات دامية اختلطت فيها الدماء بالاشلاء • وقد كان أشد هذه الفترات هولا ما حدث فى ديسمبر سنة ١٩٥٢ م بمناسبة عرض قضية مراكش على هيئة الامم حيث بلغ عدد الضحايا الفى قتيل من الوطنيين •

ولا يقف أمر فرنسا فى مراكش الى حد كبت الحريات وتقتيل الآمنين ولكنها عملت من ناحية أخرى على « فرنسة » المناطق العربية الصميمة وذلك بايجاد مجتمع مراكشى فرنسى أوربى يكون الفرنسيون فيه هم السادة والمراكشيون هم العبيد • وقد اضطرمت حركة المقاومة فى مراكش وكان السلطان محمد الخامس على رأس الكفاح فرأى الفرنسيون القضاء على الحركة بعزل سلطان مراكش ونفيه وأقامت فرنسا سلطانا آخر هو محمد بن عرفة فى أغسطس سنة ١٩٥٣ م • ولكن مراكش ثارت واستمرت فيها أعمال العنف والمقاومة حتى اضطرت فرنسا الى اعادة السلطان محمد الخامس وتحول لقبه من صاحب الامبراطورية السلطان الى صاحب الجلالة الملك وذلك فى أغسطس سنة ١٩٥٧ م

وفى مارس سنة ١٩٥٦ م عقد السلطان محمد الخامس معاهدة مع فرنسا « معاهدة فاس » وفى ابريل سنة ١٩٥٦م تركت اسبانيا محميتها « الريف » وفى أكتوبر من نفس العام الغت كل من بريطانيا وفرنسا واسبانيا والبرتغال وايطاليا والولايات المتحدة وبلجيكا وهولنده والسويد النظام الدولى لمدينة طنجة ومنطقتها • وفى أغسطس سنة ١٩٥٩ م أعلن الملك ضم منطقة طنجة الى المملكة المغربية وأصبحت ميناء تجاريا حرا منذ سنة ١٩٦٢ م

وفى فبراير سنة ١٩٦٢م تولى الملك الحسن الثانى زمام الحكم بعد وفاة والده الملك محمد الخامس الذى تولى الحكم من سنة ١٩٢٧ الى سنة ١٩٦١ م •

وتنتهج المملكة المغربية سياسة عربية خالصة وعلاقتها بالجمهورية العربية المتحدة تتمثل فى التعاون الثقافى والعلاقة الدينية والنواحى السياسية اذ عقد مؤتمر الرؤساء الافريقيين « مؤتمر الدار البيضاء » فى المملكة المغربية سنة ١٩٦١ م وانبثق عن هذا المؤتمر ميثاق الدار البيضاء الذى بمقتضاه يتم التعاون الاقتصادى بين الدول الاعضاء •

كذلك اشترك المغرب فى مؤتمر رؤساء الدول الافريقية الذى عقد فى اديس ابابا سنة ١٩٦٣م وفى القاهرة سنة ١٩٦٤م •

ويؤكد الدستور المغربى فى ديباجته « أن المملكة المغربية دولة اسلامية ذات سيادة كاملة • لغتها الرسمية هى اللغة العربية • وأنها جزء من المغرب الكبير »

« وبصفتها دولة أفريقية فانها تجعل من بين أهدافها تحقيق الوحدة الافريقية »

« والمملكة المغربية التى أصبحت عضوا عاملا نشيطا فى المنظمات الدولية تتعهد بالتزام ماتقتضيه مواثيقها من مبادىء وحقوق وواجبات ، كما تؤكد عزمها على مواصلة العمل للمحافظة على السلم والأمن فى العالم »

وهكذا نجد أن مملكة المغرب التى كانت معروفة باسم مراكش استقلت عن النفوذ الفرنسى سنة ١٩٥٦ • ثم انضمت الى الجامعة العربية والى الامم المتحدة •

مواقيت الصلاة

الأيام	ذو القعدة ١٣٨٥	فبراير ١٩٦٦	فجر د	فجر س	شروق د	شروق س	ظهر د	ظهر س	عصر د	عصر س	مغرب د	مغرب س	عشاء د	عشاء س
الاثنين	١	٢١	٣	٥	٣٠	٦	٩	١٢	٢٢	٣	٤٨	٥	٥	٧
الثلاثاء	٢	٢٢	٢		٢٩		٩		٢٢		٤٩		٦	
الأربعاء	٣	٢٣	١		٢٨		٩		٢٣		٤٩		٦	
الخميس	٤	٢٤	٠٠	٥	٢٧		٨		٢٣		٥٠		٧	
الجمعة	٥	٢٥	٥٩	٤	٢٦		٨		٢٣		٥١		٨	
السبت	٦	٢٦	٥٨		٢٥		٨		٢٤		٥١		٨	
الأحد	٧	٢٧	٥٧		٢٤		٨		٢٤		٥٢		٩	
الاثنين	٨	٢٨	٥٦		٢٣		٨		٢٤		٥٣		١٠	
الثلاثاء	٩	١ مارس	٥٥		٢٢		٨		٢٥		٥٤		١١	
الأربعاء	١٠	٢	٥٤		٢١		٨		٢٥		٥٤		١١	
الخميس	١١	٣	٥٣		٢٠		٧		٢٥		٥٥		١٢	
الجمعة	١٢	٤	٥٢		١٩		٧		٢٦		٥٦		١٣	
السبت	١٣	٥	٥١		١٨		٧		٢٦		٥٦		١٣	
الأحد	١٤	٦	٥٠		١٦		٦		٢٦		٥٧		١٤	
الاثنين	١٥	٧	٤٩		١٥		٦		٢٧		٥٨		١٥	
الثلاثاء	١٦	٨	٤٨		١٤		٦		٢٧		٥٨		١٥	
الأربعاء	١٧	٩	٤٦		١٣		٦		٢٧		٥٩		١٦	
الخميس	١٨	١٠	٤٥		١٢		٦		٢٨		٥٩		١٦	
الجمعة	١٩	١١	٤٤		١١		٥		٢٨		٠٠	٦	١٧	
السبت	٢٠	١٢	٤٣		١٠		٥		٢٨		١		١٨	
الأحد	٢١	١٣	٤٢		٩		٥		٢٩		١		١٨	
الاثنين	٢٢	١٤	٤٠		٧		٤		٢٩		٢		١٩	
الثلاثاء	٢٣	١٥	٣٩		٦		٤		٢٩		٣		٢٠	
الأربعاء	٢٤	١٦	٣٨		٥		٤		٢٩		٤		٢١	
الخميس	٢٥	١٧	٣٧		٤		٤		٢٩		٤		٢١	
الجمعة	٢٦	١٨	٣٥		٢		٣		٢٩		٥		٢٢	
السبت	٢٧	١٩	٣٤		١		٣		٣٠		٦		٢٣	
الأحد	٢٨	٢٠	٣٣		٠٠	٦	٣		٣٠		٦		٢٣	
الاثنين	٢٩	٢١	٣٢		٥٩	٥	٢		٣٠		٧		٢٤	
الثلاثاء	٣٠	٢٢	٣١		٥٨		٢		٣٠		٧		٢٥	

ساعة مع مأمونة مبشر الطرازى الحسينى من افغانستان

اعداد : نجاة الزنيرى

الآنسة مامونة كريمة سماحة الاستاذ مبشر الطرزى الحسينى احد كبار العلماء والمجاهدين فى الاسلام من أفغانستان.. جاءت الى القاهرة منذ حوالى عشر سنوات للدراسة ، وهى حاليا طالبة بكلية البنات الاسلامية قسم الدراسات الاسلامية « الشريعة والقانون » بالسنة الرابعة النهائية ، ومأمونة تعتبر اول طالبة شرقية وغير عربية دخلت كلية البنات الاسلامية بالازهر الشريف منذ انشائها وهى بالتالى ستكون اول خريجة افغانستانية من الكلية لهذا العام ، وبعد التخرج ستبقى لاستكمال الدراسات العليا بالازهر الشريف للحصول على الماجستير ثم الدكتوراه . تتمنى أن تعمل بعد التخرج معيدة فى احدى كليات البنات .. من أكثر طالبات الكلية نشاطا فى مجالى الأدب والفن .. فهى تشترك فى الندوات والمناقشات المختلفة الاجتماعية والدينية والسياسية وتكتب المقالات الادبية ..

تقول عن الفتاة المصرية انها واعية نشيطة تقدر المسئولية نحو الوطن والمجتمع والاسرة ، هذا بالاضافة الى ما تمتاز به من خفة الروح وسرعة البداهة والاخلاص وهى ودودة لطيفة تحب الكرم وتقول اعتقد ان الفتاة المعرية ستلعب دورا كبيرا فى المستقبل فى ميدان العلم والعمل ، وستثبت وجودها وتفرض احترامها وتقديرها على الآخرين اكثر من الآن ..

وتعتقد ان الفتاة المصرية أكثر وعيا من الفتاة الافغانية وذلك بسبب موقع مصر وقربها من اوربا وان كانت الفتاة الافغانية قد شقت طريقها ايضا فى كل ميادين العمل والعلم ، ثم ان فى مصر توجد كلية الشريعة للفتاة حيث يتاح لها الدراسة الدينية المنهجية السليمة ، بينما فى افغانستان توجد كلية الشريعة للطلبة فقط ولا توجد كلية للفتيات فهى تحصل على الثقافة الدينية من الأسرة والمدرسة ..

ودفعنى حديثها عن الفتاة المصرية الى أن أسالها عن الفتاة الأفغانية فى شىء من التفصيل ولما علمت ان الحديث للنشر بالمجلة قدمت لى تفصيلا كاملا عن وضع الفتاة الافغانية فى ماضيها وحاضرها .

اذا تزوج الرجل من امراة ثانية فعليه أن يقدم استقالته من وظيفته :

احتلت المراة الافغانية مكانا مرموقا بعد الاسلام وكانت لها احترامها ومقامها شاركت الرجل فى القرى الافغانية خارج المنزل وعملت معه جنبا الى جنب فلاحة فى الحقل وحطابة فى الجبل وراعية فى المراعى ، وكانت اساس البيت وعماد الاسرة ومديرة المنزل . كما كانت أيضا تقف مع الرجل جنبا الى جنب فى الدفاع عن الاسرة والذود عن الوطن فقد كن يعدون الطعام والخبز للمحاربين ويحضر اليهم الماء وهم فى الخنادق ويقمن بتضميد الجرحى وتاريخ افغانستان حافل باسماء العشرات من أمثال هؤلاء النساء المجاهدات أمثال المجاهدة العظيمة « سلالة » التى تعرف بلقب جان دارك الافغانية كما شاركن أيضا فى مجالات الأدب والشعر الحماسى والشعبى .

ولو عدنا للوراء حوالى ثمانين عاما نجد أن الامير عبد الرحمن خان (١٨٨٠ - ١٩٠١م) قد اتخذ بعض الخطوات لتخليص المراة من قيود التقاليد والعادات التى اوجدتها بعض الاعتقادات الخرافية وقد وضع قانونا اعلن

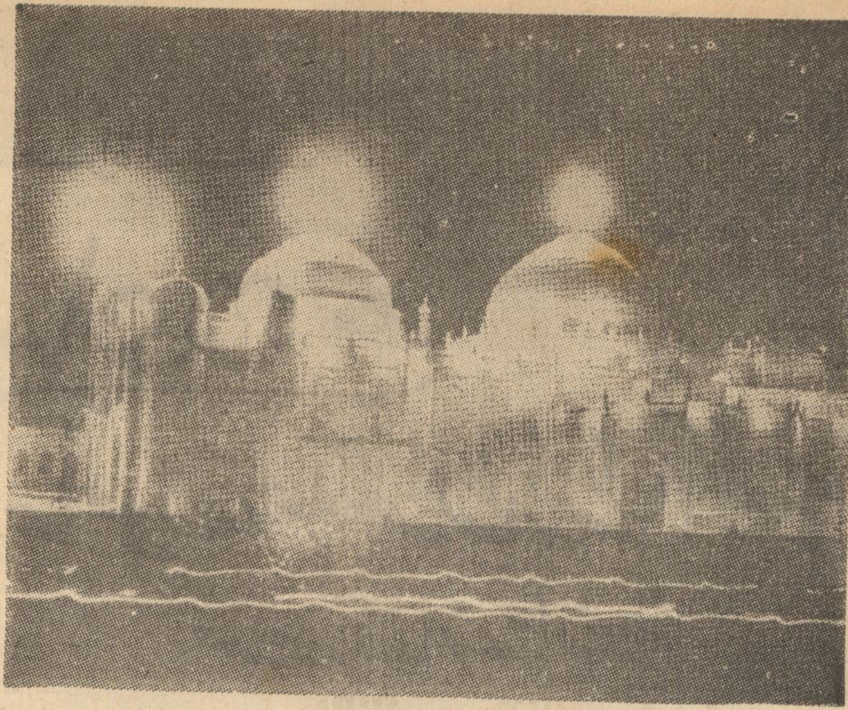

مسجد وضريح الامام على بن ابى طالب فى مدينة مزار شريف بافغانستان

فيه انه اذا ترملت احدى السيدات فان لها الحق فى ان تظل ارملة او ان تتزوج بمن تشاء وكذلك اصدر قانونا أعلن فيه أن من حق الفتاة عند بلوغها سن الرشد أن ترفض الزواج من شخص كان والدها فرضه عليها وهى قاصرة واصدر قانونا آخر بقضى بحق المراةفى نطليق زوجها اذا ثبت سوء معاملته لها . فاما أن يحسن معاملتها واما ان ينفصل عنها . وكذلك كتب الامير عبد الرحمن فى مذكراته حول تعليم المراةالافغانية يقول : « ان افغانستان لن تنجح فى المستقبل اذا لم تنل المرأة قسطها من المعرفة والتعليم ، وذلك لان الطفل يتلقى دروسه الاولى من والدته وكل ما يتعلمه فى طفولته يظل منقوشا فى نفسه وعقله طوال حياته ثم ان المرأة اذا كانت مثقفة فانها تنتخب الاصلح والانسب لتمثيلها وتقول قولا سديدا ويكون لها رأيها فى بناء المجتمع »

ولما ارتقى العرش نجله الامير أمان الله خان وكان ذلك عام ١٩١٩ ، أعلن حزب الاستقلال ، ونالت افغانستان استقلالها التام ـ وفى عهده اعتبر تعدد الزوجات شرا اجتماعيا وعاملا اساسيا فى هدم كيان الأسرة وكان الموظف اذا اصر على الزواج من امراة ثانية فان عليه أن يقدم استقالته من وظيفته قبل اجراء مراسم الزواج .

اول مدرسة بنات وأول جمعية نسائية وأول مجلة للمراة (١٩٢١) :

بعد الانتهاء من حرب الاستقلال بدأ الامير أمان الله خان فى تنفيذ عدد من الاصطلاحات الاجتماعية وكانت عنايته منحصرة فى التعليم الحديث وتنفيذا لهذا البرنامج انشئت لأول مرة فى تاريخ افغانستان مدرسة نظامية للبنات وكان ذلك فى « كابل » عام ١٩٢١ ـ وعلى الرغم من المقاومة العنيفة التى لقيها الامير أمان الله من بعض الرجعيين فقد بدأ فى ارسال بعثات من الفتيات الافغانيات الى الخارج للحصول على ثقافة عليا ، وأصبحت الفتاة تدرس الى جانب الفتى فى « المدرسة الامانية » .. وكذلك تأسست أول جمعية نسائية تعنى بشئون المرأة وتعمل على رفع مستواها الاجتماعى . وصدرت أول مجلة نسائية باسم « ارشاد النساء » فى ٢١ مارس ١٩٢١ تعالج شئون المرأة باشراف محررات أفغانيات مثقفات وكانت مديرتها السيدة « أسما رسمية » وكان من الاهداف الاساسية لهذه المجلة ابراز شخصية المرأة الافغانية والنهوض بمستواها الثقافى والاجتماعى والصحى وتعريفها بشهيرات النساء فى العالم وخاصة من لهن دور كبير فى الحياة السياسية والاجتماعية .

عام ١٩٢٩ صفحة جديدة فى حياة المرأة الافغانية .

أما العهد الذى نستطيع أن نتحدث عنه بانه العهد الجديد لحرية المرأة الافغانية والتغيير الشامل لحالتها الشخصية لاسيما من وجهة النظر الخاصة بقانون «اعلان حقوق الانسان» فيبدأ عام ١٩٢٩ فمع هذا العام بدأت صفحة جديدة فى حياة المرأة الافغانية ـ فبدأت تعمل بجدارة لكى تثبت وجودها وتحتل مكانها الجدير بها فى خدمة المجتمع والعائلة والمثل العليا وجلست مع الرجل فى قاعات المحاضرات وفصول الدراسة وتلقت شتى العلوم وفنون الادب والطب والهندسة وحصلت على أرقى الدرجات العلمية .

نظام التعليم للبنات سنة ١٩٤٧

ففى عام ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ـ تألفت لجنه من وزارة المعارف الافغانية درست برامج تعليم البنات وقدمت

تقريرا وافيا ضمنته نواحي النقص والعيوب الموجودة في هذا البرنامج واقترحت عدة اقتراحات للنهوض بمستوى تعليم الفتاة . وعلى ضوء هذا التقرير أعادت وزارة المعارف تنظيم برنامج تعليم البنات لكي يلائم التطورات الحديثة التي جدت في البلاد ويجاري موكب النهضة فيها.

وفي أفغانستان اليوم دور للحضانة في المدن لكي تضمن الحكومة بهذه الدور خلق جيل جديد من الفتيات والفتيان على السواء يتميز بالصحة والقوة والنشاط ، كما انشأت الحكومة على مر السنين الاخيرة مئات المدارس لتعليم الفتيات في القرى وعشرات المدارس الابتدائية والثانوية في المدن الافغانية جميعا .

الفتاة والفتى في الجامعة .

ودخلت الفتاة الجامعة وتلقت العلوم جنبا الى جنب مع الفتيان في كليات الطب والحقوق والهندسة والعلوم السياسية والاقتصاد والعلوم والآداب . وتستطيع الطالبات الناجحات الحصول على منح دراسية محلية ودولية كالطلاب تماما .

والتعليم في أفغانستان بالمجان في جميع المراحل منذ مهد التعليم الحديث وبالاضافة الى ذلك فان الدولة تقدم للتلاميذ والطلاب والطالبات الادوات المدرسية من كتب وكراسات وأقلام وغيرها بالمجان أيضا .. كما أن المدارس الداخلية كلها بالمجان .. ولا توجد في أفغانستان مدارس خاصة ، أما المدارس الاجنبية فلم تعرفها أفغانستان على الاطلاق .

أول كلية للبنات :

وفي عام ١٩٤٨ أنشئت أول كلية للبنات في أفغانستان وقسمت الدراسة فيها الى قسمين : قسم للاداب وقسم للعلوم وكان الاقبال عليها ملحوظا وقامت خريجات هذه الكلية فيما بعد بأعباء التدريس في مدارس البنات خير قيام .

المؤسسة الخيرية النسائية .

وفي عام ١٩٤٦ تأسست الجمعية الخيرية النسائية في افغانستان برئاسة « السيدة زينب سراج » بمدينة « كابل » تحت رعاية جلالة الملكة وبرئاستها الفخرية للمساهمة في النهوض بالمستوى الاجتماعي والثقافي للمرأة الافغانية ،وكانت المساعدات والاعانات التي يجود بها أهل الخير في كابل هي المورد الوحيد للمؤسسة وكان لها مجلس استشاري مؤلف من عدد من السيدات المثقفات

وقرر المجلس في أولى جلساته أن يكون التطوع لمساعدة التلاميذ المعوزين جزءا من واجبات أعضاء المؤسسة بالاضافة الى الواجبات الاساسية ، كما قرر افتتاح عدة فصول مجانية لمكافحة الامية وتعليم الاشغال اليدوية والتدبير المنزلي والطهو وغير ذلك .

وفي السنة التالية من تأسيس الجمعية قررت الحكومة وضعها تحت رعايتها والمساهمة في نصف ميزانيتها أما النصف الاخر فقد تكفل به الفرع الخيري للبنك الاهلي الافغاني وعينت لها الحكومة هيئة من الاشخاص البارزين لادارة شئونها والاشراف عليها ، وامتد التوسع في أقسام هذه المؤسسة فشمل تعليم الاطفال وتربيتهم والعناية بطعامهم وصحتهم ، ومن بين الاقسام التي أضيفت للمؤسسة : قسم لمكافحة الامية ـ القسم المهني والاشغال اليدوية ـ قسم التعليم ـ قسم المساعدات الاجتماعية والارشاد ـ قسم التجارة ـ القسم الاداري .

أعمال الجمعية :

ومن بين الاعمال التي قامت بها هذه الجمعية ، تنوير العنصر النسائي في المجتمع ونشر التعليم بين السيدات وتوجيه نظرهن الى الاضرار الناجمة عن التمسك ببعض التقاليد والعادات الخرافية وذلك عن طريق القاء

طالبات احدى الكليات الافغانية في المعمل

الاطفال يتسرون في المهرجانات التي تقام في جميع المدارس الافغانية

منظر لاشتراك الاطفال الافغانيين فى المهرجان المدرسى

المحاضرات ونشر الكتب والمجلات وعرض الافلام السينمائية وتمثيل الروايات . وتعمل الجمعية على ايجاد وظائف لخريجات المدارس وايجاد أعمال للسيدات المحتاجات .

واستطاعت الجمعية أن تروج كثيرا من الصناعات النسوية كالخياطة والتطريز وان تزود السيدات بوسائل التعليم والاعلام - وخلال العشرين عاما التى عاشتها الجمعية حتى الآن قدمت خدمات جليلة فى رفع مستوى المرأة الافغانية فى المجالات الاجتماعية والثقافية .

وبالاضافة الى أعمال هذه الجمعية من تأسيس مدرسة مهنية عليا وفصول لمحو الامية والكتابة على الآلة الكاتبة فقد أنشأت مكتبة ضخمة ومسرحا وفرقة موسيقية ، كما أصدرت مجلة للسيدات باسم « مجلة ميرمن » لتعليم المرأة الافغانية الفن الرفيع والنقد الادبى ونشر الوعى الاجتماعى ومحاربة الأمية وتبصير المرأة الافغانية بحقوقها والعمل على الدفاع عنها .

كما تقوم الجمعية أيضا بعقد دورات دراسية وتدريبية وتقدم منحا دراسية فى داخل أفغانستان وخارجها وتعد القوانين الخاصة بالعمل ومرتبات السيدات الحاملات والمريضات وتدريب المرأة الافغانية على أصول تدبير المنزل وادارة الاسرة وتربية الطفل وحياة المجتمعات .

ورغبة فى تدريب المرأة على الشئون القانونية حرصت الجمعية على عقد دورات دراسية قانونية لكى تكون على علم بحقوقها والتزاماتها سواء فى المنزل أو فى المجتمع ، وهذه الدراسات بالاضافة الى تبصير المرأة بواجباتها من الناحية القانونية فهى تبصرها أيضا بموقفها من الهيئات الدولية وتربطها بالامم المتحدة والقانون العالمى لاعلان حقوق الانسان .

وينص دستور هذه الجمعية على أن رئيس الجمعية وأعضاءها وموظفيها متساوون فى الحقوق والمركز والواجبات وان لهم الحق فى التمتع بالامتيازات التى يتمتع بها الذين يعملون فى الحكومة من ناحية الخدمة والترقية والتقاعد والمكافآت والاجازات لا فرق فى ذلك بينهم وبين موظفى الحكومة .

الزى الوطنى النسائى :

ويتألف الزى الوطنى النسائى الافغانى من فستان طويل ذى كمين طويلين مغلق عند العنق وضيق عند الخصر ومزين بألوان جميلة من التطريز على الصدر والكمين والجزء السفلى منه . وتضع المرأة الافغانية على رأسها غطاء من الحرير تلف به وجهها وكثيرا ما تتزين بأساور وعقود من فضة من صنع أفغانستان كما أن الزى الوطنى نفسه مصنوع من الحرير الطبيعى ذى الالوان المختلفة مما تنتجه أفغانستان أيضا .

وبعد ان للمرأة الافغانية فى ميدان الدفاع عن الوطن كثير من الشعر الحماسى جادت به قرائح الشاعرات الافغانيات يبين مدى شجاعة المرأة الافغانية وبسالتها ووطنيتها .. فهذه مثلا شاعرة أفغانية تخاطب زوجها قائلة :

« سأكون بجانبك فى ساحة الوغى
ولن أهرب من حد السيف
فاننى امرأة افغانية . »

وشاعرة اخرى تحث المحاربين حيث تقول :

« اذا لم تضربوا الاعداء بالسيوف
فماذا أنتم فاعلون وقد رضعتم
من لبن أم افغانية ؟! »

الخنساء

إعداد : عائشة حسني

في هذا العدد اقدم سيدة جليلة ، والدة كريمه ، وشاعرة عزيزة نافست فى عالم الادب فنالت قصب السبق وناضلت فى ميادين القتال لاعلاء كلمة الاسلام فهى بحق امرأة عظيمة احرزت فى الحياة موقفا رفيعا

هى :

الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد يتصل نسبها بسليم وعيلان الى قبيلة مضر الشهيرة .

ولدت قبل الاسلام ، وعاشت بين سكان البادية فى الخيام التى اعتاد العرب ان يضربوها وسط الصحارى ، نشأت الخنساء فى تلك البيئة ، فى بيت من اعز بيوتات العرب نسبا وكثيرا ماكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث عن قبيلتها المضرية ويعدها حصن القبائل العربية . واشتهرت قبيلة الخنساء بشجاعة ابنائها وكرم طباعهم وفصاحة منطقهم واجادتهم قول الشعر .

سميت فى بادىء الامر باسم تماضر لبياض لونهاوكان العرب يطلقون هذا الاسم على المرأة ذات البشرة البيضاء ثم غلب عليها اسم الخنساء مؤنث كلمة « آخنس » وهى صفة تعنى تأخر الانف عن الوجه او انخفاض قصبته .

كانت شاعرة بفطنتها وكانت فتاة كريمة النفس متينة الاخلاق ذات وقار وشمم .

زواجه .

كانت فى اول عمرها من اجمل نساء عصرها ، رآها دريد ابن الصمة فاعجبته وخطبها من ابيها ولكنها رفضته واصرت على الرفض وعاود الطلب مرة اخرى وكان يمت الى معاوية اخيها من ابيها بحبل النسب ، فطلبها من اخيها فأجابته قائلة : : ما اعجب هذا الامر ؟ الم تجد غيرى لسعادة صديقك ؟!

وبعد الحاح طلبت منه ان يرسل اليها دريدا لتراه بنفسها وتتحدث معه لتستطيع ان تحكم عليه عما اذا كان يصلح زوجا لها .

فأسرع الاخ نحو صديقه واخبره بما حدث فحضر اليها دريد وقد أصلح من هندامه فقابلته ببشر وترحاب وظلت تحادثه فترة طويلة وتوجه اليه السؤال تلو السؤال وهو يجيب على اسئلتها معتقدا انه نال رضاءها . ولكن خاب ظنه لانها وجدته شيخا ضعيف البصر وهنت قواه وولى شبابه .

فقالت : مالى بمثل هذا الشيخ عن حاجة .

فحنق عليها دريد واخذ يهجوها ولكنها لم تهتم وهى ذلك دليل على احتقارها لشأنه وتصغيرها لمقامه .

من هذا نستدل على مدى ماكان للمرأة من كامل الحرية فى اختيار زوجها .

وتزوجت الخنساء من رواحة بن عبد العزيز السلمي، وكان لها اربعة اولاد نشأوا جميعا شعراء شجعانا خاضوا غمار الحروب، وابلوا فيها احسن البلاء. غمرتهم امهم « الخنساء » بمحبتها، واسبغت عليهم عطفها فنشأوا كراما فى قومهم تعتز بهم امتهم وتفخر بهم قبيلتهم .

ولم يقتصر حب الخنساء على اولادها، بل تعداهم الى اخويها معاوية وصخر بل ان حبها لهما كان يفوق كل حب واعزاز .

وكان موت اخيها معاوية اول نكبة اصابت كيان حياتها فاظلمت الدنيا فى وجهها وانقلبت قصائدها المملوءة بالروح والحياة الى مرثيات مبكية موجعة تسيل حزنا والما .

وبعد موت معاوية فجعت فى اخيها صخر بعد ان ظل طريح الفراش عدة ايام وعلى اثر تلك الفاجعة . تقوس ظهرها وانطفأ نور جمالها . ومن قولها فى اخيها صخر :

يذكرنى طلوع الشمس صخرا
واذكره لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولى
على موتاهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل اخى ولكن
اعزى النفس عنه بالتأسى

حياة الخنساء بعد الاسلام :

وبعد ان فقدت اخويها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع وفود قبيلتها واستنشقت نسيم الاسلام .

ولم تنقطع الخنساء عن اوجاعها وحزنها على اخويها حتى ان رآها ذات يوم عمر بن الخطاب فى اثناء طوافها بالكعبة فى حال يرثى لها فنصحها بان تلزم الصبر فاجابته بانه لم تصب امراة بمثل ما اصيبت به فشجعها عمر وقال : لها بان المصائب كثيرة ولابد ان تمتثل لامر الله فان ماتفعله من فعل الجاهلية وهذا ماحرمه الاسلام فامتثلت لما قال ولكنها لم تستطع انتمحو من ذاكرتها مرارة الحزن على اخويها ولكن عمر حدثها مرة اخرى وقال لها لو ان البقاء من نصيب الاحياء لبقى الرسول صلى الله عليه وسلم حيا ثم اتم الحديث بقوله « ان اخويك فى النار » فاجابت : ذاك اطول لحزنى كنت ابكى لهما من الثار وانا اليوم ابكى لهما من النار .

طلب منها عمر ان تقول شعرا فقالت :

سقى جدثا اكناف عمره دنه
من الغيث ديمات الربيع ووابله

فتأثر عمر بحالها وعزم على ان يتركها فى حالها وقال لاصحابه :

دعوها بعد اليوم فى شانها فان للمرء ان يبكى ما شاء لمصيبته ونكبته وهكذا كانت الخنساء المخلصة الصادقة فى حبها وايمانها .

وهذه صفحة مشرقة للخنساء اعظم مما نقلمته فى قصائدها .

لقد بلغت الخنساء اعظم ما بلغته امراة فى الصبر وقوة الايمان كانت اما لاربعة اولاد فحين قامت الحرب بين العرب والفرس لم تبخل بحياة اولادها وشجعتهم على ان يشتركوا فى واقعة القادسية وقالت لهم فى الليل :

يابنى انكم اسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، وانكم لبنو رجل واحد، ماخنت اباكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم .وقد تعلمون ما اعد الله تعالى للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية . لقوله تعالى « يايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » فاذا اصبحتم غدا ان شاء الله سالمين فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على اعدائه مستنصرين . فاذا رايتم الحرب شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى مساقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رسيسها عند احتدام خميسها لتظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والمقامة .

وفى الصباح كان لهذه النصيحة تاثير واضح اذ تقدموا جميعا للقتال واحدا بعد الاخر حتى قتلوا .

اشتدت نيران الحرب وانتهت بقتل عدد كبير من الفرس وتشتت شملهم وانتصار المؤمنين . وعلمت الخنساء باستشهاد اولادها الاربعة فى سبيل نصرة بلادهم واعلاء كلمة : لا اله الا الله .

وما سمعت الخنساء باستشهاد اولادها حتى اهتز كيانها ثم سكتت وقالت :

« الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وارجو من ربى ان يجمعنى معهم فى مستقر رحمته » . وعندما عادت الجيوش الاسلامية المظفرة الى المدينة المنورة، لم يكن يدرى الناس أيهنئونها على موقفها ام يعزونها فى اولادها .

الخنساء الشاعرة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشعر الناس الخنساء بنت عمر واسخى الناس محمد يعنى نفسه وافرس الناس على بن ابى طالب .

وسأل جرير عن اشعر الناس : قال ... الخنساء

وقد اتفق شعراء عصرها على انه لم يكن هناك امراة اجزل شعرا من الخنساء، وفيها اجمعوا على ان النساء يظهر الضعف فى اشعارهن الا الخنساء فقد فاقت الرجال فى قول الشعر .

وكانت فى اوائل عهدها تقول البيتين والثلاثة حتى بعد مقتل اخيها صخر واكثرت الشعر وتغير اتجاهها .

كان من عادة العرب ان يجتمع شعراؤها فى سوق عكاظ للمباراة فى اجادة الاقوال وسبك المعانى وكانت الخنساء تحضر سوق عكاظ وتعرض شعرها فى ميدان المباراة . وبذلك اشتهرت بانها شاعرة جليلة من شعراء الطبقة الاولى المشهورين بالاجادة ولها ديوان .

هكذا كانت حياة الخنساء تضحية وكفاحا وبطولة وتوفيت فى عهد معاوية فى العام الخمسين للهجرة وتبلغ من العمر سبعين عاما .

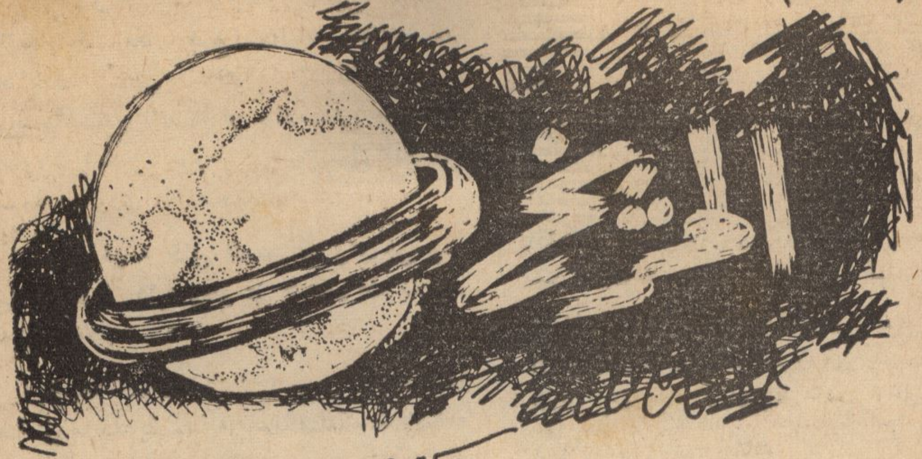

الدكتور محمد جمال الدين الفندي

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز : « انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » - سورة الصافات - والمريخ من هذه الكواكب التى تزين السماء القريبة . ولقد أثار اهتمام البشر خلال فترات مختلفة من تاريخ المدنية، ففى بادىء الأمر - عندما عرف الناس بعض أفراد المجموعة الشمسية - ميزه البابليون والعرب والاغريق الذين جعلوه اله الحرب . ومضت فترة طويلة أهمل الناس فيها أمر المريخ حتى جاء عصر النهضة العلمية فى الغرب وأذاع أحد علماء الفلك الايطاليين انه اكتشف بعض الخطوط المستقيمة على سطح الكوكب وأطلق عليها اسم القنوت . ولقد حمل هذا الاكتشاف علماء آخرين على صوغ نظرية فريدة عن حضارة المريخ وسكانه . وفى مستهل عصر الفضاء تطلعت الأنظار من جديد الى المريخ لأنه من أقرب الكواكب الينا - متوسط البعد عنا نحو ٦٠ مليون ميل فقط - ، وأعظمها شبها بالأرض وظروفها الطبيعية . وقامت فى بعض البلاد منظمات تبيع أرض المريخ لأهل الأرض ، بعد أن صورتها على خرائط أعدت لهذا الغرض ، على أن تكون الأسبقية فى السفر الى المريخ بطبيعة الحال لملاك الأراضى هناك .

ولم يتعرض القرآن الكريم الى كوكب المريخ بالذات ، وانما ذكر قضايا عامة تناول فيها موضوع الحياة على الكواكب الاخرى التى يعج بها الكون وتوجد ضمن النظم الشمسية القائمة هنا وهناك بين ارجاء الفضاء اللانهائى ، كما ذكر امكان الاتصال بتلك العوالم وتحدث عن أهوال الفضاء بصفة عامة سبق بها ركب العلم بأسلوب معجز ، وعبارات قوية متينة تحدث ولا تزال تتحدى الأجيال .

انظر مثلا الى قوله تعالى :

« ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون » - سورة النحل - ، ألا تشير هذه الآية صراحة الى وجود كائنات تدب على بعض الكواكب الأخرى .. ثم انظر الى قوله تعالى فى سورة الأنبياء :

« قال ربى يعلم القول فى السماء والأرض» أفلا تؤكد هذه الآية الكريمة أن بعض تلك الكائنات يتكلم مهما كان نوع ذلك الكلام .. ثم أليست اللغة هى الحد الفاصل بين الكائنات التى تعقل والكائنات التى لا تعقل؟ لقد قلنا ان القرآن الكريم انما يذكر قضايا عامة وحقائق علمية يقررها فى ايجاز معجز ويترك للناس فرصة الدرس والبحث والتحصيل .

والعجيب أن القرآن الكريم لا يتركنا عند هذا الحد ونحن نعالج هذا الموضوع الخطير، وانما يذكر امكان جمع الكائنات المختلفة مع بعضها البعض • وقد يكون هذا الجمع بواسطة سفن الفضاء أو باللاسلكي على غرار محاولات البشر اليوم • فنجده يقول مثلا فى سورة الشورى :

« ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير » •

وبطبيعة الحال نحن لا نتعرض فى حديثنا هنا الى ما قد يقصد به يوم القيامة مما لايعلمه الا الله تعالى فهو علام الغيوب ، وانما نقصد سفن الفضاء واللاسلكى •

أما أهوال الفضاء وما سيعترض سبيل الناس عند اقتحام الفراغات التى تفصل ما بين الكواكب فلعل من أوضحها وأقربها الى الأذهان قوله تعالى فى سورة الرحمن :

« يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من اقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ، يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » •

وليس المقام مقام الحديث عن أهوال الفضاء حتى نسترسل فى شرح هذه الآيات الكريمة ونعلق عليها علميا ، وانما الحديث عن المريخ الذى يثير اهتمام البشر اليوم •

فمن المعروف أن الأرض تتم دورتها حول الشمس مرة كل نحو ٣٦٥ يوما ، تقطعها بسرعة متوسطها ١٨½ ميل فى الثانية ، بينما يجرى المريخ فى فلكه بسرعة متوسطها ١٥ ميلا فقط فى الثانية الواحدة ، وذلك بسبب زيادة بعده عن الشمس اذا قورن بالأرض ، كما انه يتم دورته فى مدة قوامها ٦٨٧ يوما من أيامنا ، او مايقل قليلا عنعامين بالنسبة لسكان الأرض •

وبتعاقب دوران الأرض والمريخ فى مداريهما من حول الشمس يحدث ان تقع الأجرام الثلاثة على استقامة واحدة بحيث تتوسط الشمس بين المريخ والأرض تارة ، وتتوسط الأرض بين المريخ والشمس تارة أخرى • وتبلغ المسافة بين الكوكبين فى الوضع الأول نحو ٢٤٠ مليون ميل ، كما تصل الى ما يقرب من ٣٥ مليون ميل فقط فى الوضع الثانى • وفى هذه الأثناء يظهر الكوكب بلون أحمر وردى ، كما يتميز بكبر حجمه ولمعان سطحه ، وهو فى كبد السماء ، ولذلك يسمى بالكوكب الأحمر ، وفى هذه الأثناء كذلك يهب الفلكيون فى جميع مراصد العالم بتصويب مناظيرهم المكبرة الى المريخ• ولقد مرت أقرب الفترات المناسبة لهذه الدراسات خلال الأعوام ١٨٩٤ ، ١٩٠٩ ، ١٩٢٤ ، ١٩٣٩ ، ١٩٣٦ ، وسوف يقترب من هذا الوضع مرة أخرى عام ١٩٧١ •

ورغم انه فى عام ١٩٣٩ نشبت الحرب العالمية العظمى الثانية ، وفى عام ١٩٥٦ حدث الاعتداء الثلاثى ، فانه لا يوجد ما يبرر ربط مثل هذا الاقتران بين الأرض والمريخ بالحروب التى تحدث بين الناس كما ذهب الاغريق ! ونحن نعلم أنه « كذب المنجمون ولو صدقوا » •

ولو أننا سلمنا بان على المريخ شبيه الانسان كما يقول فريق من الفلكيين ، فلا بد من ان نسلم بان أهل المريخ سبقونا فى حضارتهم بملايين السنين، وذلك بسبب بعد كوكبهم عن الشمس بمسافة أكبر من بعد الأرض عنها • ويقول بعض العلماء كذلك : ان القمرين التابعين للمريخ وهما « فوبوس » و « دايموس » من صنع اهل المريخ لأنهما فى واقع الأمر من محطات الفضاء التى تقلع منها سفن الفضاء هناك ! الا أن هذا مجرد خيال ، والثابت علميا من دراسات الطيف الذى يرسله الكوكب أن كل طاقية قطبية عليه انما يغطيها الجليد ، ويتم ظهورها بوضوح فى الربيع هناك ، عندما تبرز من خلال الضباب الكثيف الذى يخيم على كل من قطبى الكوكب فى فصل الشتاء • أما خلال

الصيف فان الطاقية القطبية تكاد تصبح فى حكم العدم ·

وتقل درجة الحراره هناك عن نظيرتها على الأرض بما يعادل نحو ٣٠ درجة مئوية، مما يجعل الحياة ممكنة ، وذلك لأن للمريخ غلافه الجوى الخاص به الذى تبلغ كتلته نحو ٢٥ر٠ من كتلة غلاف الأرض الجوى· ويقدرمتوسط الضغط الجوى عند سطح الكوكب بنحو ٦ر٥ سنتيمتر زئبق مقابل ٧٦ سنتيمترا على الأرض · وأهم مكونات جو المريخ الأزوت والاكسجين ثم بخار الماء ·

وتجتاح سطح الكوكب من آن الى آخر عواصف جبارة ، قد يصل قطر العاصفة منها نحو ٣٠٠٠ ميل · وهى تثير أنواعا عديدة من السحب الممطرة وغير الممطرة ، الا أن فريقا كبيرا من العلماء يشك فى صحة هذه المعلومات كلها ، ولكنهم يسلمون رغم ذلك بوجود غلاف هوائى وبخار الماء هناك وبعض النباتات البدائية وما قد يتغذى عليها من كائنات بدائية كذلك ·

والآن نعود الى الحديث عن قنوات المريخ، فالمفروض أنه كانت بالكوكب محيطات واسعة خلال وقت من الأوقات ، وجلس على عرشه نوع عاقل من الكائنات راحت تستغل قوى الطبيعة وطاقاتها · وبمرور الوقت عملت أشعة الشمس على تحليل جزيئات الماء الذى كان يتسرب الى اعالى جو المريخ فى صورة أبخرة الى عنصرى الاكسجين والايدروجين · أما الايدروجين فقد كان يفقد فىخضم الفضاء وأما الأوكسيجين فيعود متثاقلا الى سطح الكوكب بسبب كبر كثافته · وعلى القشرة كون الأكاسيد الحمراء التى أكسبت سطح الكوكب اللون الأحمر ·

وهكذا راحت كميات المياه التى فى المريخ تقل تدريجيا حتى أشرف على الجفاف أوكاد· وفى العصر الذى أصبح فيه الموقف خطيرا كان المريخيون قد وصلوا الى درجة من الذكاء والمدنية مكنتهم من مواجهة ذلك الموقف · ولم يكن فى مقدورهم منع بخار الماء من التسرب الى الفضاء الكونى · ولكنهم استطاعوا الاستفادة الى أقصى حد ممكن من الكمية الباقية التى يتحول أغلبها الى جليد أثناء الشتاء ·

وتتراكم الثلوج فى مناطق المريخ القطبية كلما تكاثف بخار الماء العالق فى الجو هناك وتساقط على هيئة ثلج كما يحدث فى مناطق الأرض الباردة فى الشتاء · وعندما يتجه أحد قطبى المريخ نحوالشمس فى فصل الربيع تبدأ الثلوج فى الذوبان ، ويستغل المريخيون هذه الظاهرة ويستغلونها كمصدر للماء ، فيعمدون الى شق قنوات عظيمة يجرى فيها الماء الناتج من ذوبان الثلوج المتجمعة عند كل قطب وينساب الى المناطق الاستوائية أو المدارية حيث تنتشر الصحارى كما هو الحال على الأرض ·

تخرج من هذا كله بان فريقا من العلماء يرى أن المريخ كوكب يحتضر، وأن المريخيون يكافحون فى سبيل استغلال كل نقطة من الماء هناك بوسائل علمية ومشروعات عالمية ، وما القنوات التى يرصدونها على سطح الكوكب سوى شرائط عريضة تجف بها الأرض الخضراء التى تسقى من مياه الثلوج القطبية عندما تذوب فى الربيع· وينكر فريق آخر من علماء الفلك كل ذلك ،كما ينكر وجود أية حياة أخرى خارج نطاق الأرض · ولكن القرآن الكريم يسبق الركب بعشرات المئات من السنين وينبئنا بأن من بين كواكب السماء ما هو مسكون فعلا بكائنات راقية عاقلة ، وليس معنى ذلك أننا اذا قصدنا كوكبا بالذات كالمريخ يكون لزاما أن نجد عليه تلك الحياة ، وانما معنى ذلك أن من يروح متنقلا بين أجرام السماء لا بد أن يظفر من حين الى آخر ببعض الكواكب العامرة كالأرض · والحق أنه من العبث أن تقتصر الكائنات المفكرة على الأرض بينما فى الكون ما لا يحصى من الكواكب التى تشبه الأرض ، بل والتى تفوق عليها من حيث الظروف الملائمة للحياة والله أعلم ·

انت تسأل والمفتى يجيب

فضيلة الامام الأكبر : الشيخ حسن مأمون

س ١ :

من ابو المعارف محمد ضمرانى - طالب بمدرسة نجع حمادى الاعدادية :

هل لأداء فريضة الزكاة وقت معين وخاصة زكاة الفطر ؟ وما هى الاصناف التى تخرج منها الزكاة ؟ .

الجواب :

زكاة المال (**النهب والفضة وعروض التجارة**) تجب اذا بلغت نصابا معينا وتوفرت فيه الشروط المنصوص عليها فى كتب الفقه ويجب أداؤها اذا حال الحول على النصاب ما دام كاملا فى طرفى الحول وان نقص فى اثنائه ، فوقت الاداء الواجب هو بعد تمام الحول فان عجل اداءها بعد بلوغ النصاب ولكن قبل تمام الحول جاز وسقطت عنه .

أما زكاة الزروع والثمار فوقت أدائها يوم حصاد الزرع والثمر لقوله تعالى « وآتوا حقه يوم حصاده » .

أما زكاة الفطر فوقت أدائها من طلوع فجر يوم عيد الفطر ، ويصح أداؤها مقدما ومؤخرا ويستحب اخراجها قبل صلاة العيد لقوله صلى الله عليه وسلم « **اغنوهم عن السؤال فى هذا اليوم** » .

وهذا عند الحنفية - ويرى الشافعية أن وقت وجوبها آخر جزء من رمضان وأول جزء من شوال - ويسن اخراجها اول يوم من ايام عيد الفطر المبارك بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العيد - ويجوز اخراجها من اول ايام رمضان .

ويقول المالكية انه يحرم تأخيرها عن يوم العيد .

أما الأصناف التى تخرج منها فهى الحنطة والشعير والتمر والزبيب ، ويرى الشافعية أنها تخرج من غالب قوت المخرج عنه، وأفضل الاقوات عندهم البر فالسلت «الشعير النبوى» فالشعير فالذرة فالارز فالحمص فالعدس فالفول فالتمر فالزبيب فاللبن فالجبن .

والله أعلم .

س ٢ :

من حمدى عبد اللطيف بسطويسى - من معهد كفر الشيخ الدينى الاعدادى :

بعض الناس فى بلدنا يقولون ان الكلب نجس وأكله حرام فهل هو نجس وأكله حرام؟

الجواب :

لا خلاف بين الفقهاء فيما نعلم فى ان الكلب من الحيوانات التى لا يؤكل لحمها ، ولكن الخلاف فى طهارته ونجاسته ، فقد حكى شيخ الاسلام ابن تيمية الخلاف بين الفقهاء فى طهارة الكلب ونجاسته فقال : « أنهم يتنازعون فيه على ثلاثة اقوال » :

الاول : انه طاهر حتى ريقه وهو مذهب المالكية .

الثانى : انه نجس حتى شعره وهو مذهب الشافعية واحدى الروايتين عن الامام احمد.

والثالث : ان شعره طاهر وريقه نجس وهو مذهب الحنفية والرواية الاخرى عن الامام احمد ثم قال وهذا أصح الاقوال ، « فاذا اصاب الثوب او البدن رطوبة شعره لم يتنجس بذلك واذا ولغ فى الماء اريق الماء ومن هذا يعلم الجواب عن السؤال .

والله أعلم .

س ٣ :

من المرسى حامد زهره - من شبرا مصر :

يقول انه من حوالى ستة أشهر أجرى عملية جراحية فى المسالك البولية ولكنه الى الآن ينزل منه بول رغم ارادته عند الجلوس أو الركوع . وانه بعد وقت قصير ينتقض وضوؤه ولا تبقى ملابسه طاهرة - ويسال عن حكم صلاته ؟

الجواب :

اذا كانت الحالة التى تشكو منها تلازمك وقتا كاملا بمعنى انك كلما ركعت فى الصلاة أو جلست ينزل منك البول ، ولا ينقطع فى جلوسك او ركوعك وقتا كاملا فحكمك حينئذ حكم المعذور تصح صلاتك فى هذه الحالة بشرط ان تتوضأ لوقت كل صلاة - اما الملابس فاذا كان عندك ما تستتر به عورتك من الملابس الطاهرة فلا تصح صلاتك بالملابس النجسة اذا كانت نجاستها اكثر من القدر المعفو عنه - وهو قدر الدرهم فى النجاسات الغليظة ومنها البول ويقدر الفقهاء مساحته بمقعر الكف فان كانت النجاسة قدر درهم فاقل فان الصلاة تجوز بها مع الكراهة التحريمية .

والله أعلم .

س ٤ :

من على عواد الجندى - طالب بالمعهد العالى التجارى باسيوط !

يقول ان والده توفى من ثلاثة شهور ويسال ماذا يقدمه لوالده بعد وفاته ليخفف الله عنه ذنبه ويشمله برحمته ؟

الجواب !

أمر الله سبحانه وتعالى الاولاد بالدعاء للوالدين بالرحمة قال تعالى « **وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** » وحكى القرآن الكريم دعاء سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام لأبيه قال تعالى « **واجعلنى من ورثة جنة النعيم واغفر لأبى انه كان من الضالين** » كما حكى ذلك عن نوح عليه السلام قال تعالى « **رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات** » وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه « **اذا مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له بخير** » .

ومن ذلك يتبين للسائل انه يستطيع ان يقدم لأبيه الدعاء بالرحمة والمغفرة وان يكثر من عمل الخير كصدقة وتلاوة قرآن وغير ذلك من الطاعات ، ويدعو الله سبحانه وتعالى ان يجعل ثوابها لوالده - والله تعالى اكرم مسئول وهو سبحانه سميع الدعاء .

والله أعلم .

س ٥ :

من م. ب. ع. - من بشلا مركز ميت غمر دقلهية :

يطلب توزيع تركة رجل توفى عن زوجته وأخيه الشقيق وأخته لأمه وأخوين وأختين لابيه فقط :

الجواب :

اذا كان الامر كما ورد فى السؤال فان للزوجة الربع فرضا وللاخت لام السدس فرضا والباقى لاخيه الشقيق تعصيبا ولاشىء للاخوة من الاب .

والله أعلم .

س ٦ :

من طه ابراهيم صقر عريف شرطة بوليس قسم مصر :

يريد الزواج من بنت خالته الكبيرة - وقد رضعت أختها الصغيرة من والدته رضعتين - فهل يجوز له الزواج بالبنت الكبرى التى لم ترضع ؟

الجواب :

اذا كانت البنت التى تريد ان تتزوجها لم ترضع من امك ولم ترضع انت كذلك من امها ولم ترضعكما امرأة أخرى فانه يحل لك ان تتزوج بها ولا عبرة برضاع أختها من أمك ولا تأثير لهذا الرضاع فى حل زواجك من الاخت الكبرى التى لم ترضع لانها ليست اختك من الرضاع فلا تحرم بينكما .

والله أعلم .

س ٧ :

من عبد الخالق محمد محمد شحاته ـ بالقاهرة :

يقول انه قرأ فى امساكية رمضان التى أخرجتها مجلة منبر الاسلام فى باب امور لا تبطل الصيام ، تحت عنوان « يرخص للصائم ان يصبح وهو جنب » .

عن عائشة وام سلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصبح جنبا من جماع غير احتلام ثم يصوم رمضان ـ رواه البخارى ومسلم واحمد .

ويقول السائل انه يشك فى هذا القول ولا يتصور كيف يفعل الرسول ذلك وهو امام المسلمين وهو المرشد والمعلم الاول وكيف ينام عن صلاة الفجر ؟

الجواب :

ان كل ما يصدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول او فعل متعلق بالدين تشريع لأمته فاذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم أصبح جنبا وهو صائم فليس معنى ذلك انه نام عن صلاة الفجر ، ولكن المعنى انه صلى الله عليه وسلم استيقظ من النوم جنبا ثم اغتسل وصلى بالمسلمين صلاة الصبح ، ولا شك انه قد مرت فترة من الزمن مهما كانت قصيرة بين استيقاظه صلى الله عليه وسلم وبين اغتساله واستمراره صلى الله على وسلم على صومه مع مرور فترة عليه وهو جنب دليل على صحة صوم من استيقظ فى الصباح جنبا ولا يلزم من ذلك التخلف عن صلاة الصبح .

والله اعلم .

س ٨ :

من فوزى عبد القادر عطيه ـ من كنيسة دمسيس غربية :

يقول ان جميع سور القرآن تبدا بالبسملة ما عدا سورة التوبة ، ويسأل عن السبب فى ذلك ؟

الجواب :

يقول ابن كثير ان البسملة لم تكتب فى أول سورة التوبة لان الصحابة لم يكتبوا البسملة فى اولها فى المصحف الامام بل اقتدوا فى ذلك بامير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وأرضاه ، كما قال الترمذى فيما رواه عن ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان ما حملكم أن عمدتم الى الانفال وهى من المثانى والى براءة وهى من المئين وقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ـ ووضعتموها فى السبع الطوال ، ما حملكم على ذلك فقال عثمان : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتى عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد فكان اذا ما نزل عليه الشىء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الآية فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الانفال أول ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها وخشيت انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها فى السبع الطوال .

س ٩ :

من بهية محمود حسنين بكر ـ من اسيوط : تطلب توزيع تركة امرأة توفيت عن ابن عم شقيق وابن عم غير شقيق وبنت اخ فما نصيب كل منهم ؟

الجواب :

اذا لم يكن للمتوفاة من الورثة الا من ورد ذكرهم فى السؤال فان التركة كلها لابن العم الشقيق تعصيبا ولاشىء لابن العم غير الشقيق ولا لبنت الاخ .

والله اعلم .

اعداد : فؤاد هيبة

عزيزى القارىء :

ان المجتمع الاسلامى مجتمع الاخلاق القويمة والمبادىء الفاضله التى تنشد تحقيق الحريه للأجناس البشريه على اختلاف مذاهبها وأجناسها وهو ما حققته ثورتنا الانسانية المباركة التى كان لهافضل السبق الى توحيد صفوف الشعوب النامية على كلمة الحق وفريضة المحبة والتعاون وقداسة العمل الخلاق ، فكانت مؤتمرات القمة طريقا ثوريا لمواجهة تحديات الاستعمار عامه وتحرير فلسطين خاصه ٠٠ أما هؤلاء الذين يتخذون من لفظ الاسلام ستارا لمؤامراتهم الخبيثة التى يزينها لهم الاستعمار الصهيونى فانهم فاشلون لا محالة لأن المبادىء الاسلامية لها من القدرة على كشف شعارات التضليل والتمويه ونبذ أحلاف الفتنة والتفرقة ما سوف يريهم عاقبه أعمالهم حسرات عليهم ٠

عبد الناصر ٠٠ فجر الحرية

السيد محمدعبد السلام عطار ناظر مدرسه النصر الابتدائية

من وحى أديب فنان ، وعروبه مواطن حر ، وفكر اسلامى اصيل ، يرتل لنا فى قصيدته ((هذا جمال الشرق ٠٠)) آيات الاجلال والاعظام للرئيس جمال عبد الناصر الذى أزال بعدله عهد قداسة الأصنام ٠٠ حيث يقول :

حلم يداعب مقلتى وهيامى
يحيا الشباب على سنا الاحلام
هذا جمالٌ النورَ قد وضحت به
سبل ترامت فى دجون ركام
قد حرر الوادى وسار ركابه
فى شرعه الاصلاح والاكرام
قاد السفين الى النجاة مراعيا
طهر الضمير وشرعة الاسلام
واعاد للشعب الأبى مكانه
فى موكب الاحرار والاعلام
والنيل يرقص فى خمائل نصره
وكذاك «دجلة» فى ربوع الشام
والنصر والتأييد حول لوائه
والنصر والتأييد للمقدام

أدعياء الاسلام ٠٠ استعمار مقنع

السيد/ابراهيم تونى مصطفى الدروى ـ مدرس بسنهور الاعدادية بالفيوم ٠

اعلاء لكلمة الحق وتبديد لأباطيل الأدعياء نظم لنا قصيدته «الى ادعياء الايمان» مسفهـا أحلامهم وسوء قصدهم قائلا :

قال الاله تبتلوا ومقالكم بل نقتلُ
كبرت مقال فاسد وخسئتم يا جهلُ
كنا نعانى الظلم لم نعرف رئيسا يعدلُ
حتى أتانا ناصر يطوى الدجى ويذللُ
ورأى العدالة عزة يثرى بها من يعمل
ورأى العدالة عزة يثرى بها من يعملُ
والله يحمى ناصرا والله نعم الموئل

القناعه ايمان ٠٠ والاحتكار بهتان

السيد/عبد المعطى اسماعيل عباده مفتش بالتعليم الثانوى ٠

يقول فى كلمة له بعنوان « الاسلام براء من الحكر » أن الحكر ضعيف الايمان ، ضعيف المروءة ، يود ان يغنى بفقر الناس ويترف على حسابهم ٠٠ وقد نهى الله تعالى عن الحكر لأنه قتل للفقراء والضعفاء وايذاء للناس « يأيها الذين امنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ، ولاتقتلوا أنفسكم أن الله كان بكم رحيما » صدق الله العظيم

تفسير القرآن ٠٠ مجلدات متتابعه

السيد/محمد حفنى ابراهيم ـ عابدين القاهرة

ان المجلس الأعلى للشئون الاسلاميه ـ يا أخى ـ يقوم على اخراج تفسير للقرآن الكريم فى مجلدات متتابعة تصدرها لجان التفسير والتنسيق والمراجعه بالمجلس ، هذا بالاضافه الى ما تزخر به مقالات مجلة منبر الاسلام من تفسير لكتاب الله ٠

بريد التعارف

الاسم : حسين محمود عمران
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٥ سنة
مصحح بهيئة المطابع
الهواية : الاميرية
المراسلات الدينية والشعر
العنوان : هيئة المطابع الاميرية بالقاهرة

الاسم : محمد الغالى زمامة
البلد : المملكة المغربية
السن : ٢٥ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة مع ابناء الامة الاسلامية فى شارق الارض ومغاربها حتى تتآلف القلوب
العنوان : ٩ شارع الدربية - مكناس المغرب

الاسم : محمد خطاب الملاح
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٣ سنه
المهنة : طالب بكليه الهندسة جامعة الازهر
الهواية : القراءة والاطلاع ومراسلة الشباب
العنوان : دمرو سلمان مركز دسوق محافظة كفر الشيخ

الاسم : فتحى عبد العزيز محمد النجار
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٦ سنة
المهنة : طالب بمدرسة الخديوى اسماعيل لثانوية
الهواية : قراءة الكتب الادبية وتاليف القصص والشعر
العنوان : عطفة الحسنية شارع البقل رقم ٧ - القلعة - بالقاهرة

الاسم : عزام بونجوع
البلد : المملكة المغربيه
السن : ١٤ سنة
المهنة : طالب
الهواية : جمع الطوابع البريدية والمراسلة
العنوان : مؤسسة محمد الخامس شارع بنى مكادة رقم 79 طنجة - المغرب مكادر رقم

الاسم : محمد مصطفى محمد فتحى المرسى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٣ سنة
المهنة : طالب بمعهد دمنهور الدينى الثانوى
الهواية : الاطلاع والرحلات
العنوان : محطة كهرباء دمنهور « زاوية غزال »

دعوة الميثاق الوطنى ... ... الاستاذ حسنى عبد المجيد ١١٥
الحج حكمه وحكمته ... ... فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع ... ١١٨
التطور الاقتصادى ... ... الدكتور أحمد شلبى ١٢٣
التكافل الاجتماعى ... ... الدكتور محمد سلام مدكور ١٢٥
قصة سليمان ... ... الاستاذ بها الدين القبانى ١٢٩
العلم سبيل المثل ... ... الاستاذ حسن فتح الباب ١٣٢
فعالية الوحدة فى الاسلام ... ... الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد ١٣٤
البطولة فى شعر العصر الاسلامى ... ... الاستاذ على الجمبلاطى ١٣٦
قطوف ... ... الاستاذ على الجندى ١٣٩
عقوبة الاعدام ... ... الاستاذ محمود كمال ١٤١
مع سيدنا عثمان فى خلافته ... ... الاستاذ عبد العال شعيب ١٤
الحياة والنهاية ... ... الاستاذ اسماعيل كشميرى ١٤١
تاريخ التشريع فى مصر ... ... الدكتور حامد حفنى داود ١٥
الاسلام ثورة ... ... الدكتور حسن حبشى ١٥٠
الاعجاز البيانى ... ... الدكتور حفنى شرف ١٥٤
فلينظر الانسان مم خلق ... ... الدكتور عبد الحليم كامل ١٥٧
الايمان صانع المعجزات ... ... الاستاذ محمود الهجرسى ١٦٠
دراسات فى التاريخ الاسلامى ... ... الدكتور أحمد ابراهيم الشريف ١٦٢
الترف فى القرآن ... ... الدكتور القطب محمد طبلية ١٦٥
شاعرات اسلاميات ... ... الاستاذة روحية القلينى ١٦٩
حياة القر الشهابى ... ... الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى ... ١٧١
اتمام صوم الفاطميين ... ... الاستاذ محمد حسن الاعظمى ١٧
الجندية فى مصر الاسلامية ... ... الدكتورة سعاد ماهر ١٧٩
القاهرة المعزية ... ... الاستاذ محمود وصفى ١٨١
المغزى الدينى والاجتماعى للحج ... ... تحقيق من اعداد ... ...
... ... مصطفى زاهر ... ...
يوسف الروينى ١٨٤
الشعر الدينى ... ... الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل ... ١٩
الحان روح ... ... الشاعر عبد الله شمس الدين ... ١٩٢
القرآن ... ... الشاعر محمود جبر ١٩٥
يا فتية الاسلام ... ... الشاعر محمود ابو الفتوح رضوان ... ١٩٨
يا بنى العرب ... ... الشاعر محمد هارون الحلو ٢٠٠
صوت من الاخرة ... ... الاستاذ حسين الطوخى ٢٠٢
باب الرياضة ... ... اعداد ناصف سليم ٢٠٦
الاسلام والمسلمون فى اليونان ... ... اعداد رياض خليفة ٢٠٩
السوق السوداء ... ... تحقيق من اعداد ... ...
... ... رفاهى الباز ... ...
... ... طه محمد رمضان ٢١١
ندوة الشهر ... ... اعداد عبد الرحمن الشربينى ... ٢١٤
المملكة المغربية ... ... الدكتورة عنايات الطحاوى ٢١٦
ساعة مع مامونة مبشر الطرازى ... ... اعداد نجاة الزنيرى ٢٢٥
الخنساء ... ... اعداد عائشة حسنى ٢٢٩
باب العلم ... ... الدكتور محمد جمال الدين الفندى ... ٢٣١
المفتى ... ... فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون ٢٣٤
مع القراء ... ... اعداد فؤاد هيبه ٢٣٧
بريد التعارف ٢٣٨

اقرأ فى هذا العدد :

معالم الطريق ٣
لقاء مع سفير اليمن بالقاهرة ٦
الشبهات .. والشهوات ... ... فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ... ٨
الصوفية فى الهامهم ... ... الاستاذ حسن كامل الملطاوى ١٢
أسرار الموسم ... ... الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل ١٥
عود على بدء ... ... فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ... ٢٠
خواطر مستشار ... ... المستشار على على منصور ٢٣
التفسير قبل الزمخشرى ... ... الدكتور أحمد الحوفى ٢٦
دعوة ابراهيم ... ... فضيلة الشيخ عبد الله المشد ٣١
من رجال الاقتصاد فى الاسلام ... ... فضيلة الشيخ أحمد الشرباصى ٣٣
نصيحة ... ... الدكتور محمد مظهر سعيد ٣٦
الشريعة الاسلامية والقانون المدنى ... ... المستشار عبد الستار آدم ٣٨
سياستنا الخارجية ... ... الاستاذ توفيق على وهبه ٤٠
من الادب الصوفى المصرى ... ... الدكتور صافى على حسين ٤٢
من تراثنا الاسلامى ... ... الاستاذ محمد بدر الدين سالم ٤٥
التربية وتكوين العادات ... ... الدكتور محمود البسيونى ٤٩
التخطيط الاقتصادى ... ... الدكتور غريب الجمال ٥١
بعض مظاهر التنظيم الحربى ... ... الدكتور محمد جمال الدين سرور ... ٥٢
الثقافة العربية فى افريقيا ... ... الدكتور عبد الكريم دهنية ٥٤
الرحمة المهداة ... ... الدكتور الحسينى هاشم ٥٧
اعتراف الاجانب ... ... سماحة الاستاذ مبشر الحسينى ٥٨
قانون السلطان ابوالحجاج ... ... الدكتور محمد كمال شبانه ٦٠
عبد الناصر صانع السلام ... ... الاستاذ كامل عبد المجيد ٦٣
من التاريخ الاسلامى ... ... الاستاذ عبد المقصود حبيب ٦٥
نحو قوة عربية ذاتية ... ... الدكتور جمال الدين الرمادى ٦٧
موقف الاسلام من الطبقية ... ... فضيلة الشيخ محمود وفا هاشم .. ٦٩
الجيل فى أعلامه ... ... الاستاذ أنور الجندى ٧٢
التصوف فى شعر الشاعر اقبال ... ... الاستاذ محمد اسماعيل الندوى ٧٤
نحو تنمية دينية ... ... الدكتور أحمد كمال أحمد ٧٧
عقيدة التوحيد ... ... الاستاذ حسن الشيخة ٨١
بعض مبادىء النظام السياسى ... ... الدكتور طعيمة الجرف ٨٢
مصر فى القصص المقدس ... ... الاستاذ عبد الحميد ابراهيم محمد ... ٨٥
التصوف الاسلامى ... ... الاستاذ محيى الدين الالوائى ٨٨
اليهود والمسيح ... ... الدكتور عبد الناصر العطار ٩٠
الدعوة روح الفكرة ... ... الاستاذ عبد السميع البطل ٩٢
الرحالة والمستكشفون العرب ... ... الدكتور انور عبد العليم ٩٥
لا اكراه فى الدين ... ... فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى ٩٧
الجمهورية العربية المتحدة ... ... فضيلة الشيخ ابو الوفا المراغى ... ٩٩
التربية عند العرب ... ... الاستاذ على القاضى ١٠٠
الاسلام بين العقل والنقل ... ... الاستاذ محمود ابو الفيض ١٠٥
فى محراب القرآن ... ... فضيلة الشيخ حسين احمد هاشم ... ١٠٧
الثقافة التى ننشدها ... ... الاستاذة عزيزة مريدن ١٠٩
الحج وشعائره ... ... فضيلة الشيخ عبدالرحيم فرغلى البلينى ١١١

مجموعة اسطوانات

الصلاة

وتحتوى على 7 اسطوانات شاملة
الأذان * الوضوء
الصلوات الخمس

اسطوانات

المصحف المرتل

فى ٤٤ اسطوانة

ترقبوا فى منتصف كل شهر عربى

سلسلتى

كتب إسلامية

و

دراسات فى الإسلام

تضمن الحصول على
مكتبة اسلامية جامعة
بأقلام كتاب متخصصين

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية